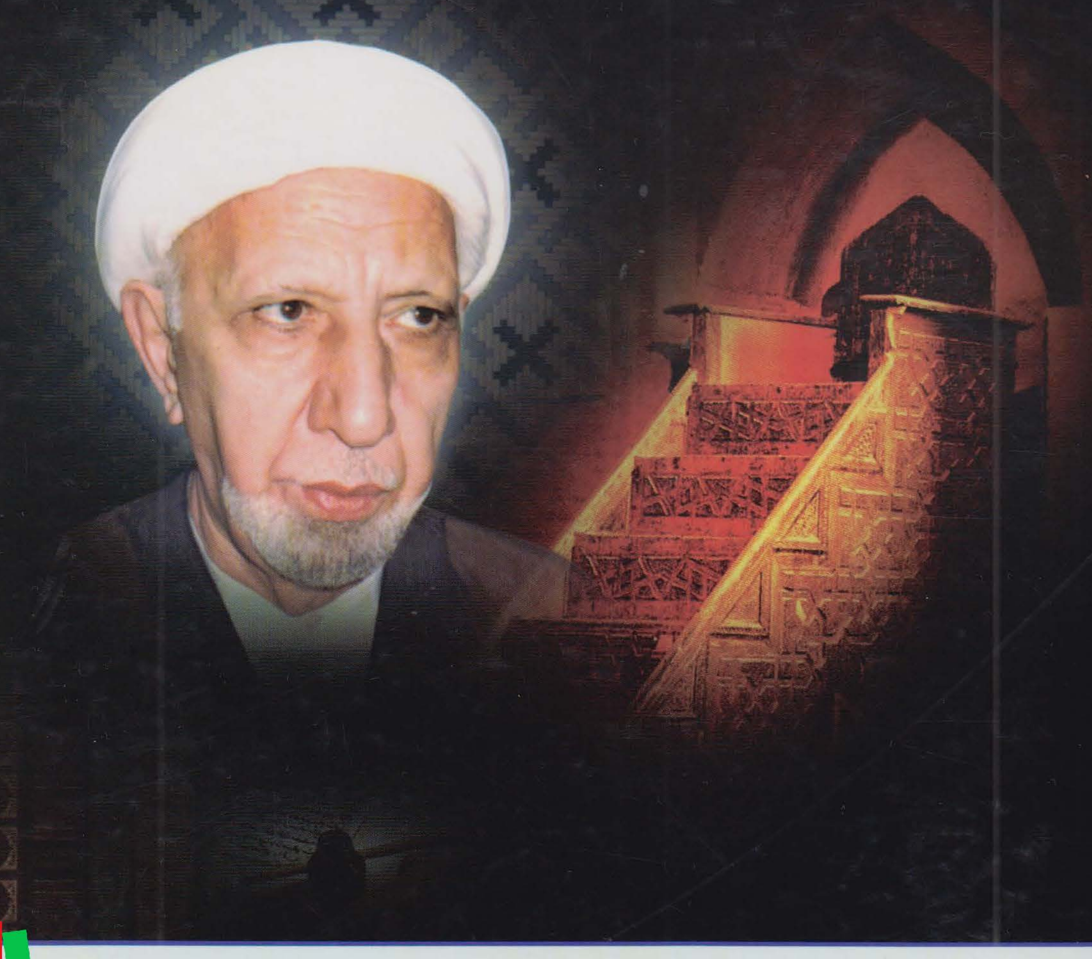
أمير المنابر

أول دراسة علميّة موضوعيّة شاملة عن
الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (ره)



تأليف
صادق جعفر الروازق



أميرُ المنابِر

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

أول دراسة علمية موضوعية شاملة عن الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي ﵀

تأليف

صادق جعفر الرّوازق

الأهـداء

إلى الّذي أرخَصَ دَمهُ من أجل استعادة كرامة الآخرين، سيّد الأحرار ومنار الأبـرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، راجياً القـبول والشفاعة .

إلى صاحب المـدرسة السيّارة، المـجدد المـبدع الخـطيب الدكـتور الشـيخ أحـمد الوائلي.

إلى كُلّ العراقيين الّذين اعتلوْا صهوات المشـــانق، وذاقــوا مــرارات السـجون، وغــيِّبوا تـحت أطــباق الثرى زرافـاتٍ ووحدانا...

إلى هؤلاء جميعاً أُهدي ثواب هذا الجهد.

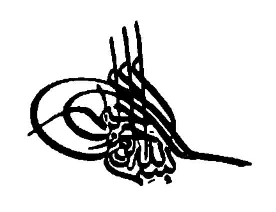
المؤلف



الخطيب الدكتور الشيخ احمد الوائلي (ره)

هوية الكتاب

الاسم الكتاب امير المنابر الدكتور الشيخ احمد الوائلي (رحمه الله)
المؤلف صادق جعفرالرّوازق
الطبعة الاولى
عدد النسخ ٢٠٠٠
الناشر ناظرين
المطبعة شريعت
سنة الطبع ٢٠٠٤م
يطلب الكتاب من النجف الاشرف
بداية شارع الطوسي محلات المصرف الاسلامي
الطابق الارضي مكتبة الامام الصادق (ع)
قرب مطعم الحاج سالم
العنوان الكتروني
abd alkarim alzohiri@yahoo.com
M_ SADEQ2000@HOTMIL.com
ايران / قم / شارع آرم - سوق القدس
الطابق الارضي مكتبة الامام الصادق (ع)
رقم المحل ٥١ هاتف: ٧٧٤٠٠٥٥
فاكس: ٧٧٤٤٧٠٦



المقدمة:

كما ترك رحيل الدكتور الشيخ أحمد الوائلي ﵀ فراغاً خطابياً وأدبياً واسعاً فقد ترك في الوقت نفسه تساؤلاً ملحّاً عن الدور الذي خاضه في صيانة وحفظ منزلة المنبر الحسيني وتطويره، وأيضاً، الدور الذي خاضه مع أقرانه من رجالات الحوزة العلمية وطلبة العلوم الدينية، في المواقف السياسية الهامة الّتي عصفت بالعراق وشعبه، وكان ـ هو ـ ﵀ شاهداً ومجاهداً في كُلّ أحداثه.

ففي الوقت الذي يدعو فيه البعض إلى عزل الخطيب الحسيني عن السياسة ومعتركاتها، الّتي قد تؤثر سلباً على سمعة المنبر الحسيني، نجد الوائلي ﵀ رائداً في توظيف هذه الميزة وفق متطلبات ومقتضيات عصره الراهن.

فجعل من الحسين ﵇ شعلةً وضاءةً للوعي السياسي، ينبوع قِيم ينهل منه المتعطّشون لمعاني الخير والفضيلة. وثورةً خالدة تتجدد وتزخر بالعطاء. فضلاً عن مواقفه الشجاعة والنادرة بعد أن وقف (شاعراً) ناقداً للمواقف السياسية المخالفة لتطلعات الشعب العراقي. وناقداً علمياً للأطروحات الغربية، ومحاججاً صلباً في الدفاع عن متبنياته العقائدية، وآرائه الإسلامية وفلسفة الدين والحياة على ضوء العقل والمنطق والأثر الصحيح .

فما كان لمنبره إلّا أن يكون نموذجاً للمنبر الحسيني المعاصر. فأضافت نشاطاته السياسية ومواقفه المبدئية الصلبة رافداً مهماً لدخوله إلى عالم الأمة، وشوقها وتعطشها لمحاضراته القيّمة الّتي عبرت عن محاكاة مباشرة واستجابة منقطعة النظير لملايين

المسلمين في عالمنا الإسلامي ولم تقتصر على العراق وحده.

فكان الوائلي ﷺ وبحق أُنموذج الخطيب الواعي والملتزم، وسفير جامعة الطوسي العريقة، فقد مثّل صورة العالم الديني المعاصر، المشاطر لآلام الأمة وأمالها، وأحزانها وأفراحها، وغدا صوتها الناطق، ولسانها المُعبر... جالَ فلم يكبو، وجاهد فلم يتعب، وناضل فلم ييأس، وصرخ فلم يخشَ، فكان بحق الرجل الذي أعطى الحياة قيمةً واعتباراً، فسجلت أدبياته معالم همومه وتطلعاته وأشواقه ومواساته، وطفت مشاعره النبيلة تترجم هذه المعاناة وهذه الآلام. وأبت مبادؤه وأخلاقه العيش الرغيد في كنف الطغاة وإجرامهم، فأبى إلّا أن يعيش مشرَّداً كباقي أبناء شعبه المشرَّدين، يكتفي من زفرات غربته بشوق موجعٍ لبغداد الحبيبة، وذكرياته النجفية في عهد الطفولة والصبا، ولصاحب القبة الشمّاء علّه يحظىٰ بلفتة حانية منه، تُشيع في نفسه الأمل والرجاء.

فلمثل هذه الشخصية المعطاء ولهذه الإنسانية الطافحة، وفي أحدى الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان ١٤٢٤هـ وأنا أستذكر سيرة هذا الرجل الأنموذج وقصيدته الشهيرة:

بغدادُ يومكِ ما يزالُ كأمسه ... صورٌ على طرفي نقيض تُجمع

أقول: عزمتُ على أن أكتب هذه الدراسة المتواضعة، لعلها تكون حافزاً لغيري في إشباع هذه الشخصية طالما مَنَّ الله علينا، بحرية القول وانحسار الخوف، بعد فيضٍ من الحمد والشكر لوجهه تعالى لنعمة الخلاص من طاغية العراق(١) الذي جَثَم على صدورنا

---

١ . ومن جميل النعم الألهية، وأنا أكتب كلمات هذه (المقدمة) والّتي عادةً ما أكتبها في نهاية البحث، سمعت نبأ القاء القبض على المجرم صدام حسين بعد ما يقارب تسعة أشهر من دخول قوات التحالف إلى العراق ـ وهي الفترة الّتي توفي فيها الشيخ الوائلي ـ فنهضت مسرعاً إلى التلفاز لأرى هذا الذليل المتوحش اسيراً مكسوراً، فسجدت لله شاكراً على ابقائه حياً ولم

وسيطر على مخيَّلتنا ومشاعرنا وأحاسيسنا ما يقارب خمس وثلاثين عاماً، لم نرَ فيها إلا كوابيس مظلمة وأحلاماً مرتجفة ومخيفة.

فجاءت هذه الدراسة تحمل (مدخلاً) وأربعة فصول :

حاولنا في (المدخل) الذي جاء تحت عنوان «مدينة النجف وحاضرتها الدينية»، استعراض بيئة الشيخ الوائلي ﷺ ومحيطه، ودور الجامعة الدينية ثقافياً وسياسياً واجتماعياً في بلورة وصقل الشخصية العلمية والأدبية مع إحاطة متواضعة بتأريخها الذي أمتد لأكثر من الف عام وكان لابد لهذه الدراسة أن يتصدرها هذا (المدخل)، لأن الدراسات التأريخية الحديثة عادة تعتمد على دراسة البيئة والمحيط الاجتماعي، الذي يَلّم بالظاهرة أو نشوء الشخصية، ولذا أكدت البحوث الاجتماعية والنفسية على ضرورة هذه الملاحظة في حقول الدراسات التأريخية، حتى أصبحت كل دراسة من هذا النوع تهمل هذا الجانب من البحث تكون فاقدة لطابعها العلمي المتين.

أما في الفصل الأوّل: فتحدثنا عن سيرته وأهم الصفات أو الخصال الّتي تميَّز بها ﷺ، ثم أوضحنا المفهوم السياسي عنده وبعض مواقفه السياسية الهامة في العراق، بعد ذلك أفردنا قراءة استعراضية لأهم مؤلفاته.

الفصل الثاني: تضمن المفهوم العلمي للخطابة وأهميتها في الواقع الإسلامي، ثم استعرضنا بداية التجربة الخطابية عنده ﷺ وأهم كبار العلماء في نقد محاضراته، ثم

☜ يقاوم ويموت ويصبح بعد ذلك عند الساذجين من العرب بطلاً قومياً لا يبارى! كما تألمت كثيراً لغياب الوائلي ﷺ وودتُ لو أنه كان حيّاً ليشاهد نهاية هذا الطاغوت الذي سفك دماء الملايين من العراقيين في جبهات الحرب (مع ايران ومع الكويت) وساحات الإعدام وأقبية السجون ومجازر حلبچة والمقابر الجماعية، وأوغل في هتك الحُرمات وملاحقة المهاجرين ومطاردة شرفاء العراق وأخيارهم... فالحمد لله الذي أنعم علينا بنعمه التي لا تحصى. ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٣م.

أوضحنا المنهج المميّز عنده، ومن ثَمّ دوره في تنقية المجلس الحسيني من الخرافات والأساطير وآراءه في بعض الشعائر الحسينية، كما تضمن الفصل، الحديث عن أجزاء الخطبة وألطاف المنبر الحسيني وبعض الكرامات الّتي لمسها ببركة الأئمة المعصومين عليهم السلام كما تضمن، الوقوف على بعض تلاميذ المدرسة الوائلية.

الفصل الثالث: حاولنا أن نستعرض فيه المراحل الإصلاحية الّتي واكبها الشيخ الوائلي رحمه الله في النجف الأشرف ابتداءً من المواقف الإصلاحية للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مروراً بالإصلاحات التعليمية عند الشيخ محمد رضا المظفر وانتهاءً بالحركة الإصلاحية الشاملة عند السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله .

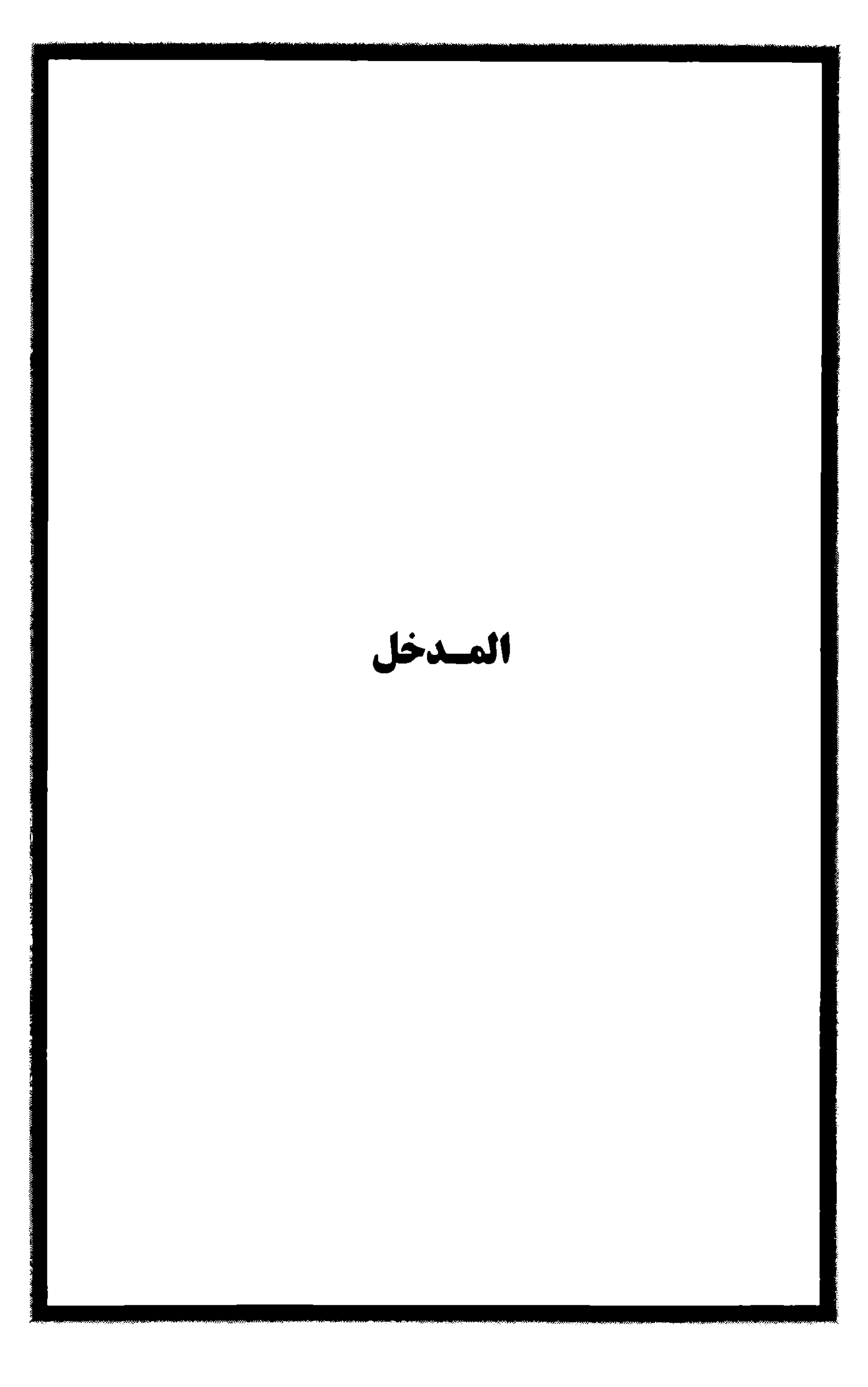
الفصل الرابع: وهو الفصل الأخير الذي تناولنا فيه معالم تطور الحركة الشعرية في النجف الأشرف مع استعراض آراء كبار الأدباء والفقهاء حول الشعر، فبين من يقول بالترك وبين من يقول بالأخذ به بالمطلق، وبين دوره في أداء رسالته الهادفة. ثم الوقوف على الوائلي رحمه الله أديباً وشاعراً.

كما تضمنت هذه الدراسة ـ إضافة إلى المقدمة ـ خاتمة أوجزتُ فيها نتائج الدراسة وتلخيصها، سائلاً المولى القدير ان نكون ممن أدّىٰ خدمةً صادقةً في طريق سيد الشهداء وأبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ما دام صاحبنا رحمه الله ممن خَتَمَ مساره بهذا الركب.

والحمد لله الذي به نبدأ ونستعين ونختم.

صادق جعفر الرّوازق

١٢ / ١٢ / ٢٠٠٣ م



المدخل

النجف الأشرف... وجامعتها الدينية

عُرفت مدينة النجف بفضلها واشراقتها على العالم الإسلامي من خلال ضريح سيد المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وصي الرسول صلى الله عليه وآله، وأيضاً من خلال جامعتها الدينية العريقة بعلومها وآدابها، فهي ثالث جامعة علمية عرفها المسلمون، بعد جامعة القرويين (الزيتونة) في تونس، وجامعة الأزهر في مصر (القاهرة). وأمتد عمرها العلمي ما يقارب ألف عام.

والنَّجَفُ في اللغة: «مكان مستطيل منقاد ولا يعلوه الماء، والجمع نجاف، ويقال هي بطون في أسافلها سهولة تنقادُ إلى الأرض، لها أودية تنصبُّ إلى لين من الأرض»[١].

والنَّجَفُ، بالتحريك: مكان لا يعلوه الماء، وقد يكون في بطن الوادي شبيه بنجاف الغبيط، والنجف: التل، والنجفة؛ المُسناة، والنجفة الّتي بظهر الكوفة، هي كالمسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة[٢].

وللنجف جذور تأريخية عريقة، عندما كانت جزءاً من مملكة الحيرة الّتي تربع على عرشها المناذرة، وبنوا فيها منازلهم وقصورهم، لما كانت تتمتع هذه البقعة بطيب المناخ،

---

١ . ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٣٩٥ .

٢ . ياقوت الحموي في معجم البلدان وابن منظور في لسان العرب، والزبيدي في تاج العروس في مادة (نجف).

وحسن التربة، واعتدال الهواء، وقديماً قال فيها الشاعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي (المتوفّىٰ عام ٢٣٥ هـ).

لم ينزل الناس في سَهْلٍ ولا جَبل أصفىٰ هواءً ولا أغدى من النجفِ[١]

وعن الإمام الصادق عليه السلام: النجف كان بحراً عظيماً، وكان يسمى «ني» ثم جف بعد ذلك فقيل: (ني جف) فسمي بنيجف، ثم سمّي (نجف) لانّه كان أخف على اللسان[٢] ويذكر الحموي في معجم البلدان: بأن قبر أمير المؤمنين عليه السلام على قرب من هذا الموضع[٣] ويذكر الشيخ جعفر محبوبة في ماضي النجف وحاضرها: بان «ميمنة الكوفة روضة من رياض الجنة»[٤].

والمراد من هذه الميمنة هو قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ويضيف الشيخ محبوبة: ان النجف كانت من قبل مهبط الأولياء... ودار هجرة الأنبياء عليهم السلام، وعليها استوت سفينة نوح عليه السلام وكان بها منزل إبراهيم الخليل عليه السلام وإليها كانت هجرته.[٥]

وقد ذكرها (النجف) الكثير من الشعراء في الماضي ومنهم، علي بن محمد العلوي المعروف بالحمّاني الكوفي، فقال:

فيا أسفي على النجف المعرّى وأوديــة مـنوّرة الأقــاحِ
وما بسط الخورنق من رياض مـفجرة بـافنية فساحِ
ووا أسفا على القناص تغدو خرائطها على مجرى الوشاحِ

١. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ٥ / ٣٦٧.
٢. الصدوق، علل الشرائع: ٢٢ باب ٢٦.
٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (مادة نجف): ٥ / ٣١٣.
٤. جعفر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٢.
٥. جعفر آل محبوبة: م. س: ١ / ١٦.

وذكرها (حنين) الحيري المغني الذي كان يسكن الحيرة كما جاء في كتاب الأغاني[١].

أنا حنين ومنزلي النجف وما نديمي إلا الفتى القصف
أقرع بالكأس ثغر باطية مترعة تارة واغترف
من قهوة باكر التجار بها بيت يهود قرارها الخزف
والعيش غض ومنزلي خصب لم تعرني شقوة ولا عنف

ويقول أحدهم:

يا دار غيّر رسمها مر الشمال مع الجنوب
بين الخورنق والسدير فبطن قصر أبي الخصيب
فالدير فالنجف الأشم جبال أرباب الصليب[٢]

وآخر يقول :

حكمة أورثناها جابر عن إمام صادق القول وفي
لوصيّ طاب في تربته فهو كالمسك تراب النجف[٣]

وقد وردت اسماء أُخرى للنجف منها:

١. الغري أو الغريان:

وهي من الأسماء القديمة الّتي أُطلقت على بقعة النجف، وقد ورد الغريان أو الغري

١ . أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ٢ / ١٢٠ .
٢ . علي الخاقاني، شعراء الغري: ١ / ١٠ .
٣ . نفس المصدر .

كثيراً في كتب التأريخ والأدب وفي معاجم الحديث وقواميس اللغة، ففي معجم البلدان لياقوت الحموي يقول: «ان الغريين بظاهر الكوفة بناهما المنذر بن أمرئ القيس، وكان السبب في ذلك، انّه كان له نديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة والآخر عمر بن مسعود فثملا فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه، فأمر وهو سكران، فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ودفنهما حيّين، فلما أصبح استدعاهما، فأخبر بالذي أمضاه فيهما، فغمّه ذلك، وقصد حفرتهما وأمر ببناء طربالين[1] عليهما وهما صومعتان، فقال المنذر، ما أنا بملك إن خالف الناس أمري: لا يمر أحد من وفود العرب إلا بينهما وجعل لهما في السنة يوم بؤس، ويوم نعيم، يذبح في يوم بؤسه كُلّ من يلقاه ويغري بدمه الطربالين فان رفعت له الوحش طلبتها الخيل، وان رفع طائر أرسل عليه الجوارح حتى يذبح ما يعنّ ويطليان بدمه، ولبث بذلك برهة من دهره وسمى أحد اليومين يوم البؤس وهو اليوم الذي يقتل فيه ما ظهر له من إنسان وغيره، وسمي الآخر يوم النعيم يُحسن فيه إلى كل يلقىٰ من الناس ويحملهم ويخلع عليهم».[2]

وقد ذكر الكثير من الشعراء النجف الأشرف، باسم (الغري)، فقديماً يقول الشاعر:

لو كان شيء له أن لا يبيد على ... طول الزمان لما باد الغريّانِ
ففرّق الدهر والأيام بينهما ... وكلّ إلف إلى بينٍ وهِجرانِ

ويقول الفرزدق عندما نزل بالغريين فعراه بأعلى ناره ذئب، فأطعمه الفرزدق بكل ما عنده من الطعام فلما شبع ولّىٰ عنه، فقال:

وليلة بتنا بالغريين ضافنا ... على الزاد موشي الذراعين أطلسُ

١ . الطربال: قطعة من جبل أو قطعة من حائط تستطيل في السماء وتميل، وقيل: الطربال القطعة العالية من الجدار والصخرة العظيمة المشرفة من الجبل.

٢ . الحموي، معجم البلدان: ٦ / ٢٨٣ .

تـلمسنا حـتى أتـانا ولم يـزل لدن فـطمته أمـه يـتلمس
فـلو أنـه إذ جـاءنا كـان دانـياً لألبسـته لو أنـه كـان يـلبس
ولكن تـنحّىٰ جـنبة بـعد مـا دنـا فكان كقاب القوس أو هـو أنـفس

وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي:

ألا طـرقتنا بـالغريين بـعدما كللنا على شحط المـزار جـنوب
أتـوك يـقودون المـنايا وإنـما هـدتها بـأولانا اليك ذنـوب

ويذكر الشيخ الوائلي ﵀ الغري في أكثر من موقع من قصائده، ومنها:

غـادرتما فـالقطر عـينٌ تـرمقُ ورجـعتما فـالقطر ثـغرٌ مشـرقُ
حـلَّقتما وأرى الغـريَّ وأنـتما ضـافي جـناحيه يـظلُّ يـحلِّقُ

وهي من قصيدة رحّب فيها بقدوم الشيخ محمد رضا المظفر والسـيد مـحمد تـقي الحكيم بعد أن اشتركا في مؤتمر إسلامي عام ١٩٦٤ إلى أن يقول:

للعائدين إلى الغريِّ عـواطـف أصفى من النَّبع المذال ترقرقُ
المـثقلين وليس غـير مـفاخر يزهو بها جيد ويشـمخ مـفرقُ

٢. وادي السلام:

وهو من أسماء النجف المشهورة، ويطلق على المقبرة الواسعة الشهيرة فيها.

ولهذه البقعة المقدسة يقول الوائلي ﵀ :

تـحيَّةً أيُّـها الوادي الحـبيب إلى ربـىً إليـها النُّـجوم الزُّهـر تـنجذب
يـلوحُ فـي لابـتيها مـن أبـي حسـنٍ وجـه ومـن قسـماتٍ مـنه تـختضب

غــفت مــلايين آمــالٍ بــتربتها الســـ ـــمراء فــهي عــلى أبــعادها كـثب
لو عــن ثـغورٍ بـها نـمَّ الثرى لغـدت تـلك المـتالع فـيها يـنبت الشَّـنب
تـوحَّدت طـبقات فـي قـرارتـها وهوَّم الخصم جنب الخصم واصطحبوا
حـتى تـعابير كـانت فـوق أَعـينهم مـاتت فـما ابـتعدوا مـنها ولا اقـتربوا
أبـا تـرابٍ وفـي تـرب ثـويت بـه تـطوي الرِّضـا أَمـلاً قـد غـاله التُّـرُب
وعـندنا مـنه مـا يـحيا بـه أبـداً مـدَى الدُّهـور وعـند الله يـحتسب

وأصبحت مقبرة (دار السلام) من أكثر مقابر الشيعة قدسيّة، إذ يرى الأتقياء منهم أن الدفن بجوار أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام سينهي محنة الميت في القبر ويقلص البرزخ بين الموت والقيامة.(١)

وتعتبر هذه المقبرة من أكبر المقابر في العالم حيث أتسعت حركة الجنائز اليها منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (٢).

وفي اوائل القرن العشرين ظهرت آراء مختلفة لبعض المجتهدين حول نقل الجنائز إلى النجف فالمجتهد المصلح السيد هبة الدين الشهرستاني كان ينقد هـذه الظـاهرة نـقداً لاذعاً، ويشكك في صدقية الأحاديث القائلة ان جثة آدم نقلت لدفنها في النجف، ودخـل

١ . ليس هذا الاعتقاد عند الشيعة وحدهم، انظر ما يقوله أبو الحسن الميموني، قال: حدثني أبي، قال: سمعتُ عمراً ـ وهو ابن ميمون بن مهران الجزري، أبو عبد الله الرقي (المتوفّى ١٤٥ هـ) ـ وكان بالكوفة،: بلغني انّه يحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب، فأحب أن أموت بها، فمات ودفناه بها. أنظر تهذيب الكمال: ٢٢ / ٢٥٤ رقم ٤٤٥٧ .

٢ . يمكن الرجوع إلى (دليل النجف الأشرف) لعبد الهادي الفضلي، و (وادي السلام في النجف) لمحسن عبد الصاحب المظفر، والمدخل للخليلي. انظر رباب الحسيني في بحثها «مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين، ضمن كتاب (النجف الأشرف... اسهامات في الحضارة الإنسانية)»: ٢٥٥ .

السيد الشهرستاني في سجالات وحوارات ساخنة مع مجتهدين آخرين، وكان أشدهم عليه المجتهد السيد عبد الحسين شرف الدين. فيما كانت آراء بعض العلماء السابقين للسيد الشهرستاني وعلى رأسهم المجتهد الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفّىٰ ١٨١٢ م) إلى أكثر من ذلك، فقد اصدر فتوى يبيح فيها ليس فقط نقل جثمان الميت كاملاً، بل يجيز أيضاً نقل أجزاء صغيرةً منه.

وعلى كل حال أنحسرت حركة الجنائز ونقل الموتى إلى النجف بفعل العامل السياسي ومواقف الحكومات في البلدان الشيعية، ثم انحسرت أكثر بعد عام ١٩٥٨ م واقتصرت على الجنائز من داخل العراق. في الوقت الذي كان يصل معدل هذه الظاهرة إلى ١٧ ألف جنازة كُلّ عام في بداية القرن العشرين، وهذا الانحسار ـ بلا شكّ ـ يؤدي إلى ضرب الحالة الاقتصادية للنجف ودورها العلمي والاجتماعي بالتبعية.

ومن الاسماء الأخرى الّتي تطلق على النجف ـ أيضاً ـ (العتبة المقدسة) و (المدينة المقدسة) نظراً لقداستها في نفوس الملايين من المسلمين، لانها تشرفت بمرقد مثال العلم والزهد والتقوى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الإنسان الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (علي مع الحق، والحق مع علي يدور حيثما دار) ويطلق عليها أيضاً (المشهد).

مناخ النجف:

النجف مدينة واسعة بمساحتها وتقع في سهلٍ رملي على حافة الهضبة الغربية من العراق، وعند نهايتها تقوم الحدود السعودية، يحدها من الشمال الشرقي مدينة كربلاء ومن الجنوب الغربي بحر النجف، ومن الشرق مدينة الكوفة، وتميّز مناخ النجف بهواء حار جاف صيفاً، وشتاؤُها بارد قارس وعندما يشتد الحرّ صيفاً يلجأ أهلها

إلى سراديب منحوته في الأرض نحتاً بديعاً[١].

ويقول الشيخ آل محبوبة: «يهب الهواء الناشف الساكن الهادئ في فضاء النجف ولم يحمل معه ما تتركه المياه المتعفنة والمستنقعات الوبيئة فتراه نسيماً خالصاً به ينتعش الحزين ويصبو الولهان ويستيقظ المستهام فيثير عواطف الوداد ويهيج هواجس الشوق فتتفجر براكين أرباب الغرام فترمي بقذائف الأفكار فتسبكها في بودقة الخيال فتنصب شعراً[٢].

ولنقاء مناخ النجف كانت تسمى بـ(خد العذراء) وكانوا يعتبرونها مصحة يهربون إليها أيام الطاعون لصفاء هوائها وطيب مناخها، وفي ذلك يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقفِ ... نحيّي داراً لسعدى ثم ننصرفِ
ما أن رأى الناسُ في سهلٍ ولا جبل ... أصفى هواءً ولا أغدى من النجفِ
حفت ببرّ وبحرٍ من جوانبها ... فالبّر في طرف والبحرُ في طرفِ
وما يزال نسيمٌ من يمانية ... يأتيك منها بريّا روضة أُنفِ
كأن تربته مسك يفوح به ... أو عنبر دافه العطار في صدفِ[٣]

علي بن أبي طالب عليه السلام:

هو أمير المؤمنين، ووصي رسوله العظيم صلى الله عليه وآله وسلم[٤]، وهو رجل الإنسانية والاسلام بحق.

---

١. جعفر آل محبوبة، م. س: ١ / ٧.
٢. آل محبوبة، م. ش: ١ / ٣٨٨.
٣. أبو الفرج الأصفهاني: ٩ / ٢٨٥ وياقوت الحموي في معجم البلدان، مادة نجف.
٤. هناك مئات الكتب التأريخية المحققة الّتي تدل على وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام، ولا نرى في هذا الصدد أبلغ من الإشارة إلى موسوعة «الغدير» للشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله.

ولا نريد أن نسطر في هذه المساحة كلمات أتباعه من الشيعة بحقه، فوجدنا من الأفضل ان نملأ هذه المساحة لتعريف القارئ بما قاله المفكرون من غير المسلمين:

قال الفيلسوف الانجليزي توماس كارليل: «أما علي فلا يسعنا إلا أن نحبّه ونتعشّقه فإنه فتى شريف القدر، كبير النفس، يفيض وجدانه رحمةً وبراً، ويتنظى نجدةً وحماسة، وكان أشجع من ليث، ولكنها شجاعة ممزوجة برقةٍ ولطف ورأفة وحنان».

وقال جبران خليل جبران: «في عقيدتي أنّ علي بن أبي طالب كان أول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها، وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها فردّدها على مسمع قوم لم يسمعوا مثلها من ذي قبل فتاهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم فمن أعجب بها كان اعجابه موثوقاً بالفطرة.ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية، مات علي بن أبي طالب شهيد عظمته مات والصلاة بين شفتيه ومات وفي قلبه الشّوق إلى ربّه، ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره، مات قبل أن يبلغ العالم رسالته كاملةً وافية، مات شأن جميع الأنبياء الباصرين الّذين يأتون إلى بلدٍ ليس ببلدهم وإلى قوم ليسوا بقومهم في زمنٍ ليس بزمنهم ولكن لربّك شأناً في ذلك وهو أعلم».

ويقول ميخائيل نعيمة عن علاقة جبران بالإمام: «وأذكر أن جبران كان يجل الإمام كثيراً أو كاد يضعه في مرتبة واحدة مع النبي »[1].

ويقول ميخائيل نعيمة عن الإمام علي عليه السلام: «وبطولات الأمم ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب فكان بطلاً في صفاء بصيرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، وعمق إنسانيته، وحرارة إيمانه، وسمو دعته، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم، وتعبده للحق أينما تجلى له الحق، وهذه البطولات ومهما تقادم بها العهد لا تزال مقلعاً غنياً نعود إليه اليوم وفي كل يوم كلما أشتد بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة فاضلة... إنّه ليستحيل على أي

١ . الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ١ / ٣٥.

مؤرخ أو كاتب مهما بلغ من الفطنة والعبقرية أن يأتيك حتى في ألف صفحة بصورة كاملة لعظيم من عيار الإمام علي، ولحقبة حافلة بالأحداث الجسام كالحقبة الّتي عاشها، فالّذي فكّره وتأمّله وقاله وعمله ذلك العملاق العربي بينه وبين نفسه وربّه لما لم تسمعه أذن ولم تبصره عين، وهو أكثر بكثير مما عمله بيده أو أذاعه بلسانه وقلمه، وإذ ذاك فكل صورة نرسمها له فهي صورة ناقصة لا محالة، وقصارى ما نرجوه منها أن تنبض بالحياة»[١].

وفي رسالةٍ منه لجورج جرداق: «تسألني رأيي في الإمام ـ كرم الله وجهه ـ ورأيي فيه أنه ـ من بعد النبي ـ سيّد العرب على الإطلاق بلاغة وحكمة وتفهماً للدين، وتحمّساً للحق، وتسامياً عن الدنيا، فأنا ما عرفت في كُلّ من قرأت لهم من العرب رجلاً دانت له اللغة مثلما دانت لابن أبي طالب، سواء في عظاته الدينية، وخطبه الحماسية، ورسائله التوجيهية، أو في تلك الشذور المقتضبة الّتي كان يطلقها من حينٍ إلى حين مشحونةً بالحكم الزمنية والروحية متوهجة ببوارق الإيمان الحي مدركة من الجمال في البيان حد الإعجاز، فكأنما اللآلئ بلغت بها الطبيعة حدّ الكمال وكأنه البحر يقذف بتلك اللآلئ دونما عنت أو عناء» إلى أن يقول: «إنّ علياً لمن عمالقة الفكر والروح والبيان في كل زمانٍ ومكان».

وقال شبلي الشميل: «الإمام علي بن أبي طالب عظيم العظماء نسخة منفردة لم ير لها الشرق والغرب صورة طبق الأصل لا قديماً ولا حديثاً»[٢].

وقال جورج جرداق: «فالتاريخ والحقيقة يشهدان أنّه الضمير العملاق الشهيد أبو الشهداء علي بن أبي طالب صوت العدالة الإنسانية وشخصية الشرق الخالدة! وماذا عليك يا دنيا لوحشّدت قواك فأعطيت في كل زمن علياً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره»[٣].

١ . جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ٥ / ٢٢٧ .
٢ . جورج جرداق، ن .م: ١ / ٢٠ .
٣ . جورج جرداق، م. س: ٥ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

وقال الباحث الفرنسي كارّا ديفو: «وعلي هو ذلك البطل الموجع المتألم الفارس الصوفي، والإمام الشهيد ذو الروح العميقة القرار الّتي يكمن في مطاويها سرُّ العذاب الإلهي».

وقال بولس سلامة: «وقد يقول قائل: ولِمَ آثرت علياً دون سواه من أصحاب محمد ﷺ بهذه الملحمة؟ ولا أجيب على هذا السؤال إلا بكلمات فالملحمة كلها جواب عليه، وسترى في سياقها بعض عظمة هذا الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون: رضي الله عنه وكرّم وجهه، وعليه السلام، ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه ويخشعون لتقواه، ويتمثل به الزّهاد في الصوامع فيزدادون زهداً وفتوناً، وينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء، ويتطلع إليه الكاتب الألمعي فيأتمّ ببيانه، ويعتمده الفقيه المقتدر فيسترشد بأحكامه، أما الخطيب فحسبه أن يقف في السفح ويرفع الرأس إلى هذا الطود الشامخ لتنهلّ عليه الآيات من عل، وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسخ قواعده أبو الحسن، وبعد فلمَ تسألني بأبي الحسن؟ أو لم تقم في خلال العصور فئات من الناس تؤلّه الرجل؟ ولا ريب أنها الضلالة الكبرى، ولكنها ضلالة تدلك على الحق إذ تدلك على مبلغ افتتان الناس بهذه الشخصية العظمى».

ومن الوسط الإسلامي نكتفي بهذه الطريفة الّتي نقلها المرحوم العلامة محمد جواد مغنية وهو يسجل فيها كلمة الأمير شكيب أرسلان بحق علي عليه السلام، ووصفها بالكلمة الجامعة، وقد سمعها من فمه، وحكايتها أن جمعية الإصلاح في بيروت أقامت احتفالاً بذكرى الإمام تكلم فيها عدد من الخطباء، وقدم شكيب معرّف الحفلة بقوله: «تسمعون كلمة من الأمير شكيب، وإنما سمي أميراً لانّه شبيه بالأمير في سنانه وبيانه» فغضب شكيب من هذا التشبيه وقال على المنبر «والله ما اعتراني الخجل منذ خلقت حتى الساعة كما اعتراني حين سمعتُ المعرّف يشبّهني بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والله إن كل ما في السماء والأرض عدا الله والرسول لا يشبه الغبار الذي على حافر فرس علي بن أبي طالب، إن الله

أمر بالخير، ونهى عن الشر، ثم خلقه كما يشاء، ثم قال للناس: هذا هو المثل الأعلى فاحتذوه»[١].

وبرزت النجف على مسرح التأريخ حين اكتشف قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك في عام (١٧٠ هـ) في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد[٢]، وبدأ المسلمون يتوافدون إلى زيارته للتبرك به، وبمرور الزمان أصبحت النجف من المدن المقدسة الملحوظة ثم المنظورة الشامخة في أنظار المسلمين، فأصبحت مزاراً وتربةً يستشفى بها على حدٍّ قول الشاعر الحسين بن الحجاج البغدادي (المتوفى ٣٩١هـ).

يا صاحب القبة البيضاء في النجف ... من زار قبرك واستشفىٰ لديك شُفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلكم ... تحظوْن بالأجر والإقبال والزلف
زوروا لمن تُسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبر ملهوفاً لديه كُفي
إذا وصلت فأحرم قبل تدخله ... ملبياً واسع سعياً حوله وطُف
حتى إذا طفت سبعاً حول قبّته ... تأمّل الباب تلقىٰ وجهه فقف[٣]

أما صاحبنا الوائلي رحمه الله فيقول فيه عليه السلام:

إنّي أتيتك أجتليك وأبتغي ... ورِداً فعندكَ للعُطاش مَعينُ
وأَغضُّ من طرفي أمام شوامخٍ ... وقع الزّمان وأُسُّهُنَّ متينُ
وأراك أكبر من حديثِ خلافةٍ ... يستامها مروان أو هارونُ
لك بالنُّفوس إمامةٌ فَيهُون لو ... عصفت بك الشُّورى أو التعيينُ

---

١. الشيخ محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي: ١٨٠.
٢. محبوبة، م. س: ١ / ٣٩ ـ ٤٠.
٣. محمد باقر الخوانساري، روضات الجنات: ٣ / ١٦٢.

فــــدع المــعاولَ تــزبئرّ قســاوةً　　وضـــــراوةً إنَّ البـــناءَ مـــتينُ

إلى ان يقول:

أأبـــــا تـــراب وللـــتُّراب تــفاخرٌ　　إن كــــان مـــن أَمشــاجه لك طــينُ
والنَّـــاسُ مـــن هــذا التُّــراب وكــلُّهم　　فـــي أصـــله حـــمأً بـــه مســنون
لكـــنّ مــن هــذا التُّــراب حــوافــرٌ　　ومـــن التُّــراب حــواجبٌ وعــيون
فـــإذا اســتطال بك التُّــراب فــعاذرٌ　　فـــلأَنت مـــن هــذا التُّــراب جــبينُ
ولئـــن رجــعتَ إلى التُّــراب فــلم تـمت　　فـــالجذر ليس يــموت وهـــو دفــينُ
لكـــــنّه يــــنمو ويـــــفترعُ الثَّـــرىٰ　　وتـــــرفُّ مـــــنه بــراعــمٌ وغــصونُ

قال الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه الذي قال له لقد ضربت على جميع ما عندي فجعلته ورقاً ـ أي ذهب وفضة ـ وقلت أسكن في المكان الفلاني وأخذ يعدد الأمكنة. فقال له عليه السلام: «لا تفعل ولكن عليك بالكوفة فإن البركة منها على اثني عشر ميلاً من جوانبها الأربع وإن إلى جانبها قبر ما زارهُ مهموم إلا وفرّج الله همّه» (١) ولذا كانت مهوى القلوب والأفئدة ولذا نجد الحوار الدائر بين الشيخ النراقي صاحب (جامع السعادات) ومعاصره المرجع السيد مهدي بحر العلوم، يعبر عن الشوق لصاحب القبر الشريف. فيقول النراقي رحمه الله :

ألا قل لسكان أرض الغري　　لقـد فـزتُمُ بـجنان الخـلود
أفيضوا عـلينا مـن المـاء أو　　فنحن عطاشىٰ وأنـتم ورود

فأجابه السيد بحر العلوم رحمه الله :

ألا قــل لمــولى يــرى مــن بـعيد　　ديــــار الحــبيب بــعين الشـــهود

---

١ . ابن طاووس: فرحة الغري.

لك الله مـــن غـــائبٍ حـــاضر   عـلى حـاضر غـائب بـالصدود
لَـنحنُ عـلى القـرب نشكـو الظـما   وفـزتم عـلى بُـعدكم بـالورود[١]

المدينة المحافظة:

عاشت النجف حياة اجتماعية منغلقة، فلم تكن هناك فسحة لتقبل الجديد والتجديد، وهذا ما أثّر حتى على حالتها الاقتصادية، فهي لم تلحق بالركب الحضاري إلا مؤخراً قياساً مع بعض المدن العراقية كبغداد والبصرة، وبقي أهلها من أكثر أهالي العراق شدّةً في المحافظة والانغلاق، وكان لموقعها الجغرافي ومحيطها الضيق ومناخها الصحراوي القاسي ومركزها الديني الهام، الأثر البالغ لهذا الانغلاق وهذه المحافظة، فيقول مصطفى جمال الدين الذي أحتضنته هذه المدينة طفلاً قادماً إليها من (سوق الشيوخ) فيصفها: مدينة متحفّظة أشدّ أنواع التحفّظ، فالتزمّت هو السِمَة البارزة في المجتمع النجفي، فلا يوجد في هذه المدينة ما كان يوجد في غيرها من المدن، كالمسارح، والنوادي، والسينمات وأمثال ذلك ممّا يُلهي الشباب عن دراستهم، أو يخرجهم عن تحفّظهم، بل حتى (المقاهي) الصغيرة المبثوثة في بعض أنحاء المدينة ـ يمتنع علينا، نحن شباب الدراسات الدينية، الجلوس فيها، وأذكر أنّه لا يوجد فينا من يملك جهاز (راديو) مثلاً، لذلك كُنّا في الأربعينات ننزوي في صالة جمعية (الرابطة الأدبية) لنستمع أخبار الحرب العالمية الثانية من (الراديو) الذي أهداه لها الملك غازي مع المكتبة الثمينة»[٢].

ولكن رغم ما لهذه المحافظة من أمور سلبية في مواكبة التقدم واللحاق بعجلة التطوّر سواء في المجال المدني أو في المجال الفكري إلا أنّ هذه المدينة بقيت تتسم بأمور إيجابية تعبّر عن عمق أصالتها، وكأن هذه المُحافظة والانغلاق ساهما في الحفاظ على القيم

---

١ . السيد جعفر بحر العلوم: تحفة العالم في شرح خطبة المعالم ـ قسم النجف ـ طبعة النجف .
٢ . مصطفى جمال الدين، مقدمة الديوان: ١٧ .

الراقية والأصيلة في نفوس أهلها، وأهمّها.

حُسن الضيافة، والكرم والنخوة ودماثة الخلق ورقة الطبع وخِفَّة الروح.

ومما يذكر من مصاديق انغلاقها وتزمّتها بالقديم فضلاً عن عدم تقبُّل ناسها للنقد، والتزامهم بالشعار «ليس بالإمكان أفضل مما كان» [١] ومحاربتهم للجديد والتجديد والحداثة. ونكتفي هنا بالإشارة النقدية الّتي وجهها الشاعر والأديب الأستاذ صالح الجعفري فقد وجه نقداً لاذعاً لوفود المسلمين المجتمعين في مَكَّة لأداء مناسك الحج، مُذكّراً إياهم بصمود الزعيم الهندي (غاندي) في تحديه الاستعمار الذي قاد إلى تحرير الهند، يقول مخاطباً:

قِفْ في (مِنىً) واهتف بمز ... دحم القبائل والوفودِ
حُجّوا فلستم بالغين ... بحجّكم شَرَفَ الهنودِ
حَجّوا إلى استقلالهم ... وحججتُمُ خوف الوعيدِ
وعبادة الأحرار أفـ ... ضلُ من إطاعاتِ العبيدا [٢]

وهنا من الخطأ الجسيم أن يعتقد البعض أن المجتمع النجفي بعلمائه وأهاليه أخذوا موقف الصمت أو تقبلوا نقد الشاعر صالح الجعفري هذا، [٣] فالحقيقة أن النجف ثارت عن بكرة أبيها للقصاص من هذا الشاعر، واختفى الشاعر عن الأنظار فترة من الزمن وتوسط أهل الخير لدى المرجع في وقتها آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني، ونجا الشاعر بجلده

---

١. الحديث عن أربعينيات هذا القرن وليس بالوقت الحاضر، فالنجف الآن تعيش عصر النهضة بعد ان سجل كبار العلماء والمراجع اصلاحات شاملة في جميع مجالات الحياة.

٢. مصطفى جمال الدين: مقدمة الديوان: ٢٣ ـ ٢٤.

٣. أنظر كتاب (الشيخ عبد المنعم الفرطوسي حياته وأدبه) للأُستاذ حيدر محلاتي، وهي رسالة ماجستير، ولا أدري كيف غابت هذه الحقيقة عن الأستاذ محلاتي رغم ما بذله من جهد كبير وملحوظ في هذه الرسالة!!!

بعد هذه المحاولة الطيبة واستجابة المرجع الديني لها. طبعاً كان ذلك بعد ان أفتى (رجال الدين بتكفيره محرّضين العوام من الناس عليه وكاد الأمر أن يؤدي بحياة الجعفري فبلغ ذلك سمع الإمام السيد أبو الحسن الموسوي الذي رفع عنه تهمة الكفر ـ بقوله: هذا شاعر، والشعراء يقولون ما لا يفعلون! فكفّ العوام والمحرّضون المتزمّتون العنيدون عن مهاجمة الجعفري ومحاربته) [1].

وبالرغم من هذا الانغلاق والتزمت كانت هناك طلائع وعي تتحسّس الواقع وتتطلّع إلى مستقبل الجماهير في كُلّ القضايا الوطنية والقومية والإسلامية. فكانت هذه الطلائع تستثمر الفرص للتعبير عن إرادة الأمة في تغيير واقعها السياسي واسترجاع حقوقها المغتصبة.

ويُعدّ الشيخ محمد جواد الشبيبي من رواد هذه الطليعة، يحث الأدباء والمثقفين وعلماء الدين للدفاع عن فلسطين يوم اغتصبت أراضيها، وينبّههم على المؤمرات الّتي تحاك ضد العرب والمسلمين، لقد انتفض الشبيبي (جواد) غاضباً على ذلك النفر من الشعراء وكان ولده الشيخ باقر واحداً منهم، فأخذ ولده (باقر) يوظف الغرض السياسي في كُلّ مناسبة، فمثلاً عندما زارت المطربة أم كلثوم العراق، شاع حينها أن الهدف من وراء زيارتها هو إلهاء الشعب العراقي وصرف نظره عن قضيته الأولى فلسطين مما دعا الشاعر الشيخ (باقر) إلىٰ أن يخاطبها بأبيات، يحثها فيها على إطلاق الحريات وكسر القيود الّتي تكبلت بها الشعوب العربية للتخلص من الاستعمار والصهيونية فيقول مخاطباً إيّاها:

قمريّة الدوح يا ذات الترانيم ... مع النسور على ورد الردى حومي
قمريّة الدوح ما في الدوح من ثمرٍ ... إلا تعاليل محزونٍ لمهمومِ
قمريّة الدوح قومي واندبي أمماً ... مخنوقة الصوت في أوطانها قومي

---

١ . أنظر مذكرات عبد الغني الخليلي / مجلة الموسم العددان (٢٣ ـ ٢٤): ١٦٩ .

وبشكل عام إن هذا الانغلاق له تبعات عديدة سلبية وإيجابية، ولكن نقف على أهم ما تركه هذا الانغلاق وهو التحسس القومي والإسلامي عند أهالي النجف، فالشعور بالقضايا المصيرية لن يترك هذه المدينة ان تبقى بعيدةً وبعزلة عن أحداث الوطن العربي فكان شبابها لا يعلم من مفهوم الشعر إلا غمزاً ولمزاً لنقد الظاهرة السياسية أو لمفهوم حسيني وذلك انطلاقاً من أمرين، أولهما: وهو ما يدل على سعة معرفتهم برسالة الشعر، كونه الوسيلة الوحيدة الهادفة والصادقة في التعبير والبليغة التأثير في النفوس، وثانياً: كثرة ما كتبته الطليعة الواعية عن القضايا السياسية المتعلقة منذ دخولْ الانجليز إلى العراق وثورة الشعب العراقي عام ١٩٢٠ م واقتطاف ثمار هذه الثورة من القوميين العرب، وقضية فلسطين والجزائر وغيرها من الدول العربية والإسلامية، جعلت السامع النجفي يتبادر إلى ذهنه عند سماعه لأي قصيدة يلقيها شاعرها إلى هذين المفهومين: المفهوم الحسيني والمفهوم السياسي. وهذا ما وجدتُ له تأكيداً ضمن مذكرات الاستاذ عبد الغني الخليلي الذي عاش طالباً في أحضان جامعة النجف الدينية فيقول «أذكر مرةً كان الشاعر إبراهيم الوائلي يلقي قصيدة في حفل زفاف صديق له وقد بدأها ـ كما هو المألوف ـ بالعتاب على الحبيبة الّتي هاله هجرها له ولما انتهى من قراءة قصيدته قام أحد البقالين، وكان حاضراً ذلك الحفل قائلاً له: أحسنت يا شيخ إبراهيم، شتائمك على الإنجليز وعلى نوري السعيد قوية، فأجابه الوائلي إنني لم أشتم الانجليز ولا نوري السعيد، فرّد عليه البقال وهو يبتسم: تحسبني جاسوساً عليك وتنكرها قدامي؟».

فكان النجفيون يرون في الشعر تنفيساً عن همومهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والوطنية. ولذا نجد أغلب القصائد الحسينية، هي قصائد سياسية معبرة عن أحاسيس ومشاعر الأمة الّتي خُنقَ صوتها، فلا غرابة أن يعيش الفرد النجفي أو العراقي عموماً كُلّ ساعات يومه بالسياسة، ويعيش نظرية المؤامرة [1] في كُلّ أبعادها انطلاقاً من

١ . ولا نعني بنظرية المؤامرة بين الافراط والتفريط.

قاعدة «الشك يأتي باليقين»، وهذا لعمري من الأُمور الّتي جعلت العراقيين من أكثر شعوب المنطقة لها وعياً سياسياً دقيقاً. بعد ان أصبحت السياسة زادهم اليومي ومرتعهم المفضّل .

جامعة النجف الدينية:

تأسست الجامعة الدينية في النجف الأشرف على يد الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بـ«شيخ الطائفة» وهو من رجالات العلم وجهابذة الفكر المبرّزين، انتقل اليها من مدينة بغداد إثر فتنة طائفية أثارها السلجوقيون [(١)] في عهد الدولة العباسية عندما أقاموا حكمهم في بغداد، فهجموا على داره ونهبوا كتبه وأحرقوا كُرسيّه الذي يجلس عليه للتدريس إلى جانب إحراقهم مكتبات أُخرى قديمة.

وانتقال الشيخ الطوسي للنجف عام (٤٤٨ هـ) [(٢)] أو عام (٤٤٩ هـ) [(٣)] فتح عهداً جديداً للنجف، فبعد أن كانت مدينة ومزاراً تحوّلت إلى جامعة علمية كبرى، يقول السيد محمد بحر العلوم ـ ضمن بحث علمي دقيق ـ بأن النجف كان لها شأنها العلمي وكانت مقصد الطلاب للدراسة على علمائها الأعلام قبل انتقال الشيخ الطوسي إليها [(٤)]. ومما يؤكد هذا القول ـ الذي اعتمده بحر العلوم ـ ما جاء بقلم الشيخ أقا بزرك الطهراني في (مقدمة تفسير

١ . الخضري: محاضرات تأريخ الأمم الإسلامية، والسلاجقة: هم أتراك يسكنون وارء النهر، قريباً من منطقة بخارى.

٢ . محمد بحر العلوم، الجامعة الدينية في النجف عبر أيامها الطويلة، مجلة الموسم العدد (١٨) ١٩٩٤ م: ٩٣ .

٣ . محمد صادق بحر العلوم، دور النجف في الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ م والانتفاضة الوطنية الأُخرى، بحث ضمن كتاب (النجف الأشرف... اسهامات في الحضارة الانسانية): ٢ / ٢١٨ .

٤ . راجع موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي قسم النجف ج ٢ (الدراسة وتاريخها في النجف) للسيد محمد بحر العلوم وأيضاً المصدر السابق في مجلة الموسم العدد (١٨) للسيد نفسه .

التبيان للشيخ الطوسي)[1] حيث قال: إنني أذهب إلى القول بأن النجف كانت مأوىً للعلماء، وناديا للمعارف، قبل هجرة الشيخ (الطوسي) إليها، وإن هذا الموضع المقدس أصبح ملجأ للشيعة منذ أُنشئت فيه العمارة الأُولى على مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن حيث لم تأمن الشيعة على نفوسها من تحكمات الأمويين والعباسيين، ولم يستطيعوا بث علومهم، ورواياتهم، كان الفقهاء والمحدثون لا يتجاوزون بشيء مما عندهم، وكانوا متبددين حتى عصر الشيخ الطوسي، وإلى أيامه، وبعد هجرته، انتظم الوضع الدراسي ـ وتشكّلت الحلقات الدراسية ـ كما لا يخفى على من راجع أمالي الشيخ الطوسي، الذي كان يمليه على تلامذته» وأيضاً يرى الدكتور مصطفى جواد[2] بأن النجف كانت تضم أعلاماً بثّوا العلم قبل الشيخ الطوسي، ثم يقول: ويصعب التصديق، بأن الشيخ أول من جعل النجف مركزاً علمياً[3].

وعلى كُلّ حال. ساهمت هذه الجامعة بدور مهم وعظيم في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام، وعلومهم ومعارفِهم في مختلف المجالات كالتفسير وعلوم القرآن والفقه والحديث وأصول الفقه والفلسفة الإسلامية كما اهتمت هذه الجامعة بالثقافة الإسلامية العامة وبالأخص الأدب العربي، كما ساهمت المرجعية الدينية في استمرار هذه الجامعة على مدى عمرها الطويل، وهي نفسها ـ (المرجعية) ـ الّتي يرجع إليها المسلمون في أمور الدين والقيادة الدنيوية، ولم تنفصل عن النجف وكان مقرها الدائم قرب الإمام علي عليه السلام، والمرجع مجتهد من كبار المجتهدين، تتفق آراء العلماء المجتهدين الآخرين ـ تقريباً ـ على رئاسته للمرجعية، بعد أن يثبت هذا المجتهد جدارته العلمية وقدرته على إنجاز مشاريع

---

١. آقا بزرك: مقدمة تفسير البيان: ١١، وأيضاً دراسة السيد محمد بحر العلوم، مجلة الموسم مصدر سابق: ١٠٠.

٢. أحد اعضاء المجمع العلمي العراقي توفي عام ١٩٦٩ م ترجمه الزركلي في الاعلام: ٧ / ٢٣٠، وهو صاحب البرنامج الإذاعي الشهير (قل ولا تقل).

٣. د. مصطفى جواد، نظرات في الذريعة، مقال منشور في مجلة البيان النجفية: س ١ ع ٦٤ ص ١٣٣.

خدمية للإسلام، يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، حول كيفية أختيار المرجع: «... إن طريقة الإمامية في تعيين من له أحقية المرجعية من الشيخ المفيد إلى زمن الشيخ الانصاري (رضوان الله تعالى عليهما) هي النظر إلى مقدار إنتاجه وكثرة مؤلفاته وعظيم خدماته للشرع والإسلام ومساعيه في صيانة الحوزة والذّب عنها...»[١].

طبيعة الدراسة:

يقول الدكتور فاضل الجمالي[٢]: «إن الدراسة العلمية المتقدمة للمذهب الشيعي لها خاصتها المميزة عن بقية المذاهب الإسلامية، بسبب استمرار مبدأ (الاجتهاد) والذي يعني التوصل إلى درجة علمية عالية تُمكّن (المجتهد) من استنباط الأحكام الشرعية من القرآن، والسنة (الحديث)، ومن أقوال الرسول ﷺ وأفعاله أيضاً، وعلى ذلك فإن رأي المجتهد، واستنباطه قد يلائم كثيراً التطورات الحاصلة تبعاً لتغير الزمن»[٣] وعُرف عند الشيعة تقليد (المجتهد) الحي في الأمور العبادية ولا يوجبون تقليده في الأمور العقائدية، ولكن تؤخذ فتاواه السياسية عند مقلديه وغيرهم، وعند موت (المجتهد) الاعلم ، ينصرف المقلِّدون إلى تقليد (المجتهد) الأعلم من الاحياء، وهذه المسألة محل جدل بين الفقهاء، فمنهم من يجوّز البقاء على الميت، ومنهم مَن يوجب تقليد الأعلم الحي .

أما في المذاهب السنيّة فإنهم اقتصروا على تعاليم أئمتهم الأربعة (أبو حنيفة، والشافعي، وابن حنبل، ومالك) ولم يكن باب الاجتهاد مفتوحاً عندهم، بل أُغلق على هؤلاء الفقهاء الأربعة الذين عاشوا في العصور الوسطى.

---

١ . كاشف الغطاء، محمد حسين، الفردوس الأعلى، تعليق الشهيد السيد محمد علي القاضي الطباطبائي .

٢ . وهو رئيس وزراء عراقي سابق، ومن الشخصيات المثقفة بالثقافتين الشرقية والغربية.

٣ . جامعة النجف الدينية، الدكتور فاضل الجمالي كتبه باللغة الانجليزية وترجمة الدكتور جودت القزويني. انظر البحث في مجلة الموسم العدد (١٨) ١٩٩٤ م: ١١٧ .

وعلى كل حال، بقي للشيعة دائماً مجتهدهم الأعلى الذي يفترض فيه الأعلمية، والتفكير الأصيل، والفحص الشامل وتحليل المعطيات الدينية.

أما ما هي المراحل الدراسية الّتي يمرُّ بها طالب العلم في هذه الجامعة الكبرى، فهي:

أوّلاً: مرحلة المقدمات (الدراسات التمهيدية):

وهي المرحلة الّتي يتم فيها دراسة النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق، وهي مقدمة للتخصص في علمي الفقه والأصول. كما تتضمن هذه المرحلة دراسة علم الحديث والعلوم الرياضية وبعض العلوم الأدبية، كعلم العروض والبديع والنصوص الأدبية وحسب رغبة الطالب واستعداده للمشاركة في هذه المعارف، وله الحرية الكاملة في اختيار الدروس وتتميّز هذه المرحلة بالدراسة الفردية، وهي أن يجتمع الطلاب ويقوم الأستاذ بدراسة المادة من شرحها وتبسيطها والوقوف على بعض الإثارات وغالباً ما يسود جوَّ الدرس حوار علميّ مهذب بين الاستاذ وتلامذته. كما تميزت هذه المرحلة والمراحل اللاحقة بحرية الطالب في اختيار الأستاذ المخصص لمادةٍ ما. وتكون مدة هذه المرحلة عادة ما بين ٣ ـ ٥ سنوات.

ثانياً: مرحلة السطوح :

و (السطوح) مصطلح يطلق على المرحلة الدراسية الّتي تشمل الكتب الاستدلالية الفقهية والأصولية، ويتبع فيها أسلوب محاكمة الآراء ومناقشتها بحريةٍ كاملة وغالباً ما تكون طبيعة دراسة المادة على شكل حلقات، بعد ان يتفق مجموعة من الطلاب على اختيار الأستاذ والمادة، وقد تتسع هذه الحلقة حسب أهمية وكفاءة الاستاذ، ويكمن الغرض من دراسة الكتب الاستدلالية في هذه المرحلة لتوسعة ذهن الطالب ومن ثمّ القدرة على إقامة الدليل أو رد البراهين والدعاوى، وتضم هذه المرحلة؛ علم الكلام، الفلسفة الألهية، التفسير، أصول الحديث وأحوال الرواة، وغالباً ما تكون مدة هذه المرحلة بين ٣ ـ ٦

سنوات، وإذا انتهى الطالب من هذه المرحلة بجدارة واستحقاق، استحق أن يطلق عليه لقب «مراهق» بمعنى انّه يناهز درجة الاجتهاد.

ثالثاً: البحث الخارج:

المقصود من (البحث) هو المحاورة والمناقشة بين الطرفين، وقد أطلق مصطلح (البحث) على هذه المرحلة، لانها المرحلة الأخيرة من الدراسة في هذه الجامعة الكبرى. وذلك لما يتضمنه البحث من توفير الحرية في اعطاء الرأي للطالب ومؤاخذته على ايراد الاشكال عند الاستاذ وأيضاً عن الدفاع والاستدلال، وتكون حُجة المحاور موضع عناية الاستاذ والطلاب.

أما المقصود بـ(الخارج) فهي الدروس الّتي يتلقاها الطلاب في هذه المرحلة (الثالثة) والأخيرة أيّ أنها خارج نطاق الكتب، يحضر فيها الأستاذ ويستمع إليه الطلاب دون كتاب.

وقد تميّزت هذه المرحلة بـ«الأستاذية» أيّ ان الأساتذة، هم من فطاحل الفقهاء المجتهدين في الفقه والأصول. وقد يوفق الطالب في هذه المرحلة إلى بلوغ درجة الاجتهاد وهي أعلى درجة تعبر عن امتياز الجامعة الدينية في النجف الأشرف.

كما ان الدراسة في هذه المرحلة تختص بالمقارنة العلمية بين فقه المذاهب الإسلامية.

أما أهم ميزات هذه المرحلة فهي عمق البحث العلمي ودقته، وسعة أفقه، والحرية الكاملة في نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها (الأُستاذ)!

ويقول أحد النصوص: «قد يتفاقم الخلاف بين الأستاذ والطلاب ـ ولا يجد الأستاذ مهما بلغت شهرته العلمية حرجاً في نفسه أن ينزل عند رأي الطالب ـ وبين الطلاب أنفسهم، ويخرج أمر الدرس عن كف الأستاذ، وتتعالى الأصوات ويشتد الخلاف بين الطلاب،

وينفض المجلس، من غير أن يستطيع الأستاذ أن يسترجع زمام المجلس.

وإذا علمنا أن من الطلاب الذين يحضرون حلقات الدرس الخارجي في كثير من الأحيان مجتهدين كباراً، يشار اليهم بالفضيلة،... وقد كان يحضر بحث المحقق الخراساني ما يزيد على ثلاثمائة مجتهد.. وما ظنك بدرس يجمع هذا العدد الضخم من المجتهدين والباحثين وبما يثار في هذا المجلس من نقاش، وبما يرتفع من كلام. حتى كان الطالب يضطر أن يقوم في بعض الأحيان على رجليه، حينما يلاقي إعراضاً من الأستاذ الشيخ في الإصغاء إليه، ليقهر الأستاذ على الالتفات إليه»[١] ولعل هو هذا السِّر في تطور الدراسات الفقهية والأصولية في جامعة النجف على مَرّ القرون، فحرية الفكر وممارسة الحوار ـ وإن كان بهذه الطريقة الّتي ذكرها الشيخ الآصفي ـ عمّقا الدراسة الدينية في جامعة النجف الكبرى، ولا يمكن ان يكون لمثل هذا الجو العامر بالبحث والتحقيق والتعمق وجوداً في غير الجامعة الدينية في النجف أو المدن المقدسة الأخرى. وبهذا الصدد يقول الدكتور فاضل الجمالي: «لقد درست أغلب نظم التعليم الجامعي في (الغرب)، وزرت الجامعات (الألمانية) و (البريطانية) و (الفرنسية)، وجامعة اكسفورد، وكامبردج، وتلقيت تعليمي في الجامعات (الأمريكية)، الاّ أنّه ما من جامعة من هذه الجامعات، حتى الجامعة (الألمانية) تستطيع أن تفخر في حرية التعليم بما يضاهي حُرية التعليم، والعمق في جامعة (النجف) والّتي تطبع شخصية المنتسبين إليها بطابعها المتميّز»[٢].

ولذا راح الوائلي ﷺ يُشيد مفتخراً بتدفق ينابيع العلم والفكر في تربة النجف الأشرف، ويحدوه أملٌ لا حدود له بأن يبقى هذا البلد ولوداً للعلماء والعظماء، وتبقى ينابيعه متدفقة وإفاضاته ثرية وكيف لا وهو مهد أبي تراب:

---

١. الآصفي، الشيخ محمد مهدي، الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف ٢٩٠ ـ ٣٠.

٢. الموسم: مصدر سابق: ١١٩.

أفــتّاح هــذا مـربع فـي تـرابـه لحيدرةٍ جسم وفي أُفـقه فكـرُ[١]
ثلاث وعشر من قـرونٍ تـصرّمت ومازال منه فوق هذا الثرى عـطر
وأزمــنة مــرّت بكـل صـروفها يشــدّ بـها زيـد ويـدفعها عـمرو
تــمرّ عـليه وهـي سـوداء غـيمة فـيمشي إليـها وهـو مـنبلج بـدر
أجل تلك عـقبى المـتقين خـوالد من الذكر لا تفنىٰ ولا ينتهي الذكر

تعدد المراجع

من ميزات فتح باب الاجتهاد عند الشيعة هي تعدد المجتهدين وتعدد المراجع، فلم تقتصر المرجعية الدينية، ـعبر تاريخها ـعلى مرجع واحد، بشخص واحد، وتقترن باسمه لوحده. فالمسلمون الشيعة لا يُقصرونها على فرد معين ولا على مركز ديني واحد.

ولذا نجد على طول التأريخ الشيعي بعد غيبة الإمام (عج) عدة مراجـع فـي فـترةٍ واحدة، وفي مكانٍ واحد وحتى في الزقاق الواحـد وإن كـانت لهـم اجـتهادات وفـتاوى مختلفة، فهي لا تقرأ قراءةً خاطئة وإن اختلفت تلك الاجتهادات والفتاوي ولكنها لا تختلف أصولاً، فالفقيه يقرؤها تبعاً للمعايير العلمية في ضوء الكتاب (القرآن الكريم) والسنة النبوية (الحديث). ولذا كان الاجتهاد عند الشيعة من المفاخر باعتباره يشكّل غنىً فكرياً ـ فقهياً، يحفّز العلماء لمواكبة تطور الحياة وتجدد مسائلها. ولم يخبرنا التاريخ إلا عن إيجابيات هذا التنوع، حيث ينحصر الاجتهاد في فروع المسائل مع البقاء على ثبوتية معالم أصول العقائد على ما هي عليه دون مساس أو تعديل أو تغيير[٢] وكان لهؤلاء المراجع وكـلاء يـنوبون

---

١ . من قصيدة خاطب بها الوافد العزيز الكاتب المصري الكبير عبد الفتاح عبد المـقصود، الذي ألّف كتاباً قيّماً عن الإمام علي عليه السلام .

٢ . عبد الحسين الصالحي، معالم جـامعتي النـجف الاشـرف وكـربلاء المـقدسة، ضـمن كـتاب (النجف الأشرف.. اسهامات في الحضارة الإنسانية: ١ / ٥٤٢ .

عنهم في المناطق المتعددة فيعلّمون الناس المسائل الدينية والوقوف على المستحدثات الحياتية ونقلها للمرجع لإصدار الحكم الشرعي فيها، وأيضاً قبض الحقوق الشرعية.

استقلالية القرار:

بقيت الجامعة الدينية في النجف الأشرف ـ وبقية المدن المقدسة ـ على مدى عمرها الطويل لا تخضع لنفوذ الدولة بأي شكلٍ من الاشكال، فمواردها المادية تتأتى من الحقوق الشرعية لأكثر من ٢٥٠ مليون مسلم شيعي في العالم الاسلامي، وأيضاً نظامها التعليمي فهو الآخر لايخضع للنظام التعليمي للدولة، ولا يمّول من قبلها على الرغم من وجود أكثر من (٣٧) مدرسة علمية، وبأستطاعة أيّ فرد يجد في ذاته القدرة على طلب العلم يستطيع الانضمام إلى هذه المدارس وبدون ان يكون هناك نظام داخلي وقرارات شروط للقبول. وانما القرار الذي يدير هذه الجامعات الدينية وينظمها هو فقط الوازع الديني والانضباط النفسي.

وعلى هذه الشاكلة بقيت الجامعة الدينية في النجف أكثر من ألف عام تحتفظ باستقلاليتها الكاملة وبقرارها السياسي المنفرد، وبهذه الميزة يفترق أبناء الطائفة الشيعية عن إخوانهم من أبناء السُنّة الذين يرتبطون ارتباطاً عضوياً بقرارات الدولة، وتمويل جامعاتهم من موارد الدولة وتحت إشراف السلطة، وهذا غالباً ما كان يؤثر على استقلاليتهم في اتخاذ القرار السياسي.

مواقف النجف السياسية:

النجف كغيرها من المدن فيها تنوع الأفكار وتعدد الآراء، وهي من طليعة المدن التي انبثقت فيها الحركات التحررية إن لم تكن من أوائلها، خاصة وأن للعلماء الأعلام نفوذهم الديني والسياسي. ففي آب (أغسطس)من عام ١٩٠٦ م أُعلن الدستور في إيران، وقد أثار

ذلك صراعاً طويلاً بين الدستوريين وخصومهم.انعكس هذا الصراع تماماً في العراق، وكان الدستوريون يدركون تماماً أن نجاحهم يتوقف علـى كسب بـعض كـبار المـجتهدين إلى جانبهم، وقد أعلن السيد كاظم الخراساني (وهو المجتهد الأوّل) فتواه، «ان الخروج عـلى الدستور هو بمثابة الخروج على تعاليم الإسلام نفسه»[١]، وقد أيّده عدد من المـجتهدين الآخرين من بينهم الميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني[٢].

وقد أفرز هذا الصراع الفكري وتباين الآراء بين كبار العلماء فـي النـجف، النـقاط التالية:

١.بلوغ النجف ذروة مكانتها كمركز للعواصف السياسية.

٢.بروز علماء الدين كأداة قوية في النشاط والتحريك السياسيين.

٣. ظهور تيارين متميزين بين العلماء أنفسهم، وهـما التـيار المـتحرر (التـقدمي) ويقابله التيار المحافظ.

٤. المساهمة الفعالة للعلماء بفتاواهـم السـياسية والذي خـلق جـواً جـديداً فـي البلاد[٣].

وفي عام ١٩١١م دعا السيد كاظم الخراساني إلى الجهاد ضد الغزو الروسي لإيران وفي نيسان ١٩١٢م أيد دعوته الخالصي والصدر والشيرازي، أمـا اليـزدي فـلم يـحرك ساكناً[٤].

وفي آخر أيام ١٩١١م اعلن العلماء جميعاً بما فيهم اليزدي حالة الجهاد ضد الغزو

---

١ . كمال الدين، محمد علي، التطور الفكري في العراق: ٢٣ .

٢ . المصدر المتقدم: ٢٤ .

٣ . الروازق، صادق جعفر، الحوزة العلمية في مواجهة الاستكبار: ٩٨ .

٤ . الروازق، صادق جعفر، م. س: ٩٩ .

الايطالي لليبيا، وهنا جاء مقال في مجلة (العلم النجفية)[١] فيه (كلما ازداد اعداؤنا ظلماً، اشتدت وحدتنا قوة).

وفي عام ١٩١٤ م أفتى أغلب العلماء بالجهاد ضد الإنجليز عند دخولهم ثغر البصرة.[٢]

وفي عام ١٩٢٠ م أعلن المجتهدون وعلى رأسهم الشيخ محمد تقي الشيرازي مقاومة الاحتلال، والثورة على الانتداب. وتوفي الشيرازي فقاد الثورة الشيخ فتح الله النمازي المعروف بشيخ الشريعة.

وبعد تأسيس الدولة العراقية الجديدة عام ١٩٢٤ م، اتجه العلماء إلى الدرس والتدريس وعدم التدخل في السياسة [٣] بالقدر الذي يوجب ذلك. وبدأت بعد ذلك

---

١ . مجلة العلم النجفية، هي مجلة السيد هبة الدين الشهرستاني س ٢ ع ٧، ٢٣ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١١ م .

٢ . الروازق، م. س: ٩٩ .

٣ . يقول الدكتور علي الوردي: «عثرت في وثائق البلاط الملكي على أربع رسائل موجهة إلى الملك وهي بتوقيع كُلّ من السيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا محمد حسين النائيني والسيد عبد الحسين الطباطبائي والسيد حسن الطباطبائي، وهي كلها بنص واحد تقريباً ولكنها تضمنت التعهد المطلوب منهم» ويضيف الوردي «نكتفي بنقل رسالة الأصفهاني فقط، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، حضرة جلالة ملك العراق أيد الله ملكه وسلطانه بعد السلام عليكم والسؤال عن أحوالكم ورحمة الله وبركاته .

نعرض أن كتابكم المؤرخ في ٢٦ رجب ١٣٤٢ هـ المرسل مع حجتي الاسلام جناب الشيخ جواد صاحب الجواهر وجناب ميرزا مهدي آية الله زاده دامت بركاتهما، أخذته بكمال الاحترام وكما ذكرتموه فيه وأودعتموه في مطاويه صار معلوماً لدينا، ولقد أفادا بما دار بينكم من الشؤون وبيان الاسباب الموجبة إلى تأخير حركتنا وطلب جلالتكم الموازرة، وكذلك المحروس السيد باقر سركشيك قام بواجبه وبلغ خطاباته الشفاهية هذا **وإن كنا قد أخذنا على عاتقنا عدم المداخلة في الأمور السياسية والاعتزال عن كلّ ما يطلبه العراقيون ولسنا بمسؤولين عن**

مرجعيات وعلماء أخذوا يعبرون عن إرادة الأمة من خلال البيانات والاحتجاجات على الحكومات المتعاقبة وصولاً إلى المرحلة السياسية الّتي وقف فيها السيد محمد باقرالصدر ﷺ في صراعٍ علني وجريّ مع النظام البعثي، فسجل موقفاً مرجعياً وعُلمائياً صُلباً، يندر أن نجد مثيلهٌ في تاريخ المرجعية الدينية منذ تأسيسها! وأيضاً الموقف المرجعي الأخير الذي تمثل بالخطوات السياسية والإصلاحية الهادفة والفاعلة للمرجع السيد محمد محمد صادق الصدر ﷺ في تغيير الواقع العراقي المحكوم بأعتى وأبشع سلطة عرفها التاريخ البشري، فالنجف لم تزل ولا تزال ـ بحكم وجود العلماء والمرجعية ـ تسجل المواقف السياسية المعبرة عن توجهات وتطلعات الأمة العراقية المسلمة. كما أبرزت النجف الكثير من رجالات السياسة، منهم، الشبيبي والشرقي، أما من غير الوسط الحوزوي فهناك قائمة كبيرة جداً لا يتّسع المجال هنا لذكرها.

ثورة النجف عام ١٩١٨ م

بعد دخول القوات البريطانية إلى بغداد في ١١ / ٣ / ١٩١٧ م رأىٰ البريطانيون من حُسن السياسة والمصلحة، ترك بعض مدن الفرات الأوسط ولاسيما العتبات المقدسة تدار من قبل زعمائها وشيوخها كما كانت في الأيام الأخيرة لحكم العثمانيين في العراق.[1]

☜ ذلك، وانما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتكم لكن المؤازرة للملوكية الهاشمية حسبماتقتضيه الديانة الإسلامية ذلك مبدؤنا الإسلامي.وأما ما أمرتم من توحيد الكلمة، وتوطيد عرى الصداقة بين ايران والعراق، فذلك من وظائفنا الدينية.وحينما دخلنا ايران لن (لم) نزل نبذل الجهد في ذلك، وسوف تظهر نتيجة أعمالنا المبرورة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢١ شعبان عام ١٣٤٢ هـ الأحقر أبو الحسن الموسوي الأصفهاني (الختم)

انظر كتابه (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق): ٦ / ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

١ ـ الحسني، عبد الرزاق، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال: ٩ هامش رقم ٢. ويضيف أحد رجال الدين المعاصر لتلك الأحداث: بقيت النجف وكربلاء والكاظميين ☜

ظهرت في مدينة النجف ـ بعد الاحتلال ـ جمعية إسلامية سرّيّة، تدعى جمعية النهضة الإسلامية، استهدفت تخليص العراق من براثن السيطرة البريطانية، وبث الوعي السياسي في صفوف المسلمين. ومن أعضاء هذه الجمعية العاملين : السيد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد علي الدمشقي، والسيد إبراهيم البهبهاني، والشيخ عباس الخليلي (وكان الخليلي من أشد الاعضاء حماسة وأكثرهم حركة)(١) .

نشطت الجمعية في نشر المنشورات ولصق الإعلانات المندّدة بسياسة الاحتلال البريطاني وانتهاز كُلّ مناسبة للتشهير بسوء إدارة الاحتلال ثم إنها حاولت توسيع نطاقها وعملها بنشر دعوتها بين القبائل المحيطة بالنجف والكوفة وأبي صخير والشامية وبين حملة السلاح من أهالي النجف. وقد أنضمّ إليها من الشيوخ كُلّ من: الشيخ مرزوق العواد رئيس العوابد، والشيخ ودّاي رئيس آل علي، والشيخ سلمان الفاضل رئيس الحواتم، وأما من حملة السلاح النجفيين البعض من: آل صبي وآل الرّوازق، وآل غنيم، وآل شبع، وآل كرماشه، وآل العكايشي، وآل الحاج راضي، وآل بوگلل، وآل عدوة. فأصبحت الجمعية تمتلك خطاً قيادياً فكرياً تمثل بالعلماء وآخر صدامي تمثل بحملة السلاح.

قرر أبطال الجمعية (٢) قتل الكابتن البريطاني (مارشال) في (خان عطية)(٣) الذي

☜ وسامراء، تحكم نفسها بنفسها لمدة سنة ونصف. أنظر التفاصيل في كتاب «سياحة في الشرق» للسيد النجفي القوجاني، ترجمة يوسف الهادي: ٣٧٢ .

ويُعد ـ هذا الكتاب ـ وثيقة تأريخية شاهدة صادرة عن أحد رجال المؤسسة الدينية متحدثاً عن الوجه الآخر لها وبعض مواقف مراجع الدين من احداث العراق السياسية والأجتماعية.

١ . الحسني، م .س: ٢٣ .

٢ . وهم: الحاج نجم البقال، محسن أبو غنيم، سعيد العامري، شمران العامري، عبد حميمه النداف، مجيد الحاج مهدي دعيبل، حميد عيسى حبيبيان، عبد الحمامچي، السيد جاسم طبار الهوا، صادق الأديب، حسن جوري، خطار بن سلمان البدري، جودي ناجي، حبيب بن جاسم خضير، حميد أبو السبزي، السيد جعفر الصائغ، علوان أبو دليهم الفتلاوي، السيد مجيد طبار الهوا.

٣ . انظر ملحق رقم (١) مخطط لمدينة النجف قديماً.

اتخذه مقراً له، وأنقسموا إلى ثلاثة أقسام لهذه العملية الاقتحامية:

القسم الأول: كان بقيادة الحاج نجم البقال.

القسم الثاني: اتخذ كمائن في أماكن السراي المهملة.

القسم الثالث: بقي في المدابغ قبال (خان عطية) كقوة احتياطية فأقدم الحاج نجم البقال في ١٩ آذار ١٩١٨ إلى (خان عطية) وهو يحمل رسالة معنونة باسم الكابتن مارشال وعليها إشارة (مستعجل جداً) وطرق باب الخان وما كاد الحرس يفتحها حتى عاجله محسن أبو غنيم بطعنة خنجر فأرداه قتيلاً وقتل حارساً آخر. وأجهز الحاج نجم على الكابتن مارشال وأرداه قتيلاً أيضاً. ولاذ الجميع بالفرار بعد أن أطلق الحراس النار من اعلى الخان على الجميع واستشهد احد المجاهدين (حسن جوري) وجرح آخرون (صادق الأديب، حميد عيسى حبيبيان، حبيب جاسم خضير)[١].

حاول النجفيون إبعاد مسؤوليتهم عن هذه العملية وأخذت بالكتمان والسريّة، وقد حاول بلفور الحاكم العسكري في الشامية والكوفة الاقتناع بأن العملية لم تكن من أهالي مدينة النجف، وإنما من عصابات خارج المدينة. ولكي يظهر النجفيون له صدق ادعائهم دعوه إلى جولة في شوارع وأسواق المدينة إن كان هناك أثر يدل على اشتراك أهالي المدينة بالعملية، ففي الوقت الذي كان فيه بلفور يجول في شوارعها، تحرّش أفراد من الشرطة المسلحين الذين كانوا يتجولون في محلة المشراق بأولاد الشيخ سعد الحاج راضي رئيس هذه المحلة وهم الأخوة أحمد ومحسن وكريم وأسمعوهم بعض الكلمات النابية، وكان هؤلاء الأخوة أعضاء في جمعية النهضة الاسلامية، وقد عَزَّ عليهم تخلّفهم عن العملية الأولى بقيادة الحاج نجم البقال.

فأطلقوا عياراتهم النارية صوب الشرطيين فخرّا صريعين وكان بلفور لا يزال يتجول في شوارع المدينة، وقد جفل حين سمع أزيز الرصاص وعلم بمقتل الشرطيين، وفرّ

---

١. الحسني، م. س: ٣٠.

هارباً إلى الكوفة، وبذلك هجم أهالي المدينة على دار الحكومة القديمة في البلدة بعد فرار حاميتها وحراسها (وهكذا استبد الثوار بالمدينة وخلا جوها لهم بهذه السرعة، على أنَّ جلّهم من أهل المشراق، أما بقية الاحياء فلم يشترك أول الأمر أحد لعدم معرفتهم بالثورة)[١].

أما موقف الحكومة البريطانية من هذين الحادثين فإنها أوفدت جيوشها إلى المناطق القريبة والبعيدة عن المدينة، وقد ضربت القوات البريطانية حصاراً على المدينة قارب الخمسين يوماً، بعد حادث الشرطيين ومحاولة قتل بلفور تكشَّف سِّر الحادث الأول في مصرع الكابتن مارشال ولم يبق سِّراً دفيناً في صدور القائمين والعارفين به.

أخذت القوات البريطانية بقصف محلة المشراق في مدينة النجف مع سياسة التحفيز بالقبض على الثوار الذين ساهموا في العمليتين وذلك عن طريق بذل الجوائز والهدايا لمن يعثر على أحدهم.

استطاع البريطانيون السيطرة على المدينة لعدة عوامل منها:

١. الحصار.

٢. ممارسة أسلوب الترغيب والترهيب مع الأهالي.

٣. استخدام القوة العسكرية الّتي خربت خمسمائة بيت من جرّاء القصف.

كان موقف المرجع السيد كاظم اليزدي يدعو إلى تسليم الثوار إلى الإنجليز.

وبعد أن تمكّن البريطانيون من إلقاء القبض على الثائرين أقاموا محكمة علنية ـ وباللغة العربية ـ على جسر الكوفة، قررت فيها إعدام (١٣) متهماً وحبس (١٧) وإبعاد (١٢٣) رجلاً منهم إلى الهند بصفة كونهم أسرى حرب، وقد أبدل القائد العام حكم الإعدام

١ . الحسني، عبد الرزاق، م. س: ٣٤ نقلاً عن العلّامة محمد رضا الشبيبي في (مجلة الثقافة الجديدة) ٤ / ٢٩٤، تموز / ١٩٦٩ م .

بحق (عزيز الأعسم) [١] إلى السجن المؤبد وتمكن آخر من الإفلات والنجاة بنفسه [٢].
نفذ حكم الإعدام فجر الثلاثاء ٣٠ مايس ١٩١٨م في خان الحاج محسن شلاش في جسر الكوفة بحق ١١ شخصاً [٣] ومن ثم قررت القوات البريطانية المحتلة إبعاد مجموعة من الثوار إلى الهند. [٤]

وقد عمدت السلطات البريطانية إلى تنفيذ حكم الاعدام أمام حشدٍ من الناس الذين أُرغموا على الحضور لرؤية مشهد التنفيذ، وذلك لبث الخوف في نفوسهم، أما زعيما جمعية (النهضة الاسلامية) الشيخ جواد الجزائري والسيد علي بحر العلوم فقد حُكم عليهما بالإعدام ولم يُنفّذ الحكم بهما بعد توسّط الميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ المحمرة الأمير خزعل واستبدل الحكم بنفيهما إلى خارج العراق. [٥]

وقد وصف الشيخ محمد جواد الجزائري، ثورة النجف بقصيدة رائعة قال فيها:

مددنا بصائرنا لا العيونا ... وفزنا غداة عشقنا المنونا
عشقنا المنون وهمنا بها ... وعفنا أباطحنا والحجونا
وقمنا بها عزمات مضات ... أبت أن نسيس الردى أو نلينا

---

١ . ينقل الحسني في المصدر السابق: ٧٦ أن أحد المحكومين بالأعدام وجد أصحابه يثقبون جداراً في زنزانة السجن للهرب بأنفسهم فلفت نظر المسؤولين إلى عملهم هذا فكافأته الحكومة عليه بابدال الاعدام إلى النفي إلى الهند.
٢ . وهو عباس الخليلي.
٣ . وهم: كريم الحاج سعد، أحمد الحاج سعد، محسن الحاج سعد، سعيد مملوك الحاج سعد، كاظم صبي، محسن أبو غنيم، عباس علي الرماحي، علوان علي الرماحي، الحاج نجم البقال، جوري ناجي، مجيد الحاج دعيبل.
٤ . أنظر ملحق رقم (٢) أسماء النجفين المنفيين.
٥ . الاسدي، حسن، ثورة النجف: ٣٤٢، ٣٤٨.

هـــي الهـــمم الغـر لم تـرض بـالسـ ـــماكـين مـهما اسـتفزت قـرينا[١]
رعــــينا بـــــها ســــنة الهـــاشمي نـــبي الهـــدى، والكـــتاب المـــبينا
وصــــنا كـــرامــــة شـــعب العــراق وكـــــان لعـــــلياه حــــصناً مـــصونا
وخـــضنا المـــعامع وهـــي الحـــمام نـــدافـــع عـــن حـــوزة المســـلمينا

يقول الحسني واصفاً النجف (سياسياً): «كانت قذىً في عين السياسة البريطانية... بسبب مركزها الديني الواسع النطاق، وتأثير علمائها في جماهير الشعب. فقد كـانت أول بلدة أحسّت بثقل السلطة الأجنبية، وأول مدينة عراقية فكرت بالتخلص مـن الاسـتعمار البريطاني، بالنظر إلى ما كانت قد تشبّعت به من روح الحرية والنـزوع إلى الديـمقراطـية، وبسبب ما كانت تلقاه من دروس متواصلة عن فلسفة نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام وبسبب كونها مهد العلماء ومركز الروحانية»[٢].

النجف وأحداث عام ١٩٥٦ م

في صباح ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٦ م، وبينما دق الجرس فـي مـدرسة الخـورنق استعداداً لدخول الطلاب إلى صفوفهم. وهم ينشدون الاناشيد الحـماسية تأيـيداً لمـصر وموقفها العظيم في الدفاع عن أرضها وشعبها وكرامتها أمام العـدوان الثـلاثي (البـريطاني والفرنسي والإسرائيلي)، حضر معاون الشرطة مع سيارة فيها رشاش واحتلّ المدرسة، ثم قاموا بكسر القفل ودخلوا المدرسة، وكانوا مسلّحين بالهراوات والمسـدسات والخـناجر فأخذوا يرمون الطلاب وهم داخل المدرسة، فجرح اثنان وأربعون طالباً، أحد عشر منهم كانت جروحهم خطيرة. وتوفي في المدرسة الطالب عبد الحسين الشيخ راضي سبط العالم

١ . السماكان: نجمان نيّران (لسان العرب: ٦ / ٣٦٩).
٢ . الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى: ٦٩، ٧٠ .

المعروف السيد حسين الحمامي، وقتل طالب آخر في مدرسة السدير وهو أحمد الدجيلي وخمسة من الأهالي، فهاجت المدينة وأغلقت أسواقها حتى المخابز احتجاجاً على هـذا التحدي الصريح، وأَضرب العلماء عن أداء واجباتهم الدينية فلم يخرجوا لصلاة الجماعة، ولم يسمحوا لأحد من رجال الحكومة بالدخول إلى منازلهم لتقديم الاعتذار عما حـدث فاضطرت الحكومة إلى استبدال قوات الشرطة بقوات خاصة جاءت من أطراف الموصل بينها اليزيدي والشبكي والكردي، ولم تهدأ المدينة واستمر الإضراب أسبوعاً كاملاً ـ في النجف ـ ديست خلاله كرامة الحكومة وانتهكت حُرمة قوانينها ومزقت الأعلام الّتي كانت ترفع وترفرف على دوائرها فعمدت السلطة إلى استخدام القوة مرةً ثانية وأطلقت النار على المتظاهرين في مرقد (الإمام علي بن أبي طالب ﷺ) فقتل اثنان، واحد يدعى عبد الأمير ناصر الصايغ والآخر أموري بن علي.

وقد زاد هذا الإجراء الطين بلة، فخرجت المدينة عن بكرة أبيها تريد انتزاع جـثث القتلى من المستشفيات الحكومية لدفنها في احتفال شعبي خاص، بينما كانت قوات الأمن مصممة على دفنها من قبلها، الأمر الذي أدى إلى مصادمات أخرى اضطر معها رجال الدين والمحامون إلى توجيه البرقيات إلى الملك. ومن هذه البرقيات:

١. برقية الشيخ عبد الكريم الجزائري: «جلالة الملك المعظم، حالة النجف مضطربة لإراقة دماء الأطفال الابرياء داخل مدارسهم، وهتك حرمتها، ولا تهدأ إلا بإنزال العقوبات الشديدة بالمعتدين، عالجوا الوضع بالحلّ السريع قبل أن يتفاقم الأمر».

٢. برقية السيد حسين الحمّامي: «كان لهجوم الشرطة الوحشي على مدارس النجف وقتل الطلاب الأبرياء أعنف الأثر في النفوس عامة. نطلب المبادرة إلى إزالة أسباب التوتر والضرب على أيدي المعتدين».

٣. برقية الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي: «إن الاعتداء على أولادنا الأبرياء وهم في معاهدهم أوجب استياءَنا وإثارة سخط الجميع، أملنا بجلالتكم تلافي الوضع قبل فوات الأوان ومحاسبة المعتدين».

٤. برقية السيد محسن الحكيم: «إن اراقة الدماء البريئة بشكلها الوحشي الفظيع في بلدنا المقدس لتدعو إلى القلق والاستنكار العظيمين، ومن المؤسف إعفاء الحكومة عن ذلك كله وسلوكها طريق الإرهاب لعموم الطبقات».

٥. السيد علي بحر العلوم: «إطلاق الرصاص على الابرياء العزّل في مدينة النجف المقدسة أثار سخط واستنكار الأوساط العلمية نأمل منكم معالجة الأمر ووضع حد لهذه الحوادث المؤلمة».

٦. برقية المحامين: «روعت النجف بالعدوان الصارخ الذي حدث صباح أمس الأول عندما أطلقت الشرطة نيرانها على الطلاب الأبرياء في داخل المدارس والصفوف وإن الأرواح البريئة الّتي راحت ضحية هذا العمل المتهوّر تدعونا أن نستنجد بجلالتكم التدخل لمحاسبة المسؤولين الذين أهانوا دور العلم واستهانوا بالقيم الأخلاقية وإيقاع العقوبات الرادعة وشفاء لغليل أمهات وآباء الشهداء وتطييباً لخواطر نفوس هذه المدينة المنتهكة... (عن أحمد الحبوبي المحامي عن خمسة عشر محام).

وفي خضم هذه الأحداث، أبرق الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية منتدى النشر إلى شيخ الأزهر وبعض الجهات السياسية في مصر العربية. ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

محافل النجف الأشرف تعج صارخة إليه تعالى بدعائها لانقاذ مصر المسلمة وتبتهل إليه أن يأخذ بناصركم ويرفع لواءكم والقلوب تقطر دماً من الاعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشية أعداء الاسلام والإنسانية، والمسلمون في جميع البلاد يد واحدة في شدّ أزركم.

تشرين الثاني ١٩٥٦ م

عميد كلية منتدى النشر

النجف الأشرف

وصدحت حناجر العلماء والأدباء بتأييد ثورة مصر وصمود أبنائها بوجه الأعداء، فمن قصيدة للسيد حسين بحر العلوم ﷺ. في ٢٢ / ١١ / ١٩٥٦ م وبعد حادثة مدرستي الخورنق والسدير، يقول:

يا طفل يا كبش الفداء   للمجد في سوح الإباءِ
يا نبرة الناي الطروب   تهمشّت بفم الرثاء
يا وردةً عند الصباح   وجثةً عند المساء
يا فرحة الميلاد تزخر   بالهلاهل والغناء
ركض الزمان بها فألهب   ظهرها سوط الغناء
يا وفق أحلام الأمومة   أخفقت بعد الرجاء
فإذا بزهرة أنسها   تذوي بأكمام الدماء
يا ضحكة العرس الهنيئ   تذوب في دمع البكاء
يا حسرة العمر القصير   تفحُّ في وجه القضاء
وتصبّ نقمتها على   الظلم المقنّع بالرياء

ونظم الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي أيضاً قصيدة بعنوان (جمال ودول الاستعمار) ومنها:

لقد نُكبت في مصر يوم (جلائها)   وأردفها (التأميم) بالنكبة الأخرى
فطوراً بشكواها تعج وتارةً   تهدد في إنزال (أسطولها) مصرا
ورامت بوادي النيل تنشب ظفرها   فلم تبق للأعداء ناباً ولا ظفرا
رست قدم استعمارهم في (قناتها)   فأخرجهم منها على عجلٍ قسرا

فــما رجــعوا إلا بــعارٍ وخــزيةٍ ... ومـا ربـحوا إلا النـدامـة والخسـرا
أتوا والفلا خضراء والبحر (أبيضٌ) ... فعادت جـميعاً مـن دمـائهم حـمرا
ومــا هــي إلا ضــربة (نـاصريةٌ) ... على الغرب فيها الله قد كتب النـصرا
رفعت بـها أنـف العـروبة ـ مـرغماً ... معاطس قومٍ طـالما شـمخت كـبرا
وقد أوجست منها العواصـم خـيفةً ... كما ملئت منها قـلوب العـدا ذعـرا

أما متنبي العصر، محمد مهدي الجواهري فكان في أواخر عام ١٩٥٦ فـي دمشـق ونظم قصيدةً مطلعها:

يا مَـعْدن الخِسّـةِ مـن تُـقاتل ... وفَوْقَ مَـنْ تسـاقَطُ القـنابلُ؟
أأصـيداً يـذودُ عـن أوطـانه ... أم حُرَّةً عن عِـرْضِها تُـناضِلُ؟
أم هُمْ عجوزٌ ترتمي.. وصـبيةٌ ... ومُـقعدٌ. ومُـرضِعٌ. وحـامِلُ؟
وفـيِمَ أنت والغُـرابُ صـاعِدٌ ... ومِـمَّ أنت والوبـاءُ نـازِلُ؟
يا مـعدن الخسّـةِ.. ثـم مـعبدٌ ... فـيه إلهٌ تـدَّعيهِ مـاثِلُ
ومـعهدٌ يَـمُدُّ فـي حـضارةٍ ... هنا زهتْ والكون غِـرٌ خـامِلُ
ومـصنع تـحيل فـي أكـنافه ... أطـفالها عـاملةٌ وعـامِلُ
يا معدن الخسّـةِ نكّس عـلماً ... تـطهّرت مـن لمسـهِ الأنـاملُ

إلى أن يقول:

تـجمع البـغيُ مُـغيظاً تـغتلي ... فـيه عـلى الوعـي اغـتلى مـراجـلُ!
واصـطرع البـاطِلُ وهـو فـارسٌ ... مَـدَجّجٌ.. والحـقُّ وهـو راجِـلُ
مـات الضـميرُ فـانطفا.. واتّـقدت ... مِـنْ حُـمم القـواذف المشـاعِلُ

وابـــتدرت عـــوالمُ تســاءلُ مــا الله والشــعبُ الأبّــي فــاعِلُ؟
(كـــــنانة الله) ولله يـــــدٌ تــلوي يـدَ الطـاغوت إذ تُـصاوِلُ
صــبراً لحـين يُـدركُ البـغي الوَنَـى صــبراً ليـومٍ تكشـفُ المـقاتِلُ
صــبراً عــلى (حـنظلةٍ) مُكـربةٍ تَــخْجلُ مــن مــريرها الحـناظِلُ

أعلام الجامعة النجفية:

بعد انتقال إشراقة النجف إلى الحلة ومن ثم إلى كربلاء وعودتها ثانية، إلى النـجف وبقائها إلى يومنا الحاضر، يمكن لنا المرور على الكثير من جهابذة العلماء، ابتداءً من السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (المتوفّىٰ ١٢١٢ هـ) وقـد تـميّزت زعـامته للـجامعة العلمية بوعي ونضج كبيرين وأثبتت قدرته الذهنية وحصانته الدينية على قابلياته القيادية، ولعل من أبرز مظاهر الوعي والنهضة العلمية في عهده، هو تقاسمه شؤون المرجعية مع ثلاثة فقهاء، فجعل الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفىٰ ١٢٢٨ هـ)، للـتقليد والفـتوى، والشـيخ حسين نجف (المتوفّىٰ ١٢٥١ هـ) للإمامة والمحراب، والشيخ شريف محي الدين للـقضاء والخصومات، واضطلع السيد مهدي بأعباء التدرس والزعامة وإدارة شؤون الأمة.

ومن أبرز العطاء العلمي لهذه المرحلة: في مجال الفقه، كـتاب «مـفتاح الكـرامـة» للسيد محمد جواد العاملي (المتوفّىٰ ١٢٢٦ هـ) ويقع في ثمان مجلدات، وكتاب «جواهـر الكلام» للشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد باقر النجفي، المعروف بـصاحب الجـواهـر (المتوفّىٰ ١٢٦٦ هـ) ويقع في ست مجلدات، وكتاب «المكاسب» للشيخ مرتضى الأنصاري (المتوفّىٰ ١٢٨١ هـ) في مجلد واحد. وكتاب «البرهان القاطع» للسيد علي بن السيد رضـا بحر العلوم (المتوفّىٰ ١٢٩٨ هـ) في ثلاث مجلدات، وكتاب «بلغة الفقيه» للسيد محمد السيد محمد تقي بحر العلوم (المتوفي ١٣٢٦ هـ) في اربـع مـجلدات وكـتاب «العـروة الوثـقىٰ» وملحقاتها للسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (المتوفّىٰ ١٣٣٧ هـ).

بعد ذلك لمع اسم الشيخ محمد كاظم الخراساني الذي فتح آفاقاً جديدة في علم الأصول، ويكشف كتابه «الكفاية في الأصول» عن التطور الرائع في هذا العلم. ثم لمعت أسماء أُخرى كالميرزا حسين النائيني والشيخ حسين الأصفهاني والشيخ أقا ضياء العراقي، والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والسيد عبد الاعلى السبزواري (وله مواقف شجاعة)، والسيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي ، أما في المجال الأدبي فقد ألف المرحوم الشيخ الاستاذ علي الخاقاني كتاباً بعنوان (شعراء الغري) في عشر مجلدات. وفي الجانب السياسي ظهرت أسماء أعلام بارزة فيه امثال الميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ المصلح محمد حسين كاشف الغطاء والسيد الشهيد محمد باقر الصدر المجدد والمفكر، وأيضاً الشيهد محمد محمد صادق الصدر مؤخراً، كما ان هناك من العلماء المجتهدين الذين لهم مرجعيات محلية كالسيد محمد حسين الحمامي والسيد محمد البغدادي وعلماء مصلحين كالشيخ محمد رضا المظفر وغيره، فضلاً عن شخصيات عُلمائية لها ثقلها في الوسط الحوزوي كالشبيبيين محمد رضا وباقر، ومحمد حسين المظفر وغيرهم.

المراكز العلمية والثقافية

١. المساجد:

١ ـ مسجد الحنانة: من المساجد الّتي عرفت بالعلم هو (مسجد الحنانة) وهو أحد الأماكن الثلاثة الّتي صلى فيها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ويعرف قديماً بالعلم كما في مصباح الزائرين»[١].

٢ ـ مسجد عمران بن شاهين: وهو أقدم مساجد النجف وأبعدها صيتاً، وتم تشييده في أواسط القرن الرابع الهجري، والمشهور أنّه من جملة أروقة الحرم العلوي، وكان الرواق الموجود اليوم المحيط بالحضرة الشريفة هو الصحن وفيه غرفة لطلبة العلم[٢].

٣ـ ـ مسجد الشيخ الطوسي: وكان داراً للشيخ عندما هاجر من بغداد إلى النجف عام ٤٤٨ هـ وكانت معهداً للعلم ومنتدى للعلماء ولم تزل على ذلك حتى وفاته، وهو من أشهر مساجد النجف.

٤ ـ مسجد آل كاشف الغطاء: أسّسه العلّامة الشيخ موسى بن الشيخ الكبير جعفر صاحب كشف الغطاء.

٥ ـ مسجد العلامة المجدد الشيرازي: كان محلاً لتدريس العلامة السيد محمد حسن الشيرازي قبل هجرته إلى سامراء.

٦ ـ مسجد الشيخ مرتضى الأنصاري: كان الانصاري يقيم فيه الجماعة، وفي أيام السيد محمد كاظم اليزدي كان يلقي بعض دروسه فيه .

---

١ . ابن طاووس، راجع جعفر الشيخ باقر آل محبوبة: ١ / ١٠١، ١٠٤، ... ١٥٥.

٢ . نفس المصدر .

٧ ـ مسجد الهندي: كان يقيم فيه الجماعة علماء من آل نجف.

٨ ـ مسجد الخضرة: وهو المسجد الملاصق للصحن الشريف، وغالباً ما كان السيد الخوئي يلقي فيه دروسه .

٩ ـ جامع البراق ويقع في محلة البراق .

١٠ ـ جامع الجواهري ويقع في محلة العمارة.

١١ ـ جامع الجوهرجي ويقع في شارع ا لمدينة.

١٢ ـ جامع الحيدري ويقع في شارع الإمام زين العابدين.

١٣ ـ جامع الرأس ويقع في الساباط في الصحن الشريف .

١٤ ـ جامع السقاية ويقع في شارع الإمام زين العابدين.

١٥ ـ جامع الصاغة ويقع في سوق الصاغة.

١٦ ـ جامع الطريحي ويقع في محلة البراق.

١٧ ـ جامع المراد ويقع في شارع الطوسي.

١٨ ـ جامع المسابك ويقع في سوق المسابك.

١٩ ـ جامع المهدي (البهبهاني) ويقع في شارع الإمام علي عليه السلام .

٢٠ ـ جامع النجم ويقع في محلة الجديدة.

٢١ ـ جامع باب السيف ويقع في شارع الإمام زين العابدين.

٢٢ ـ جامع السُعداء ويقع في محلة العمارة.

٢٣ ـ جامع الرّوازق ويقع في منطقة الحي الصناعي، شُيّد من قبل المرحوم الوجيه الحاج رشيد الرّوازق.

٢. المكتبات :

أ ـ المكتبة الحيدرية.

ب ـ مكتبة نظام الدولة.

جـ ـ مكتبة السيد محمد آل بحر العلوم.

د ـ مكتبة الشيخ علي آل كاشف الغطاء.

هـ ـ المكتبة الحسينية (وهي مكتبة النجف العامة) «المؤسس لها هو الحاج علي محمد النجف آبادي .

و ـ مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة، أسّسها العلّامة الأميني صاحب (الغدير) عام ١٣٧٣ هـ.

ز ـ مكتبة النجف العامة أُسّست عام ١٩٣٦ تحت إشراف وزارة المعارف العراقية.

ح ـ مكتبة الشيخ محمد السماوي [١]، (١٢٩٢ ـ ١٣٧٠ هـ) وهو من المتضلعين في التاريخ واللغة والشعر والأدب، من آثاره «الكواكب السماوية» و «أبصار العين في معرفة أنصار الحسين عليه السلام» و «عنوان الشرف في تأريخ النجف» .

المطابع ودور النشر:

أُسّست أول مطبعة في العراق عام ١٨٥٦ م ثم تلتها مطبعة أخرى في عام ١٨٦١م [٢] اما في النجف، فكانت أول مطبعة جُلبت إليها هي (مطبعة حبل المتين) طبعت فيها بعض الكتب العربية والفارسية الدينية بالإضافة إلى بعض المجلات والجرائد [٣]،

١ . الأميني، محمد هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٢ / ٦٨٦ .

٢ . عناد إسماعيل الكبيسي، الأدب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين: ٣٨ .

٣ . جعفر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٧٤ .

وانتشرت في النجف عدة مطابع أُخرى ساهمت مساهمة فعالة في إحياء التراث الإسلامي، ونشر العلوم والمعارف، منها المطبعة العلمية [١] ومطبعة النجف [٢] ومطبعة النعمان[٣] والمطبعة العلوية والمطبعة الحيدرية [٤] والمطبعة المرتضوية [٥] ومطبعة الغري الحديثة [٦] ومطبعة دار النشر والتأليف [٧] ومطبعة الراعي [٨] ومطبعة الزهراء[٩] ومطبعة القضاء [١٠] ومطبعة الآداب [١١] .

ومما لاشكّ فيه أن هذه المطابع قد ساهمت في نمو الحركة الفكرية في النجف الأشرف، وفي إحياء التراث الإسلامي في العالم، وبرهنت بشكل أو بآخر على تقبلها لمختلف الأفكار ومن مختلف الرجال بقصد الوقوف على الحقيقة ومناقشتها، فكانت لهذه المطابع مساهمة فكرية جادة في نشر الوعي الإسلامي وبالأخص المطبعة الحيدرية ـ كما

---

١ . وردت النجف عام ١٣٥٢ هـ وهي من المطابع الحجرية لصاحبها الشيخ محمد إبراهيم الكتبي، وقد انتقلت بعد وفاته إلى أولاده وأجريت عليها تحسينات كثيرة، كما جلب اليها مكائن حديثة (ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٧٦).

٢ . من المطابع المهمة الحديثة الّتي أنشئت في النجف عام ١٩٥٥ م. صاحبها الشيخ هادي الأسدي، وقد طبع فيها كثير من الكتب العلمية والفقهية. (ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٧٧).

٣ . صاحبها حسن الشيخ إبراهيم الكتبي، وهي من المطابع الجيدة، وقد طبع فيها كثير من الكتب العلمية والأدبية وقد تأسست عام ١٣٧٦ هـ (ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٧٧).

٤ . للشيخ صادق الكتبي وأخيه الشيخ إبراهيم فبالإضافة إلى عملهم التجاري كانوا قراء جيدين يرصدون الكتب القيمة وتحقيقها ونشرها. أنظر «شيخ الوراقين في النجف الاشرف»: ٥٨ .

٥ . أيضاً للشيخ صادق الكتبي وأخيه إبراهيم .

٦ . للشيخ محمد علي الصحاف .

٧ . شيخ العراقيين آل كاشف الغطاء .

٨ . للاستاذ جعفر الخليلي .

٩ . لصاحبها مرزا الخليلي .

١٠ . حسن الشيخ إبراهيم الكتبي.

١١ . جلبها عبد العزيز البغدادي .

يقول الشيخ الخاقاني [١] الّتي ساهمت بطبع المئات من الكتب التراثية الّتي يرجع أكثرها إلى العصر العباسي «بالرغم ان الظروف كثيراً ما عاكستها والأذواق كثيراً ما اختلفت معها ولكن بفضل الإيمان استطاعت أن تتغلب على المصاعب». وقد بلغ ما طبع في النجف لوحدها أكثر من أربعة آلاف كتاب يقرأ. هذا مع كلّ ما كان يوجه إليها من النقد والتعريض فضلاً عن المعوقات والصعوبات الأمنية من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة. فسجلت المطابع النجفية نهضة طباعية رائدة كانت ولا تزال مدعاة للفخر والاعتزاز، وقد ساهم بعض العلماء في رفد هذه الحركة من خلال قوة نفوذهم وتأثيرهم، فكانوا أشبه بالملاذ الآمن لأصحاب المطابع وبما يتعلق بقانون رقابة المطبوعات. ومما يذكر في هذا المجال، ان صاحب المكتبة الحيدرية الشيخ محمد كاظم الكتبي كان يستظل بحماية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ﷺ فيقول: «كنت أطبع ولا أحتاج إلى رقابة مطبوعات أو معارضة من الحكومة بسبب سعي الإمام كاشف الغطاء للتشجيع على طبع الكتب ونشرها... وفي مرة من المرات جاء قائمقام النجف ممثلاً لمتصرف كربلاء ليتكلم مع الشيخ كاشف الغطاء حول طبع أحد الكتب اتصور أنه كتاب «شجرة طوبى» وكيف أني طبعته دون إذن الحكومة.. وكان يرافقه الوجيه عبد الحاج عبد الرزاق شمسة، فكان جواب الشيخ ﷺ ـ والمعروف عن قوله وكلامه انه لا يردّ ـ ان كثيراً مما يطبعه الشيخ كاظم أشتريه منه وأشجعه عليه فقال له القائمقام: أنا رسول من قبل وزير الداخلية حول هذا الموضوع الذي أساء إلى الدولة وحينها انتفض الشيخ كاشف الغطاء ورد بعنف قائلاً: إذا أي شخص قام بالتعرض إلى شيخ كاظم الكتبي وعبارته كانت ـ كما يقول الشيخ الكتبي ـ (إذا أحد يمس صاية محمد كاظم فأنا أصعد المنبر) [٢]. أيّ الدعوة لاجتماع الناس وتحريضهم على الحكومة.

وبعد إصرار القائمقام على منع الشيخ الكتبي من بيع الكتاب، وتهديده له على ان لا

---

١ . أنظر الخاقاني، علي: شعراء الغري: ١٢ / ٤٨٦ .

٢ . الطريحي، محمد جواد، شيخ الوراقين في النجف الأشرف الشيخ محمد كاظم الكتبي: ٥٥ .

يبقى يومين في النجف إذا بقي الكتبي يمارس بيع الكتاب، فذهب الكتبي إلى الإمام كاشف الغطاء وأخبره بقول القائمقام، فرفع الهاتف متصلاً بوزير الداخلية، فلن يلبث القائمقام يومين في النجف، وهذه صورة واحدة من صور اهتمام الشيخ كاشف الغطاء ﷺ وبعض العلماء الآخرين في الدفاع عن نهضة المطابع وقيمة الكتاب وحركة النشر والوعي. وقد تأسست مجامع علمية وجمعيات لهذا الغرض وفي مقدمتها جمعية منتدى النشر الذي جاء في نظامها الداخلي ما يفيد تحقيق هذه الغاية، وقد سارعت بطبع كتاب تفسير (حقائق التأويل) للسيد الشريف الرضي. كما قام المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر بعقد محافل مخصوصة وندوات معينة لتنفيذ حركة التأليف والنشر، وقد عبر السيد عبد الحسين شرف الدين عن أهمية هذا النشاط في رسالةٍ وجهها إلى العلامة الشيخ محمد رضا المظفر، يقول فيها: «وكنا فيمن عقد الأمل (بالمنتدى) يوم تأسيسه وناط به الرجاء أن يكون له الأثر المحمود في توجيه الناشئة الدينية، وبناء الجيل الطالع وتجديد ميراث النجف في بعث يلائم التطور الحاضر، ويماشيه في مداه الطويل بوسائله المنوعة وذلك أني رأيت من قديم أن الهدى لا ينتشر إلا من حيث ينتشر الضلال، وعلى هذا رجوت ان تكون المطبعة وتنويع المنهج الدراسي وإحياء العلوم الدينية المذخورة كل هذا من رسالة منتداكم...) [١] وقد أشار السيد محمد تقي الحكيم ـ سكرتير منتدى النشر ـ لمنابع وجذور تأسيس المجمع الثقافي الديني، فيقول: هذه اللجنة تستهدف في حياتها (خدمة الاسلام) بكل ما لهذه الكلمة من المعاني المقدسة، وقد وضعت لتحقيق هذا الهدف خططاً ومناهج استوحتها من حاجة الاسلام والمسلمين في عصرنا الحاضر. ومنها:

١.التماس كُلّ ما في الشريعة الاسلامية المقدسة من الأسس القويمة الّتي وضعت لإصلاح المجتمع الإنساني من الجهتين ـ الروحية والمادية ـ ولتكوين مجتمع مثالي للإنسانية الكاملة، ووضعها بين أيدي الناس ببزة تلائم الأذواق في عصرنا الحديث.

---

١ . مقدمة كتاب السقيفة للشيخ المظفر.

٢. تلافي ما حدث في حالتنا الاجتماعية الحاضرة وذلك بأن تعرض بالتفكير والتأمل لمواضع النقص فيها لتقوم بتكميلها من أقرب طريق ممكنة على ضوء تلكم الأسس المقدسة .

٣. إحياء ذكرى أبطال المسلمين ومفكريهم في مختلف العصور والبيئات واستخراج العبر من حياتهم وإرسالها بين الناس.

٤. إيجاد التفاهم والتعاون بين رجال الإصلاح في المجتمع الإسلامي الحاضر والاستعانة بآرائهم في تحقيق ذلك الهدف القيم.

٥. بعث الكتب الثقافية القديمة دينية كانت أم أدبية وذلك بإعادة طبعها وطبع ما لم يطبع منها حتى الآن على أن يتم كُلّ ذلك من طريق التأليف والنشر والمحاضرات [١] .

كما أن هناك أعمال جليلة قدّمتها جمعيات تأسست في النجف في حينه كجمعية الرابطة العلمية الأدبية الّتي قامت بطبع ديوان الشيخ الشبيبي في مصر على نفقتها كما تأسست جمعية التحرير الثقافي وتشهد على أعمالها مجلتها (النشاط الثقافي) وأيضاً جمعية ندوة الأدب الّتي أصدرت مجموعة ومضات الشباب [٢] .

المجلات والصحف النجفية:

بعد انتعاش النجف بالمطابع ودور النشر، ظهرت الصحافة جنباً إلى جنب مع هذا الانتعاش التكنولوجي، ومن أقدم المطبوعات النجفية ـ آنذاك ـ (مجلة العلم) الّتي أصدرها السيد محمد علي هبة الدين الحسيني الشهرستاني [٣] عام ١٣٢٨، وكانت مجلة علمية

---

١ . أنظر اسبوع الإمام: ٣ .

٢ . الطريحي، شيخ الوراقين: ١٩٤ .

٣ . محمد علي هبة الدين الحسيني الشهرستاني (١٣٠١ ـ ١٣٨٦ هـ) عالم مجتهد ومصلح مجدد،

دينية [١]، وأيضاً مجلة (الاعتدال) الّتي لاقت شهرة واسعة بين المثقفين أصدرها محمد علي البلاغي [٢]، ومجلة (الحيرة) وكان مديرها المسؤول الشيخ عبد المولى الطريحي والاستاذ جعفر الخليلي أحد محرريها. ومجلة (المصباح) وكان مديرها المسؤول محمد رضا الحساني وصاحب امتيازها السيد صالح بحر العلوم، ومجلة (الغري) للشيخ عبد الرضا شيخ العراقيين آل كاشف الغطاء، ومجلة (العدل الإسلامي) أصدرها محمد رضا المطبعي، ومجلة (البيان) و (الدليل) و (العقيدة) و (البذرة) و (النجف) و (النشاط الثقافي) و (الحوزة) [٣].

وأما الصحف فكانت (الاستقلال) وصدرت أيام الثورة العراقية باسم الانتقال أوّلاً ثم باسم الفرات، وكان مديرها المسؤول السيد محمد عبد الحسين ولم تستمر بصدورها إلا شهراً واحداً وذلك لنهجها التجسسي للحكومة المحتلة [٤]، وأيضاً صحيفة (النجف) كان مديرها المسؤول يوسف رجب ومدير إدارتها محمد علي البلاغي، وصحيفتي (الفجر الصادق) و (الراعي) للاستاذ جعفر الخليلي وغيّر اسم (الراعي) إلى (الهاتف) ونقلها إلى بغداد.

المدارس الدينية في النجف :

تعتبر المدارس الدينية من المعالم المهمة في الحركة العلمية والّتي أدت دورها في هذا المضمار، ونذكرها حسب تسلسلها التأريخي الذي أُنشئت فيه على أرض الغري.

☜ ولد في سامراء وهاجر إلى النجف للدراسة. من مؤلفاته (المعجزة الخالدة) و (توحيد أهل التوحيد) و (نهضة الحسين عليه السلام) انظر معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٢ / ٧٦١، ٧٦٢.

١ . جعفر آل محبوبة: ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٧٨، ١٧٩ .

٢ . محمد علي البلاغي (١٣٣١ ـ ١٣٩٤ هـ) كاتب كبير وشاعر وصحافي قدير، له ديوان شعر.

٣ . راجع آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٨١ـ ١٨٣ .

٤ . آل محبوبة، م. س: ١ / ١٨٠ .

١. المدرسة السليمية: وتسمى مدرسة المقداد السيوري، وذلك لأن الشيخ السيوري أوقفها، ثم اغتصبها أولياء الوقف، فجاء الحاج سليم خان الشيرازي، أحد كبار تجار شيراز آنذاك فعمّرها من جديد فعرفت باسمه، وأنشئت في أوائل القرن التاسع الهجري.

٢. مدرسة الشيخ عبد الله: والشيخ عبد الله هو ابن حسين الشاه آبادي (توفي ٩٨١هـ) من علماء الإمامية درس في شيراز وأصفهان، تتلمذ عليه الشيخ البهائي، ومن آثاره الحاشية على تهذيب المنطق المعروفة بـ«حاشية الملا عبد الله». وشيّدت منتصف القرن العاشر الهجري.

٣. المدرسة الغروية: شيّدها السلطان عباس الصفوي الأوّل وهو ابن محمد خدابنده، خامس سلاطين الصفوية، حكم بعد أبيه، اتخذ اصفهان عاصمة ملكه، تولى الحكم عام (٩٨٦هـ) توفي عام (١٠٣٨هـ). وأنشئت أوائل القرن الحادي عشر الهجري.

٤. مدرسة الصدر: شيدها الوزير محمد حسين الاصفهاني: كان الصدر الأعظم للسلطان فتح علي القاجاري، كان محباً للعلم والعلماء، وله أيدٍ بيض في العتبات المقدسة، توفي عام ١٢٣٩هـ، ونقل جثمانه إلى النجف. وشيّدت المدرسة عام (١٢٢٦هـ).

٥. مدرسة المعتمد: سميّت بالمعتمد لأنها بنيت من ثلث معتمد الدولة، عباس قلي خان، وزير السلطان محمد القاجاري، وذلك عبر الشيخ حسن كاشف الغطاء، وكانت وفاة المعتمد عام ١٢٤٩هـ ونقل جثمانه إلى النجف. وأنشئت عام (١٢٦٢هـ).

٦. المدرسة المهدية: بناها الشيخ مهدي كاشف الغطاء: وهو ابن علي بن جعفر (توفي ١٢٨٩هـ) كان من علماء النجف، وقد وصله مال كثير من مدينة قرباغ الأذربيجانية، فبنى مدرسة في النجف وأخرى بكربلاء، وأُنشئت هذه المدرسة في عام (١٢٨٤هـ).

٧. مدرسة القوام: بناها الشيخ فتح علي الشيرازي، وكان من رجال الدولة وأصحاب الثراء آنذاك، تبرع بإنشاء هذه المدرسة عام (١٣٠٠هـ) ولذلك سُميّت أيضاً بالمدرسة

الفتحية، وجعل لها أوقافاً في ايران .

٨. مدرسة الإيرواني: بناها الشيخ محمد الإيرواني بعد ان تبرع أحد تجار إيروان يُقال له الحاج مهدي الإيرواني، والشيخ محمد الإيرواني هو ابن محمد باقر المتوفّىٰ عام ١٣٠٦ هـ درس في كربلاء والنجف فتخرج علماً يُشار إليه بالعلم والفقاهة، له مؤلفات في الفقه والأصول. شيّدت عام ١٣٠٥ هـ

٩. مدرسة المجدد الشيرازي: شيّدها السيد محمد حسن الشيرازي عام ١٣١٠ هـ وهو ابن محمود (١٢٣٠ ـ ١٣١٢ هـ) أحد اعلام الإمامية الذائع الصيت الذي أفتىٰ بحرمة التنباك في إيران لقطع دابر الاستعمار البريطاني، هاجر إلى النجف من شيراز ثم هاجر إلى سامراء.

١٠. مدرسة الخليلي: شيّدت في زمن الشيخ حسين الخليلي عام (١٣١٦ هـ)، وهو من مواليد النجف (١٢٣٠ هـ)، تزعم الحركة العلمية فيها بعد وفاة السيد محمد حسن الشيرازي، التزم تدريس الفقه من دون الأصول وكانت له نظريات ثاقبة فيه. ومن أهم مؤلفاته شرح «نجاة العباد».

١١. مدرسة البخاري: تولى المدرسة الشيخ كاظم البخاري وهو من علماء بخارىٰ الذين سكنوا النجف للدراسة، وقد تبرع بالمال الحاج محمد يوسف البخاري من أصحاب الوزير القاجاري خان ميرزا. شيّدت المدرسة عام (١٣١٩ هـ).

١٢. مدرسة الشربياني: تولى المدرسة الشيخ محمد الشربياني وهو ابن أفضل علي عبد الرحمن بن فضل علي المعروف بالفاضل الشربياني المتوفّىٰ عام (١٣٢٤ هـ) وكان من أوتاد الحركة العلمية في النجف. من آثاره: حاشية المكاسب، وكتاب الصلاة. شُيّدت المدرسة عام (١٣٢١ هـ).

١٣. مدرسة الآخوند الكبرى: والمعروف بالخراساني الشيخ محمد كاظم صاحب

«كفاية الأُصول». وشيّدت هذه المدرسة عام (١٣٢١ هـ).

١٤. مدرسة الخليلي الصغرى: والمعروف هو حسين الخليلي، شيّدت عام (١٣٢٢هـ).

١٥. مدرسة القزويني: والمعروف الحاج محمد القزويني ويعرف أيضاً بالأمين القزويني؛ من كبار رجال الأعمال في إيران آنذاك، شيّدت هذه المدرسة عام (١٣٢٤ هـ).

١٦. مدرسة البادكوبئي: والمعروف بالحاج علي نقي البادكوبئي من تجار دولة اذربيجان شيّدت عام (١٣٢٥ هـ)، وهناك مدرسة أخرى للحاج كربلائي علي البادكوبئي، شيّدت عام (١٢٧٠ هـ).

١٧. مدرسة الآخوند الوسطى: وهي لصاحب كتاب «كفاية الأصول» الشيخ كاظم الخراساني شيّدت عام (١٣٢٦ هـ). وهي المدرسة الثانية الّتي تحمل اسمه.

١٨. مدرسة اليزدي الأولى: المعروف السيد كاظم اليزدي، وشيّدت عام (١٣٢٧هـ).

١٩. مدرسة الهندي: شيّدت من قبل ناصر علي خان اللاهوري عام (١٣٢٨ هـ)، وهو أحد تجار الهند، ولا يخفى أن هناك مسجداً يعرف بالهندي أيضاً، له مكانته العبادية والعلمية والاجتماعية، شيّده محمد خان الهندي.

٢٠. مدرسة الآخوند الصغرى: والآخوند المعروف بالشيخ (الملا) كاظم الخراساني كما تقدم. وورد ذكر هذه المدرسة وغيرها للآخوند في (ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٢٥ ـ ١٤٢ و (موسوعة العتبات المقدسة) قسم النجف: ٢ / ١٢٨ ـ ١٩٤.

٢١. مدرسة الشيرازي: والمعروف السيد عبد الله الشيرازي من علماء النجف ولد في شيراز وتوفي في مشهد من مؤلفاته: عمدة الوسائل، كتاب القضاء، والاحتجاجات العشرة. شيّدت هذه المدرسة عام (١٣٧٢ هـ). (موسوعة العتبات المقدسة: ٢ / ١٥٥).

٢٢. مدرسة البروجردي الكبرى: شيّدت عام (١٣٧٣ هـ) والمعروف هو السيد

حسين البروجردي بن علي بن أحمد الطباطبائي (١٢٩٢ ـ ١٣٨٠ هـ) ولد في بروجرد وتوفي في قم، من مراجع الإمامية وعلمائها، من آثاره: أسانيد الاستبصار، بيوت الشيعة، تجريد رجال النجاشي. (ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٤٣ و (موسوعة العتبات المقدسة) قسم النجف: ٢ / ١٥٥.

٢٣. مدرسة العامليين: شيّدت عام ١٣٧٧ هـ على وجود الشيخ محمد تقي الفقيه، ولد في لبنان عام (١٣٢٨ هـ) ، درس في النجف على أعلامها وعاد إلى بلاده، من مؤلفاته: جبل عامل في التأريخ، مباني المناسك، القواعد الفقهية .

٢٤. المدرسة الطاهرية: شيّدت عام (١٣٧٧ هـ) على وجود السيد عبد الله الشيرازي.

٢٥. مدرسة البروجردي الصغرى: شيّدت عام (١٣٧٧ هـ) على وجود السيد عبد الله الشيرازي .

٢٥. مدرسة البروجردي الصغرى: شيدت عام (١٣٧٨ هـ) من قبل السيد البروجردي (المرجع).

٢٦. مدرسة الرحباوي: شيدت عام (١٣٧٨ هـ) . بناها الحاج عباس الرحباوي وهو من تجار النجف، أسسها في البداية لتكون حسينيّة، إلا أنّه أبدلها فيما بعد إلى مدرسة علمية، وقد شيّدت حسينيّة إلى الجنوب منها.

٢٧. مدرسة الجواهري: شيّدت عام (١٣٨٢ هـ) بناها الحاج محمد صالح الجوهرجي وهو من رجال الأعمال في النجف، بنىٰ مجمّعاً يتضمن مسجداً وحسينيّة ومكتبة وحمّاماً ومدرسة، ومجموعة من المحلات لتدّر على هذه المنشآت. (موسوعة العتبات المقدسة): ٢ / ١٥٨ ـ ١٦١ .

٢٨. مدرسة جامعة النجف: شيّدت عام (١٣٨٢ هـ) من قبل الحاج محمد تقي اتفاق وهو من رجال أعمال طهران، حيث كلف السيد محمد كلانتر بذلك، فكانت مدرسة مثالية وحديثة.

(ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٤٦، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف: ٢ / ١٦٢).

٢٩. مدرسة البغدادي: شيّدت عام (١٣٨٣ هـ) على يد الحاج عبد العزيز البغدادي، وهو من تجار بغداد المعروفين بالخير والصلاح.

٣٠. مدرسة الأفغانيين: الشيخ حسن الأفغاني وكان من الطلبة وكانت له دار أوقفها لتكون مدرسة علمية فجادت أيدي الأخيار لذلك، وقد خصصت للطلبة الأفغان والبلوش. تأسست عام (١٣٨٤ هـ).

٣١. مدرسة اليزدي الثانية: المعروف أسد الله اليزدي، سميّت باسم السيد محمد كاظم اليزدي، صاحب «العروة الوثقىٰ» حيث بناها السيد اليزدي بمثابة خان للزائرين، لكن نجله السيد أسد الله اليزدي حوّلها إلى مدرسة علمية بعد وفاة والده. شيّدت عام (١٣٨٤هـ).

٣٢. مدرسة دار الحكمة: للسيد محسن الحكيم تأسّست عام (١٣٨٥ هـ).

٣٣. مدرسة الكرباسي: المعروف الشيخ محمد علي الكرباسي شيّدت عام (١٣٨٦ هـ). (موسوعة العتبات المقدسة: ٢ / ١٦٥ ـ ١٦٩).

٣٤. مدرسة البهبهاني: المعروف السيد هاشم البهبهاني شيّدت عام (١٣٨٧ هـ).

٣٥. مدرسة دار العلم: شيّدها السيد أبو القاسم الخوئي عام (١٣٨٩ هـ).

٣٦. مدرسة الألوندي: الشيخ قاسم الألوندي.

٣٧. مدرسة الطهرانية: وتسمّىٰ أحياناً مدرسة تاج الدولة، شيّدها الشيخ عبد الحسين الطهراني وهو ابن علي ـ شيخ العراقيين ـ الحائري المتوفّىٰ عام (١٢٨٦ هـ)، درس في كربلاء والنجف، له إنجازات في العتبات المقدسة وبالأخص كربلاء. سكن كربلاء ودفن فيها.

الميزات الثقافية للجامعة الدينية في النجف:

امتازت جامعة النجف الدينية بميزات ثقافية ميّزتها عن غيرها من الجامعات العلمية في العالم، ومن أهم تلك المميزات:

١. لا تخضع الدراسة لأي سلطة خارجية سواء كانت حكومية أم مجلس إدارة.

٢. التعليم في هذه الجامعة لا يهدف إلا للإصلاح الديني والدعوة إلى التقوى ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

٣. الدراسة فيها، دراسة حرّة بما تعنيها الكلمة، فلا توجد حدود للمناظرات والاستفسارات، فحرية البحث هي القاعدة الّتي يدور عليها إطار الفكر الإسلامي.

٤. الدراسة فيها دراسة تامة، فالموضوع الواحد يدرّس ويعاد تدريسه في كتب متعاقبة وعلاوةً على ذلك فالطالب يُدرّس ماكان قد درسه أكثر فأكثر، وهذه الطريقة هي من أفضل الطرق لترسيخ المادة في ذهن الطالب. يقول الدكتور فاضل الجمالي إن تجربتي الخاصة تدفعني للاعتقاد «انه لا توجد طريقة للتخصص في الموضوع أفضل من تدريسه»[١].

٥. لم تكن في الدراسة النجفية مشكلة اسمها (الأمتحان)، ولذا فلم تكن هناك مضايقة للطلبة والأساتذة وإنما تبقى قابلية الطالب وتمكّنه من الأشياء، السبيل الوحيد لنجاحه.

٦. لم يطمح الدارس في هذه المدرسة الحصول على الشهادة لغرض التعيين والعيش المُرفَّه، بل ان الدراسة فيها لا صلة لها بالترف فهي تتطلب من الدارس (القناعة) و (الزهد).

٧. بالرغم من أن دراساتها ومناهجها يطبعها الطابع الكلاسيكي إلا أنها بين الحين

١. الدكتور فاضل الجمالي، الموسم، مصدر سابق: ١٢٤.

والآخر تشهد محاولات عديدة للإصلاح فتزاوج الكلاسيك بالحداثة مما تضفي على المعالم الثقافية والعلمية نوعاً من الحركة والتوازن والديمومة لدفع حركة التطور مع المتطلبات العصرية ولذا كانت، وبقيت جامعة النجف بـ(الجامعة القديمة الحديثة) الّتي تفاعلت بما يتلائم وحركة المجتمع.

٨. المنهج العلمي الذي تعتمده جامعة النجف هو المنهج الديني لأهل البيت(عليهم السلام)، ولذا سجلت النجف من التزامها بهذا المنهج مصاديق عديدة لتنظيراتها الإصلاحية وفق هذا المنهج أو ما يتطلبه هذا المنهج من مصاديق واقعية، وبعبارة أُخرى جسدت الجامعة الدينية في النجف بعلمائها وأساتذتها وطلبتها في بعض المراحل مواقف الدعوة المحمدية الأصيلة في بناء المجتمع ونهوضه وتحديه للسلطات الحاكمة الجائرة.

فإن تطور الشخصية والطباع يُنمّيان من خلال القدوة الحسنة والرفقة الطيبة مضافاً إلى الالتزام بالتعاليم الدينية والإحاطة بظروف المجتمع والتحسس بآلام الناس وهذا مما يولد عند الطلبة الشعور بالغيرة والحرص على الإصلاح سواء كان سياسياً أو اجتماعياً.

٩. إن لغة الجامعة العلمية في النجف تُطبع على لسان الدارس فيها، ولذا فإن خريجيها يتميزون عن غيرهم من خريجي الجامعات الاسلامية الأُخرى في العالم الإسلامي.

النجف والأدب والشعر:

الكثير من المدن المقدسة الّتي تحتضن الجامعات الدينية مثل كربلاء وسامراء (في العراق) وقم ومشهد (في إيران)، لم تكن فيها لظاهرة الأدب والشعر ما يميزها سوى مدينة النجف الأشرف، وهذا بطبيعة الحال يعتمد على طبيعة البيئة الّتي تميزت بها النجف الأشرف، فهي بيئة صحراوية، حيث الجفاف واليبوسة الّتي لا ماء فيها ولا زرع، والتعرّض للعواصف الرملية في أكثر فصول السنة، ولاختلاف درجات الحرارة امتازت بصيف شديد

الحرارة والجفاف، وشتاء قارس شديد البرودة، فلم يجد طالب العلم المثقل يومه ببرنامج الدراسة فسحة تُريحه أو ملاذاً يجد فيه متنفساً للتناسي أو التعبير عن ضنك الحياة وحالة الفقر المدقع سوى الأدب والشعر، فهو أمر حتميّ في الغالب على طلاب العلوم لتطرية جفاف حياتهم اليومية. ولذا نجد الابداع ليس مقتصراً على الشعر فهناك من أبدع في القصة والمسرحية والخاطرة وغيرها.

ويلخص الدكتور مصطفى جمال الدين بعض الخصائص الّتي امتازت بها النجف عن غيرها بالأمور التالية:

١. انها مدينة الوافدين، زواراً ومجاورين وطلّاب علم.

٢. اختصت بشمائل عربية حيث أن أهلها والطابع العام لسكانها هو الطابع العربي القريب من البداوة، فالعشائرية والنخوة ورعاية الجار والكرم والضيافة سمات بارزة يلمسها الوافد إليها.

٣. احتفظت هذه المدينة بمراكز الدراسات الاسلامية ولغتها العربية رغم مرور ما يقارب عشرة قرون، بقيت محافظة على لغتها العربية وآدابها رغم محاولات التتريك الّتي فرضها المماليك والحكام العثمانيون على مدارس العراق وغيرها من البلدان الخاضعة للخلافة الاسلامية من جهة... ورغم انتشار اللغات الشرقية ـ وبخاصة اللغة الفارسية ـ بين الوافدين إليها من أقطار العالم الإسلامي التابعة لمرجعيتها الدينية من جهة ثانية [1].

ولذا نجد النجف تزخر بالكثير من المجالس الأدبية والمنتديات الثقافية، كمنتدى النشر،وجمعية التحرير الثقافي، ورابطة الأدب الحديث، والرابطة الأدبية، ومجلس الأربعاء، وقد شاع مجلس الأربعاء بأحاديثه وأدب (الصفوة) وشعرهم وظرفهم، وأصبح الاستقراء والاستنساخ والمساجلات في الشعر وتبادل النكات وابتكار الطرافة كشيء

١ . مصطفى جمال الدين، مقدمة الديوان: ١٣ ـ ٢٧ .

ملتصق بهذه المنتديات بشكل عام ومجلس الاربعاء بالأخص، وجميل ما ينقل عن صاحب مجلس الاربعاء وهو السيد مير علي أبو طبيخ، والذي امتاز بسرعة البديهة يأتيه الشعر عفو الخاطر معبراً به عن أحاسيسة، فكان لاعمامه (آل أبي طبيخ) عبد يسمى (قنبراً) فاتفق وجوده بالنجف وفي بيت السيد مير أبو طبيخ وكان السيد لا يقدر على النهوض بعد مرض ألمّ به. فتكفل العبد بنقله إلى الغرفة المطلة على الوادي صباحاً ثم قام بنقله إلى الحريم مساءً. وقد أوحى اشتراك اسم هذا العبد مع اسم خادم للامام علي عليه السلام يدعى (قنبراً) واشترك اسم السيد علي أبي طبيخ مع اسم الإمام علي عليه السلام، لقد أوحت له مشاركة الاسماء وهو مستقل كتفي عبده قنبر هذين البيتين:

إن تكن (قنبراً) فإني (علي) بك أهلاً فأنت لطف خفي
قال: فاركب فأنت (درةُ) تاجي قلت فاغنم لكنني (نجفي)

والدرة النجفية أشهر من ان تعرف للقراء، أما الاشارة الثانية للنجفية في هذه التورية فترك تقدير دعابتها لذوق القراء من النجفيين أو من يعرف بعض خصوصياتهم وذكائهم. ومن الطرائف أيضاً ما ينقل عن اندية النجف الأدبية أن منشداً في نادٍ من أنديتها أنشد قصيدة السيد محمد سعيد الحبوبي رحمه الله الموشحة الّتي فيها :

قد شربتُ الخمر لكن كَلُماكَ ما رأت عيني ولا ذاق فمي

وصادف ان السيد الحبوبي كان حاضراً هذا المجلس، فقال له أحد الجالسين: ياسيدي ماذا تفيد (قد)، فقال له السيد الحبوبي: (قد) إذا دخلت على الفعل الماضي أفادت التحقيق، ولكن لم أشرب الخمرة وحق جدّي رسول الله. فضحك الحاضرون واستحسنوا سرعة إلتفاته إلى غرض السائل المدُاعب.

وينقل أيضاً عن أحد الفقهاء أنّه كان يقرأ الشعر على حضور مجلسه اليومي والذي يضم ـ فيما يضم ـ بعض أرباب الحرف والصناعات ممن لا يجيدون القراءة والكتابة، فكان

يقرأ شيئاً من اشعار السيد الحبوبي :

يا غزال الروض واوجدي عليك كـاد سـرّي فـيك أن يـنفضحا

فاسقني كأساً وخـذ كأسـاً إليك فـلذيذ العـيش أن نشـتركا

وما ان أكمل الفقيه بيت الشعر الأخير، حتى قام أحد الحاضرين معترضاً، مخاطباً الفقيه: إنّك أخطأت في صدر البيت الثاني حيث قلت: فاسقنيكاساً وخذ كأساً اليك... فقد قدمت وفضلت نفسك على محبوبك؟ واشرأبت أعناق جميع الحاضرين لما يمكن أن يجيب به الفقيه، الذي ابتسم ابتسامة وديعه، قال: وماذا عساك ان تقول ؟

فأنشد ذلك الرجل شيئاً من الشعر باللهجة العراقية الدارجة وفق نظام (الأبوذية) قائلاً:

يـحلو الطـول والمـبسم واليـعود
خـطا مـنك تـصل غـيري وليـعود
إخـذ كـاس المـدام أوّل ولي عـود
لذيـذ العـيش نـتشارك سـوية

فضحك الجميع، وأثنوا على منشد الأبوذية سرعة الالتفاتة والبديهة، وأكبر في ذلك الفقيه روح الفكاهة والدعابة والخلق العالي.

وبهذا الصدد يقول الشيخ محمد مهدي الآصفي: «والحياة في النجف على ما يبدو عليها من جدب المادة، يطبعها المرح وخفة الروح، والطالب النجفي ان كان يعوزه المال الذي يدير به الحفلات الساهرة فلا تعوزه الروح الخفيفة الّتي تهتز لبيت من الشعر رقيق أو مناسبة شعرية جميلة أو زهرة زاهية تبتسم للشمس، أو طير يغرد على دوحة فارعة خضراء... ولا يأنس الطالب النجفي بشيء من متاع الدنيا كما يأنس لهذه الندوات الأدبية الّتي تنعقد في النجف بين حين وآخر، فيجتمع إليها الشعراء، ليتعاطوا الشعر على أقداحٍ من

الشاي الحلو والقهوة العربية المرة أو دعوة (طبيخ ماش) أو (سمك الحرش) أو (الباچة) وينشئوا أبياتاً رقيقة من الشعر، بمناسبة ساذجة أو بغير مناسبة، ويتحامل بعضهم على بعض، ويسخر منه في كلام رقيق، وصفاء لا يشعر بحقد، وسذاجة تشبه سذاجة الأطفال. حتى تنحل الندوة وقد قضوا سويعات سعيدة، سمعوا فيها الشعر الجميل، وأنشدوا فيها الرقيق من النظم وتعاطوا هذا الشعر المرتجل الذي يجري على ألسنتهم من غير كلفة، وأفرغوا في بطونهم شيئاً من هذا المايع والجامع الذي يدار عليهم.

ويضيف الشيخ الآصفي: ان في هذه الندوات سلوة للروح، وترويح عن النفس، وغذاء للفكر، وفيها يجد الشعراء مجالاً خصباً للمباراة الشعرية، والناشئون مدرسة للتدريب ولتنمية مواهبهم الشعرية، وانعقاد هذه الأندية، بهذه البساطة المتناهية، والسذاجة، وما يشيع فيها من الصفاء والخفة، من خصائص مدرسة النجف»[١].

وفي مجلس جمع المرحوم السيد الحبوبي والشيخ محمد حسن كبة والمرحوم الشيخ جعفر الشرقي وغيرهم، ولم تدر بينهم بعد أقداح القهوة العربية حتى حمي وطيس المحاورات والسجالات الأدبية، فأنشأ الحبوبي مرتجلاً في القهوة مخاطباً ساقيها:

فدع عني السلافة ليس شيء أعل لعلتي من شرب قهوه
أدرها وأسقنيها لا دهاقاً ولكن حسوة من بعد حسوه

فعارضه المرحوم الشيخ محمد حسن كبة مفنداً رأيه ومرتجلاً بقوله:

فوا عجباً لمثلك أريحيا يشف لطافة ويروق قهوه
يبيع سلاف ريقتها المصفى بآجن مرةً تدعى بقهوه

١ . الآصفي، محمد مهدي، الشيخ محمد رضا المظفر، وتطور الحركة الاصلاحية في النجف: ٣٩ ـ ٤٠.

عــلى ان الســلاف ومــا عــداهـا　　فــمن كــرمٍ لتــعطى الروح نشــوه
وتــلك وويــل تـلك ومـن حسـاها　　تـــزيد مـــلالة وتــزيل شــهوه
هـــلم نـــحكّم الخـــرّيت فــينا　　فـــذاك الســيف لا تــعروه نــبوه

وقد قصد بالخريت الشيخ جعفر الشرقي فانتفض الشيخ كـالأسد وأبـدىٰ حكـمه مرتجلاً بقوله:

عــجبت وانــتما مــاء وخــمر　　قـــد اســترعيتما در الأخــوه
فكــيف يــبين بــينكما خـلاف　　بشــرب ســلافة راقت وقــهوه
عـــذرتكما عــليه وكــل صبّ　　تــميل بــه لمـن يـصبيه صـبوه
أجل والشرك في المحبوب شرك　　ابــته غــيرة حــمدت ونــخوه
ولكـــــني إذا حكـــمتماني　　ســعيتُ لذاك بـين صـفا ومـروه
فــان تكـن السـلافة فـهي روح　　وجدت لروحـها فـرحـاً ونشـوه
وان تك قــهوة بـالمسك فـاحت　　فــمن يــده وان مــرت لحــلوه
ومــا ذهب الســواد لهـا بشــيء　　فـان الخـال زاد الخـد حـظوه[1]

دوافع بَعث الشعر النجفي

امتازت مدينة النجف عن باقي المدن المقدسة والمدن العراقية الأُخرى، بل حـتى المدن الّتي احتوت على الجامعات الدينية مثل الزيتونة في تونس والأزهر فـي القـاهرة، بكثرة شعرائها وأدبائها، حتى قال فيها الشاعر نزار قباني متساءلاً: «لماذا تمطر سماء النجف ٥٠٠ شاعر في الدقيقة ولا تمطر سماء جنيف سوى ساعات أو ميغا وحليب نيدو سـريع

١. الآصفي، مصدر سابق: ٤٠ ـ ٤١.

الذوبان»[1] اذن فلابد ان تكون هناك بواعث وعوامل ساهمت على نشوء هذه الظاهرة. ومنها:

١. طبيعة المناهج الدراسية في الحوزة العلمية، وغالباً ما تتضمن هذه المناهج الشواهد الشعرية والرجز الذي يكفل نصوص المتون وبالأخص في مرحلة المقدمات لما فيها من دروس النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والاطلاع على اللغة وعلومها وآدابها، وهذا ما يجعل من الطالب الحوزوي مهتماً أو متعشقاً للشعر دون ان يعرف السبب الذي حداه له.

٢. التطور الفكري يصاحبه بالطبع تطور في الأدب كماً ونوعاً. ولذا نجد مصاديق عديدة في هذا الجانب فقد مارس الكثير من الشعراء لوناً أدبياً متجدداً متماشياً مع حركة التطور كاسراً طوق الأسلوب التقليدي في النظم الذي اعتاده رجال الأدب في النجف، بعد ان يجد الشاعر المجدد فضاءً أوسع من فضاء القصيدة الكلاسيكية الّتي تحتم عليه الانقياد للشكل البنائي الذي قد لا يبدع فيه .

٣. المناسبات: اهتم النجفيون كثيراً بالاستغلال الأمثل للمناسبة، وما أكثرها في النجف، فبالاضافة إلى مناسبات الأئمة عليهم السلام من ولادة ووفاة، هناك مناسبات الزواج والأفراح ومناسبات التأبين على أرواح الموتى للشخصيات العلمية والاجتماعية البارزة. في كلّ هذه المناسبات لم يكن سوى الشعر الوسيلة الّتي يعبر بها صاحبها عن مكامن احاسيسه ومشاعره، وهذا مما يدفع الحماسة في نظم الشعر عند الآخرين من الحضور. سيما وأن المناسبة لن تنتهي بوقتها، تبقى أصداء ممن شارك في نظم القصائد والحديث عن قوة هذه القصيدة أو تلك، وهذه أيضاً ميزة تدفع الآخرين في اظهار قابلياتهم الأدبية أمام حشد من الحضور الذين لا يخلو بطبيعة الحال من العلماء والأدباء الكبار وهذا ما يحتاجه

١ . عدنان الصائغ، البرق والغابة دراسة (مداخلة) ضمن كتاب (النجف الأشرف... اسهامات في الحضارة الإنسانية): ٢ / ١٤٧ .

الطالب في ابراز قوة شخصيته وقابلياته أمام أساتذته والمحيط الذي يحتضنه.

٤. وجود العطل الأسبوعية في نظام الدراسة الحوزوية، وهذا ما يشجع الطلبة للسفر خارج مدينة النجف وعقد الجلسات الأدبية الّتي يتبارى فيها الشعراء، يذكر ان يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع تُعطل فيهما الدراسة الحوزوية جرياً للعادة منذ عهد العلامة الحلي التعطيل في هذين اليومين لما كان يعتقده بضرورة زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الخميس.

٥. التقليد: يحاول الطالب تقليد أستاذه في أغلب صفاته، طالما الأستاذ يُعرف عنه بالسلوك القويم والحكمة الّتي تسري على لسانه وترجمتها إلى أبيات من الشعر وهو ما يسمى بالشعر التعليمي في تجسيد الاخلاق الفاضلة، وهذا النوع هو أكثر أثراً في النفس لاتصاله بواقع من الفضيلة الّتي يحب الاتصاف بها كُل عاقل يميّز بين الخير والشر.

٦. المنافسة: وقد يُطلق عليها البعض (الأنانية)، وهي من الدوافع الّتي لها أثرها القوي في محيط النجف، فالتنافس مع زملائه في قرض الشعر وأحياناً يعلو هذا التنافس فيَصِل إلى مطاولة استاذه وهذا ما يُنمي ويقوي ملكة الشعر عند الطالب.

٧. كثرة تناول الشعر في (البرانيات) العلمائية والأدبية اضافة إلى وجود المنتديات والملتقيات الأدبية مثل رابطة الأدب اليقظ والرابطة الأدبية، وجمعية التحرير الثقافي وغيرها.

٨. بيئة النجف ومحيطها المُحافظة والمتزمتة، الّتي لم يوجد فيها أي وسيلة ترفيهية مثل المسارح والسينمات وأماكن اللهو. فكانت ولا تزال بيئة خانقة لا يستطيع المكوث فيها من لا يكن همه وشاغله طلب العلم والمعرفة والأدب. ولذا يجد النجفي في الشعر متنفساً للترويح عن ذاته.

٩. امتازت النجف بهيكلية نظام عمراني فريد، فشوارعها ـ غير الرئيسية ـ لا يتعدى عرضها أكثر من مترين وأحياناً أقل بكثير وتلاصق بيوتها بعضها على البعض الآخر، وغالباً ما كانت تُسمع أصوات الجيران، فينشد أحدهم قصيدة بصوتٍ عال وآخر يتمرّن على قراءة المصيبة الحسينية، وآخر ينشد لحناً لطمياً وغيرها. فينشأ الطفل النجفي مستصحباً في ذهنه الطفولي هذه الأصوات الشعرية المموسقة، فيمارس نفس الدور. سواء كان ناظماً لقصيدة أو مقلداً لخطيب أو (رادود).

١٠. الأدب الحسيني، من الأمور الملازمة للمنبر الحسيني هو الغرض الشعري في وصف الملحمة الحسينية أو الاستشهاد به، وما أكثر المجالس الحسينية التي تعقد في النجف، وقد كانت هناك مجالس يطلق عليها مجالس (العادة) وهو ان يلتزم بعض علماء الدين يوماً في الأسبوع لقراءة التعزية، وبشكل عام فان الشعر الحسيني يمتاز بالحماسة وتدفق العاطفة وهذا مما يترك في السامع بلاغة الشعر في الوصف، وأثر الشاعر الذي ترسخ وانطبع اسمه في ذهن المتلقي لما أجاد به من وصف أحداث الملحمة الحسينية، وهذا مما يخلق الانبهار لكون اقترن اسم الشاعر بحدث المصيبة الحسينية، وبحد ذاته شرف عظيم للشاعر.

١١.قديما، كان القليل من النجفيين ممن تعتليه رغبة السفر خارج المدينة إلى المحافظات الأُخرى أو إلى خارج العراق، ففي كُلّ الأحوال يقتصر سفرهم إلى مدن العتبات المقدسة أو إلى بعض أرحامهم وأقاربهم في المناطق الوسطى والجنوبية وتكاد تكون مرةً واحدة أو مرتين على الأكثر في كُلّ حياته. فكان معظمهم يولد ويموت فيها ولم يخرج منها، فلم يكن يومذاك ما يشجع على السفر، حيث كانت وسائل النقل بدائية وغير متطورة، أما السفر إلى خارج العراق فقليلٌ منهم من كان يغامر بهذه المهمة، ومن استطاع المغامرة، فقد طبع على أدبه شيئاً مما رآهُ في أسفاره وغالباً ما كانت البلدان الّتي يسافرون إليها ايران، والهند والباكستان وسوريا ومصر.

١٢. الحالة الإرتجالية. تميّز القليل من شعراء النجف بقول الشعر ارتجالاً، وهذه الميزة لها وقعٌ عظيمٌ في نفوس السامعين.. وهذا ما يحفّزهم على التنافس في قول الشعر ارتجالاً ويحفز ـ أيضاً ـ الآخرين على الارتقاء بقابلياتهم لمستوى هذا النوع، ومن اعلام هذه الميزة هما الشاعران الشيخ جواد الشبيبي والشيخ عبد الحسين الحويزي.

١٣. الكثير من علماء الدين والأدباء هم ممن نزح أجدادهم وآباؤهم من المناطق الريفية في الجنوب العراقي فبقي الكثير منهم محتفظاً بالكثير من العادات والتقاليد الريفية الّتي لم يفارقهم التغني والتمجد بها، ولذا نرى ان الأدب الشعبي شائعاً في أوساطهم رغم أنهم بلغوا من قول الشعر الفصيح ما يؤهلهم للوقوف مع الطليعة الأولى لأعلام الأدب، وهذا النزوح لا يعني بالضرورة انقطاعهم عن عشائرهم، فهم في حالة تواصل مستمرة، وإن لم يخرجوا من النجف إلا نادراً، فكانت عشائرهم تأتي إلى زيارة الإمام علي عليه السلام باستمرار وكانوا يقتدون بهؤلاء الأفاضل في الرأي والدين ومواصلتهم بإيصال الحقوق الشرعية إليهم فضلاً عن تكفل العشيرة مادياً لابقاء هذا الفريق العلمائي وانصرافه إلى كسب العلم والأدب، وعلى كُلّ حال فالربط الذهني ومقاربة الشعر من الأسباب المؤكدة في ضمان هذه الصلة. ولذا نرى الكثير منهم من بقي يزاول نظم الشعر العامي، فالدارمي والأبوذية أساليب نظميّة قصيرة وبليغة ومعبّرة فضلاً عن ممارسات الوان أُخرى مثل الموال والموشح. ومن الأدباء الذين يمارسون هذا اللون بين الحين والآخر، هو السيد محمد سعيد الحبوبي رحمه الله والسيد محمود الحبوبي، وعلي زيني، وصادق الفحام وموسى الطالقاني والسيد باقر الهندي فمن قصيدة شعبية نظمها السيد محمد سعيد الحبوبي رحمه الله على لسان جار قد أضاع دجاجة، هاج ضياعها منه أشجانه، يقول في مطلعها:

يا حلال المنّي راح

يــــا حــــلال الراح مــــني　　　أيست وانگـــــطع ظـــــني

عگب عـــينچ مـــا حـــلّني آه يــــا وجـــــه الفــلاح

وليس بالشيء الغريب ان يمارس كبار الشعراء هذا اللـون الشـعبي، فـقد مـارسه الشاعر الكبير (الياس فرحات) والشاعر المبدع (أحمد رامي)، وغيرهم.[١]

١٤. المعارك الأدبية: اشتهرت النجف بعدّة حلبات للمعارك الأدبية (الملحمية) ان صح التعبير وقد زادت على العشرة. ومن اشهرها (معركة الخميس)، فكانت نـجفية بـحته ومن أشهر أعضائها:

١. السيد مهدي بحر العلوم، ٢. الشيخ جعفر صادق كاشف الغطاء، ٣. محمد الشيخ يوسف، ٤. السيد محمد زيني، ٥. محمد رضا النحوي، ٦. حسين نجف الكبير، ٧. السـيد صادق الفحام، ٨. السيد أحمد العطار، ٩. علي زيني، ١٠. محمد علي الأعسم، ١١. محمد رضا الأزري، ١٢. ملا يوسف الازري، ١٣. السيد إبراهيم العطار، ١٤. مسـلم بـن عـقيل الجصاني، ١٥. السيد أحمد القزويني[٢].

١٥. ليالي رمضان:

من المجالس العامرة إلى ساعات السحر فـي شـهر رمـضان. كـانت النـجف مـن مدن العراق التي امتازت بإحياء هذه الليالي في مجالس العلماء والفقهاء والأدباء وبعد ان يغلب الطابع الأدبي على حديث المجلس الذي يتناول في البدء حديثاً عـلمياً فـي الفـقه والأصول، وقلّ أن يكون هناك فقيه أو ناسك أو حكيم وهو لا يتذوق الشـعر. فـضلاً عـن الحوارات والنقاشات الأدبية الّتي تصقل التجربة الشعرية عند هذا الشـاعر وذاك الأديب، فلا يخلو المجلس من حوار نقدي تعالج فيه الكثير من الأمور الفـنية وطـبيعة الاغـراض الشعرية.

---

١ . جعفر خليلي، هكذا عرفتهم: ٣ / ٢٩ في ترجمة محمود الحبوبي.

٢ . علي الخاقاني، شعراء الغري: ١ / ٢٧، طبع مكتبة المرعشي النجفي ايران، قم .

١٦. ومن الأمور الّتي تبعث على قول الشعر، الالتفاتات الفنية في وصف الطبيعة الخلابة على نهر الكوفة ومشاهدة الماء والزرع والأصوات الرقيقة، وقد نظمت العديد من القصائد وسميت بالقصائد المائية.

وهي أن يشترك أكثر من شاعر بعد تعيين الوزن والقافية، فيغوص تحت الماء وإذا تعسرت عليه القافية يبقى زمناً طويلاً تحت الماء حتى يستحضرها فيخرج وهو ينشد بيته.

ومن أشهر هذه الجماعة ذكراً ـ كما يقول الخاقاني ـ الشيخ جواد الشبيبي والشيخ هادي عباس كاشف الغطاء، والشيخ أقا رضا الأصفهاني، والسيد علي العلاق.(١)

١٧. أدب التأريخ وأدب الجدران:

أدب التاريخ، هو من الألوان الشعرية الّتي يصعب نظمها لكُلّ شاعر، لانه يعتمد على قاعدة (ما يكتب يُحسب)، ويقوم على أشطر وجمل تتكون حروفها من (أبجد واخواتها) فجعلوا لها مصطلح خاص بالعدد، وهو عادةً ما يمارسه الشاعر في تسجيل تاريخ الحدث من وفاة أو ولادة أو بناء مؤسسة وغيرها. وقد أجاد فيه الشيخ علي البزي والسيد محمد الحلي والاستاذ كاظم الخطاط. ومن أبرعهم الشيخ البزي حيث كان ينظم التأريخ ارتجالاً وهذا مبلغ العجب على قول الخاقاني (٢).

أما أدب الجدران، فهو عادة ما يكتب على الجوامع والمدارس والمعابد والجمعيات وعلى المقابر الّتي ضمنت الصلحاء والفقهاء وبهذا الخصوص نستعرض ما قاله الاستاذ عبد الغني الخليلي في مذكراته عن النجف يوضح فيها شغف أحد النجفيين من أصحابه بهذا اللون، فيقول: «كان صديق يعمل منذ صباه مع أسرته في عمل حفر القبور، وكان

١ . الخاقاني: م. س: ٢٨.
٢ . الخاقاني: م . س: ٢٠ .

كلما مَرّ بقبر ووجد على شاهدته أبياتاً من الشعر دوّنها في مجموعته، وبمرور السنين ولكثرة ما دوّن وحفظ من هذا النوع من الشعر أصبح شاعراً ينظم البيتين أو الثلاثة حسب ما تتسع شاهدة القبر ويفرغ فيها كل حزن المفجوعين بعزيزهم، وكنا نطلق عليه شاعر القبور» (١).

ومن أدب التأريخ نستعرض بعض أشعار الشيخ علي البزي،

١. أرخ عام نشر البث التلفزيوني من الاذاعة العراقية عام ١٣٧٥ هـ فيقول:

عهد الاذاعات عهدٌ أضحى ... سامٍ على سالف العهدين

مذيعها بابتهاجٍ أمسى ... أرخ (يُذيع بتلفزيون)

٢. أرخ عام إنشاء جسر الكوفة الحديدي في عام ١٣٧٤ هـ.

هذا طريق مستقيم جديد ... يمشي القريب فوقه والبعيد

بفيصل الثاني وفي عصره ... جدد للكوفة عهداً مجيد

فافخر بملك جاد تأريخه ... «لكم بجسرٍ ثابتٍ من حديد»

٣. أرخ قيام ثورة تموز عام ١٩٥٨ م

بوثبة الجيش بتموز قد ... تحطم استعمار عهدٍ وخيم

وأنقذ الشعب من الظلم في ... رعاية الرئيس والزعيم

فالق العصا إن رمت تصدع بها ... أرخت «فالمنقذ عبد الكريم»(٢)

---

١ . مذكرات عبد الغني الخليلي / مجلة الموسم العددان (٢٣ ـ ٢٤) ١٩٩٥ م ـ ١٤١٦ هـ: ١٦٩ ـ ١٧٠.

٢ . أنظر العديد من المواقف والأحداث الّتي سجلها مؤرخاً، مجلة الموسم العدد (١٦) ١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ: ٣٤٣ ـ ٣٦٦.

المنبر النجفي والملحمة الحسينية

نود قبل الوقوف على بعض الشخصيات النجفية [١] الّتي مارست عطاءَها في رفد الملحمة الحسينية، وتطوير مستلزماتها من الخطابة والقصيدة الشعرية واللطمية... نودّ أن نتعرض لبعض الأعلام القدامى الذين أسسوا هذه الملحمة وساهموا في تطويرها، ومنهم:

الشاعر أبو عبد الله جعفر بن عفان وهو من شعراء الكوفة وكان مكفوفاً توفي عام ١٥٠ هـ عاصر الإمام الصادق عليه السلام، وأنشد بحضرته شعراً ينعى فيه الإمام الحسين عليه السلام. ومن أشعاره:

ألا يا عين فأبكي الف عامٍ ... وزيدي إن قَدَرتي على المزيدِ
إذا ذُكر الحسين فلا تملّي ... وجودي الدهر بالعبرات جودي
فقد بكت الحمائمُ مِن شجاها ... بكت لأليفها الفرد الوحيدِ
بَكَين وما درين وأنت تدري ... فكيف تهمُّ عينُك بالجمود
أتنسى سبط أحمد حين يُمسي ... ويُصبح بين أطباق الصعيد[٢]

وأيضاً السيد الحمِيَري، ابو هاشم اسماعيل بن محمد بن يزيد بن وداع الحميري. استأذن الإمام الصادق عليه السلام فأمر الإمام عليه السلام بإيصاله وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل السيد فسلم وجلس، فاستنشده فأنشده قوله:

---

١ . هذه الدراسة اهتمت ببيئة ومحيط النجف الأشرف لانها مولد وصبا وشباب الشيخ الوائلي رحمه الله ولذا جاءت هذه الدراسة منحصرة على هذه البيئة وهذا المحيط، وإلا ففي العراق بأجمعه اعلام كبار رفدوا المنبر الحسيني بالخطابة والنشيد الحسيني والقصيدة الحسينية .

٢ . الأمين، محسن، اعيان الشيعة: ٤ / ١٢٨ .

أُمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة
يا أعظماً لازلتِ من وطفاء ساكبة رويّه
مالّذ عيشٌ بعد رضّكِ بالجيادِ الأعوجيّه
قبرٌ تضمن طيّباً آباؤه خير البريّه
آباؤه أهل الرياسةِ والخلافةِ والوصيّه
والخير والشيَم المهذّبة المطيَّبة الرضيّه
فإذا مررت بقبره فأطِل به وقْف المطيّه
وابكِ المطهّر للمطّهر والمطّهرة الزكيّه
كبكاء معولةٍ أتت يوماً لواحدها المنيّه
والعن صدى عمرَ بن سعدٍ والملمّع بالنقيّه
شمر بن جوشنٍ الذي طاحت به نفسٌ شقيّه
جعلوا ابن بنت نبيهم غرضاً كما تُرمى الدريّه
لم يدعُهُم لقتاله إلا الجعالةُ والعطيّه
لمّا دعوهُ لكي تحكَّمَ فيه أولادُ البغيّه
أولادُ أخبثِ مَن مشى مَرَحاً وأخبثهم سجيّه[1]

وأيضاً من الشعراء، سفيان بن مصعب العبدي الكوفي، من أصحاب الإمام الصادقعليه السلام روي عنه عليه السلام أنّه قال «يا معشر الشيعة، علّموا أولادكم شعر العبدي،

١ . شبر، جواد، أدب الطف: ١ / ١٩٨، وديوان السيد الحميري، جمع وتحقيق شاكر هادي شكر: ٤٧٠ ـ ٤٧٢ .

فإنه على دين الله»[١] ومن شعره في الحسين عليه السلام.

لقد هدّ ركني رزءُ آل محمّدٍ وتلك الرزايا والخطوبُ عِظامُ
وأبكت جفوني بالفرات مصارعٌ لآل النبيّ المصطفى وعِظامُ
عِظامٌ بأكناف الفرات زكيّةٌ بهنَّ علينا حُرمةٌ وذِمامُ
فكم حُرّةٍ مسبيةٍ ويتيمةٍ وكم من كريمٍ قد علاه حُسامُ
لآل رسول الله صلّت عليهمُ ملائكةٌ بيضُ الوجوهِ كرامُ
أفاطِمُ أشجاني بَنُوكِ ذوو العُلى فشِبْتُ وإني صادقٌ لغلام
وأضحيتُ لا ألتذُّ طيب معيشتي كأنَّ عليّ الطيّباتُ حرامُ
ولا الباردُ العَذبُ الفراتُ أُسيغهُ ولا ظَلَّ يهنيني الغداة طعام
يقولون لي صبراً جميلاً وسلوةً ومالي إلى الصبر الجميل مرام
فكيف اصطباري بعد آل محمّدٍ وفي القلبِ مني لوعةٌ وضرام[٢]

فضلاً عن شعراء آخرين أمثال عبد الله بن غالب ودِعبل الخزاعي، أما المنشدون والنّواح الحسينيون، فكانوا يقرأون الشعر ويلحنونه إنشاداً في رثاء الحسين عليه السلام وقد عاصر بعضهم الأئمة الأطهار عليهم السلام وقد اشتهر منهم:

١.أبو هارون المكفوف الكوفي.

٢. أبو عمار المنشد.

٣. أبو داود المُستَرِق.

---

١ . الامين، محسن، اعيان الشعية: ٧: ٢٦٧ .

٢ . الامين، محسن، اعيان الشيعة: ٧ / ٢٧١ .

٤. أحمد المزوِّق النائح.

٥. علي بن أصدق الحائري.

٦. عبد العزيز الشطرنجي.

٧. خُلّب النائحة.

٨. ذَرّة النائحة .[١]

لاشكّ ان التطور الفكري والحضاري ومثلما ساهما في تطور الأدب والشعر النجفي فقد رافقهما تطور آخر في الخطابة والمدائح النبوية والمآتم الحسينية والقصيدة الشعرية الدارجة وبلغتها الشائعة المحببة والهادفة. وللمنبر النجفي ميزته الخاصة المميزة عن باقي المنابرالحسينية الأخرى وهذا يعود بطبيعة الحال إلى المزايا الّتي فرضتها بيئة ومحيط النجف، كما سبق ذكرها.

فكان للمنبر خطباؤه الذين ساهموا في تطويره بعد ان تركوا عليه بصماتهم الواضحة، أمثال السيد صالح الحلي وتلامذته، كالسيد حسن القبانچي والسيد عبد الأمير القبانجي وحسن الشخص، اضافة إلى خطباء آخرين مثل السيد حسن شبر والسيد جواد شبر والشيخ محمد شريف ومسلم الجابري والشيخ محمد الكاشي والسيد باقر البهبهاني المعروف بـ(سليمون) وولده السيد صادق والشيخ جواد قسام والشيخ حسون سعيد (والد الشيخ الوائلي) والشيخ محمد علي القسام الملقب بـ(خطيب ثورة العشرين) والشيخ محمد علي اليعقوبي، وناصر البديري، والشيخ صالح الدجيلي، والسيد جابر الآقائي، وعبد الوهاب الكاشي، وسيد حميد جريو، وعبد موسى فخر الدين والشيخ هادي النويني والشيخ هندي النويني، والشيخ شاكر القرشي، والشيخ باقر الفيخرائي ، والسيد جاسم شبر،

---

١ . راجع التفاصيل عنهم في كتاب (دور المنبر الحسيني في التوعية الاسلامية) للشيخ محمد باقر المقدسي: ٩٢.

والشيخ عبود النويني، والشيخ جاسم النويني، ومهدي البديري، والشيخ كاظم السبتي وأولاده محمود سبتي، وعلي سبتي وحسن سبتي وهادي سبتي، وغيرهم ممن رفدوا مسيرة المنبر الحسيني وجعلوا له تاريخاً بثمرة عطائهم الثّر. وأما من الخطباء المعاصرين فلا يسعنا إلا أن نذكر اولئك الذين غيّبوا في طوامير النظام البعثي الأرهابي [١].

أما في مجال (الردات) الحسينية والمدائح والمآتم.

فقد نبغ بالنجف الاشرف العديد منهم (الروادي) وعلى سبيل الذكر لا الحصر، ملا فرحان وعبد الحسين الشماع والحاج ناجي وسيد حميد الحكيم، وسيد علاء سيد رجب الشكرچي والشيخ جاسم النويني وطالب المحتصر وعدنان الطيار وسعيد لوندري وحاج علي طاهر تجويدي وفلاح الصفار وسيد خضر أبو الحصران وسيد حمودي الفحام وفاضل الرادود، وعبد الرضا والشيخ وطن، ومن القدامى يقال السيد كاظم القابجي [٢] وجاسم البهبهاني وسيد طالب صلوات، و (خلف روضة)[٣] وسيد هاشم الشريفي [٤] وحسون الشيحان[٥] وحمودي ياسين شعبان وسيد فليح العوادي وسيد جواد النجار الحسيني [٦] وشيخ هادي بهلوان وعباس الزبيدي (الكوفي)، وشيخ نجم مذبوب وسيد حسن النجار ابو الجام البحراني، وموسى قاو، وعبد الرضا الشكرچي وشهيد أبو شبع، وجاسم النويني [٧].

أما في مجال نظم القصيدة الحسينية باللغة العامية، فمنهم الشاعر العريق عبد الله

١ . انظر مجموعة الاسماء في الملحق رقم ٣.

٢ . وجدت له ترجمة في مجلة الموسم العددان (٢٣ ـ ٢٤): ١٧٧ يعده صاحب الذكريات عبد الغني الخليلي من المغنين.

٣ . توفي رحمه الله وهو على المنبر الحسيني.

٤ . توفي عام ١٩٥٨ م.

٥ . اعدم من قبل البعثيين لكونه حسينياً.

٦ . اعدم من قبل البعثيين لكونه حسينياً.

٧ . خطيب ورادود حسيني.

الرّوازق، وعبد الحسين أبو شبع والحاج زاير، وحسين حمزة أمين، وعبود غفله وعبد الأمير المرشد وعبد الرسول محي الدين وعبد الحسين الشرع وعبد الامير الفتلاوي وعلي التلال، وملا عبد المحمد وحسين چوبان والشيخ هادي القصاب ومحسن چوبين وعباس ترجمان وحسين ترجمان والشيخ معين السباك، وكاظم ناجي، وحسين الأديب، وعدنان جدي، ورحيم شيخ عاشور وجواد شربه، وصباح أمين وإبراهيم شبع وسيد رشيد ابوالريحة ونزار أبو الريحة وشيخ جواد سبتي وحسين العمية والشيخ رحيم بن ملا عبدالمحمد، وهادي جباره، ومهدي المرشد، والشيخ باقر الايرواني والشيخ حمزة أبو نواص وشاكر محمود الحداد وشيخ حسين أمين وعلي الرماحي [١] وأيضاً من هؤلاء الشعراء من كان (رادوداً) حسينياً.

كماعَرفَتْ النجف السيد خضر القزويني الذي كان شاعراً وقارئاً للمدائح والمآتم وخطيباً للمنابر الحسينية، وقد عُرف بحسن الصوت وإلمامه بالأدب والتأريخ العربي والاسلامي وكان يقرأ الشعر فصيحاً أو عامياً بطريقة مُنغَّمة كما جرت العادة سابقاً لغرض استدرار الدموع والبكاء على مصيبة الحسين عليه السلام، وينقل معاصروه: إن لعذوبة صوته وطريقته في اللحن وضبطه للإيقاع كان بعض رجال الدين يغادرون مجلس العزاء لمجرد صعوده المنبر، وقبل أن يشرع بالقراءة وذلك خوفاً من أن يمتلكهم الطرب، وقد مات هذا الرجل شاباً بمرض السل.

وبشكل عام ان الأسباب التي أدت إلى بعث الشعر في النجف هي نفس الأسباب (بلا شك) الّتي أدت إلى بعث هذا الكم والنوع من الخطباء والشعراء والرواديد، فضلاً عن العراقة الحضارية للنجف والّتي تمتد إلى أكثر من ألف عام وتميز أهلها بلغتهم العربية لغة القرآن ومعرفة علومها وآدابها اضافة إلى قرب النجف من مدينة الكوفة صاحبة الملحمة والعزاء الأكبر وأيضاً ما قام به افاضل العلماء من جهود وفعاليات في إغناء الملحمة

١ . أعدم من قبل النظام البعثي وكان شاعراً حسينياً ثائراً وناقداً موجعاً للبعثيين. ونظم الشعر الفصيح أيضاً .

الحسينية سواء كان خطابةً أو شعراً أو قراءة المقتل وكتابة تاريخ الطف وفصول المآساة والتعقيب عليها امثال: الشيخ محمد حسين الغروي الأصبهاني ـ الكمپاني ـ صاحب الأدب والشعر الرائق والشيخ جعفر الشوشتري صاحب «الخصائص»، والشيخ المفيد فخر الطائفة، والسيد محمد تقي آل بحر العلوم والشيخ محمد علي الأوردبادي والسيد محسن الأمين العاملي والسيد رضا الهندي والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبد المهدي مطر والشيخ عبد الحسين آل صادق والشيخ محمد تقي آل الجواهر فضلاً عن الأوائل أمثال الشريف الرضي والإمام الشافعي والامام أحمد بن حنبل .

إلى هنا نكتفي بهذا المقدار من العرض السريع لتأريخ النجف كمدينة وكحاضرة علمية دينية وقد ركّزنا أغلب اهتماماتنا على الأحداث التأريخية منذ بدايات القرن العشرين وبالأخص للجانب السياسي من هذه الدراسة (المدخلية)، ثم ركّزنا على أعلام النجف في مرحلة أواسط هذا القرن. وقد تركنا أحداثاً ومواقف كثيرة مراعاةً لحجم الدراسة الكلية لهذا الكتاب .

الفصل الأوّل

الشيخ أحمد الوائلي سيرة ذاتية

سيرته:

خصال نادرة:

مفهوم السياسة عند الوائلي:

مواقفه السياسية:

قراءة في مؤلفاته:

نسبه وولادته:

هو الشيخ أحمد [(١)] بن الشيخ حسون بن الشيخ سعيد بن الشيخ حمود الليثي، الوائلي، النجفي.

اما تأريخ ولادته، فقد أُختلف في تحديد العام الذي ولد فيه:

١. في معجم رجال الفكر والأدب في النجف للدكتور الأميني حدده في ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م.

٢. في المنتخب من اعلام الفكر والأدب للفتلاوي حدد في ١٣٤٢ هـ.

٣. في ملف الموسم العدد (٢ ـ ٣) ١٩٨٩ م حُدّد في ١٣٤٧ هـ.

٤. في شعراء الغري للخاقاني حُدّد في ١٣٤٢ هـ.

٥. وفي لقاءٍ معه ﷺ في مجلة (آفاق حسينية) بعددها الأول ١٤٢٢ هـ وحسب قوله حُدّد في ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٧ م. في حين انه كان عند أفتتاح كلية الفقه عام ١٩٥٨ م كان من كبار الخطباء، فليس من المعقول أن يكون من كبار الخطباء وهو ابن عشر سنين! ثم أكد

---

١ . جرت العادة عند المؤمنين، أن يلجأ الآباء إلى القرآن الكريم لاختيار أسماء أبنائهم (ذكوراً وإناثاً) تيمناً بكلام الله تعالى ولما بُشِّر الشيخ حسون (والد الخطيب الوائلي)، قرأ المأثور من الدعاء وفتح القرآن، فاذا بالآية الكريمة «ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد...» سورة الصف: ٦١ / ٦ فأسماه أحمد. وهو نفس اليوم الذي ولد فيه الرسول ﷺ ١٧ ربيع الأول على رواية.

هو ﷺ أنّه في سن (١١) أو (١٢)ولج إلى ميدان الخطابة. والأرجح ان ولادته كانت في عام ١٣٤٢هـ. كما جاء في شعراء الغري وكتاب خطباء المنبر للشيخ حيدر مرجان الذي حدّده بعام ١٣٤١ / ١٩٢٥م في الطبعة الأُولى منه، كما ان هناك وثيقة نشرتها مجلة الموسم في عددها (١ ـ ٢) ١٩٨٩م وهي رسالة بعثتها لجنة التأبين الحسينية في ناحية المجر الكبير إلى مجلة البيان النجفية نشرتها في سنتها الأولى وعددها الخامس عشر من عام ١٩٤٦م وكانت تشير إلى ان الشيخ كان يرتقي المنبر بشكله الرسمي منذ الأربعينات الميلادية مما أعجب الكثير من الناس بأسلوبه الجديد المميز، ثم انه عام ١٩٤٦م / ١٣٦٢هـ كان ﷺ من مناصري فكرة معهد الخطابة الّتي ارتأىٰ فكرتها الشيخ محمد رضا المظفر، وكان حينها خطيباً ملحوظاً في وسطه، وسجل بخط قلمه الشريف هذا الحدث الذي كاد أن يُنهي منتدى النشر بكامل مشروعه، كما جاء ذلك في كتابه (تجاربي مع المنبر)[1].

وفاته:

توفي ﷺ في مدينة الكاظميّة المقدسة في بغداد، يوم الأثنين ١٤ جمادي الثانية ١٤٢٤هـ/ ١٤ تموز ٢٠٠٣م وحمل جثمانه في يوم الثلاثاء إلى كربلاء ثم النجف ودفن في إحدىٰ غرف صحن العبد الصالح كُميل بن زياد، وكان قد عاد من مهجره (دمشق) إلى العراق بعد سقوط النظام العراقي ولم يلبث فيه إلّا عشرة أيام، وقدّر عدد المشيعين بأربعة ملايين شخص.

---

١. الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ١٤٤.

أُسرته:

الليثي ـ بفتح اللام وسكون الياء ـ نسبة إلى ليث بن كنانة [١] وهي من القبائل العربية المعروفة والمنتشرة فروعها في كثير من المحافظات العراقية، وبالأخص في ناحية الحمّار من قضاء سوق الشيوخ ويعرفون بآل حطيط، وأيضاً في قضاء الحي ويعرفون بآل باش أغا، كما ان لهذه القبيلة فروعاً تتصل بالموصل وبلاد الجزيرة العربية، وقديماً كانوا زعماء البطائح بين محافظتي البصرة والكوت، وقد كانت لهذه القبيلة التأريخية ولاية سميت (البطيحة) قبل القرن الخامس الهجري وبعده، ومن زعماء هذه القبيلة التأريخية أبو علي بن أبي الجبر الليثي الذي كان زعيماً في بعض نواحي البطائح، وقد عصى أيام (طغرلبك) وهزم الجيش الذي أرسله السلطان لحربه، وبقيت أمارتهم إلى بعد عام ٥٥٦ هـ [٢].

وأما لقب (الوائلي): بفتح الواو وسكون الألف وكسر الياء تحتها نقطتان وبعدها لام، على أكثر الظن يعود إلى عدة قبائل تزيد على العشرة [٣] والواقع ان صلة (ليث) ببني (وائل) غير واضحة تماماً ولعل سبب ذلك يعود للأمور التالية:

١. لانهم يجتمعون مع وائل بالجد الخامس.

٢. لان أمهم ـ زوجة ليث جدهم الأعلى ـ بنت بكر بن وائل مباشرةً.

٣. لكون لوائهم موحّداً.

---

١ . ابن الأثير، اللباب: ٣ / ٧٤ القاهرة ١٣٦٩ هـ؛ السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب: ٢٣١ وراجع ابن القيسراني، الأنساب المتفقة: ١٣٣ .

٢ . أكثر أخبارهم في قسم العراق لابن الأثير: ج ٩ ـ ١٠ ؛ وعن الكامل لابن خلدون: ٤ / ٥١ ؛ زامباور: ٢ / ٢٠٩ وبالجملة فان الأخبار عن بني أبي الجبر قليلة جداً.

٣ . اللباب: ٣ / ٢٦١، والأعرجي: الفلك السائر، مخطوطالظاهرية الورقة ٧٤ / عن الموسم ص ٤٤٠ .

وعلى أيّ حال فان بني ليث هم عرب اقحاح، واثارهم، وتأريخهم، وأعلامهم تملئ الكتب. ويقول أحد الكتاب [١]: ان الشيخ الوائلي كانت تراوده فكرة إعداد دراسة عنهم تحت عنوان «منتجع الغيث في الصحابة والأعلام من بني ليث» ويؤكد الكاتب (المجهول) أنه بدأ بأوليات الموضوع عندما كان في العراق.

وحينما نقف على بعض اعلام الأُسرة الوائلية في النجف الأشرف دون غيرهم في نواحي العراق الأخرى نجد فيهم الكثير من العلماء والأدباء الذين يشار إليهم بالبنان وممن تركوا أنطباعات واضحة في الحياة العلمية والأدبية، ومنهم:

١. الدكتور إبراهيم الوائلي (١٣٣٢ ـ ١٤٠٨ هـ) يُعد من أساتذة الأدب العربي في العراق.

٢. إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الحسين الوائلي (ولد ١٩١٤ م) كاتب قدير وشاعر وأديب.

٣. عبد الأمير بن الشيخ علي بن محسن الوائلي (ولد ١٩٢٨ م)كاتب وأديب فاضل.

٤. محمد تقي بن الشيخ موسى بن عبود الوائلي (ولد ١٩٠٦ م) أديب وفقيه.

٥. الدكتور فيصل بنْ قاسم الوائلي (ولد ١٩٢٢ م) يُعدّ من علماء العراق وتولى منصب مدير الآثار العامة في بغداد.

٦. قاسم بن الشيخ محمد (ولد ١٩٠١ م) وكان من رجالات ثورة العشرين، ومن الأدباء.

---

١. نشرت مجلة الموسم في العدد المزدوج (٢ ـ ٣) س ١ (١٩٨٩ م ملف عن حياة الشيخ الوائلي، وللأسف لم تُشر المجلة إلى كاتب هذا الملف. وقد أرجح بعض الظن ان كاتب هذا الملف هو الشيخ ﷺ. والله العالم.

٧. محسن بن الشيخ علي بن حرج الوائلي (المتوفّىٰ ١٣٣٦ هـ) عالم فاضل زاهد عابد.

٨. باقر بن الشيخ محسن (المتوفي ١٣٥٤ هـ) من أهل العلم والصلاح.

٩. عبد الحسين بن محمد بن حرج الوائلي (المتوفّىٰ حدود ١٣٤٩ هـ) كان من الرجال الزهّاد العبّاد.

١٠. علي بن الشيخ محسن الوائلي (ولد ١٣١٧ هـ) من علماء النجف وأهل الوعظ والارشاد.

والده:

يقول الشيخ الوائلي عن والده: قضى نصف عمره يشتغل بتجارة الحبوب والتمور ويخرج إلى (الحيرة)[1] لشراء كميّات منها ووضعها في خان معد لذلك ثم يصرفها تدريجياً، وكانت حالته المالية لا بأس بها. وكان صهره ـ زوج عمتي ـ الخطيب الجليل المرحوم الشيخ محمد علي القسام[2] خطيب ثورة العشرين والمعروف بعدائه للانجليز، يرى في والدي القابلية الجيدة في ممارسة الخطابة، وكنت حينها اتمنى على والدي الانخراط بسلك الخطابة وخدمة الإمام الحسين عليه السلام فاتفقت مع المرحوم محمد علي القسام في التصدي لاقناعه بهذا الأمر وترك تجارة الحبوب، فاقنعه بذلك، وهجر هذه التجارة، وانصرف إلى المنبر، وكان كثير الحفظ ولوعاً بالتأريخ وواقعة الطف ومنكباً على استظهار

١ . منطقة جنوب النجف، وهي مملكة قديمة.

٢ . الشيخ محمد علي القسام زوج عمة الوائلي، عُرف بخطيب ثورة العشرين لمواقفه الجريئة ضد الأحتلال وهو من العلماء العاملين والخطباء الواعين والشعراء اللامعين وله عدة آثار، وله ترجمة اضافية في شعراء الغري: ١٠ / ٤٩، ونقباء البشر لاغا بزرك: ٤ / ١٤٢٦ وفيه ولادته ١٢٩٩ هـ، وآل قسام أُسرة عربية نجفية أصلها من قبيلة خفاجة، وبرز فيها كثير من الأعلام انظر معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٣٥١، وللشيخ الوائلي قصيدة رائعة في رثائه.

خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، يعيش مع شرح نهج البلاغة إلى منتصف الليل غالباً، حيث أراه وهو مُكبٌ على المطالعة، وإذا مَرّ بفقرة تهزّه يهتّز لها وينتشي ويكررها بلّذة، كما كـان شاعراً باللغتين الفصحى والدارجة وعندي ـ والقول للشيخ الوائلي ـ من شعره مجموعة لا بأس بها تركتها في مكتبتي بالنجف، والّتي لا أعرف ما بقي منها بعد أن عدا عليها العادون (يقصد بهم البعثيين).

ولد الشيخ حسون الوائلي ـ والد المترجم له ـ في مدينة النجف الأشرف، وتـوفّي فيها، درس مبادئ العلوم العربية والإسلامية واستطاع بنباهته وغناه وحسن حالته أن يطوّر نفسه ويتفرغ للمطالعة لينمي ملكته الخطابية، ويلاحظ ان وعيه السياسي بدأ بالظهور وقت اتصاله بآل قسام الذين كانوا من ألد أعداء الاستعمار البريطاني، فحسب عـليهم وسـاهم كخطيب بأداء واجبه الجهادي في الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ م. وكان شاعراً مقلاً له بعض القصائد في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وكانت جدة الشيخ حسون من (آل قفطان) ـ وهي من الأسر العلمية النجفية ـ الذين ينتسبون إلى بني سعد .

والدته :

هي الحاجة (بيبي) بنت الشيخ عواد بن محمد حسين بن الشيخ علي زيني النجفي، وآل زيني أصلهم من جبل عامل (لبنان) كما ذكر الشيخ محمد السماوي في بحثه عنهم [١] والشيخ علي زيني المذكور ـ جد والدته وهو الجد الأعلى للأسـرة النـجفية «آل جِـدِّي» الذين منهم الشيخ جابر والشيخ حسن آل جِدِّي.

وكان الشيخ علي زيني (المـتوفّىٰ ١٢١٥ هـ / ١٨٠١ م) مـن كـبار شـعراء النـجف باللهجة المحلية وهو صاحب (الموال) الشهير في النجف والذي يقول فيه:

---

١ . مخطوط في مكتبة الوائلي ـ بخط ناسخه السيد محمد صادق بحر العلوم / المـوسم، مـصدر سابق: ٤٤١ .

يا ميمر دوم غوجك على العدا حماي

وانت لنار الحرايب لو خبت حماي

ابات خايف بگلبي موجد وحماي

من حيث سيف العدا لگلوبنا ورّب

والصمت منا تخردل (ياعلي) ورّب

من شيعتك بيش عنك تعتذر والرب

سماك حامي الحمه وتريد الك حمّاي[١]

وقد أكد لي سماحة الشيخ باقر شريف القرشي [٢] بنوع القرابة مع الشيخ الوائلي من جهة أُمه، حيث ان أُم الشيخ القرشي هي بنت الحاج إبراهيم جدي شقيقة الحاج جابر جدِّي. وقد ذكر لي الشيخ القرشي سرّ توفيق ونجاح الشيخ الوائلي، كونه باراً بوالديه يقبِّل يديّهما ويقف على خدمتهما فضلاً عما يمتلكه من خصلة رائعة جداً لازمته حتى ايامه الأخـيرة، وهي صلته لأرحامه، وبالأخص عمته الّتي كان كثير الزيارة لها وخدمتها بكل ما تحتاجه والأدق حتى مساعدتها في شؤون منزلها.

طفولته:

لم نقف على شيءٍ منها في كُلّ ما كُتب عنه، ولم يصرح ﷺ حتى عن بعضها، ولكن نستشفها على العموم من قصائده الشعرية الّتي توضح انه كان يعيش في ظلّ اسرته، طفولة

---

١ . الموال، هو لون من ألوان الشعر الشعبي، وغالباً ما تختبر الشاعرية بكتابة الموال. فمن اجاد به فهو شاعر. ويكاد ينحصر هذا اللون في المناطق الريفية على الأغلب وحسب طبيعة البيئة .

٢ . في لقاءٍ لي معه في المؤتمر الثالث للجمعية العمومية للمجمع العالمي لأهل البيت المنعقد في طهران ١٢ ـ ١٥ شعبان ١٤٢٢ هـ. وهو من أبرز رجالات الحوزة العلمية في مجال الكتابة والتأليف وله موسوعات وبحوث عديدة معتبرة في الوسط الشيعي والحوزوي.

مرفّهة، ما تزال صورها في مخيلته، حيّة في ذاكرته، ماثلة في ذهنه، فيقول عنها:

سل الطفولة هل مَرّ الزمان على ... ألذ مـــنها ومـــن أيّـامها الأول
أيام نشتار من صبح يطلُّ عـلى ... ورد وليل على الألحان مـنسدل
نــظلُّ نـركب أحـلاماً مـجنحةً ... تطير فينا إلى الجـوزاء والحـمل
ونـرسم اللـيل سـعلاة بـاعينها ... جمر وجثتها السـوداء كـالجبل
وكــلنا نــتبارى فـي بـطولتنا ... إذا حكينا فما فينا سـوى بـطل
حتى إذا ما انتهينا من مـلاحمنا ... وأسـلمتنا حكـايانا إلى المـلل
عدنا إلى الرمل نبني منه أروقـة ... ونصنع الطين من خيل إلى إبـل
وقــد يــمرّ شـجار ثـم يـعقبه ... صلح وما ثَمَّ من غـلٍّ ولا دغـل
عواطف في نقاء الشمس ناصعة ... ما إن تعاملن في يوم على دخل
يـــااللطفولة نـــوّار وأخـــيلة ... مــزوقات وطـهر غـير مـفتعل

ومن أخرى:

عــهود الصبا يـا حـلوة إن ذكـرتها ... فــان شــفاهي مــن حـلاها تـفطرُ
وعـــهد الصــبا تــرنيمةٌ أريــحيةٌ ... تـــزوّق مـــن أحـــلامنا وتــعطرُ
فـــيا للـــصبا جــفت لدان غـــصونه ... وعـــاد يـــبيساً عــوده يــتكسرُ

نشأته ودراسته:

كُلّ شخصية ناجحة تترك آثارها العلمية بعمق، تختزن في ذاكرتها حـنيناً خـاصاً وشوقاً دافئاً لأيام النشأة والدراسة الأولى، ولم أجد عـالماً نـجفيّاً لم يسـتحضر ذكـرياته الاولى في جعلها اللبنة الأساسية للانطلاقة إلى عالم العلم والمعرفة والشهرة، بل وجدتُ

الكثير من غير العراقيين ممن تتلمذوا في حاضرة النجف العلمية يضع ذلك فاصلاً للارتقاء إلى عالم المجد، فقد أضفت هذه المدينة العريقة على حُضّارها عمقاً علمياً وتراثاً أزلياً لن يمُحيا من ذاكرة المخلصين والأوفياء لها.

والشيخ الوائلي هو واحدٌ من هذه الطبقة الألمعية معتزاً أشد الأعتزاز بها لما أحتضنته فاضلاً عزيزاً مكرماً، ففخر بها حين قال :

نجفي يا خميلةً في الفيافي ... وربيعاً يهتزُّ وسط محول
وتراباً معنبراً لستُ أرضىٰ ... عن حصاه نجمُ السَّما ببديل
يا مغاني العلا ويا مهبط الفكر ... ومحراب نابغاتِ العقول
يا مهادي الوثير يوم قدومي ... ووساداً أرجوه يوم رحيلي
نام فيه أبي وشيخي وإخواني ... جميعاً في ظلِّ حامي الدخيلِ

نشأ الوائلي في النجف على أبيه الشيخ حسون نشأة فاضلة، حظي فيها من العز والكرامة بالشيء الذي طفح في كُلّ ذكرياته عنها، قويت شوكته فمال إلى شدة الاعتداد بشخصيته وقويَ عنده الأمل بالمستقبل. فتفوق على جميع أقرانه بنباهة وذكاءٍ حادّين، وكان للحاضرة النجفية الفضل الكبير في نبوغه وتفتّح مواهبه واختيار منهجه .

ففي السابعة من عمره درس لدى الكتاتيب وحفظ القرآن الكريم وكان ذلك في مسجد الشيخ علي نوايه في سفح جبل الطمّة من محلة العمارة، وكان شيخه آنذاك الشيخ عبد الكريم قفطان، وبعد تعلمه القراءة والكتابة وقراءة وحفظ القرآن، بدأ دراسته بالشكل الأكاديمي الرسمي، بالاضافة إلى دراساته الحوزوية.فجمع بذلك الفضيلتين، واستفاد من التجربتين. ففي الدراسة الأكاديمية انهى المرحلة الابتدائية بمدرسة الملك غازي في النجف عام ١٩٥٢م ثم دخل متوسطة منتدى النشر، ثم كلية منتدى النشر، وتخرج منها بتفوق ومن اقرانه في هذه المرحلة:

صادق القاموسي، محد حسن آل ياسين، محمد رضا المسقطي، أحمد المظفر.

وعند تأسيس كلية الفقه عام ١٩٥٨ م انتسب اليها، وتخرج منها عام ١٩٦٢ م بحصوله على شهادة بكلوريوس في اللغة العربية والعلوم الاسلامية، ثم أكمل مرحلة الماجستير في نفس الاختصاص في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة بغداد، وكانت رسالته بعنوان (أحكام السجون) ثم تابع دراساته في (مصر) حيث درس في كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ونال منها درجة الدكتوراه عام ١٩٧٨ م عن اطروحته الموسومة (استغلال الأجير وموقف الاسلام منه).

كما انّه درس الاقتصاد في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية خلال فترة وجوده في القاهرة ايام اعداده لأطروحة الدكتوراه. ومن اساتذته في الاقتصاد: الدكتور علي لطفي ـ رئيس الوزراء المصري فيما بعد ـ.

وهنا لابد من الاشارة إلى ان الشيخ الوائلي حظي باهتمام واسع من الفئات المثقفة من العلماء والأدباء لسعة ثقافته وخُلقه السامي واجتماعياته الطيبة ومن بين الاعلام والاساتذة الذي أستأثر باهتمامهم: أحمد الحوفي، وعبد الحكيم بلبع، وتمام حسان، ومصطفى زيد، الذي أشرف على رسالته (الدكتوراه)، ومحمد علي السايس، وعبد العظيم معاني، وبدوي طبانه، وعلي الخفيف، وغيرهم.[1]

أما (مصر) فهي الأخرى أضفت عليه مجالاً رحباً في العلم والمعرفة، فان كان اعتزازه ووفاءه الأول للنجف، فلم تكن مصر بعيدةً عن وفاء واعتزاز وافتخار هذا الرجل المعطاء الوفي، فقد قضى فيها أياماً لا تنسى من ذاكرته بجهادها العلمي واللقاءات الأدبية المثمرة وعلى حدّ تعبيره: إن مصر هي لسان الضاد المعبر ومنبعها الثر، ووجه العرب المشرق، كما أشاد بها ضمن قصيدته الخالدة في استقبال الكاتب المصري عبد الفتاح عبد

١ . الموسم: مصدر سابق: ٤٤٤ .

المقصود (عام ١٩٧٧ م) في الحفل الذي أقيم على شرف الكاتب من قبل جمعية منتدى النشر التي كان يرأسها آنذاك الوائلي نفسه، قال ﷺ :

ومصر كفاءاتٍ وحشد مواهبٍ بكل مجالٍ رائع عندها جذرُ
ومصرُ من الفصحى لسان معبّر ومن غرر الأفكار منبعها الثر
ومهد حضارات تصدّى قديمها إلى حدثان الدهر فانهزم الدهرُ
ونضرها الاسلام فهي لوامع تموَّج في أبعادها النُّور والنَّورُ
ومصر وأرض الرافدين توائم وما توأم إلا لتوأمه شطر
يشدّهما عمق الحضارة موئلاً وينميهما للمجد من يعرب نجر
ومن فوق هذا شرعة الله وحّدت مسارهما فاستلحم الشفع والوترُ

أساتذه:

للأسف الشديد، دأبت العادة في تراجم أحوال الرجال المعاصرين، وفي مجال ذكر اساتذة الشخصية المترجم لها على أساتذة الوسط الحوزوي فقط دون أن يذكر بعض اساتذته من الوسط الاكاديمي الّذين مما لا شك فيه ان أساتذة الوسط الأكاديمي هم أيضاً من أهل الخبرة والذي يعتد بقابلياتهم العلمية والمشهود لهم حتى في الاوساط العلمائية، طبعاً هذا القصور فيما لو كان المترجم له ممن خاض في الفضيلتين، الحوزوية والاكاديمية.

ولكن كسراً لهذا العُرف، قد ذكرنا قبل قليل بعض أشهر أساتذة مصر الذين تتلمذ على يدهم فقيدنا الراحل الوائلي ﷺ يوم كان يخوض جهاداً علمياً واسعاً في مصر وهو يعد لاطروحته الدكتوراه ومزاولته لدراسة علم الاقتصاد أيضاً.

وأرى من الأمانة العلمية والصدق في الترجمة، لو توفرت لي اسماء اساتذته في دراسته الأكاديمية في مدرسة الملك غازي، لكان ذلك أشمل وأدق في دراسة أحوال

صاحبنا ﷺ، وتماشياً مع ما توفر من معلومات اساتذته الحوزويين ندرج أسماء بعضهم منذ قراءة مقدمات العلوم العربية والاسلامية وحتى مرحلة السطوح المرحلة المتقدمة في الدراسة الدينية لجامعة النجف الكبرى. وقد حظي ﷺ بجمهرة من هؤلاء الأساتذة الأجلاء ومنهم:

١. الشيخ علي ثامر: (ت ١٩٦٤ م / ١٣٨٤ هـ)، وهو من علماء النجف الأفاضل، ووالد الدكاترة: حسن، وأحمد ومحمود آل ثامر، وقد درس الوائلي ﷺ عليه المعاني والبيان وعلوم البلاغة، والشيخ علي هذا هو أستاذ الشاعر محمد مهدي الجواهري في علوم البلاغة[١]، وللوائلي قصيدة في رثائه تعبر عن شدة تأثره بفراقه، وعن علاقته الروحية العميقة به، فهو يقول فيه:

رسمتك في فكري فضاء بك الفكرُ ... ونحتك في شعري فجلّى بك الشعرُ

سكبت القوافي في رثاك من الشجى ... فمن لوعتي شطر ومن أدمعي شطر

حتى يقول:

رأيتُ الغنى فكراً يعيش وغيره ... وإن ملأ الآفاق من ذهب فقر

فما مات عيسى وهو يفترش الثرى ... ولا عاش قارون وأبوابه تبر

تهاوى رماداً ألف صرح ممرد ... وعاش على البردي في ألق سطر

٢. الشيخ عبد المهدي مطر: ولد (١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م) وهو من شيوخ الأدب والشعر واساتذة الفقه والأصول، والوائلي كثير الثناء عليه، توفي عام (١٣٩٥ هـ / ١٩٧٠ م)، وله ديوان شعر كبير معدّ للطبع وكتب أخرى أكثرها مخطوط[٢].

١. ديوان الجواهري: ١ / ٨٢ طبعة دمشق.

٢. راجع شعراء الغري: ٥ / ٩٧؛ معارف الرجال: ٢ / ٤٨؛ ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٣٥٧.

٣. الشيخ علي بن الشيخ محمود سماكه: (ولد سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م) وهو أحد العلماء والمجتهدين ومن اساتذة الفقه والأصول [١] توفي في الحلة عام (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م) وكان عالمها الأكبر ورافقه الوائلي لدى دراسته.

٤. الشيخ هادي بن شريف بن مهدي القرشي: ولد (١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م) كان عالِماً فاضلاً جليلاً من أجلاء المشتغلين والمدرسين [٢].

٥. السيد حسين يوسف مكي العاملي: (١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ـ ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) مجتهد وعلامة معروف، وهو والد الحجة العلّامة السيد علي مكي العاملي ـ عالم الشام ـ المعاصر.

٦. السيد محمد تقي بن السيد محمد سعيد الحكيم: ولد (١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م) من كبار علماء العراق المعاصرين، عضو المجامع العلمية بمصر وبغداد، من كتبه الشهيرة «أصول علم الفقه المقارن».

جميع هؤلاء الأساتذة (الستة) تتلمذ الوائلي عليهم في العربية وعلومها.

أما ممن تتلمذ على ايديهم في دراسة العقائد والفلسفة والمنطق فهم.

٧. الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء: ولد (١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م) عالم محقق من أئمة الجماعة في النجف [٣]، من كتبه: نقد الآراء المنطقية، والنور الساطع في الفقه النافع، وغير ذلك توفّي عام (١٤١١ هـ).

٨. الشيخ محمد حسين بن محمد المظفر: (١٣١٢ ـ ١٣٨١ هـ) من كبار علماء الإمامية ومؤلفيهم، من كتبه الشيعة والإمامة، الإمام الصادق، تاريخ الشيعة، وغيرها [٤].

---

١. مشهد الإمام: ٤ / ١٣٣.
٢. ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٦٧.
٣. له ترجمة في دليل الجمهورية العراقية: ٥٤٢؛ وماضي النجف وحاضرها: ٣ / ١٧٦.
٤. ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٢٧٠؛ شعراء الغري: ٩ / ٢٩١، طبقات اعلام الشيعة: ١ / ٦٤٦.

٩. الشيخ محمد رضا المظفر: (١٣٢٢ ـ ١٣٨٣ هـ) عاش ٦١ عاماً فقط فأصبح العلم والعلامة الجهبذ والمصلح الأكبر وهو من اعلام النجف الكبار ومن اساتذتها الذين برزوا في افكاره الاصلاحية، وبثَّ دعوته في داخل العالم الاسلامي وخارجه، حضر مؤتمر باكستان ١٣٧٦، ومؤتمر جامعة القرويين مراكش ١٣٧٩ وانتخب عام ١٩٦٣ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي، من كتبه الشهيرة: المنطق، وأصول الفقه، وما تزال تُدَّرس في الجامعات والمراكز العلمية في النجف وايران والهند وباكستان [1]، وكتاب أحلام اليقظة وحرية الفكر والاسلام وغيرها، وكان الوائلي من أشد المتأثرين بأفكاره الإصلاحية ورافقه في الكثير من مشاريعه ومواقفه واحداث حياته ونهضته، وكان خليفته فيما بعد في رئاسة منتدى النشر ـ المؤسسة العلمية الشهيرة في النجف والّتي سوف نأتي بذكرها لاحقاً على لسان الوائلي ـ وقد نظم الوائلي رائعه أدبية في رثائه، مطلعها:

أكبرتُ أمسك أن يأسى عليه غد ... ولم يزل يرفد الدُّنيا بما يلد

وأيضاً يقول فيها:

لا لن يموت نديٌّ منك مؤتلق ... بالنيّرات وللامجاد منعقدُ
يا أيها النبع ثرّاً في تدفقه ... أيام أغزر ما في دهرنا الثَّمد
(ستون عاماً) ضخاماً في حصائلها ... وأن تبدّى قصيراً عندها العددُ
ومن عطائِك فيه ألف باسقةٍ ... شوامخ في نداها للسَّما نُهُد
لا يأكل الترب روحاً منك خالدةً ... بل كُلّ ماللتُّراب الشلو والجسدُ

١٠. الشيخ محمد تقي بن الشيخ جواد الايرواني (ولد ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م) وهو من العلماء الأفاضل والفقهاء الأماثل.

---

١ . ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٢٧٤؛ شعراء الغري: ٨ / ٤٥١؛ طبقات اعلام الشيعة: ١ / ٧٧٢.

أما في النصوص الأدبية وتطوير قابلياته الشعرية فقد حضر لدى:

١١. الشيخ محمد سعيد بن سلمان المانع (ولد ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢١ م) وهو من الأدباء والشعراء المعروفين في الوسط النجفي ومن آثاره (أنيس الجليس في التشطير والتخميس). توفّي عام (١٣٩٢ هـ).

١٢. كما حضر في الحكمة عند الشيخ حسين زاير دهام (المتوفّىٰ ١٤١٢ هـ)[١] كما انه درس الفلك والهيئة لدى.

١٣. الشيخ جليل العادلي، أما في الرياضيات والهندسة فقد حضر عند.

١٤. السيد كاظم الحبوبي وفي الانجليزية حضر عند.

١٥. السيد كاظم كشكول

وفي الخطابة تتلمذ لدى نخبة من مشاهير خطباء عصره ومنهم:

١٦. السيد باقر (السيد سليمون).

١٧. الشيخ مسلم الجابري (المتوفّىٰ ١٣٨٢ هـ).

١٨. الشيخ محمد علي القسام (المتوفّىٰ ١٣٧٣ هـ).

١٩. الشيخ محمد علي اليعقوبي (المتوفّىٰ ١٣٨٥ هـ).

٢٠. تُوّج بالعمامة من قبل العلامة الشيخ محمد الشريعة. وهنا لابد من الاشارة لمنزلة العمامة، فقد كان العلماء سابقاً يُرشحون ويدعون لمن كان يليق ان يضعها على رأسه بعد ان يعرف عنه من قابليات علمية في قطع أشواط الدراسة الحوزوية وضبط مفاهيم مقدماتها وما يمتلكه من حسن الخلق ومكرمات الطباع والأدب.

فصيانة العمامة هي صيانة شعار مقدس، وجب على أهل التقوى والعلم والزهد مراعاة هذه العمّة، لئلا يعبث من يريد خداع عوام الناس والمتاجرة بها وبدين الله، فصونها

---

١ . الفتلاوي، كاظم عبود، المنتخب من اعلام الفكر والأدب: ٢٦ .

من الجاهلين والمحتالين هي واجب وشعار مقدس لحفظ هيبة الحاضرة العلمية ورجالاتها الصالحين، فبعد ان كان العلماء يرشحون من يتوسمون به المستقبل المشرق، نرى في أيامنا هذه يتلقفها ويتوج بها نفسه كُلّ من هب ودَّب جرياً وراء المنافع الدنيوية والأطماع الدنيئة فيشوّهوا بذلك صورة الدين لدى الناس، وفي هذا السياق يذكر الشاعر المرحوم محمد علي الحوماني ما يتوافق وهذه الحالة فيقول :

وأهوى العمائم تطوي على ... نهى راجح يذبلاً أو شماما
وأما إذا كوّرت والرؤوس ... بغير نهىً فاقرؤوها السلاما
ويقتلني منفق عمره ... على العلم يفنيه عاماً فعاما
ليصلح دنياه في دينه ... ويدعى بنا حجّةً أو إماما

وللوائلي ﷺ أبيات ناقدة بحق ممن تشبه بزي أهل العلم من وعاظ السلاطين وطلاب الدنيا، فينتقدهم انتقاداً مُرّاً وينعى على الحوزة احتضانها لأمثالهم، فيقول:

وفريق تيمموا عتبة الأسياد ... في حقل سيدٍ ومسودِ
ربضوا حولهم كما كان أهل ... الكهف فيه وكلبهم بالوصيد
لفظتهم شتى المجالات إذ ... ضاقت بهم بلاهة وجمود
فاستراحوا إلى التفيؤ با ... لحوزةِ أكرم بظلها المحدود
فاستراحوا فطاحلاً في شهورٍ ... واستطالوا هياكلاً من جليد
واستفادوا مضيرة وسمتهم ... بشعار في جبهة أو فود
فتبدى على الوجوه وسام ... فيه نور من الحياة السود
وتهامت سخية بركات ... من خداع فبئس دنيا القرود

الوائلي وعصره:

لعل من الأمور الّتي تصقل الشخصية الألمعية الناجحة هو ما يتوفر عليها العيش في بيئة ومحيط يساهمان في هذا الصقل. فالوائلي عاش في النجف الأشرف وهي من البيئات العلمية والثقافية الاسلامية العريقة، يقول الدكتور جواد علي الطاهر عن النجف هي «مدينة العلم الديني المنقطع النظير، ثم الأدب والشعر، وهي فيهما نادرة من النوادر وأعجوبة من الأعاجيب، يُعنى أهلها بقول الشعر وسماعه والحديث عنه عنايتهم بالمسائل اليومية من أكل وشرب، أنهم أدباء كما يتنفس المرء الهواء... ولا تسل بعد ذلك ـ عن الكتب والمكتبات، والأسر العريقة في العلم والأدب والشعر ومجالسها الخاصة والعامة، وما يُتلى من شعر في الأفراح والاحزان، وفي مآتم الحسين بن علي وما يتفاخر به الشعراء ويسمر به الناس... أن الشعر في النجف حياة وهو لدى ابنائها ولا أسهل منه أو أيسر أو أنه فيها كالماء والهواء استسهالاً واستعظاماً، جداً وهزلاً، وهو مجد كما هو مرتزق، وعلامة فارقة لا تكاد تضاهيها في بلدة أخرى في العالم العربي...»[١].

ومن خواصها الأخرى، كانت النجف متصلةً بالعالم الخارجي عن طريق الكتب والصحف والمجلات والّتي تردها بانتظام ومن مختلف البلدان كالعرفان والبرق من لبنان وألف باء ومجلة المجمع من دمشق والمقتطف، والمقطم، والهلال ثم الرسالة والثقافة، والكاتب المصري، كُلّها من مصر وكثير من صحف العالم العربي والاسلامي وكانت تلك تمثل زاد الثقافة العربية، [٢] فضلاً عن الكتب الحديثة والدواوين الشعرية الأكثر حداثةً كشعر شوقي وحافظ وإيليا أبي ماضي وفيها ما يناقض الفكرُ النجفي تناقضاً كُليّاً.

فقد كانت النجف ساحة قارئة لكل الأفكار حتى وصل بالبعض الذين ضاقوا

---

١ . مقدمة ديوان الجواهري: ١ / ٣ دمشق ١٩٧٩ م .

٢ . انظر مقدمة (الديوان)، مصطفى جمال الدين: ٢١ .

بالقديم وبلغ بهم الضيق الطرف الأقصى من رد فعل بعض المطبوعات كالاستانة، والهلال والمقتطف وشبلي شميل والريحاني ومجلات وجرائد مما يعد حراماً وكفراً وإلحاداً.

كما كان الانفتاح الفكري يتسع بعد الصداقة والمقاربة والمصاهرة مع مختلف الوافدين للنجف للدراسة في حوزتها، ولذا فان النجف سايرت التطورات الدينية والأدبية في العالم العربي بصدر رحب وأفق واسع فهي مع محافظتها على فكرها الأصيل لم تتزمت في كل مراحل حياتها وتنغلق أو ترفض المعاصرة وانما أخذت ما تراه ضرورة نافعة في وسائلها وأساليبها.

أما ما يخص أحوال علمائها ورجالها، فقد مَنَّ عليها الله بجيل من المراجع والعلماء الكفوئين العاملين وقد ضمت هذه الفترة الّتي عاصرها الراحل الوائلي ﷺ مجموعة منهم:

الميرزا حسين النائيني، والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والسيد محسن الحكيم، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ محمد حسن المظفر، والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد حسين الحمامي، والسيد محمد تقي آل بحر العلوم، والشيخ محمد رضا آل ياسين، ثم تلي هذه الطبقة، مجموعة أخرى منهم الشيخ مرتضى آل ياسين، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد موسى آل بحر العلوم، والسيد محمد باقر الصدر والسيد محمد تقي الحكيم، والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي، والسيد مرزا حسن البجنوردي، وأمثالهم.

في مثل هذا الوسط البيئي الزاخر بثلة من كبار العلماء، كانت النجف شعلة علمية تنير بأشعتها إلى داخل العالم الإسلامي وخارجه وقد استضاء الوائلي ﷺ من هذه الشعلة بعد ان شمَّر عن ساعديه بجدٍ واجتهاد في مواصلة التحصيل وبناء الشخصية.

كما حفل عصره أيضاً بعدد من الخطباء البارزين الذين أضفوا على مسيرته الخطابية الشيء الكثير بل بقيت نفحاتهم واضحة في مسيرة الخطابة الوائلية. ومنهم الشيخ محمد

علي القسام والشيخ محمد علي اليعقوبي والسيد صالح الحلي أما شاعريته وصقل بيانه فهو المجال الرحب الذي ساهم مساهمة فعالة في صقل موهبته الأدبية بحضور كبار الأدباء والشعراء الذين لهم ميزاتهم الخاصة وطابعهم النجفي المعروف والخاص. فكان لهم أدب ناضج ورائد ابتداءً من الشيخ محمد جواد الشبيبي والشيخ محمد رضا الشبيبي وصالح الجعفري وعلي الشرقي والجواهري ومحمد سعيد الحبوبي والدكتور عبد الرزاق محي الدين.

في مثل هذا الجو المهيب والمفعم بالحيويّة والعطاء الثَّر لابد أن يفعل فعله مع طالبٍ موهوب مجدٍ ومتفانٍ وطموح في استشراف مستقبلهِ، فشكّلَ هذا الجو من شخصية الوائلي ـ فيما بعد ـ فقيهاً وخطيباً وشاعراً.

والحقيقة، اضافة لبيئة ومحيط النجف الأشرف، اللَّذين ساهما في صقل وبلورة قابلياته العلمية، وتخصصه بالدروس الاسلامية، إلاأن مطالعاته واهتماماته بالفكر الغربي ونظراته الفلسفية والوقوف على آخر الآراء لكبار الفلاسفة أمثال ديكارت، وهيجل وماركس، وداروِن، قد منحته اشراقة النمو والتواصل والقدرة على تطوير قابلياته العلمية، بعد أن أتكأ على صخرة الفلسفة الاسلامية، فأثرى المنبر الحسيني بالجديد من الأفكار الحداثوية، بعد ان يعرض من خلاله تعدد الآراء الفلسفية وأحدث نظريات الفلسفة حول التوحيد والكون وماهية الطبيعة[١]، وهذا ما يُعدَّ فتحاً جديداً في مادة المنبر الحسيني، الذي لم يسبق إليه أحد سوى الوائلي ﷺ فكان الرائد الأول في هذا المجال.

---

١ . حدثني سماحة الشيخ حسن أخوان: كان الوائلي ﷺ ملماً باللغة الفارسية وكان يطالع كتبها الفلسفية كما انه كان معجباً بالخطيب الايراني المرحوم الشيخ (فلسفي) ويتابع محاضراته باهتمام. كما كان يتابع كبار الخطباء من أبناء السُنّة أيضاً ويستفيد من بعض ما كان يراه لازماً وضرورياً .

خصال نادرة:

إن مجموعة الخصال الّتي تميّز الشخصية الناجحة، تكون محط اهتمام أغلب الناس، وحريّ بالباحث والكاتب أن يُرّكز عليها ويصورها بكلّ شمولية واستيعاب، لأن في ذلك عِبرة وعِظة لمن يريد التحلي بخلق هذه الشخصية الهادفة والمرموقة والّتي بلاشك هي خُلق الاسلام الذي استطاع الراحل الوائلي ﵀ تجسيدها عملياً وبشكل ملموس ومحسوس من خلال كُلّ سيرته الأجتماعية والمنبرية حتى باتت خصاله ومؤهلاته الأخلاقية من المرتكزات العامة الّتي من الواجب ان يتحلى بها كُلّ خطيب ومنبري يريد اداء رسالته الإنسانية الهادفة لبناء ورقي الإنسان المسلم. ومنها:

١. **التقوى** :

وهذه الخصلة هي من أشرف وأنبل الخصال الّتي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم بشكل عام، فضلاً عن الخطيب الذي هو الأولى بالتحصن بها جراء ما يهدد النفس من أمور خُلقية كالترف والتكبر والعُجْب أو أمور فكرية وعقائدية، قد تزيغ بالنفس لهوى السوء أو أمور اجتماعية وسياسية تحرف مسار المنبر الحسيني، وبذا يفقد الخطيب مصداقيته ومصداقية منبره، فالوائلي ﵀ كان بحق مثالاً للتقوى وقد انبأت سيرته حالة الثبات والتمسك بما يعتقد ويؤمن من أخلاق مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

ورُوي أن رسول الله ﷺ قال مرة: (خصلة من لزمها أطاعته الدنيا والآخرة وربح

الفوز بالجنّة) قيل له: ما هي يا رسول الله؟ قال: (التقوى، من أراد أن يكون أعزّ الناس فليتقِ الله عزّوجلّ)....[١]

وعلى ضوء هذا الحديث، فقد حظيّ الوائلي ﷺ بالعز والفخر والإجلال من غالبية المسلمين وبالأخص الشيعة العرب منهم.

٢. الاخلاص:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «في اخلاص النيّات نجاح الأمور»[٢].

وقال أيضاً: «مَنْ أخلصَ بَلَغ الآمال»[٣].

وكُلّ عمل يخلص فيه المرء لوجهه تعالى لا يشك في كونه من العبادات، وأن عمل الخطيب ـ يَعدّه البعض ـ من أفضل العبادات، لأن فيه التربية والتعليم والارشاد والهداية والدعوة إلى الله تعالىٰ، وذكر مآثر الاسلام وفضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله ومواقف اتباعهم من المخلصين العابدين الزاهدين الصالحين، كما فيه بيان المأساة الكبرى والظليمة الفاجعة الّتي حلت بآل البيت عليهم السلام فكان الخطيب الوائلي مؤمناً بحجم هذه الرسالة وبنية صادقة في عمله طالباً وجههُ تعالى، فكسب ونال باخلاصه ينابيع الحكمة[٤]، وأحسن الله بينه وبين الناس[٥]، وخشع له كُلّ شيء وهابه

١. البحار: ٧٠ / ٢٨٥.

٢. معجم ألفاظ غرر الحكم، (خلص).

٣. نفس المصدر.

٤. قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أخلص عبدٌ لله عزوجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه» عيون أخبار الرضا: ٢ / ٦٨.

٥. قال علي عليه السلام: «من أصلح سريرتهُ أصلح اللهُ علانيتهُ، ومن عَمِلَ لدينه كفاه الله أمرَ دنياه، ومن أحسنَ فيما بينَه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس» نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٣.

كُلّ شيء [١]، وحفظ له الله ما يحب من الدنيا [٢].

ويقول عنه أحد الخطباء: «لا أنسى مجلسه في المناخة بشارع المدينة ـ في النجف الأشرف ـ والأمواج البشرية تتدفق غادية ورائحة زرافات ووحدانا، فإذا ما ارتقى المنبر مهاباً وقوراً اشرأبت الأعناق وشخصت الأحداق وهدأت الأصوات ولم ينبس أحد ببنت شفة» [٣].

ولو لم يكن الاخلاص هو السّمة البارزة في الشخصية المنبرية للوائلي، لتعذّر أن يصبح كما كان هو عليه في كُلّ حياته ولذا فان الشهرة والمال والموقع الاجتماعي أمور نجمت عن إخلاصه وحرقته وغيرته على الاسلام ورسالة التبليغ. وذلك لأن مرتبة الاخلاص، مرتبة (عظيمة المقدار، كثيرة الأخطار، دقيقة المعنى، صعبة المرتقى، يحتاج طالبها إلى نظرٍ دقيق ومجاهدة تامة، وينبغي ان يعمل بما يقول لئلا يصير مثله مثل السراج يضيئ للناس ويحرق نفسه» [٤].

٣. العِفّة:

إذا كانت التقوى وصفة الاخلاص تُستشفان من سيرة الخطيب الوائلي ومن خلال القراءة الموضوعية لمجمل محاضراته، وحُبّ الناس وتعلقهم وعشقهم له. فان العفة هي ميزة لا يمكن ان نستشفها من خلال محاضراته أو من خلال إخلاصه فحسب، بل تتجلّىٰ من

---

١ . قال الأمام الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمن ليخشع له كُلّ شيءٍ ويهابُهُ كُلّ شيء» جامع الأخبار: ٢٨٦.
٢ . قال الإمام السجاد عليه السلام «فأ ما حقّ الله الأكبر عليك، فأن تعبده لا تُشرك به شيئاً، فاذا فعلت ذلك باخلاص، جعل الله لك على نفسه أن يكفيك أمرَ الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحبّ منها» شرح رسالة الحقوق: ١ / ٢١ .
٣ . معجم الخطباء، السيد داخل حسن: ١ / ٣٦٢ .
٤ . نفثة المصدور، آخر كتاب نفس المهموم، الشيخ عباس القمي: ٦١٥ .

خلال ممارساته اليومية وما تتناقله ألسن الثقات عنه.

فالعِفّة والحياء، صفتان ملازمتان لبناء الشخصية السويّة ونجاحها وتفوقها ضمن حاكميّة الأعراف والتقاليد والقيم المثلى الّتي جسدها الرسول ﷺ ووصيه عليه السلام فهي مقياس صلاح الإنسان ونجاحه في مهمته وبالأخص الخطيب الذي هو أولى الناس بالعِفّة والحياء لانه بحكم عمله المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالناس وبمجتمعه. فهو موضع ثقتهم فاذا أحسوا منه خيانة أو بما لا يسمح به الدين وحكم مكروهاته أو خلاف تطلعات العرف والتقليد، فسوف يفقد الخطيب موضع ثقة الناس.

ومن تقسيمات العِفّة والحياء: عِفّة اليد، وعفة البطن، وعِفّة الفرج، وعِفّة اللسان، وعِفة البصر.

وبهذا الخصوص يذكر الشيخ الوائلي رحمه الله في كتابه تجاربي مع المنبر: «كنت أيام الدراسة بالقاهرة أقضي وقتي في مطعم يجتمع به الدارسون، وهو مطعم فيه المنظر الجميل فأقضي فيه ساعة أو ساعتين وبأيام محدودة ثم أعود للمنزل، فألح عليّ يوم المرحوم الدكتور عبد الرزاق محي الدين رحمه الله على ان أقضي سويعات في منتزّه على النيل يقدّم الشاي لرواده وفيه جو منعش ومنظر لا بأس به، فقلت للدكتور الراحل: أنا أعرف ذلك وأتذوّقه، ولكن لو جاءت أسرة وجلست بالقرب منّا وجاء بعض الخليجيين أو العراقيين وقال: يا لله لقد رأيت هذا الذي يعظ الناس جالساً بين النساء الحاسرات فماذا ستكون النتيجة؟ ستكون حتماً مؤدية إلى اهتزاز الثقة بالمنبر »[١].

هكذا كان حياؤه وخلقه وعفة بصره من أجل سُمعة المنبر وثمن رسالته الّتي أنيط بها بكلّ ثقةٍ واقتدارٍ وحرص وأمانة. بعد مثوله لإشارة إمام المتقين علي عليه السلام الذي قال: «ومعلّم الناس ومؤدّبهم بسيرته أحقّ بالإجلال من معلّم الناس بلسانه».

---

١ . الوائلي: تجاربي مع المنبر: ١٢١ .

٤. اجتماعياته:

يقول الخطيب السيد داخل السيد حسن وهو ممن لازم الفقيد الوائلي أكثر من ثلاثين عاماً: «الرجل ـ ويقصد به الوائلي ـ قدوة في الأخلاق والمجاملة ومثلاً في الخير والمعروف، وشخصية هامة ترمق بعين الاحترام والتقدير»[١].

امتاز الوائلي بحسن الخلق وحُسن المعاشرة وهي من الصفات الإسلامية لدى الخطيب الناجح، فهو يجتذب لمنبره غالبية الناس ويهديهم ويوجههم ويعلمهم ويربيّهم بعد ان يجتمعوا حوله نتيجة هذا التأثير الطيب وهذه الميزة الطيّبة في كسب ودّ الجمهور. وكأنّ نَصب عينيه قول أمير المؤمنين، المعلم الأول عليه السلام: «خالطوا الناس مخالطةً إن متّم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنّوا إليكم»[٢]. وقوله أيضاً عليه السلام: «مَن حَسُن خُلقه كَثُر محبّوه وأنستِ النفوسُ به»[٣] فبات الوائلي «شخصية اجتماعية بارزة، تمتلك شبكة علاقات واسعة مع مختلف الشخصيات العلمية والأدبية والسياسية والإجتماعية، لما يتمتع به من شهرة عريضة واسعة، وحصانة دينية منيعة، ومهابة فاعلة في نفوس الناس مستمدة من نفحات سيد الشهداء عليه السلام»[٤] ويصفه أحد الوجهاء: «يمتلك نفسيّة زكية كريمة لاتعرف الحقد ولا الحسد، ومتديّناً، وما شاهدت خطيباً يخرج الحقوق الشرعية من فائض امواله الّتي يحصل عليها عن طريق الخطابة والمنبر الحسيني...»[٥].

---

١. داخل السيد حسن: معجم الخطباء: ١ / ٣٧٣.

٢. نهج البلاغة: حكمة ١٠.

٣. نهج البلاغة: حكمة ١٠.

٤. داخل السيدحسن، معجم الخطباء: ١ / ٣٥٥.

٥. حسين الشاكري، ذكرياتي: ٣ / ٥٦٥ ويضيف المؤلف «كان مقلداً للسيد الخوئي، وأتذكر أنه دفع مرّة أموالاً طائلة من حقوقه الشرعية إلى من يعتقد ويجزم بحاجتهم الماسّة إليها، ولما قدّم حساباته للسيد الخوئي رفضها ولم يراها لازمة لصرفها في هذا الباب وعاد من جديد ودفع

٥. التواضع :

لا يعني التواضع ان يجعل الإنسان من نفسه موضعاً للشفقة، ولا يفهم منه مداراة الناس ومواساتهم خلاف ما أنزل الله في محكم كتابه ولا يفهم منه خطا ـ أيضاً ـ إلغاء الذات وما يترتب عليها من حقوق اجتماعية وأخلاقية، بل ان التواضع هي عملية مناصفة خُلقية بين المؤمن وبقية المؤمنين. وهي صفة بارزة في خُلق الأنبياء والأولياء.

وقد أكد القرآن الكريم عليها في أكثر من موضع ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ومن صفات المؤمنين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أيّ متواضعين معهم.

وقال سبحانه في وصف عباده الكرام: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً﴾.

وتطابقاً مع مضمون هذه الآية الشريفة، ذكر لي نجل العلامة الشيخ باقر شريف القرشي هذه النكتة:

في احدى سفرات الشيخ الوائلي جلس جنب مقعده في الطائرة شخص وهابي متعصب، وبعد اقلاع الطائرة في الجو، جاءت المضيّفة تقدم لضيوف الطائرة شيئاً من المرطبات، فقال لها الوهابي باللغة الانجليزية أعطي هذا الكلب «فلم يتكلم الشيخ الوائلي وبقي صامتاً، ومرةً أخرى عادت المضيّفة لتوزع شيئاً من الحلوىٰ، فقال لها الشيخ وباللغة الانجليزية، أرجو ان تعطي هذا الرجل النبيل أولاً، لان على وجهه سمات الخلق والكرم والايمان والأريحيّة. فاندهش الرجل لقول الشيخ الوائلي!!! وأحس بخطئهِ وسوء أدبه، فقال للشيخ لماذا وصفتني بهذه الخصال الطيبة وأنا أصفك بهذا الوصف القبيح (الكلب)!

☜ المبلغ بكامله للسيد الخوئي وأبرأ ذمّته، وما كان أحد يفعل ذلك حتى ولو كان تاجراً مثرياً، لو لا إيمانه العميق وكرم نفسه».

فقال له الشيخ: ان ديني ومعتقدي يحتّمان عليّ التحدث بهذا الخلق، وقد أدبنا عليّ عليه السلام بأحسن الخُلق. فأنا أنبع من خلقي وديني وانت ينبع قولك من دينك وخلقك.

ومن خلال هذا السجال القصير والحوار المعبِّر، اهتدى هذا الرجل بهذه الكلمات الصادقة والهادفة الدالة على عمق التأثر والتأثير بالخصال الاسلامية الّتي يحملها هذا الرجل المتواضع.

ومن التواضع أيضاً ما قاله الإمام الصادق عليه السلام: «أحبّ أخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي»[1].

يقول الشيخ الخطيب باقر المقدسي: من الخصال الواضحة في شخصية الشيخ الوائلي هو تقبله للنقد، فاذا وجد في المادة المنقودة شيئاً لا يصمد امام الحقيقة العلمية، يستسلم فوراً ولا يقف معانداً مكابراً على خطئه، والحال هونقيض ما نراه اليوم عند البعض من الخطباء الذي يرى في ذاته احياناً عصمةً من الخطأ. فمرةً وجهت نقدي لسماحته حول محاضرة تطرّق فيها عن الأخوّة الايمانية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ولكن كان مجمل حديثه عن الأخوّة الانسانية، فوجدت هذا خلاف ما استهل بالآية القرآنية. وبعد سجال علمي طويل معززاً بالكثير من الاستشهادات القرآنية والأحاديث النبوية كما يقول الشيخ المقدسي، أفضى هذا السجال ان يحتفظ كُلٌّ منهما برأيه[2].

وبهذا الخصوص أيضاً يذكر صاحب كتاب معجم الخطباء «وقد يشتبه شيخنا المترجم ـ الوائلي ـ في مجالسه حتى في قراءة بعض نصوص القرآن الكريم وهذا أشتباه لا

---

١ . الأصول من الكافي: ٢ / ٦٣٩ .

٢ . من لقاء مع سماحة الخطيب الشيخ محمد باقر المقدسي ٧ شوال ١٤٢٤ هـ. وهذا يدل على أن الشيخ الوائي لم يقف ـ من خلال هذا الحوار ـ على عمق الأدلة العلمية والمنطقية كي يستسلم لآراء الشيخ المقدسي. ولكن في بعد من أبعاد هذا الحوار، إن الرجل رحمه الله كان مستمعاً جيداً ومحاوراً جيداً لم تكن في ذاته حالة من الانبهار والفوقية والاستاذية.

يغتفر بحال، ولذلك نراه ما التفت أو نبهه أحد سرعان ما يتدارك التصحيح في المجلس اللاحق والإشارة إلى الخطأ السابق...»[١] وهكذا حينما يكون الإنسان في أعلى درجات الرشد والنضج العقلي يكون أكثر تقبلاً للنقد والرأي الآخر أو أكثر ميلاً إلى ذلك. فلغة الحوار والمحاجة هي أقرب الطرق إلى الاقناع والتطويع عند بني البشر ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيءٍ جَدَلاً﴾[٢].

فهذه النفس السامية العالية ارتقت به إلى تجاوز كُلّ محطات المكابرة والعناد والاصرار فهي بعد اعترافها بحقيقة النقص، جعلت منه انساناً دائم الاستعداد للمراجعة مع ذاته، لامن جهة التنازل عن هذه الذات، وإنما من اجل تقويمها وترشيدها والارتقاء بها إلى سلم الكمال الانساني، وهي من ناحيةٍ أُخرى تجعله مع اخيه الإنسان يعيش روح التواضع والأخوّة وإقرار النقص بعيداً عن حالات الاستاذية والسلطوية والأعلمية والفوقية وحالات أخرى من التعالي والكِبْر، والّتي غالباً ما يترشح عنها تدافع وتقاطع ينتهي بالهجران والتباعد بين الأحبة والأخوان والتباغض والتجافي والتنائي بين الأهل والخلّان في كثير من الأحيان.

هذا ما يلزم ان تمارسه الشخصية السويّة، وخلاف ذلك، نرى من بعض الشخصيات المعروفة مواقف لا مسؤولة في تقييم شخصية الوائلي ﷺ، وهذا لا يعني ان الوائلي شخصية معصومة لا يعتليها الخطأ أو الغفلة، بيد أن الذي يؤلم هو انعكاس التصورات والقضايا الشخصية في تقييم شخصية الوائلي وترجمة سيرته في كتاب (معجم الخطباء) وهو ما يتنافى مع عامل التجرّد، وروح الموضوعية في الترجمة.

وهذا لا يعني ـ بأي حال من الأحوال ـ أننا نقف خلاف تقبل النقد، فالنقد عملية بناء، وارشاد وترشيد، وتربية وتهذيب، والنقد صيحة مطلوبة ومرغوبة لتجنّب زلل أو

---

١ . داخل السيد حسن، معجم الخطباء: ١ / ٣٦٠ .
٢ . الكهف: ٥٤ .

تصحيح خطأ أو مواجهة حالة من حالات الترهل أو وضع حدّ لتداعٍ أو انحدار، ففي هذه الحالة يكون النقد من أكبر الواجبات وأقدسُ الأعمال، خوفاً من احتمال استفحال هـذا الخطأ وتجذر ذاك الزلل، ويصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً .ثم تسود لغـة التـملق والتزلّف والمداراة على حساب منظومة القيم ولغة الصراحة والمكاشفة والوضوح .

وصحيح ان الحقيقة مُرّة، بيد أن المكاشفة المؤلمة هي أفضل من الخـداع النـاعم، وأفضل من الصمت والإعراض . فإذا كانت المودة والمداراة واجبة فقول الحق أكثر وجوباً، وكما قال علي عليه السلام في وصيته لمالك الأشتر «ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك».

هذا من جانب، ومن جانب آخر. فالخلاف سُنّة كونية، ولا يعني الاختلاف خـلافاً ولا يعني النقد شطباً وإلغاءً أو حذفاً وأستقصاءً. وإن التصريح لا يعني التسقيط والتشهير ولا تعني النصيحة التجريح والتعريض ولا تعني ـ أيـضاً ـ الغـمز واللـمز أو الهـمز، وتـوجيه الطعنات ورصد العثرات والشطحات وتسقط الزلات وتعقب الهفوات، سيما وكُلّ ابـن آدم خطاء، ثم أن النقد لا يمكن أن يعدم فيه اختلاف الطبائع والأمزجة والأذواق بين الناس (ولله في خلقه شؤون...) كما لا يمكن للنقد والناقد الملتزم الخروج من الاطار الأخلاقي وبـما أوصت به سنن السماء، بعيداً عن الهتك والمراء والمهاترات، وما أجمل ان يكون الشعار بين المختلفين (المتخاصمين)، المتحاورين: «رأيـي صـحيح يـحتمل الخـطأ، أو رأيك خـطأ يحتمل الصواب» أو بالعكس .

وعلى العموم وكما يقولون أن نار الأهل تُدخِّن ولكنها لا تشـتعل، وإن الاخـتلاف داخل البيت أو ضمن الدائرة الواحدة، وبين المؤمنين، يجب ان يكون تـصحيحاً وتـقويماً وليس اقتتالاً أو احتراباً، مع كامل النظر والأخذ بمتطلبات العملية النقدية في كيفية أو نوعية الممارسة وعلى ضوء ما قاله علي عليه السلام :

[من وعظ أخاهُ سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانيةً فقد شانه] [١].

ولا نريد الخوض في كُلّ ما سطّرته أنامل السيد الجليل، بقدر الوقوف على الاشارة التأريخية المحققة في ترجمته (حفظه الله) ولا نبغي من وراء ذلك الاساءة له، معاذ الله.

فيقول السيد المؤلف [٢]: «كافحت مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ الغلو ـ في حياة الناس أشد المكافحة، كما فعل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع أولئك الذين ألّهوه... فحفر لهم خندقاً وأحرقهم بالنار وهو القائل:

[لما رأيت الأمر أمراً منكراً   أججتُ ناري ودعوت قنبرا]

وحقيقة هذه الرواية نجد تفاصيل تحقيقها في كتاب عبد الله بن سبأ واساطير أخرى ج ٢ للعلامة السيد مرتضى العسكري، والذي بالطبع أشاد الكاتب بالجهود التحقيقية عند العلامة العسكري كما مر في الصفحة ٣٩٣.

التحقيق:

١. ان حكم المرتد في الاسلام هو القتل وليس الحرق، حسب قول علي عليه السلام «من بدل دينه فاقتلوه» وعنه عليه السلام أيضاً: «المرتد تعزل عنه امرأته، ولا تؤكل ذبيحته، ويستتاب ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل يوم الرابع» وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام «يستتاب، فإن تاب وإلّا قتل، والمرأة إذا ارتدت عن الاسلام استتيبت فان تابت ورجعت وإلا خلّدت في السجن وضيّق عليها في حبسها».

وعن الإمام الرضا عليه السلام في جواب من سأل عن رجل ولد في الإسلام ثم كفر وأشرك وخرج عن الاسلام، هل يستتاب أو يقتل ولا يستتاب؟ فكتب: «يقتل».

---

١ . الحراني، ابن شعبة، تحف العقول: ٤٨٩؛ كشف الغمة: ٢ / ١٤٢ .

٢ . أنظر كتاب معجم الخطباء للخطيب السيد داخل السيد حسن: ٣٥٣ .

٢. أما بيت الشعر :

لمــا رأيت الأمــر أمــراً مــنكرا أوقــدت نــاري ودعـوتُ قـنبرا

فهو لم يأتِ بهذه الحادثة، ولم تكن صياغته بهذا الشكل فقد أنشـد عـلي عليه السلام فـي صفين قصيدة كما يلي:

يا عجباً لقد سـمعت مـنكراً كذباً على الله يشيبُ الشّـعرا

إلى أربعة أبيات ثم قال بعدها:

إنـــي إذا المــوت دنـــا وحــضرا شــمرتُ ثــوبي ودعــوت قـنبرا

لمــا رأيتُ المــوت مــوتاً أحـمرا عــبّأتُ هــمدان وعــبّوا حـميرا

٣. هذه الرواية هي من ضمن الروايات الخمس الّتي ذكرها الكشي والمنسوبة لأحد المعصومين، ولكن تحت التحقيق العلمي فلم تكن رواية معتبرة السند ولا مـعتبرة المـتن. راجع تفصيل ذلك في الجزء الثاني من كتاب العلامة العسكري «عبد الله بن سبأ واسـاطير أخرى».

نتمنى على السيد الكاتب أن يعيد النظر بهذه الترجمة في الطبعة الثانية للكتاب مع كامل اعتذاري وتقديري له .

ومن الأمور الّتي دلت على تواضع الشيخ الوائلي رحمه الله وهو الرجل الفاضل في علميته وأدبه وفكره وحتى في سيرته الّتي دلت على كثير من ابعادها الالتزام المتشدد جداً حتى في الأمور البريئة كُلّ ذلك صوناً لسمعة المنبر وسمعة الخطيب، لاعطاء أحقية الرسالة التبليغية مقامها السامي في نفوس سامعيهِ، وحرص على ان تكـون شـخصيتهُ تـجسيداً لاحـاديثه وأقواله الأخلاقية.ولذا نرى ان الرجل رحمه الله متواضعاً وصادقاً فـي القـول حـتى فـي تـقييم شخصيته، وكثيراً ما كان يقول: اني نادمٌ لم أكمل دورة في علم الأصول أو دورة فـي عـلم الفقه. وهذا اعتراف صارخ قلما تفصح عنه شخصية تتحلى بالمواصفات والمكانة المرموقة

كمثل شخصية الوائلي، ولكن نجد ذلك بوضوح وبصريح العبارة في كتابه «تـجاربي مـع المنبر» وفي أكثر من موقع على صفحاته المتعددة.

فأي شخصية لها القدرة والقابلية على ان تنتزع ذاتها أمام الحقائق الّتي فيها نوعٌ من المآخذ في الشأن العلمي؟! في الوقت الذي يضفي البعض هـالة مـن الألقـاب والأسـماء العلمية (والتبجحات) الّتي لم يُنزل الله بها من سلطان ـ كما يقولون ـ والبعيدة كُلّ البعد عن قابلياته العلمية والفكرية.!!

ومن تواضعه ـ أيضاً ـ أنّه ﵀ لم يتنكر لأسماء شخصيات ذكرها في كتابه (تجاربي مع المنبر) لم تكن بالمستوى العلمي والقابليات العالية في الخطابة، ويقول ﵀ استفدت منها في الوقت الذي كان هو فيه أجل مما يذكرهم بعد مرور أكثر من خمسين عاماً[١].

٦. الشجاعة:

قال تـعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ﴾[٢].

الشجاعة صفة مكتسبة مع الإيمان، وضرورة قصوى لأصـحاب القـيم والمـبادئ والأهداف الكبيرة لبناء اسلامية المجتمع. لقد كان أكثر الأنبياء والرسل لا يخافون طواغيت وجبابرة عصرهم، لانهم كانوا على ثقةٍ من ربهم وبصيرةٍ من أمرهم «عَظُم الخالق في أنفسهم فَصَغُر ما دُونه في أعينهم»[٣] وقد عُرف عن الشيخ الوائلي أنّه شجاعٌ لا يتهيب النقد اللاذع

١. وفي حوار لي مع سماحة السيد عدنان البكاء، قال: أنا لو أكتب مذكراتي لمّا ذكرت بمستوى ما ذكره الشيخ الوائلي من اسماء كان في وقتها هو أجل وأفضل مما يذكرهم الآن، ١٦ شوال ١٤٢٤ هـ.

٢. سورة الأحزاب: ٣٩.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

لاصحاب القرارات المخالفة لاسلامية المجتمع والدولة. وهذا هو السِّر الذي جعله يرفض تسجيل محاضراته وبالاخص في فترة السبعينات من هذا القرن. كي لا يترك وراءه مستمسكاً ودليلاً يدان به من قبل أجهزة الدولة والنظام. وفي عام ١٩٧٨ م بث تلفزيون بغداد ندوة (انخفاض الانتاجية) كان يترأس هذه الندوة صدام حسين وكان حينها نائباً لمجلس قيادة الثورة، ومن شعارات هذه الندوة «من لا ينتج لا يأكل» ثم تم تعيين المرأة العراقية في ميادين العمل المبتذلة كتنظيف الشوارع والساحات وفي هذه الفترة كان للشيخ الوائلي مجلس عامر في ساحة الخلاني ببغداد، تطرّق فيه لموضوع حقوق الرجل وحقوق المرأة وقال أن المرأة في (بلغاريا) تمارس ـ وقد تقدّم بها السنّ ـ تنظيف الشوارع والمدن بحجّة أن «من لا يعمل لا يأكل»، «من لا ينتج لا يأكل»!![1] والحال ان هذا الشعار ليس من الاسلام بشيء .

٧. ناصحاً وموجهاً:

كان الوائلي ﷺ من المخلصين في تسديد النصيحة لأخوانه الخطباء، ويجود بها لكُلّ من يرى فيه مالا ينبغي ومسار المنبر الحسيني، فكثيراً ما كان يشدد بنصيحته على المضامين العلمية والمواضيع الهادفة والمعاصرة لحياة الناس وفائدة المجتمع، ولا يمكن تجاهل نصيحة الوائلي للخطباء الذين يهمون ويهتمون بالارتقاء الفاضل للمنبر الناجح وسمو كرامة وسمعة الخطيب. فهو ﷺ يستثمر كُلّ فرصة يَبِثُ فيها ارشاداته ونصائحه، سيما وأنه كان مستمعاً جيداً لمحاضرات الآخرين، وبهذا الصدد سمعت من الكثير من الخطباء أنه ﷺ كان حريصاً على حضور مجالسهم مُستمعاً صادقاً وأُستاذاً بارعاً في التوجيه حينما يجد ما يستوجب ذلك من النقد.

---

١ . كان الشيخ الوائلي حريصاً على ان لا يترك للنظام دليلاً على اعتقاله، فمارس أسلوب «إياك أعني واسمعي يا جارة» .

٨. سخياً كريماً:

إمتاز الوائلي ﷺ بسخاءٍ وكرم، قلما نجد من يشاطره بذلك، حينما يكون هذا الكرم والسخاء خفاءً لم يعلم به أحد ممن تَنَعَّمَ به. وهذا ما نقله لي نجل الحاج رؤوف دخيّل عن والده الذي كان الوسيط المباشر بين الناس وبين الشيخ ﷺ، دون ان يعلم أحد من الناس بأساس مصدره.

وهنا يقول نجل الحاج رؤوف دخيّل ؛ عندما تنتهي مواسم التبليغ في الاشهر المعروفة محرم، وصفر، ورمضان، وعند عودة الشيخ من مجالس الخليج، يستخرج الشيخ مبلغاً من أتعابه بما يكفل عيشه الكريم طيلة عامٍ واحد، ثم يعطي ما تبقى من المال إلى والدي لتوزيعه على العوائل العراقية الّتي تعيش ضنك العيش في المهاجر وبالأخص في سوريا ولبنان وايران.

وأيضاً يُنقل عن المرحوم السيد سعيد الخطيب، مناقب عديدة للشيخ الوائلي ﷺ في مساعدة عوائل كثيرة في مدينة قم المقدسة أغلبهم من العراقيين المحوجين. وقد طالت مساعداته حتى السيد الخطيب الذي بدوره اعتذر عن قبولها لعدم حاجته، وكان مبلغاً كبيراً وبعد الاتصال بين الاثنين (رحمهما الله) قال له الشيخ الوائلي: إذن أنفقه ـ بمعرفتك ـ على أصحاب الحاجة. ومثل هذه الأمور الاجتماعية الّتي لم يعرف أحد بها كثيرة جداً، وذكرنا بعضها كمصداق لها.

٩. فوضى الألقاب:

يُنقل عنه ﷺ كان شديد البغض للألقاب، والعناوين الكبيرة الرنانة والطنانة. وبالأخص لمن لا يستحقها، أو لمن يريد ان يجلب انتباه الأمة إليه. وقد أكد ﷺ هذا المعنى في ثورته وغضبه على هؤلاء من قصيدة له بعنوان (إلى الرائدين) نظمها بمناسبة عودة عميد

منتدى النشر الشيخ محمد رضا المظفر وسكرتيرها السيد محمد تقي الحكيم من مؤتمر إسلامي عام ١٩٦٤م. فيقول فيها:

هل مثل بلوانا هناك فمبدع   يُقصى ويُحضن تافه متمشدقُ
وهل الرؤوس يعيث في أَبعادها   حتَّى بعصر النّور فكر أحمقُ
هل منحة الأَلقاب أَمر هيِّن   يسخو بها ومتى يشاء المغدق
وهل الحديث من العلوم ضلالة   كبرى ودارسها فتىً متزندقُ
هل بيننا قدر بذلك جامع   أَم أَنَّهم عرفوا الشَّذى وتذوَّقوا
اللَّهم أوضح عند قومي رؤيةً   ليميِّزوا ما يستطاب وينتقوا
فالشَّهد قيء النَّحل إلا أَنَّه   مازال عند ذوي النُّهى يتذوق
واللَّعس في الشَّفتين لون أَسود   لكنَّه عند الأَوانس يعشقُ

وبهذا الخصوص يقول الشيخ محمد رضا المظفر ﷺ في بعض مذكراته عن بعض هذه الألقاب الضخمة الّتي تعطى إلى الاشخاص من غير حساب (ثم ابتذل هذا اللقب المسكين في الحقبة الأخيرة من قرننا الحاضر فصار يلصق بأشباه العلماء ممن لهم أدنى شأن اجتماعي، ولقد صارت هذه الألقاب بعد ـ ابتذالها ـ لا تعني معانيها الحقيقية فالتجأوا إلى اضافة مثل كلمة الكبير إلى العلامة... ومن العجيب ان هذه الاضافات أيضاً أبتذلت ففقدت مدلولها فالتجأوا إلى ألقاب ضخمة أُخرى مثل (الإمام الأكبر) و... وهذه الألقاب الّتي فرغت من مداليلها لا تدل إلا على فراغ من يحب أن يتحلى بها)[١] .

ويقول الشيخ محمد مهدي الآصفي «ان التسابق إلى الألقاب ظاهرة اجتماعية تلفت

١ . الآصفي، محمد مهدي: الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف: ١٢١ دار التوحيد سلسلة رقم ٣.

النظر، وأكثر ما تدل على التأخر الاجتماعي والفقر الروحي فيتفنن الناس بالقشور، ويزهدون بالحقائق واللباب. وهذا مركب نقص اجتماعي، أكثر منه مركب نقص فردي، بصّر الله تعالى المسلمين بعواقب امورهم» [١].

أما العالم الفقيه الشيخ محمد جواد مغنية فهو أكثر أبناء المؤسسة الدينية نقداً لسلبياتها وأكثرهم جرئةً وشجاعةً وهذا ما لوحظ من خلال كتاباته التي أقبل عليها الشباب المسلم لوضوح بيانه وسهولة طرحه ودعواته الدائمة للاصلاح، ومن ملاحظاته الدقيقة حول فوضى الألقاب، قال ﷺ: «لقد تهافت الكثيرون على الألقاب الدينية والزمنية، وعملوا لها بكل سبيل، وادّعاها الدخيل قبل الأصيل، حتى التبست الحقيقة على أهل الظاهر، ولم يميزوا بين الدعي وغير الدعي، ولا وسيلة للخلاص من دنس الدخلاء والأدعياء إلا أن ينتشر الوعي، ويعرف الناس معاني الكلمات التي ينطقونها، ويسمعونها، ويحددون مفاهيمها أو تحدد لهم تحديداً صحيحاً دقيقاً». ويضيف سماحته: «في القديم... لم يطلق لفظ علّامة على رجل الدين إلا بعد أن يبلغ القمة في العلوم، ويفوق علماء عصره على الأطلاق، أما اليوم في هذا الزمن الرديئ يُطلق لفظ (علّامة) على كل معمم دونما استثناء، و (حجة الإسلام) على كل طالب غر، و (امام) و (آية الله) على كل فارغ ومتزمت، و (مجتهد أكبر) على كل مدّع و (صاحب السماحة) و (صاحب الفضيلة) على كل جاهل وسخيف». ثم راح ﷺ يوضح نتائج هذه الفوضى قائلاً: «إن دلت هذه الفوضى على شيء فإنما تدل على كثرة الدخلاء والأدعياء الذين دنّسوا العلم، ولوثوا الأخلاق، وأساءوا إلى الدين وأهله، وعبثوا بقيمه ومقدساته... فأن إطلاق لقب (علّامة) و (إمام) و (آية الله) و (حجة الاسلام) على كل ذي جبه وعمه بلا مراعات النظير، توهين من قدر العالم التقي، يضاف إلى ذلك إلصاق تهمة الخيانة والعمالة ببعض المتسمين بأسم الدين الذين يحرّفون أحكامه لمصلحة اعداء الله والانسانية! وهذا أعظم ما رزىء به الاسلام والمسلمون» [٢].

---

١. نفس المصدر.

٢. من تجارب محمد جواد مغنية، مجلة الموسم العدد (٢ ـ ٣) ١٩٨٩: ٥٨٩.

ولذا نرى الوائلي ﷺ يكتفي بكتابة كلمة واحدة فقط وهي (الدكتور). فيكون عنوانه الكامل (الدكتور الشيخ) وهذا ما سجله على كُلّ مؤلفاته. وحتى حينما يُقدّم لحفلٍ ما أو يكتب اسمه ضمن اعلانٍ معين لا يتعدى لقب الدكتور، فضلاً عن زهده حتى في هذا اللقب عندما يراسل أخوانه أو يكتب تقريضاً فيكتفي باسمه دون أي لقب [١].

وعلى ما أعتقد ان الشيخ الوائلي ﷺ عندما وضع لقب الدكتور ـ وهو أكثر جدارة من مستوى هذه الشهادة ـ لا لغرضٍ في نفسه، بقدر ما أراد أن يلفت أنتباه مَن يُصغِّر ويقلِّل من شأن الخطيب، كونه (روزخون) لا يجيد إلا قراءة المصيبة على الإمام الحسين عليه السلام!! فأراد ﷺ أن يُخبر الآخرين من علماء [٢] ومثقفين إلى المستوى الذي ارتقى إليه الخطيب الحسيني، ولا أعتقد غير هذا!! سيما وأن كامل سيرته تُنبئ عن عظمة تواضعه ودماثة خلقه. وكان بإمكانه أن يدعي (الاجتهاد) وله ما يؤهله في هذا الأدعاء وكنت ـ كاتب السطور ـ ممن يعتقد باجتهاده والكثير من مثلي أيضاً، بعد ان يرى قابلياته الفقهية واستعراضه لمسألةٍ ما، بعد ان يروح مقلباً آراء المذاهب الاسلامية الأخرى ذاكراً دلائل الاستنباط لهذه المسألة.

فكيف لا نصدق بالوائلي ﷺ مجتهداً [٣] بعد أن كثر ادعياء الاجتهاد وأصحاب الألقاب!!

---

١ . لاحظ رسالته إلى الشيخ محمد باقر المقدسي عندما حصل الأخير على شهادتي الماجستير والدكتوراه ضمن كتاب اطروحة الشيخ المقدسي تحت عنوان «دور المنبر الحسيني في التوعية الاسلامية». أنظر ملحق رقم (٤).

٢ . سابقاً كان العلماء ينظرون إلى الخطيب انه ليس من أهل الفضل، أي لم يكن متعمقاً بالدراسات العلمية الحوزوية، والأكاديمية.

٣ . لم يكن الشيخ الوائلي ﷺ مجتهداً كما يشاع، أنظر اللقاء مع نجله (علي) في مجلة النجف الأشرف، العدد ١ جمادي الآخرة ١٤٢٤ هـ.

المفهوم السياسي عند الوائلي:

لم يكن المفهوم السياسي خاضعاً لفهم محدد ومقتصر على منهجٍ واحد وإنما للمفهوم السياسي أوجه متعددة ومتباينة، يختلف باختلاف الاساليب والطرق المتبعة. وهذا ما أكدته السيرة الطاهرة للأئمة المعصومين عليهم السلام، فمنهم من مارس الثورة اسلوباً سياسياً صارخاً بوجه الطغاة ومنهم من مارس اسلوب عرض المظلومية والمأساة ومنهم من انتهج أسلوب الدعاء والبكاء ومنهم من اتخذ اسلوب الهداية والارشاد والتربية، وغيرها، ولكن جميع هذه الأساليب كانت على مستوى عالٍ من التأثير في أوساطهم، وجميعها كانت تهدف إلى حقيقةٍ واحدة مفادها تطبيق النظرية السياسية في الإسلام.

وقد دأبت سيرة المراجع على الاهتداء بالسيرة السياسية عند أهل البيت عليهم السلام انطلاقاً من تشخيص المصلحة وتقدير الموقف. وإن اختلفت وجهات النظر بين المراجع في الموقف الواحد وفي البلد الواحد وفي المجتمع الواحد، فيبقى للمرجع الأعلى الأقدر والأعلم والأكفأ زمام المبادرة في التقدير والتشخيص.

فالوائلي رحمه الله لن يخرج عن نطاق الدائرة المرجعية وفي الوقت نفسه لم يخضع لكامل توجهاتها، حينما وجد الخطّ العام لها عاجزاً حتى عن أبسط تعابير الرفض عندما مارس البعثيون أشد الممارسات الوحشية مع ابناء الشعب العراقي المسلم وخُلص رجالاته من العلماء والمفكرين ووجهاء المجتمع.

فإذا كان المجتهد مرجعاً في الفقه والأصول، فالوائلي رحمه الله مجتهد ومرجع في منبره الذي سجل فيه دوراً سياسياً بليغاً على مدى ما يقارب أربعين عاماً من تسلط البعثيين في العراق. فقد خَطَّ منهجاً سياسياً واضحاً، اعتمد فيه أسلوب المحاكاة

والحوار المؤثر البليغ النابع من صميم المعاناة المعاصرة ولكن بأسلوب (إياك اعني واسمعي يا جارة) وهو من أرقى الأساليب البليغة والمؤثرة في تحفيز ذهنية السامع على ربط الأحداث مع بعضها مع استحضار كُلّ مقاييس المقارنة والمفاضلة. سيما وان الثورة الحسينية فيها مادة غنية لتفعيل صيغ المقارنة والتشابه، فاستطاع الوائلي ﷺ ان يكون ناقداً جريئاً وشجاعاً دون ان يترك أثراً لإدانته من قبل السلطة الحاكمة. سيما وأنها سلطة يخلو قاموسها من مصطلحات الرحمة والشفقة والعفو.

فكان الفهم السياسي عند الوائلي ﷺ تشخيص ونقد كل التشريعات الصادرة من السلطة المخالفة لروح الاسلام فضلاً عن فضح ممارساتها المجحفة بحق الانسانية والاسلام ومن جانب آخر فهو ـ بهذا المفهوم السياسي ـ يمارس دور التعبئة الجماهيرية بعد ان يخلق في أجوائها فتائل الوعي ولغة التمرد وعدم الانصياع لهذه السلطة.

ولذا فان النظام البعثي لا يمكن ان يصمد أو ان يتخذ موقف الصمت امام الظاهرة الوائلية بعد أن عَدّ عدّته في محاربة الاسلام والمسلمين في عام ١٩٨٠م بشكلٍ أوسع.

ولذا جاءت استقراءات الوائلي للوضع السياسي في العراق تنبئه بعدم التأخر، بل الخروج منه مسرعاً لهجرةٍ دامت اكثر من ثلاث وعشرين عاماً، قضى منها شطراً في الكويت ومن ثم الاستقرار في دمشق. وعاد إلى وطنه ليعيد حلمَهُ المقتول بعد ان تضاعف في بدنه المرض في رحلة طويلة من الصراع بينهما، ورحل اخيراً بعد عشرة ايام تكحلت بها عيناه بفردوس العراق وبعد ان عاش بوجدانه عشقاً وفرحاً وجرحاً وألماً.

بغداد يا زهو الربيع على الرُّبى ... بالعطرِ تعبق والسَّنا تتلفع
يا ألف ليلة ما تزال طيوفها ... سَمَراً على شطآنِ دجلة يمتع
يالحن (معبد) والقيان عيونها ... وصلٌ كما شاء الهوى وتمنّعُ
بغداد يومك لا يزال كأمسهِ ... صورٌ على طرفي نقيضٍ تُجمع

يطغى النعيم بجانبٍ وبجانبٍ يطغى الشقى فمرفّه ومضيّع

مواقفه السياسية:

أصبحت المواقف السياسية الّتي سجلها الشيخ الوائلي ﷺ وثيقةً تاريخيةً يؤرخ بواسطتها بعض الفترات السياسية من تاريخ العراق السياسي. فبالاضافة إلى محاضراته المسجلة والّتي هي الأخرى تُعتبر من أهم الوثائق الصوتية، كان يتحرك من خلال شعره، ويسجل به أهم المواقف الانسانية والاسلامية الّتي ينبغي ان تسجل على أيادي معاصري هذه الأحداث. ومن خلال الوسيلة الشعرية كان يسجل فيها تطلعات الشعب العراقي، ناقداً فذّاً، وصادقاً مخلصاً وشجاعاً جريئاً في تشخيص المواقف والاحداث السياسية، واعطاء جميع احتمالات المعالجة بروحٍ اسلامية واعية.

ومن قصيدةٍ له، بعد ان عاش العراق في أواخر الخمسينات مرحلة أشبه بالتناحر والصدامات الفكرية الحادة، أخذ الوائلي يبث شكواه ويسأل الله النصر والحكم الاسلامي، فيقول فيها :

رب رحماك ذوَّبتنا الرزايا واللظى قد يذوب منه الحديد

كُفَّ نعمى الحكام عنا فإنَّا نحو هذي النعماء فينا جحود

وأعنا على الوصول لحكم من معانيك ظله ممدود

ثم يقف الشيخ كاشفاً زيف بعض التيارات السياسية والفكرية الّتي أريد لها ان تستوعب الأمة، فيقول:

والأرض يحكمها رهطٌ وان نزلوا لا ينسبون إلى ماجدٌ من نظم

لو ساوموني حصىً من تحت أرجلهم بانجم الاشتراكيين لم أسم

الكاذبين على التأريخ والمُثل الغـ ـراء والعلم والاخلاق والقيم

والحاملين شعار الكادحين وهم | محض افتراء على العمال متّهم
والمدعين التساوي والسماءُ لهم | والأرض والناس اصناف من الخدم
الناب والظفر فحواهم فما نبضت | عن رحمة بهمُ يوماً ولا رحم
عقماً لأرحام دنيا الناس ان نسلت | امثال أولاء من عربٍ ومن عجم

وقد عُرف عن الشيخ الوائلي ﵀ عدم الممالأة للسلطات الحاكمة. فعندما سقط النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨ وتشكلت الجمهورية العراقية، قام الزعيم عبد الكريم قاسم بتقريب الشيوعيين لدعم سلطته بعد ان وجد جفاءً من المرجعية الدينية في النجف الأشرف[١] وقد استغل الشيوعيون ذلك، فقاموا بحملة تخريب كبيرة في الجوانب الفكرية والتربوية والسياسية، فتصدى الشيخ الوائلي للزعيم عبد الكريم قاسم، مخاطباً إياه في قصيدةٍ شجاعة جريئة، مع العلم ان الشيوعيين لم يكونوا يتوانون عن الدفاع عن قاسم، ومهاجمة من ينتقد الحكم، لكن الشيخ لم يضعف في أداء رسالته، فجاءت صرخته تسجل هذا الواقع المرير من عمر العراق السياسي، فيقول:

وعاد يزأر في النادي الوديع فتىً | مفيهق صوته كالصخر ينحدر
يحكي البطولات كالصبيان ان ركبوا | عصيّهم حسبوها الخيلَ تبتدر
وحوله نفر لا يرون من خدعٍ | لها الهدير ليروي أنَّهم هدروا

---

١ . على ما يبدو أن الشيخ الوائلي ﵀ كان يعتقد ان للزعيم قاسم ميولاً شيَوعية، وهذا خلاف سياسته، حيث أنه قال من خطابٍ له في كنيسة (الماريوسف) بعد المحاولة الفاشلة للشيوعيين في مايس ١٩٥٩ م [أنني أطلقت الحرية وأنا لستُ مستعداً لضرب أي عقيدة أو دين، ولكنني ضد الفوضى فليعمل الجميع ضمن القانون] أنظر التفاصيل في مجلة الموسم ـ ملف الزعيم عبد الكريم قاسم ـ بحث للاستاذ علاء الدين ظاهر العدد (٣٢): ٧٢ .

وهو الذي كان لا يسطع من هلعٍ أن تستقر على أعطافه الأزُرُ
ايام لا نحن في سلمٍ فيمنعنا ولا بحرب فندري كيف نعتجر
اغراب لا نحن من قيس فتمنعنا ولاقريش فيحمي رحلنا مضر
مشى لنا، غرباء، لو بساعدهم لهان، لكنَّهم ظلٌّ لمن امروا
تقسمونا فإغراء لمن رقصوا رقص القرود وضغط للذي صبروا

كما له مواقف مماثلة من حكم الأخوين عبد السلام عارف وعبد الرحمن عارف، الذي تميّز بالطائفية المقيتة ـ كما هو المشهور ـ فقال الوائلي قصيدته الخالدة في مهرجان الأدباء العرب عام ١٩٦٥ م:

بغداد يومك لا يزال كأمسه صورٌ على طرفي نقيض تجمع

إلى أن يقول:

ويصان ذاك لانه من معشر ويضام ذاك لأنه لا يركع
كبرت مفارقة يمثلّ دورُها باسم العروبة والعروبةُ أرفع
فتبيني هذي المهازل واحذري من مثلها فوراء ذلك إصبع
شُدّي وهزي الليل في جبروته وبعهدتي ان الكواكب تطلع

وهكذا أمسى الوائلي علماً من أعلام السياسة، مدافعاًصلباً عن أفكاره وأفكار الطليعة المؤمنة من المسلمين العراقيين ولم يقتصر ذلك على قول الشعر فحسب، بل دخل المعترك السياسي كأول عمل ميداني انتمائي إلى (حركة جماعة العلماء) في النجف الأشرف عام ١٩٥٨ م وكان هو من الأوائل الذين ساهموا في انشاء هذه الجماعة مع نخبة

من أعلام النجف[١]، وفيهم جيل من الفقهاء والأساتذة، من امثال الشيخ مرتضى آل ياسين، والسيد محمد باقر الشخص، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد موسى السيد جعفر بحر العلوم والسيد محمد تقي بحر العلوم، الشيخ حسين الهمداني والسيد علي الخلخالي والسيد مرتضى الخلخالي والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي والشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي والشيخ خضر الدجيلي والشيخ محمد تقي الايرواني والسيد اسماعيل الصدر والشيخ حسن الجواهري. وأختير الشيخ مرتضى آل ياسين معتمداً لها وكان للسيد الشهيد محمد باقر الصدر دوراً فاعلاً وقوياً إلى حدٍ كبير، يمكن معه اعتباره العقل المدّبر للجماعة وان لم يكن فيها عضواً رسمياً. ولكنه كان اشبه بالمستشار لخاله الشيخ آل ياسين.

وكانت مهمة هذه الجماعة هي نشر الاسلام بقوة مقابل المدّ الشيوعي الجارف في المجتمع العراقي والتنبيه إلى مظالم الشعب العراقي، فكان الوائلي ﷺ محاججاً لدوداً، مخاصماً عنيداً للشيوعيين في الفترة الّتي شهدت عنفوان مدّهم في أواخر الخمسينات، وليس من المستغرب أن يتعرض ﷺ لمحاولة اغتيال إبان تلك الفترة، عندما كان ضيفاً على (الحاج عبد الحسين جيته كوكل)[٢] بالبصرة، لأنه كان يُعرّض بالحكم القائم ويؤلب عليه الجمهور ويثير العامة للتمرد والثورة.

---

١. مجلة الموسم العدد (٢ ـ ٣) س ١ (١٩٨٩ م): ٤٦٠، أخبرني الدكتور السيد عدنان البكاء: ان الوائلي ﷺ لم يكن منتمياً إلى صفوف جماعة العلماء، ولكن كان في حينها خطيباً ملحوظاً، مليئاً بالحيوية، ومتفجراً بالشوق للعمل الاسلامي من خلال رسالة المنبر، لا من خلال الانتماءات والمحسوبيات وهذا أيضاً ما أكده لي سماحة السيد حسن شبر المؤرخ والداعية الكبير. فالحقيقة أنّه لم يكن منتمياً رسمياً لجماعة العلماء ولكن كان يعمل في فلكها.

٢. أعدم عام ١٩٦٩ م من قبل البعثين بعد اتهامه بالاشتراك بمحاولة لقلب نظام الحكم والّتي كان من المزمع ان يقوم بها العميد عبد الغني الراوي الذي استطاع النجاة واللجوء إلى ايران.
أنظر بعض تفاصيل هذه المحاولة في كتاب (الشاه وأنا) المذكرات السّرية لوزير البلاط الايراني «أسد علم»، الاسرار الكاملة لأيام الشاه الأخيرة قبل الثورة الإسلامية بايران، الطبعة الأولى مكتبة مدبولي ١٤١٣ ـ ١٩٩٣ م: ١٨٣، ١٩١.

وبعد إصدار المراجع العديد من الفتاوى الّتي حَرّمت الانتماء إلى الحزب الشيوعي، أنشد الوائلي قصيدته متفاءلاً، فيقول:

حـتى تـداركـنا كـالرعدِ مـنطلقاً صوتُ الفتاوى على أفواه من زأروا
دوّى بـها نـفرٌ مـن خـير قـادتنا عند الخـطوب، فـمرمى أيُّـها النـفرُ
فانجاب ليـل وولّت ظـلمة ومشـى ضـوء ورفـرف فـتح أبـلج نـضر

فبعد أن انحسر المد الأحمر، نتيجة محاولة الشيوعية الفاشلة في اغتيال عبد الكريم قاسم وخطابه المشهور في كنيسة (الماريوسف)، نرى ان الوائلي رغم هذا الانحسار الذي كان يتمناه كان قلقاً مرتاباً لما سوف يؤول إليه مستقبل العراق من حدثٍ لا يمكن الوقوف بوجهه بعد أن تخدع الجماهير العراقية بطيبتها وقلة وعيها وثقافتها، سيما وان دوائرالقـرار الاستعماري تهيّء للعصابة القادمة، فيقول:

لكـنني وبـقايا الكأس مـا بـرحت تغري النشاوى أرى أن يُؤخذ الحـذرُ
فـإن ذبـابة (الأنـواء) مـا بـرحت والبـوق للـنفخ مـا يـنفك يـنتظرُ
وشـيمة النَّـفر المسـعور تـخبرنا بأنـهم يُـهلكون الحـرثَ لو قـدروا
فأجـجوا الدَّم عـزماً فـي تـرائبنا باسم الحسين ليوم الهـول يُـدَّخرُ[1]

ومثلما توقع الوائلي ﷺ تسلّم البعثيون سلطة الحكم وجعلوا من عبد السلام عارف الواجهة الّتي يحتمون بها، وتفاقم الأمر السياسي وأصبح أشد مرارةً وظهرت على عهدهم النعرات الطائفية والجاهلية لتيسير سيطرتهم على ابناء العراق، وكعادته ﷺ دعا إلى مهاجمة

١ . نشرت هذه القصيدة في مجلة الأضواء (الّتي تصدرها جماعة العلماء) عام ١٩٥٩ بعد حذف المقاطع المتضمنة لنقد الحكومة وعلّقت المجلة على ذلك بما يلي: «هذه القصيدة هي قصيدة الحفل، ولكن حالت دونها بعض الموانع الّتي لا تعترف بـها الأضـواء فأثـبتتها دون الّـتي القيت...».

الوضع القائم، فقال فيهم قولته:

فـيا بـاعثيها نـعرةً جـاهليةً (محمدٌ) واراها التُّرابَ تورّعوا
عـذرتكمُ لو ان مـا تـنبشونه عظام ولكن جيفة وهي أبشـع
ولو ان ما تـبغونه مـن ورائـها خفيٌّ لقلنا عابث سـوف يـقلع
ولكنه الكُـرسي مـهما بَـرغْتمُ الخداع يُغطي رأسه ثـم يـطلع

وفي القصيدة نفسها يروح الوائلي يعرّض بالرئيس عبد السلام عارف ويحمله المسؤولية للحالة المتأزمة الّتي وصل اليها العراق، ويصبّ عليه من انتقاده الشديد دون مواربة أو وازعٍ من خوف، مع انه القاها بنفسه في حفلة كبرى عقدت في النجف عام ١٩٦٤م في ظلّ التوتر وانعدام الثقة بين المواطنين والحكومة أنذاك، ومما قاله:

(محمد) هل يرضى جهادَك تافه تسـتّر بـالاسلام وهـو مـضيّع
يهملج في أعـقاب كُـلّ مـضلِّل فلا النُّصح يـثنيه ولاهـو يسـمع
يخرف في خـلط تـنافر نسـجه يؤد ويؤذي السمع حين يجعجع
فـطوراً إلى غـربٍ يـمتُّ بـقوله وطوراً إلى شـرقٍ يـمتُّ ويـنزعُ
وطوراً يؤاخي من نسيجِ خـياله نقائض فاعجب للنقائض تُجمع
مـفاهيم لیـنينيّة فـي جـذورها عليها من اسم الله ثـوبُ وبـرقع

حقاً، لم يألف العراقيون مثل هذه الجرأة والشجاعة والإقدام على النقد المباشر والمكشوف لأعلى سلطة تنفيذية في الدولة وهو رئيس الجمهورية عبد السلام عارف آنذاك، ولا يعني ذلك ان الوائلي هو الوحيد الذي انفرد بهذه المباشرة الواضحة ولكن يبقى هو من المبرّزين بهذا المجال بحكم منزلته الاجتماعية وشهرته الواسعة ووقوف المرجعية الدينية ورجالات النجف وعلمائها فاذا كانت للوائلي ثمة حصانة وهو يلقي قصائده الناقدة

بهذا الشكل داخل مدينة النجف. لكن هذا لا يمنعه من مواصلة مهاجمته للسلطة حتى في عقر دارها حينما استغل ضعفها فبلغت به الجرأة والاستبسال ان يقف في بغداد، وقفة تأريخية مشهودة وأمام أركان السلطة وأزلامها في مؤتمر الأدباء والمفكرين العرب عام ١٩٦٥م في قصيدة تليق ان تكتب بماء الذهب. ومنها:

في القصر أُغنية على شفة الهوى ... والكوخ دمعٌ في المحاجر يلذعُ
ومن الطوى جنب البيادر صرّعٌ ... وبجنب زق أبي نؤاس صرّعُ
ويّدٌ تُكبّل وهي مما يُفتدى ... ويّدٌ تقبّل وهي مما يُقطع
وبراءة بيد الطغاة مهانةً ... ودناءةً بيد المبرِّر تصنعُ
ويصان ذاك لانه من معشرٍ ... ويضام ذاك لانه لا يركعُ

إلى ان يقول:

ولجت حماك وفي الرؤوس مخطَّط ... وأعيذ قومي من لظاه مروِّعُ
وهي الّتي إن أَوترت أقواسها ... في غفلةٍ فأنا وأنت المصرع
فتوقَّ أَرقمها فلست بواجدٍ ... صلّاً على طول المدى لا يلسعُ
لا تطربنَّ لطبلها فطبولها ... كانت لغيرك قبل ذلك تُقرعُ
مازلتُ أعرف في يديها من دمي ... علَقاً وهل تنسى ضناها المرضع
أيام نقتسم اللّظى وصدورنا ... تُضرى فيمنحها الوسام المدفع
ودماؤنا امتزجت سواه فلم تكن ... فرقاً يصنِّفها الهوى وينوِّع
وتعانقت فوق الحراب أَضالع ... منّا فما ميزت هنالك أَضلع
حتى إذا أَرسى السَّفين وعافه ... نوء زحمنا منكبيه زعزعُ

عـــدنا وبـــعض للســـفين حـباله والبـــعض حـــصّته السّـــفينة أجـــمعُ
ومشت تُـــصنِّفنا يـــد مســـمومة مـــتسنِّن هـــذا وذا مـــتشيِّعُ
يـــا قـــاصدي قـــتل الأخـــوة غـــيلة لمُّـــوا الشِّـــباك فـــطيرنا لا يـــخدع
غـــرس الإخـــاءَ كـــتابنا ونـــبيُّنا فـــامتدَّ وأشـــتبكت عـــليه الأذرعُ

وبهذا سجل الوائلي ﷺ حقيقة انتمائه لمدرسة الإمام علي عليه السلام، الذي ربّى جماعته وقومه على قول الحق ونقد الباطل، فكانت مدرسته عليه السلام مدرسة اسلامية عظيمة في البناء الروحي. فعُرف أتباعها بعدم المجاملة والمداهنة والنفاق ولا حتى التـناور. فـهي تـربية عظيمة في الوقوف والتصدي والمطالبة بحق الأمة والجماهير، فأتباعها لا يـتكلمون مـع السلاطين كما كان غيرهم يتكلمون مع جبابرتهم بالمجاملة والمصانعة والتزلّف، وكـانت هذه التربية أو هذه المدرسة هي الّتي جعلت معاوية بن أبي سفيان يخاطب أهل العراق بعد أن أحرجوه بالحجج والبراهين، فقال يوماً ممتعضاً: هيهات يا أهل العراق، لقد لمّظكم علي بن أبي طالب الجرأة على السلطان وبطيئا ما تُفطمون»[١].

قراءة في مؤلفات الشيخ الوائلي:

لم يكن التأليف من اوليات اهتمام الشيخ الوائلي ﷺ، وانما يجد ـ أحياناً ـ الضرورة في إشباع مطلبٍ معين. ولذا فأن تأليفاته قليلة قياساً فيما لو أراد الغور في هذا المجال وهو صاحب القلم السيّال والعلمية العالية والديباجة الفكرية مع اللـفظ المـتألق، ولذا يـمكن الوقوف على آثاره النثرية من خلال مؤلفاته وبحوثه :

---

١ . راجع كتاب (أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان) تأليف العباس بن بكّـار الضبيّ المتوفي سنة ٢٢٢ هـ تحقيق سكينة الشهابي ـ طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٣ هـ ص ٧٠.

١. مؤلفاته :

أولاً: أحكام السجون بين الشريعة والقانون:

بدأت فكرة الكتابة عندما قرأ المؤلف عن سجنين في الكوفة أسسهما الإمام علي عليه السلام ووصفهما التأريخ بمزايا تلفت النظر بما فيهما من رعاية للسجين، ومعالجات تستهدف اصلاحه وتقويمه قبل إيقاع الجزاء عليه، بدأ البحث باستعراض معنى السجن في اللغة والقرآن والسنة الشريفة، ومشروعية الحبس من الكتاب مع أدلة أصحاب المذاهب الاسلامية على ذلك، ورأي المفسرين، ثم الأصول التأريخية للسجون الاسلامية ومواقعها وقوانينها مع ذكرالحدود والتعزيرات وصفة الجرائم الّتي يتناولها التعزير وأقسامها مع الإشارة إلى مرونة التعزيرات من حيث الكمية والنوعية. ثم تكلم المؤلف عن الحاكم بالسجن والمُنفِّذ وأصحاب المهن المتعلقة بذلك كالوالي والحسبة والقانون. وتحديداتها وشروطها مع ذكر الإكراه والضرورة والنسبة اليهما، ثم تناول اهداف العقوبة واتجاهاتها في الشريعة الاسلامية، وأقسام السجون (السجون الأصلاحية ـ الاختبارية ـ التنكيلية...) ونفقات السجن والسجين، ورعاية السجين والاهتمام به، ثم يذكر المؤلف تصنيفاً آخرللسجون (احتياطية ـ استبرائية ـ حقوقية ـ جنائية) ونماذج من مسببات السجن (المرتدة، السارقة ثالثة،... الخ) ثم فترة الحبس والحبس الانفرادي وكل ما يمت إلى السجن والسجين بصلة تناوله المؤلف حتى موضوع الخروج من السجن. وخصص المؤلف آخر فصول الكتاب لتأريخ السجون عبر التاريخ الاسلامي كسجون الشام والعراق والحجاز في عهد الأمويين والعباسين، واستعرض أنظمتها وأصنافها وقارن ما بينها وخرج بنتائج كثيرة ختمها بدعوة إلى تطبيق نظام السجون الاسلامية .

وفي هذا الكتاب ضم الوائلي رحمه الله صوته إلى الأصوات الّتي تدعو إلى اصلاح السجون وتكييفها بما يضمن ولو إلى حدٍّ ما تحقيق أهدافها.

ثانياً: «استغلال الأجير وموقف الإسلام منه»

وهو بحث لاطروحة الدكتوراه قدّمه الشيخ الوائلي ﷺ إلى كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، واحتوى هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة. ذكر المؤلف في المقدمة الدافع لاختيار هذا البحث، وهو الاسهام في تجلية معالم الاقتصاد الاسلامي عن طريق معالجة بعض الجوانب في الاقتصاد الاسلامي وبحث في التمهيد مظاهر الاستغلال في المجتمعات: ما هو تأريخها وما هو مصدرها وهل هو غريزي ام من المحيط ثم مثّل له بنماذج وذكر كيف كافح الاسلام مسألة الاستغلال.

أما في القسم الأول: فقد ذكر فيه تعريف العمل ثم تقسيمه وتقسيم العمال، وذكر استعمال القرآن له بمختلف المعاني وأيضاً ما ذكرته السُنّة من معاني العمل ثم ذكر مكانة العمل ـ غير الذهني ـ عند الحضارات الأخرى ومكانة العمل في الاسلام ممثلاً وشاهداً بما جاء في الكتاب والسنة بكل أقسامها، ثم شرح العمل وعدد تلك الأحكام، واستعرض مسؤولية الدولة عن إعالة العمال وتوفير العمل له من وجهة نظر الشريعة، ومعالجة الإسلام للبطالة وتناول عمل المرأة والصبي والأحكام المترتبة على العمل.

أما القسم الثاني: فشرح فيه معنى الاستغلال وقسّمه إلى مشروع وغير مشروع وشرح الاجارة لتعلقها بالعمل المأجور الذي هو محل الاستغلال فذكر أدلة تشريعها ومبرراتها وما ورد عليها من نقد ورد على ذلك النقد، ثم استعرض الأجور عند المدارس الاقتصادية ومدرسة الإسلام من عملية مقارنة طويلة لكل ملابسات الأجور، وشرح مؤسسات نقابات العمال من وجهة النظر الإسلامية، وهل للإسلام تجربة في ذلك وما هو رأيه فيها وشرح ما يساعدها من فعل المحتسب ودوره في حفظ حق العامل، كما شرح بعد ذلك ضمان حرية المتعاقدين وكيف ضمَنها الإسلام. ثم انتقل إلى حماية العامل من السرقة وشرح الطرق الّتي يسرق منها العامل ومنها فائض القيمة وكيف عالج الإسلام ذلك، ثم ذكر

مجالات عمل الأجير وكيف حددها الإسلام ولماذا؟. وختم هذا الفصل بنظرية تضمين العمال أو عدمه.

أما الفصل الثالث: فقد طرح فيه تساؤلاً عن وجود عناصر أساسية للاقتصاد عند الإسلام أم لا ؟

وأجاب على ذلك بالايجاب وشرح بعض الجوانب البارزة في الاقتصاد الاسلامي كالملكية الفردية ـ كما هي في نظر الاسلام ـ ومبررات الملكية الفردية والآثار المترتبة على الغائها، واستعرض بعدها السمات الأخرى للملكية من كونها توظيفاً اجتماعياً، ثم اشتراط العنصر الخلقي في الاقتصاد الاسلامي وبهذا يتميز الاقتصاد الاسلامي عن غيره.

أما الخاتمة: فقد دعا فيها العمال المسلمين إلى الثقافة الاسلامية ذات العلاقة بالعمل والعمال وتطبيق مفاهيم الاسلام في ذلك على أنفسهم ثم الدعوة لها عالمياً والعمل على نشرها من أجل بناء جيل الغد الباسم على أسس من الماضي العريق ولكي نصل ثقافتنا بجذورها الصحيحة.(١)

والحقيقة ان هذه الرسالة تبحث في أهم المشاكل الحياتية للانسان، فهي دراسة في عمق الواقع وهذا ما يؤكد حرص وغيرة المؤلف ﷺ في توفير احتمالات العلاج للظاهرة أو المشكلة المستعصية في المجتمع، وهو في كُلّ علاجاته وبدائله يضع الاسلام المادة الاولى والهدف الأول للانطلاقة في بناء الحياة وحَلّ مشاكل الفرد والمجتمع. وكانت هذه من أهم ما امتاز به الوائلي ضمن منهجيته في الحياة وفي مجال الخطابة (بالاخص)، فكتابه السابق (احكام السجون بين الشريعة والقانون) هو بحث علمي استمده من حاجة الواقع له وكذا كتابه الأخير (من فقه الجنس في قنواته المذهبية) والذي نحن بصدد تعريفه لاحقاً.

---

١ . هذه الأطروحة لم تطبع من قبل الشيخ الوائلي ﷺ واقتصرنا على تعريفها من خلال ملف مجلة الموسم. عدد سابق ٥١٩ .

ثالثاً: من فقه الجنس في قنواته المذهبية:

من الكتاب والسنة، أنطلق الوائلي في تأليف هذا الكتاب الذي وفِّق فيه بعرض مشكلة الجنس مع تقديم احتمالات الحلول بمنهجية معمقة تغني القارئَ عن الانصراف إلى الموضوعات والموسوعات الطويلة. ويعتبر هذا الكتاب من الدراسات العلمية الجادة الّتي يندر وجود مثيلها في معالجة هذا الموضوع الهام والضروري، فقدتميّز الكتاب ومن الوهلة الأولى من خلال عنوانه الذي سهل به للقارئ غير المختص المضامين الفقهية المتعددة حول الجنس. كما انه حرص على تلخيص أم المسائل الجنسية وضغطها مع تحاشي الاخلال بالمضمون، توفيراً لوقت وجهد القارئ. وهي مسائل جديرة بالمطالعة لمختلف القراء ليقفوا بأنفسهم حيالها موقف المتفهم الواعي، بعدما حتمت التطورات المعاصرة إلى ان تكون المرأة إلى جانب الرجل في كُلّ مكان وبشكل من التبرج وإبداء المفاتن الذي يعصف بالاعصاب بالأضافة إلى شيوع نظريات (فرويد) ومدرسته الّتي تحصر كُلّ أنماط السلوك بالغريزة الجنسية وأيضاً المدارس الغربية الّتي ترى ان اطلاق الطاقات الغريزية ضمان للصحة النفسية. وفي مقابل ذلك يعالج المؤلف ﷺ الموروثات القبلية والمتخلفة في المجتمع الّتي من شأنها الحيلولة دون تيسير الزواج، ووضع العقبات أمام الشباب لممارسة غريزتهم الجنسية في جوٍ شرعي.

رابعاً: هويةَ التشيّع

وهو من أكثر كتب الوائلي ﷺ صدىً وانتشاراً، تّعرض فيه لأمور تكفي لايضاح هوية التشيع وبالاخص الأمور الّتي يدور حولها نزاع بين مختلف الفرق الاسلامية من جانب والامامية من جانبٍ آخر، ورغم كثرة مَن كتب عن الشيعة والتشيع إلا ان كتاب الوائلي ﷺ امتاز بمنهج واسلوب يختلف عن التأليفات الأخرى عند الآخرين. وقد تميّزت مواضيع الكتاب ومسائله مختلفةً لم تكن وحدة موضوع بينهما، وإنما كانت المعالجة لما يمليه الموقف العابر ـ وكما اشار هو ﷺ إلى ذلك في مقدمة الكتاب. فقد احتوى الكتاب

على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب يحتوي كُلّ منهما على عدة فصول، فبعد ان يستعرض في التمهيد طور التشيع والادوار الّتي مرّ بها. اعتماداً على مصادر عديدة بهذا الخصوص .ثم يتناول في الفصل الأول: بدايات التشيع والأدلة على تكوين التشيّع أيام النبي ﷺ ثم يستعرض بعض رواد التشيع الأوائل ويعقب على بعض.هؤلاء الرواد من الشيعة ثم يفرد فصلاً حول الفرق بين الشيعة والروافض ولماذا سمّي الشيعة شيعةً ولماذا سمّي الروافض روافضاً، ويؤكد المؤلف ﵀ ان نعت الشيعة بالروافض جاءت في عصر الأمويين وهي تختص بجزء من الشيعة، لا كُلّ الشيعة ويذكر بذلك العديد من المصادر منها تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي، وفي الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري وفي ترتيب المدارك للقاضي عياض وغيرها. ثم يستعرض الظلم الذي لحق بالشيعة بعد ان أجاز الأمويون لانفسهم سبّ علي ﵇ .

وأفرد في الباب الثاني، فصولاً منها فارسية التشيع ثم يعقب المؤلف على هذا الموضوع ويستعرض في الفصل الثاني أقوال الباحثين في فارسية التشيّع مع تعقيبات على هذه الأقوال. ويذكر بعد ذلك أسباب دخول الفرس للتشيع في نظر السُنّة ثم الاجابة على أسباب دخول الفرس للتشيع، وفي الفصل الثالث يستعرض آراء الباحثين حول هوية التشيع ويوضح مقومات الهوية العرقية ثم يفرد في الفصل الرابع عنوانَ: من هم أئمة التشيع؟ ثم يستعرض هوية الفرس قبل الفتوحات وبعدها وكيف ولد التشيع بين صفوف الايرانيين. وفي الفصل الخامس يوضح المؤلف ﵀ اهم اقطاب أئمة السنة والمذاهب الأربعة وفي الفصل السادس يوضح اسباب رمي التشيع بالفارسية ومن ثم يبيّن كيف صار الفرس شيعة.بعد ان يستعرض فيه أربعة اقسام اشبه بالاحتمالات التأريخية لدخول الفرس إلى التشيع. ويقول الوائلي حول هذا الأمر الذي يثار بين الحين والآخر والذي يعتقد البعض بأنه لا جدوى ولا فائدة من ورائه يقول: «ان الباحثين عن الواقع لم يخل منهم عصر من العصور، وان الذين غلبت عليهم الشبهات تاهوا فيها وهم ليسوا بالقليلين، وترك امثال هذه بدون

التعاون معهما أمر ليس مما يستسيغهُ من يحمل رسالة في دفع الحياة إلى الأفضل كما أنه ليس من الدين في شيء، إن تمكين الأقلام المشبوهة من نفوس المسلمين وأفكارهم لتتخذ منها فرائس هو إسهام بشكل وآخر مع تلك الأقلام بما تجترحه من آثام، اننا مدعون لكنس هذا الركام عن طريق المسلمين حتى يكون الدرب سمحاً لاحباً أمام خطاهم وكل نتائج تحرز في هذا الميدان هي فتح وانسجام مع دعوة الإسلام للجهاد بالقلم والفكر وليس من المنطق في شيء ان نترك المريض يصارع الداء بدون ان نعطيه جرعة دواء ونحن نملك القدرة فيما نظن على ذلك).

وفي الباب الثالث من هذا الكتاب يوضح بعض الشبهات الّتي لصقت بتاريخ الشيعة وأهمها قضية عبد الله بن سبأ التي حاك أُسطورتها الأموي (الكاذب والزنديق الوضاع) سيف بن عمر ثم يوضح دور الشيعة وعلمائها من قضية ابن سبأ[١] ثم يستعرض آراء المستشرقين فيه وآراء طه حسين والآراء الاسلامية الأخرى .

بعد ذلك يستعرض المؤلف ﷺ ظاهرة الغلو، باحثاً عن منشئها وآراء الباحثين فيها ثم يتحدث بعد ذلك عن عقيدة الشيعة بالامام المهدي (عج) ودور التقية في الاسلام واقوال فرق المسلمين فيها.

وفي الباب الرابع يحاول المؤلف الردّ على بعض الشبهات والافتراءات المنسوبة إلى الشيعة ومنها الجمع بين النساء والشك في النبوة ورمي التشيع بالشعوبية ثم يوضح مفصلاً ماهي الشعوبية؟ واسباب نشأتها وعلاقتها بالتشيع مع تعقيبات علميّة وتأريخية غاية في الدقة والشمول والاستقصاء، ومثلما قلنا في أول اسطر التعريف بهذا الكتاب ان الكثير من هذه المواضيع قد تطرق لها كبار علماء الشيعة وتركوا مصادر عديدة معتبرة حولها ولكن

١ . راجع بحثنا الموسوم (العلامة العسكري رؤية اسلامية معاصرة) ضمن كتاب تكريم العلامة العسكري، «المؤلف».

الحقيقة أن أسلوب المعالجة عند الشيخ الوائلي ﷺ له نكهته، الأمر الذي يجعل القارئ يتابع موضوعات الكتاب بأكمله.

خامساً: تجاربي مع المنبر:

وهو من أوائل الكتب الّتي تتحدث عن تجربة المنبر الحسيني، ووضع فيه الشيخ المؤلف كُلّ ما أسعفته الذّاكرة من مواقف وطرائف وحصيلة تجربة حياتية طويلة دامت أكثر من نصف قرن على ارتقائه اعواد المنبر، فتضمن الكتاب مقدمة ومجموعة من العناوين وخاتمة، ولم يبوب على هيئة فصول وإنما اقتصر على عناوين مواضيع أشبه بالمستقلة عن بعضها البعض فتناول أولاً تصورات عامة حول المنبر وأخلاقيات المنبر وملامح حول الخطيب والخطابة، ومن ثم وضح أثر البيئة على وضع الخطيب في صقل ونضوج عقلية وقابليات الخطيب المكتسبة، سيما وان للخطيب ميّزة مهمة وهي الاستعداد الفطري (الموهبة) ثم تناول موضوعاً مهماً وهو كيف نبني ونطوّر المنبر الحسيني، ثم موضوع الوسائل المقومة لنجاح الخطابة والخطيب، ثم يؤكد في موضوع منفرد أهمية المؤسسة المؤهلة لبناء المنبر، ويركز الوائلي ﷺ على ان يكون للمرجعية الدينية دور مهم في تبني الخطيب والمنبر الحسيني، بعد ذلك يستعرض أهم الأهداف المرجوّة من وجود المنبر ثم يوضح مراحل نشوء الخطيب في المراحل السابقة والطريقة الّتي كانت سائدة في نشوء الخطيب، ثم يستعرض المؤلف تجربته الخطابية بأمانةٍ وصدق. فيجد فيها القارئ، صدق صراحته وتواضعه الذي يندر ان نجده عند أقرانه أو ممن ارتقى لهذه المكانة الاجتماعية البارزة! بعد ذلك يوضح المؤلف ﷺ منهجه في الخطابة القائم ـ كما لمسناه ـ بالتجديد والحداثة، والذي لم يكن مألوفاً سابقاً، ثم يتطرق إلى أثر المحيط ورجالاته في صنع الخطيب وينتهي المؤلف بنصائح وارشادات إلى الخطباء نابعة من صميم تجربته الخطابية الطويلة ويعرضها إلى أصحاب هذه الصناعة بكُلّ كرمٍ وحرصٍ وغيرةٍ كي ينتفع بها الباقون ويبقى للمنبر دوره السامي في بناء الفكر العقائدي للانسان المسلم، ويظلّ الشعلة المنيرة

لإضاءة الظلام وكشف اللثام عن المخاتلات والمخادعات الي تمارس باسم الاسلام استخفافاً بعقول العباد واستهتاراً بقيم السماء.

ومن مؤلفاته المخطوطة:

١. الأوليات في حياة الامام علي عليه السلام: ويتضمن مالم يُسبق به الامام نظرياً وتطبيقياً من الأمور.

٢. جمعيات حماية الحيوان في الشريعة الإسلامية: ويتضمن النصوص الاسلامية في حماية ورعاية الحيوان ونمط معلوماته.

٣. الخلفية الحضارية لموقع النجف قبل الإسلام: ويتضمن تحديد النجف جغرافياً وانماط الحضارات السكانية الّتي توطنته وآثارها قبل الاسلام.

٤. منتجع الغيث في الصحابة والأعلام من بني ليث: ويتضمن دراسة اعلام أُسرته، متتبعاً آثارهم وتأريخهم.

٢. بحوثه:

بين فترات زمنية متباعدة، يحاول رحمه الله ان يكتب بحثاً لاغناء مطلبٍ ما، أو تلبيةً لدعوةٍ يرى فيها الضرورة والمصلحة للكتابة في أمرٍ أو مطلبٍ معين.

وهذا ما يؤكد قلة اهتمامه بهذا الجانب وانصرافه الكُلّي للمنبر الحسيني وتحضير مادته.

ومن بحوثه العلمية والتأريخية هي :

أولاً: التنوع الحضاري لمدينة النجف الأشرف [١] .

وهو بحث تأريخي يسلّط فيه الوائلي رحمه الله أضواءً تأريخية هامة للابعاد الحضارية

١ . الوائلي، بحث ضمن كتاب (النجف الاشرف... اسهامات في الحضارة الإنسانية): ١ / ٢٤٦ .

المتنوعة والمتميزة في تأريخ النجف الأشرف قبل الاسلام، ويؤكد فيه على الخطأ الشائع على ان النجف عُرفت وولدت بولادة عهد الشيخ الطوسي رحمه الله، بعد ان كانت وجوداً ضئيلاً لا يسمى مجتمعاً. ويضيف ان هذا التصور ليس بصحيح، فالمتتبع لتأريخها يتأكد من وجودها قبل الاسلام وبزمن طويل، ويقول: عندما مرّ أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام كانت النجف مدينة وكانت مسكونة بكثافة وكان يزلزل بها فنزل إبراهيم عليه السلام ضيفاً على أهلها فلم يزلزل بهم، وعندما تأكدوا من ذلك قالوا أن هذا من بركة ضيفنا وأصرّوا عليه بالبقاء وألزموه فأبى عليهم إلا أن يشتري منهم الأرض فأنعموا بالقبول فاشتراها منهم بمائة نعجة فسميت (بانقيا)، لأن (نقيا) بلغتهم نعجة و (با) تساوي مائة [1] ثم يستطرد الوائلي رحمه الله بالعديد من الأدلة الأخرى لاثبات تاريخ النجف قبل الاسلام ومن ثم يُثَبت مسيحية المنطقة ويخطّأ رأي الكاتب محمد حسين هيكل على ضوء الآية القرآنية في تفسير قوله تعالى عن عيسى وامه مريم ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ وعن هيكل «ان التماسك في كيان الامبراطورية الرومانية من الشام وفلسطين إلى شواطئ الفرات ليدين به أهل الحيرة ويؤمن به اللخميون والمناذرة)[2] ويروح الوائلي رحمه الله يعدد مزايا هذه المنطقة ويتغنى بشعره حنيناً صادقاً، ويبكيها بكاءً مراً، وتطفح حرارة عاطفته بألق جميل جداً.

ثانياً: الامام الخوئي علامة بارزة في آفاقنا العلمية[3]:

وهو من البحوث العلمية الّتي تناول فيها الوائلي رحمه الله لبعض مؤلفات السيد الخوئي وبالاخص كتاب (البيان) في التفسير القرآني، وبدراسة مقارنة مع كتب التفاسير الأخرى عند أصحاب المذاهب المختلفة مراعياً اختياره الفاصل الزمني بينهما، هادفاً إلى التعرف على الفوارق سواء كان بين اصحاب عصرين متقاربين أو بين اصحاب العصر الواحد الذي

١ . ياقوت الحموي ـ معجم البلدان: ٢ / ٤٩ فصل نقيا .
٢ . محمد حسين هيكل، حياة محمد صلى الله عليه وآله: ٣٠ طبعة مصر ١٣٥٤ هـ.
٣ . الوائلي، مجلة الموسم العدد (١٧) ١٩٩٤ م / ١٤١٤ هـ: ٤١٧ .

ينتمي إليه السيد الخوئي، فالاولى تتكون ـ كما اختارها الوائلي ـ من الفخر الرازي صاحب مفاتيح الغيب والقرطبي صاحب جامع البيان والطبرسي صاحب مجمع البيان، وهم من مختلف فرق المسلمين، أما الثانية: فهم كُلّ من الآلوسي صاحب روح المعاني والطباطبائي صاحب الميزان والسبزواري صاحب مواهب الرحمن. معتمداً بهذه المقارنة على ما كتبه في مقدمات كتبهم اولاً ومن ثمَّ على المعالجات التفسيرية. ومن الأمور الّتي ذكرها الوائلي في هذا المجال هي مسألة القول بخلق القرآن وكيف عالجها السيد الخوئي. يقول الوائلي جاءت معالجتها ضمن بحث صفات الباري تبارك وتعالى، وهي تنقسم إلى صفات ذاتية وأخرى فعلية، بدأ السيد بالاشارة إلى ان هذه المسألة حادثة وقد نشأت من تغلغل الفلسفة اليونانية عند المسلمين، ومن ذلك ذهب الأشاعرة إلى تقسيم الكلام إلى نفسي قائم بالذات. ولفظي يدل على اليقين، وانتهوا بعد شرح إلى ان القرآن قديم، بينما ذهب العدلية والمعتزلة إلى حدوث القرآن وإلى ان الكلام منحصر باللفظين وان التكلم صفة فعلية. والصفات الفعلية هي الّتي يمكن أن يتصف بها الله تعالى في حال وينقضها في حالٍ آخر، فالذاتية لا تنفك عنه بحال من الأحوال كالحياة والعلم، والقدرة الفعلية هي مثل الكلام والخلق والرزق.

ثم يستعرض الوائلي ﷺ آراء فرق المسلمين حولها ومنهم الحنابلة والكلامية والأشاعرة. ثم ينتهي بقول الإمامية ورأي السيد الخوئي بعد ان اشبع البحث بالروايات والأحاديث والنصوص القرآنية.

بين المعاصرة والتراث:

مقال، تصدر أحد أعداد مجلة الموسم العدد السادس منها ١٩٩٠ م.

تناول فيه أهمية التراث بعد أن أوضح مفهومه لُغةً، وانحساراً بجانبه المادي، إلا إن الاطلاق فيه مجاز وتوسع، فشمل كُلّ ما يتبادر للذهن من الجانب الفكري والاجتماعي، بعد ذلك يوضح أهمية الجديد المعاصر على ضوء ما يستمده من القديم، مؤكداً على ان ليس

كُلّ جديد هو خير وأفضل من القديم. فرب قديم أكثر روعة وأهم من الجديد المعاصر. هذا مع ان القديم أساس للجديد وما لا أُسَّ له فمهدوم، فضلاً عن أن القديم يعتبر مرحلة من المراحل ولا يستطيع الإنسان أن يبدع بقطع هذه المرحلة، فما كان الابداع يوماً من الايام طفرة، وقد قامت الدنيا على مراحل في عطائها. فالتطور صعود والصعود إلى السطح لابد معه من المرور على السلالم الدنيا. ثم ان الابداع الجديد ـ والقول للوائلي ﷺ ـ مدين للقديم بالحفز والدفع ومضاعفة الجهد لإحراز التفوق فان ذوي الماضي العريق يحملون في نفوسهم نزوعاً لمواصلة المجد، وربط آخر المسيرة بأولها بما هو أروع، يضاف لذلك كله ان للماضي في النفوس مكانة ولعلها ناتجة من كون الماضي أم والإنسان يحنُّ لأمه وهكذا. ثم يروح الوائلي ﷺ يصف الجديد ويصنّفه إلى نوعين:

١. نوع لا نجدْ ما يستحق ان يوصف بالجديد سوى السطوح وكأنه صنعته محاولة مستعجلة لمجرد التغيير والخروج عن إطار القديم بدون أيّ ابداع في المضمون ولا إضافة جديدة في المحتوى.

٢. هو اضافة جديدة مرت بعطاء سابق فزادته ثروة وأضافت له بريقاً أو كشفت فيه طعماً وأشربته سمات المعاصرة، وبذلك صعدت به عن التراث واجتازت الحد الفاصل بينهما، وهذا هو الذي يجب ان نقف عنده والذي يطلق عليه بالجديد بجدارة. وهذه المحاولة لم تنسخ القديم بل حافظت على مكانته بعيداً عن العبث به أو إقصائه أو إلغائه .

ثم يورد الوائلي ﷺ مجموعة من الأمثلة التطبيقية على ما تقدم من حديثه. ونكتفي في هذا التعريف على المسألتين الاقتصادية والأدبية الّتي وردت في سياق المقال.

فالتراث، يقول الإمام علي ؑ: «والله ما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني والله سائلهم عن ذلك...» والمعاصرة، هو قول برنادشو: «العالم كرأسي، غزارة في الانتاج وسوء في التوزيع».

فالقولان في مضمون واحد، ولكن يبقى للقول الأول متانته وقدرته على التلخيص والاختصار وايقاعه ورونقه التعبيري، فالتراث هنا ابلغ من الجديد.

أما المسألة الأدبية، فلو أخذنا لفتة الشاعر الرقيقة من التراث القديم قبل أكثر من ألف ومائتي سنة تقريباً وهو يتغزل بامرأه رقيقة، يقول:

تـوهمها طـرفي فألَّـمَ خـدَّها ... فكان مكان الوهم من نظري إثْرُ

وصـافحها كـفّي فألَّـم كـفّها ... فمن لمس كفي في أناملها عُـقرُ

ومرت بقلبي خاطراً فـجرحْـتُها ... ولم أرَ شيئاً قط يجرحـهُ الفكـرُ

وفي هذا المعنى بالذات يقول شاعر معاصر، وعلى ما أعتقد أنه «الوائلي ﷺ» :

وجـناتُها رقّت وكِـدنَ لطـافةً ... مـن رقـةٍ يُـدمَيْنَ بـالإيماءِ

فالجديد اختصر ما أطال به القديم وأدى نفس الغرض، مع ان هذا وذاك انصبّا على وصف حالة معينة، ولا يفوتنا الحداثة في اللفظ المعاصر فهي أحدث وأجدُّ مما تناولها القديم.

وعلى ضوء ما تقدم، فان الوائلي ﷺ يخلص إلى نتيجة، وهي الحاجة إلى كُلّ من التراث والمعاصرة جمعاً ومزاوجةً بين الانطلاق من أصالة القديم والأخذ بالحديث الجديدالمستمد من اصالته انسجاماً مع الارتباط الزمني والمسايرة لركب التطور الحاضري مع تأكيده الدائم على حفظ الهوية الواضحة المرتبطة بالجذور حفاظاً على واقع الشخصية واعتزازاً بالسلف الذي بنى سُلّم الحضارة.

الفصل الثاني

عالم الخطابة وتجربة الخطيب

الخطابة:

أهمية الخطابة:

بدايات الخطابة عند الوائلي:

منبر الوائلي ورقابة العلماء:

مراحل تطور المنبر الحسيني:

منهج ومميزات منبر الوائلي:

الوائلي والوعي الديني:

أجزاء الخطبة عند الوائلي:

من ألطاف وبركات المنبر:

خطباء من مدرسة الوائلي:

نصائح من التجربة:

الخطابة

ورد الخطاب في القرآن الكريم بمعنى حسم الخلافات وفصل الخصومات، قال تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [١]، كما ورد اللفظ بمعنى الغلبة في المحاجة كما في قوله تعالى ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [٢]، كما وردت بمعنى السؤال عن القصد والشأن كما في قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِي﴾ [٣] أيّ ما شأنك ولماذا صنعت هذا؟ وقال تعالى ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [٤] بمعنى لا تسألني في شأنهم، وقال تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ [٥] أيّ لا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم في جدلٍ أو عراك مع السفهاء والحمقىٰ. [٦]

وهناك تعريفات كثيرة للخطابة، بعضها ينطلق من اساس علمي وبعضها من أساس فني، وقد تحدث الأدباء والبلغاء وعلماء المنطق عنها بتعابير شتى، بل كانت من احدى

---

١ . سورة ص: ٢٠ .

٢ . سورة ص: ٢٣ .

٣ . طه: ٩٥ .

٤ . المؤمنون: ٢٧ .

٥ . الفرقان: ٦٣ .

٦ . من بحث الاستاذ الشيخ علي عبد الله الخطيب / الموسم مصدر سابق .

اهتمامات علماء المنطق وقد صنّفوها ضمن الصناعات الخمس وهـي صـناعة البـرهان، والجدل، والشعر، والمغالطة، والخطابة وممن تحدث عنها من المناطقه هو الشـيخ نـصير الدين الطوسي في (منطق التجريد) والعلامة الحلي في (الجوهر النضيد في شـرح مـنطق التجريد) وابن سينا في (الشفاء) والشيخ محمد رضا المظفر في كتاب (المنطق)، ولأرسطو كتاب خاص باسم (الخطابة) كتبه باليونانية وترجمه إلى العربية في العصر الحديث الدكتور عبد الرحمن بدوي.

فيقول المظفر، هي: «صناعة علميّة بسببها يمكن اقناع الجـمهور فـي الأمـر الذي يتوقع حصول التصديق به، بقدر الإمكان»[١].

وَعرفوا الصناعة بأنها «مَلكَة نفسانيّة، وقدرة مكتسبة يُقتدر بها على استعمال أمورٍ لغرضٍ من الأغراض، صادراً ذلك الاستعمال عن بصيرة، بحسب الامكان كـصناعة الطب، والتجارة، والحياكة مثلاً... والصناعة على قسمين: علميّة وعمليّة، والخطابة من الصناعات العلميّة النافعة»[٢].

ولتوضيح هذا التعريف يقول الشيخ محمد باقر المـقدسي [٣]: المـراد مـن قـولهم «الخطابة صناعة» هو التأكيد على أن الخطابة عمل فنّي يتعلم الإنسان أصوله وقواعده، ثم يطبّقه في الخارج، وهذا يعني أن الخطابة صناعة كسائر الصناعات والأعمال الّتي تتطلّب الممارسة الخارجية، إضافة إلى العالم بأصولها كالطب والتجارة والحياكة وغيرها، وليست نظريّة وفكرية بحته كالقضايا الفلسفيّة. وقولهم (علميّة) أي أنها تعتمد على الفكر واللسان، دون اليد والآلة.

---

١ . (المنطق) للشيخ المظفر: ٤١٥ .

٢ . ن. م: ٣٤٤ .

٣ . محمد باقر المقدسي: دور المنبر الحسيني في التوعية الاسلامية، وهي رسـالة دكـتوراه **PHD** في الدراسات الاسلامية من الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية، لندن .

وقولهم: «بسببها يمكن إقناع الجمهور في الأمر الذي يتوقّع حصول التصديق به بقدر الإمكان» أي أن الخطابة وسيلة لإقناع المستمعين، وحملهم على التصديق بصحّة المقول في أمور يمكن تصديق الخطيب فيها، أي الأُمور القابلة للقبول والتصديق، لا الأمور المستحيلة والمستعصية.

وقولهم بأنها «ملكة نفسانيّة، وقدرة مكتسبة...» أيّ أن الإنسان إذا تعلّم أصول الخطابة وقواعدها وآدابها، ثم مارسها وطبّقها وتمرّن عليها، تكوّنت عنده قدرة خاصّة، يكتسبها من العلم والتطبيق، ونتيجة لذلك تحصل في نفسه ملكةٌ يستطيع بواسطتها أن يستعمل الأساليب الخطابية؛ لغرض إقناع الجمهور بما يريد، ولا بد أن يصدر عمله هذا عن وعي وبصيرة وقصدٍ وإرادة.

أما تعريف الخطابة عند (الحوفي) في كتابه فن الخطابة، فهي «فن مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته». وأما عند البستاني فهي: «شكل فني يعتمد الاساس العاطفي في التعبير مصحوباً بالأدوات الفنية من ايقاع وصورة ونحوهما من العناصر الّتي تطبع الفن.[1]

أهمية الخطابة

قبل الولوج إلى أهمية الخطابة في حياة الإنسان والمجتمع، والّتي تعتبر بحق أبلغ واجدىٰ سلاح في التغلب على الخصم المعاند والمكابر، نجد آفاق هذه الخطابة واسعة في قيم الاسلام، وقد أكد القرآن على ضرورة الحوار الهادف من خلال الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالتي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وأخرى ﴿فَإِذَا الذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ سيما وان مفهوم الخطابة من مجمل تعاريفها تدل على أنها «فن الحوار»،

---

١ . محمود البستاني، الاسلام والفن: ٥٠ .

والحوار هو منهج الحياة الانسانية والأسلوب الذي تعاطته البشرية منذ بدء الخليقة وعاش في جميع مراحل حياتها ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

وبقي الحوار دوماً يتجاذبه نمطان من السلوك، نمط يعتمد المنطق ويستند إلى الحجة والدليل وينشد الحق ويتحرى الحقيقة، فيما كان الآخر يعتمد الجدل العقيم ويستند إلى التقليد الأعمى ويفتقر إلى الحجةِ والدليل. فقد مثل المنهج الأول خط الأنبياء والأوصياء وأتباعهم فيما مثل المنهج الثاني أصحاب الهوى وأصحاب المنافع الضيقة والجبابرة والمستكبرين ورُبَّ سائلٍ يقول: إذاً ما جدوى الحوار وما هي فائدته؟

ان ما ينهجه أصحاب الحجة والدليل، خط الأنبياء واتباعهم هو لتحقيق غرضين:

١. إقامة الحجة على الأمة: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٢].

٢. تعليم وتربية أبناء الأمة على ممارسة الأساليب الصحيحة للحوار ومن خلاله ارشادهم إلى الحق ومعرفة قيم الدين ومفاهيم الإسلام، وهذا الغرض هو بحد ذاته تحصين الرأي العام للمجتمع الاسلامي من فتن الشبهات واثارة المغالطات الّتي يلجأ إليها النفعيون والمنحرفون في ترويجها لتحقيق مصالحهم.

وقد تضمن القرآن الكريم أساليب متعددة للحوار، منها أسلوب الدعوة إلى التفكر في آيات الخلق، وأيضاً الدعوة إلى التفكر في احداث التأريخ والدعوة إلى التفكر بآيات الأنفس، والدعوة إلى الحق والدعوة إلى التفكر في التوحيد.

---

١. البقرة: ٣٠.

٢. النساء: ١٦٥.

اذن فالحوار هو تأكيد قرآني أزلي، ولذا فان الخطبة هي الأخرىٰ تأكيد قرآنيّ فيما لوصح لنا الاستنتاج والاستعاضة. ولذا فان أهمية الخطبة تتولد من أهمية الحوار، وفائدتها من فائدة الحوار الّتي مَرّ ذكرها قبل قليل. وللضرورة الأكثر وضوحاً في أهمية الخطابة ومنزلتها وقوتها في التأثير على ذهنيات الآخرين واستمالتهم نجد في الآية الكريمة قمة الوضوح في المطلب، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[1].

نلاحظ ان موسى عليه السلام يتضرع إلى الله ويطلب منه أن يرسل معه أخاه هارون لأنه صاحب لسان فصيح وحجة قوية يعينه على مواجهة بني اسرائيل والتغلب عليهم.

اذن فأهمية الخطابة وفائدتها تكمن في تثقيف الأمة وتوعيتها وهديها ورَشدها، فهي لها دور مهم في بناء حياة الأمم والشعوب وهي ضرورة من ضرورات الحياة الّتي من خلالها تعالج الأمور العقائدية والتربوية والفكرية والاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية والعسكرية، فالخطابة شأنها شأن الحوار من حيث اهميته وضرورته في الحياة.

بدايات الخطابة عند الشيخ الوائلي

دخل الوائلي ميدان الخطابة وله من العمر ١١ عاماً وكان ذلك في عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٨ م وكانت البداية مع والده الخطيب الشيخ حسون سعيد، وهو خطيب غير مشهور، وقليل القراءة. فكان الوائلي يخرج مع والده حاملاً فانوساً يضيء لهم الطريق ـ يوم لم تكن هناك انارة الكهرباء ـ ويقرأ أمامه المقدمة .ثم تتلمذ عند أشهر الخطباء في عصره منهم

١ . القصص: ٤٤ .

الخطيب المرحوم الشيخ مسلم الجابري والخطيب المرحوم محمد الكاشي، يقول الوائلي: «كانت تلمذتي عليهم لا تتجاوز الخروج معهم للمجالس وقراءة المقدمة ليس إلا». ولكن من خلالهما تعرف على نبض المجالس ونوعيتها لان لكل من الخطيبين منهجه وسلوكه في القراءة، فكان الجابري يحبك موضوعه ويرصفه بجمل مناسبة ولا يتوسع فيه ولم يكن ذو صوت قوي وحسن، بينما كان الكاشي يمتلك صوتاً رقيقاً شجياً ينتقي العبارات المثيرة في تفعيل عاطفة الجمهور، رغم بساطة مواضيعه، وكان محبوباً في أدائه عند العوام والملائية.

وبعد ان تبلورت لديه القابلية في التمييز بين المنبر المرغوب ممّا هو غير مرغوب، التحق بمجالس الخطيب المرحوم جواد القسام ولم يكن له صوت كما ينبغي، ثم قرأ لفترة طويلة مقدمة امام المرحوم الخطيب السيد باقر البهبهاني المعروف بسليمون، واقتصرت تلمذته على قراءة المقدمة والاستفادة من أخلاقه وهديه سيما وان الخطيب البهبهاني من السادة المعروفين بطهرهم واستقامتهم وبساطتهم. وخلال هذه الفترة ونتيجة تزاحم مجالس المرحوم سليمون أخذ الوائلي يقرأ في المجالس الأسبوعية منفرداً بعد ان سمح له السيد سليمون في القراءة بمجالسه. وكانت هذه فرصة ثمينة استثمرها الوائلي في التدرب والتمرين والممارسة والتطبيق لكُلّ محفوظاته.

أما الخطباء الذين تتلمذ عليهم بمعنى التلمذة فهما المرحوم الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي والمرحوم الخطيب الشيخ محمد علي القسام، وقد قرأ الوائلي المقدمة أمام كُلّ منهما، فبالنسبة إلى الشيخ اليعقوبي يقول الوائلي «أول ما قرأت أمامه كان في دار المرحوم الحاج محمد دخيّل في طرف العمارة بالنجف» ثم توالت قراءتي معه تلميذاً ثم مشاطراً بالمنبر حيث كانت العادة ان يقرأ خطيبان في المجلس الواحد.

وكذا الحال مع المرحوم القسام[1] هو الآخر تتلمذ عليه وشاطره المجلس وكان لا يبخل عليه بالملاحظة وكان يُقَرِّبَهُ دوماً ويجد له الفرص الكثيرة للقراءة، بحكم أنه كان زوج عمته.

وبعد وفاته يقول الوائلي: انفعلت وشعرت بلوعة، ورثيته بقصيدة في حفل أربعينه، وقد قرأتها أولاً للمرحوم اليعقوبي الذي عاش بعده فترة، فأهتزّ لها وأكبرها ـ علماً ان اليعقوبي اديب ألمعيّ وشاعر مجيد ـ، ومنها:

---

١ . كان الشيخ محمد علي القسام أديباً بارعاً، وشاعراً مرهف الحس والذوق، فله قصيدة بعنوان «القلب المصدوع»، ومنها:

قلبي تصدع من وجدٍ ومن ألم ... ومهجتي لم تزل مشبوبة الضرم
وها فؤادي بعد الظاعنين وهاَ ... انسان عيني بعد البين لم ينم
كم لي وقد صوت الحادي بركبهم ... مدامع قد جرت ممزوجة بدم
ياراكباً جسرة هيماء قد طبعت ... على المسير وقطع البيد والأكم
تشق قلب الفيافي في مناسمها ... فلا تكادترى من خفة القدم
عج بالمدينة واندب أسد غابتها ... من طبق الكون في باس وفي كرم
والضاربين بيوت العز فوق ذرى ... العلياء مثبتة الأطناب والدعم
هبو بني مضر الحمراء وانبعثوا ... كالأسد تحت شبا الهندية الخذم
لا صبر حتى تقودوا الخيل مسرجة ... جرداً عليها من الفرسان كل كمي
لا صبر حتى تهزوا السمر مشرعة ... من كل أسمرٍ في اللبات منحطم
فما لكم قد قعدتم والحسين لقى ... في كربلاء قضى صادي الفؤاد ظمي
ورأسه فوق رأس الرمح مرتفع ... كالبدر أشرق من داج من الظلم
ما بال هاشم قد قرت ونسوتها ... بين العدى لم تجد من كافل وحمي
تغض طرفاً وقدماً كنت أعهدها ... على المذلةِ لم تهجع ولم تنم
ان تمس منعفراً فوق الصعيد لقى ... دامي الوريد برغم المجد والكرم
فقد قتلت نقي الثوب من دنس ... مهذباً من مسيس العار والوصم[1]

---

(١). مجلة الموسم العدد (١٢): ١٠٩.

ستون عاماً على الأعواد قد صنعت ... لك الخلود فرفرف أيها العلمُ
غذّتك من سير الأبطال ريقها ... وعلّمتك وبعض الناس ما علموا
بأن كُلّ بناء أسّسوه على ... غير الحقيقة والتقوى سينهدم
وإن من لم تلفعه خلائقه ... عار وإن لفعته البرد والهدمُ[١]

كما حضر الوائلي مجالس السيد حسن شبر ومجالس آخرين منهم المرحوم الشيخ عبود النويني الشيخ مهدي البديري.[٢]

منبر الوائلي.. ورقابة العلماء:

لم يكن المنبر الحسيني بعيداً عن اهتمامات كبار علماء الدين، من حيث ما يتعلق بمضامين المحاضرة من شوارد ومواقف تأريخية وروائية وتفسيريّة يترجح فيها القوة والقبول والضعف والترك وإلى غير ذلك.

ومما يؤسف له، لم يخطر ببالهم مشروع منظّم ودقيق لتطوير قابليات الخطباء والرقي بمستوى المنبر الحسيني مع متطلبات عصرهم وما بعده[٣].

فقد كانت هذه الرقابة العلمائية محط أنظارالخطيب والّتي تحمله على أن يتقن فنه الخطابي ويحسن الاختيار، سيما وان أغلب العلماء يعقدون في بيوتهم مجالس العزاء اسبوعياً تسمى بمجالس (العادة). فكان الوائلي ﷺ في بداية مشواره الخطابي يرتقي المنبر

١ . تجاربي مع المنبر: ٧٧ .
٢ . مجلة آفاق اسلامية العدد الأول، ذو القعدة ١٤٢٢ هـ كانون الثاني ٢٠٠٢ م: ٦٣ .
٣ . كانت هناك محاولة من قبل المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر ضمن مشروع منتدى النشر لافتتاح معهد للخطابة ولكن جوبه هذا المشروع بحملة مضادة قوية وأخفق. وستأتي تفاصيلة في الفصل الثالث ان شاء الله.

في بيوت هؤلاء العلماء بعد أن يُدعى لها عند غياب أو تأخر الخطيب المحترف.

أولاً: توجيهات الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

يقول الشيخ الوائلي: في مدرسة المرحوم آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وكان عنده مجلس يعقد في كل يوم جمعة، وكنت يوم ذاك صبياً أرتدي الكوفية ولم ألبس العمة بعد، فحضرت في يوم الجمعة فجلس الشيخ كاشف الغطاء واتفق ان تأخر الخطيب وهو المرحوم الشيخ حسن بن الشيخ كاظم السبتي، فأشار بعض الحضور إليّ ونبّه الشيخ بأني ممن يقرأون التعزية، فقال لي: تفضل واقرأ لنا، ففرحت بهذا الطلب وشعرت باعتزاز، فشرعت بالقراءة وصدّرتُ مجلسي بالحديث القدسي «لو لا شيوخ ركّع واطفال رضّع وبهائم رتّع لصببتُ عليكم البلاء صبا» وشرحت الفقرات الثلاث وجعلت فقرة الاطفال آخر فقرة لأتخلص فيها للرضيع، ثم ذكرت ان الحسين عليه السلام في آخر رجعة طلب رضيعه فناولته إياه زينب وهي في حالة حزن شديد فسلّاها الحسين عليه السلام بقوله «تعزي بعزاء الله ولايذهبن بحلمك الشيطان واعلمي ان أهل السماء يموتون وأهل الأرض لا يبقون...) الخ هكذا قرأت الرواية ـ والقول للشيخ الوائلي ـ وكان الشيخ بكّاءً وجهوري الصوت، فلّما فرغت مسح دموعه وقال: أدن يا بني اني أرجو لك أن تكون شيئاً، فبارك الله فيك، ولكن يا بني إنّ الأثر الذي ذكرته ليس كما ذكرت بل كان العكس ان الحسين لا يقول إعلمي أن أهل السماء يموتون، لأن أهل السماء ليسوا من جنس من يموت إنّه من المجردات.

ويضيف الوائلي رحمه الله: وأخذ الشيخ تغمده الله برحمته يشرح وينصب كالسيل، وكان درساً من أروع الدروس نبهني أن أضبط النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وبقيت بعد ذلك ألازم مجلس الشيخ وأصغي إلى ما يمليه في مجلسه من مطالب ونكات، وكان موسوعة من المعارف.

ثانياً: توجيهات الشيخ عباس الرميثي:

يقول الوائلي: كلفت بالقراءة في مجلس الشيخ حسين مشكور العالم الجليل، وكان من حضّاره العالم الشيخ عباس الرميثي، ومررت بمسألة فقلت: إن هذه المسألة مما هو محل إجماع، فلما فرغت من القراءة جلست بجانب المنبر فتوجّه اليّ الشيخ عباس الرميثي، وقال: انك ذكرت أن هذه المسألة مُجمعٌ عليها ولكنك لم تذكر هل هو اجماع منقول أم محصّل، وهل تتبعت مدرك هذه المسألة، ثم أحب أن أعرف هل أنك درست هذا القسم من الأصول وعرفت منشأ حجيّة الاجماع، هل لأنه إجماع أم لأنه يكشف عن قول المعصوم الخ، وأخذ يشرح لي جوانب مما يتعلق بموضوع الاجماع وقال: إنّي أريد لك أن لا تقرأ شيئاً لم تهضمه بعد في الوقت الذي أبارك لك فيه طموحك، كما اذكر انه قال لي: لا تتأثر من توجيهي لك، إنّي أريد أن أجنبك مما قد تتعرّض له من إشكالات وأنبهك إلى ما يسدّد خطواتك، وأذكر أني شعرت بنقص شديد وأخذت أجدّ العزم على الحصول ولو على الحد الأدنى من الأصول والفقه.

ثالثاً: توجيهات الشيخ محمد حسين المظفر:

يقول الوائلي: قرأت في مجلس للمرحوم الحاج عبد الرزاق بشيبش ومررت أثناء القراءة بذكر عمر بن عبد العزيز فعبرت عنه بالعبد الصالح، وكان الشيخ الجليل محمد حسين المظفر وهو ممن تتلمذت عليه بعد ذلك بالأصول، فلما نزلت من المنبر توجه اليّ بحدّة وبطلاقة وقال لي: ما الذي جعلك ان تعبر عن هذا الرجل بالعبد الصالح، وهو لقب كبير يلقب به مثلاً الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، اما مثل عمر بن عبد العزيز فيمكن أن يعبر عنه بالرجل الطيب أو ما قرأت أبيات (الرضي) فيه:

يا بن عبد العزيز لو بكت العين فتىً من أمية لبكيتك

إلى قوله:

غــير أنّــي أقــول أنّك قـد طـبت وإن لم يــــطب ولم يــزك بــيتك

أما أن تعطيه مقام العبودية وتنعته بالصالح فهذا مالا يلتقي مع الواقع، ولو كان كذلك لتنازل عن الخلافة كما فعل معاوية بن يزيد بن معاوية، وشـرع يـوبّخني تـوبيخاً شـديداً شعرت معه بحرج ولم أكد أفلت من قبضته ـ كما يقول ﷺ ـ حتى رحت اعيد النـظر فـي ألفاظي وأتامل طويلاً في الكلمة الّتي أُلقيها.

رابعاً: توجيهات السيد الخوئي:

يقول الوائلي: في مجلسٍ عن الإمام الهادي عليه السلام وكان من حضّاره السيد الخـوئي، وذكرتُ فيه ان المتوكل العباسي أراد أن يضع من قدر الإمام الهادي عليه السلام فأمر بأن يـخرج الناس مشاةً على اقدامهم ولا يركب إلا هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في يوم استعراض الجيش، فخرج الامام عليه السلام فيمن خرجوا ماشياً ومرّ وهو يتصبب عرقاً، وكان هناك رجل من الواقفة ـ الذين وقفوا على امامة موسى بن جعفر عليه السلام ـ وهو علي بن يقطين الأهوازي، يقول هذا الرجل: كنت أضمرتُ في نفسي أن أسأله عن عرق الجنب هل هو طاهر أم نجس، فلمّا مرّ بي قال لي ابتداءً: ان كان من حرام فهو نجس، وإن كان من حلال فهو طاهر، يقول: فكان ذلك سبب هدايتي ورجوعي للقول بإمامته، فلما فرغت استدعاني السيد الخوئي، وقال: يا شيخ أحمد، من أين نقلت هذه الرواية؟ فقلت: يا مولاي نقلتها من بحار الأنوار للمجلسي في ترجمة الإمام الهادي عليه السلام. فقال لي: وهل بذهنك سندها؟ فـقلت: لا، ولكـن يـمكنني الرجوع إليه ومعرفة رجال السند، فقال: لا سوف أعرف أنا من هم رجال السند، ويظهر من رأيه، أنها لم تنهض بالدليلية فلذلك لم يأخذ بها، لقد نبهتني هذه الحادثة إلى أني إذا مررتُ برواية تتضمّن حكماً شرعياً ينبغي ان أتعرف على رجال السند أما باقي الأمور الفنية الّتي تتعلق بالرواية فهي من شأن الفقهاء.

وقد قال الوائلي ﷺ عندما سمع نبأ وفاته ﷺ[١]:

أبـــا الأوصــــياء عــزاء بــمن ... أذاب الفــؤاد وأجـرى العـيون
أبـوالقــاسم الفــذ مــن لج فـيه ... وأطـــنب فــي نــعته العــارفون
أبـو الحــوزة المـبدع العـبقري ... المـــجدّ إذا تـــعب الســائرون
أفــاض فأغــنى جــميع العــلوم ... وأعــطى فأرضــى بكــل الفـنون
وللـــنجف الأشــرف المشــرأب ... عـــزائــي وان فــاجأته المــنون
وغـــالت كــواكــبه اللامــعات ... غـــوائــل والتــهمتها الشــجون

هكذا كانت الرقابة صارمة وشديدة على الخطيب في جو النجف ومـحيطه اليـقظ في المتابعة والملاحقة لكل أبعاد المعرفة مـن العـقائد وعـلم الكـلام والاصـول والفـقه واللغة والنحو والشعر، فشكّلَ هذا المحيط العلمي والأدبي الثّر، مدرسة حقيقية في تـربية الخطيب الوائلي وغيره لما يشعر فيه من مراقبة دائمة ويحس باستمرار انه تحت الأضـواء الناقدة.

مراحل تطور الخطابة:

صنعة الخطابة شأنها شأن أي صنعة أخرى تمر بعدة مراحل، وهي تتوقف بالأساس على قدرة الخطيب وقابلياته المتعددة في تطوير المنبر الحسيني، ولذا يمكن تقسيم هـذه المراحل إلى ثلاث وهي:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة الّتي اقتصرت فيها المحاضرة الحسينية على ذكر

---

١ . كما كتب الوائلي ﷺ دراسة بعنوان (الإمام الخوئي علامة بارزة في آفاقنا العلمية) وفاءً لاستاذه وهي دراسة قرآنية يسطر فيها آراء استاذه الخوئي. وهي من القراءات القرآنية الجديرة. راجع مجلة الموسم العدد ١٧: ٤١٩ .

المصيبة فقط دون ان يكون هناك موضوعٌ معين، وإذا كان هناك موضوع، فهو لم يرتقِ إلى المستوى العلمي في طرحه وإشباعه بالأدلة والبراهين والحجج، وقد مثل هذا الاتجاه آنذاك ـ وكما يقول الوائلي ﷺ ـ الشيخ محمد الكاشي. فكان بسيطاً في مواضيعه ولكنه محبوباً في ادائه عند العوام وفي صوته عند الملائية [١].

وأيضاً كان الشيخ مسلم الجابري، حيث يحبك موضوعه ويرصفه بجملٍ مناسبة ولا يتوسع ولم يرُزق بصوت حسن [٢].

وقد سبق هذا النمط من الخطباء السيد صالح الحلي ﷺ، فكان هذا مفوّهاً وله قابلية كبيرة في اقناع الجمهور بمسألة ما وكان بحق خطيباً لا يبارىٰ في وقته، ولكن ما كان يؤخذ عليه فيما لو قُورن مع الشيخ الوائلي ﷺ انه لم يمتلك من العمق العلمي في التفسير القرآني والحديث وعلم الدراية، والعلوم العصرية الحديثة والفلسفة ونظرياتها فضلاً عن وحدة الموضوع واشباعه بكل ما يتعلق به.

وعلى أيّ حال فهو الخطيب الذي لم يبارهِ أحد في عصره، وملكَ عقول عوام الناس.

المرحلة الثانية: هي المرحلة الّتي مرّ بها المنبر الحسيني بشيء من الثقافة الموسوعية، ومن أبرز أمثال هذه المرحلة هما الشيخان محمد علي اليعقوبي، ومحمد علي القسام.

فالخطيب اليعقوبي، خطيب متمكن من ناحية الكلام أثناء قرائته فهو يزواج بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة، فكان لهذا التزاوج وقع محبّب في النفوس فضلاً عن انه أديب وشاعر جيد (سلس الأداء يحكم القوافي ويحسن اختيار المفردة اللفظية) وينتقي من الشعر ما يناسب الواقعة أو الحدث ويطعم حديثه بالظرائف والنكات المرحة اللطيفة، وكان ملماً بالتأريخ وخصوصاً التأريخ القريب أو المرتبط بالأسر العلمية والأدبية، وكان يضرب على

---

١ . تجاربي مع المنبر: ٧٤.

٢ . ن.م: ٧٤.

الأوتار الحساسة الّتي تشدّ الجمهور سواء كانت عقائدية أو تأريخية، وله حافظة قوية مكنتهُ من الاستحضار لكل ما يلائم طرحه في المناسبة .ويقول الوائلي ﷺ عنه: (كان الجالس تحت منبره يخرج من مجلسه بفائدة ما: إما تأريخية أو أدبية أو طرفة أو رواية لامعة فهو من حيث المجموع مجلس ممتع يتوفّر فيه الذوق وحسن الاختيار واصطياد المناسبة ومحاولة الاندماج بنفوس الجمهور والتناغم مع مشاعرهم في القضايا العامة، ويخلو طرحه من الادعاءات والبطولات المفتعلة... كما انه كان يمزج كل ذلك في مجلسه بترسل وعفوية واداء لذيذ يضفي عليه بحركاته لوناً محبباً، ويبقى السامع مشدوداً إليه إلى نهاية المجلس.

ولكن ـ ورغم كُلّ ذلك النجاح ـ تبقى مادة المنبر ونوعها، فهو لا يستطيع الخوض في تفاصيل الحكم العقائدي أو الفقهي (لانه لم يأخذ نصيباً كافياً من علوم الفقه والأصول والعقائد وإن لم يكن بعيداً عنها بشكل من الأشكال)[١].

أما الشيخ الخطيب محمد علي القسام ـ وهو زوج عمة الشيخ الوائلي ـ وحينما يصل الوائلي ﷺ إلى تقييمه نرى أنه يمارس الموضوعية بأعلى درجاتها، فهو يقول عنه: «إذا صعد المنبر ـ ويعني القسام ـ طرح نبذة تأريخية أو رواية بموضوع ما أو حكمة من الحكم بنبرة هادئة وأداء متين وبقابلية على التصوير والسرد لها فعل السحر بالنفوس ـ لاحظ ما يقوله الوائلي عنه أيضاً ـ مع بساطة الموضوع ومحدوديته ومادته العادية.

ومن ذلك يتضح أن مادة المنبر الحسيني، وبالرغم من وجود قابليات كبرى عند الخطيب إلا أن مادة المنبر بقيت مادة لا تستطيع أن تنهض بالأمة إلى مستوى الوعي وعلاج القضايا الفكرية المعاصرة. وبقي المنبر بشكله الغالب منحصراً على وقائع الثورة الحسينية واثارة عواطف الناس رغم ما يتخلله من شواهد تأريخية وأدبية.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة الفاصلة الواضحة في كُلِّ معطياتها، والّتي تعتبر

---

١ . الوائلي، تجاربي مع المنبر: ٧٦ .

بحق مرحلة تأصيل وتأسيس للخطابة والمنبر الحسيني، ولم يكن لهذه المرحلة من يمثلها سوى الشيخ الوائلي ﷺ الذي كان رائداً ومؤسساً لهـا. فـبعد أن تـمكن مـن كسب العـلوم الاسلامية والعلوم الانسانية والإلمام بعلوم الفسلفة وآراء نظريات أصـحابها، فـضلاً عـن منهجيته [1] في الطرح واهتماماته البالغة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واشـباع وحدة الموضوع الذي تميّز به عن كل الخطباء السابقين، والوقوف على القـضايا الفكـرية والسياسية ومعالجتها علاجاً اسلامياً قاطعاً بالدليل والحجة والبرهان.

كُلّ ذلك مكّن الوائلي ﷺ ان يؤسس مدرسة نموذجيّة للرقي في مضمون المحاضرة الحسينية، ولذا نرى ان أغلب الخطباء الواعين والذين يتسلقون سلم المجد والشهرة فـي عصرنا هم ممن تتلمذ في أحضان هذه المدرسة بشكل وآخر وبـمختلف الوسـائل الّـتي ساهمت في هذا التأثير، وأحياناً نجد بعض الخطباء الذين لم يكن لهم هذا التأثير ـ الوائلي ـ غالباً ما تكون مجالسهم منحصرة يغلب عليها الطابع الكـلاسيكي الذي يـفتقر للـمعاصرة فيفتقر لسامعيه وحضّاره.

منهج ومميزات منبر الوائلي:

في الواقع، لم نرَ ونسمع مـنبراً مـميزاً جـلب جـمهور المـثقفين والنـخب العـلمية والحوزوية وعوام الناس كمنبر الشيخ الوائلي، ولذا من الضرورة أن نسلط الضوء في هـذا المقام على مقومات ومميزات المنهج الذي خطه الوائلي في نجاحه الباهر لأكثر من نصف قرن، يوم ارتقى أعواد المنابر النجفية. فليس من السهولة ان يتحقق هذا النجاح الذي أخذ صيته عرضاً وطولاً إلى الملايين من ابناء الطائفة في العالم العربي والاسلامي، في الوقت

١ . وللمزيد من الوقوف على الجديد في المـنبر الحسـيني عـند الوائـلي وتـطوره أفـردنا لذلك موضوعاً تحت عنوان «منهج ومميزات منبر الوائلي». فلاحظ.

الذي يختلف فيه المستوى الثقافي لحضّار هذا المنبر ومستمعيه، فبين حوزوي وجـامعي وأميّ من الصعوبة أن يجدالخطيب قدراً جامعاً وقاسماً يشرك به أذواق هؤلاء. فضلاً عـن القدرة والعطاء الذي ميز هذا المنبر في كونه مجموعة وثائقية من الدلائل والحجج العلمية في مقارعة التيارات الفكرية المتناقضة حَدّ التقاطع، فقد كان يحضر مـجالسه جـمع مـن المخالفين له فكراً وعقيدةً، كُلّ ذلك يدعونا بجدٍ وصدقٍ واخلاص للوقوف على سَرّ هـذا المنهج الفريد الذي أصبح بحق مدرسة نموذجية ولدت مـع مـتطلبات العـصر وضـرورة الحاجة.

أولاً: لم تقتصر دراسة الوائلي على العلوم الحوزوية من الفقه والأصول والمـنطق والعربية وعلومها وآدابها والّتي غالباً ما تقتصر عليها حاضرة النجف الدينية، بل استطاع أن يدرس الحديث والتفسير وعلوم القرآن والفلسفة والفلك والرياضيات، ولم تـفتقر حـوزة النجف آنذاك إلى تدريس هذه المواد ولكن ليس بالشكل الغالب ولم يكن لها من الاهتمام ما يوازي دراسة الفقه والأصول. بل كان درس الفلسفة من الدروس الّتي يسـتعاب عـلى الاستاذ والطالب الاهتمام بها إذا لم يُتهم بالنجاسة والشرك!![١]

---

١ . للأسف الشديد، كان هناك انغلاق كامل ليس في تقبل الأفكار وانـما حـتى فـي سماعها أو التعرف عليها، ولذا لم يكن لديهم حتى التطلع للرد على الافكار الملحدة. لاحظ ما يقوله احد المعاصرين لتلك الفترة:

«كان أستاذي (حسين مروة) يتحدث في بعض مجالس الأدب في النجف عن الكاتب شبلي شميل وعن أفكاره في الطبيعة، وكانوا يبدون دهشتهم، وقد يبدي بعضهم استياءه من ذلك، إذ من يتجرأ على الحديث عن هذا الكاتب الذي كان يوصم بالالحاد؟

وأذكر مرة جرى فيها الحديث عن العلامة دارون ونظرية التطور وأصل الأنواع فـي مـجلس يضم نفراً من أهل العلم والأدب فراح استاذنا ـحسين مروة ـ يـتحدث عـن دارون ونـظريته حديث الدارس العالم ولكن دون ان يقول رأيه فيها أو يصدر منه تصديق أو تأييد لها، وكان في ذلك المجلس شيخ عرف برفضه لكل جديد من الأفكار فما كان منه إلا أن قال، بعد أن

إضافة إلىٰ اهتمام الوائـلي بـالعلوم الحـديثة ومـتابعة حـيثيات التـطور الفكـري والتكنولوجي في العالم الغربي فكان شغوفاً بكُلّ ما يصدر عن المطالبع البيروتية ومطابع بغداد من الاصدارات الحديثة، فضلاً عن متابعاته الشخصية بحكم عـلاقاته الاجـتماعية الواسعة مع كبار أساتذة الطب الحديث والوقوف على كُلّ ما يتعلق بالعلاقة الشرعية بـين الطب والفقه والاعجاز الطبي واستحضار عامل الغيب.

وقد تضمنت العديد من محاضراته ما يؤكد متابعاته الطبية والوقوف على أيّ ظاهرة اعجازية بعد تحليل علمي يؤكد فيه قصور التطور العلمي في مجال الطب لهذه المعجزة أو تلك.

ثانياً: لم تتسم المحاضرة الحسينية سابقاً بوحدة موضوع تتكامل فيها كل مقومات ومستلزمات المطلب الواحد، بل كانت المحاضرة تتضمن ارشادات وتوضيحات في أصول الدين ودروساً قرآنية ومواضيع عامة واستحضاراً مؤكداً للأسباب والنتائج الواضحة لثورة الإمام الحسين عليه السلام. ولم يلتزم الخطباء السابقون بوحدة الموضوع واشباعه بكل ماله صلة تتعلق به. فكانت وحدة الموضوع في المنبر المعاصر هي من متبنيات منهج الوائلي، وهو رائد السبق بلا منازع في هذا المجال، لان البحث العلمي المتصل بالمطلب المحدد يحتاج

☜ غادر استاذنا مروة المجلس، مخاطباً الجالسين: «أشك إن كان الايمان ما زال قائماً في قلب هذا الرجل». ثم راح يشتم ويلعن بعض أدباء مصر الذين عرفوا يومذاك بنزعاتهم الحرة بأنهم كما يعتقد ذلك الشيخ، السبب في زعزعة ايمان شبابنا وعقيدتهم، فبدأ الامتعاض على بعض الحاضرين من تصرف هذا الشيخ لا لأنهم تعاطفوا مع أستاذنا بل لأنهم كانوا يجلُونه لفـضله وأدبه ودماثة خلقه».

راجع دراسة الاستاذ عبد الغني الخليلي في مجلة الموسم العددان (٢٣ و ٢٤) عـام ١٩٩٥م: ١٨١ كما لا يخفى على القارئ ما تعرض له الفيلسوف الكـبير آيـة الله الشـيخ عـبد الكـريم الزنجاني رحمه الله وما تعرض له السيد الخميني رحمه الله عندما كان يدرس الفلسفة في قم، حتى أخذ بعض الطلبة بعدم شرب الماء بالاناء الذي شرب فيه أحمد نجله (رحمهما الله).

وللمزيد راجع تفاصيل الفتاوى عند (ابن الصلاح)، وأيـضاً كـتاب (تـمهيد لتأريـخ الفـلسفة الإسـلامية، القاهرة، ط ٣ لمصطفى عبد الرازق وكذلك تـطور الدرس الفـلسفي فـي الحـوزة العلمية للباحث عبد الجبار الرفاعي.

إلى جهد كبير يبذله الخطيب بمعطيات موضوع البحث وهذا يحتاج بالضرورة إلىٰ ثراء علمي كبير وثقافة موسوعية كبيرةً، ولم يجد الوائلي صعوبةً في هذه المحاولة التجديدية سيما وأنه تتلمذ على أيدي اساتذه أكفاء شهدت لهم حاضرة النجف العلمية فضلاً عن جهاده العلمي في الدراسات العليا في جامعة بغداد والقاهرة، مما خلق في ذاته المهارة والقدرة في الهيمنة على ذهنيات مستمعيه.

ثالثاً: اهتم الوائلي كثيراً بالمضمون القرآني بعد الاعتماد على تفاسير القرآن المعتبرة، فالقرآن هو مصدر التشريع الأساسي، ومنبع حضارة وصراط المسلم. ومن أهم التفاسير الّتي وجد فيها الثراء المعرفي ومتعة الاسلوب والتحليل وغزارة الفكر والديباجة العلمية والمنطقية كان (تفسير الرازي) فكان من أكثر كتب التفاسير عشقاً له. لقد اعتاد الوائلي في الكثير من محاضراته أن يستهلها بآية قرآنية مستفيداً من عطاء مضامينها، ومن حدود قدراته المعرفية، موشّحاً إياها بالعديد من الشواهد التأريخية والأدبية والعقائدية وغيرها. فصاغ من هذه الديباجة لوناً جديداً في طرح المطالب ودراستها دراسة علمية، شدَّ به نفوس السامعين بعد أن يضفي على هذا اللون قابلياته التعبيرية في انتقاء اللفظ وقدرته الفائقة في العرض والتصوير، وهو بلاشك رائداً في هذا اللون، سيما وأن الكثير من الخطباء ممن سبقه وعاصره يفتقر لهذا المنهج، بل انهم يقتصرون على تفسير الآية بما جاء في كتب التفاسير، فتكون المحاضرة أشبه بالدرس العلمي منه إلى الخطابة. الأمر الذي يخلق الضجر والملل في نفوس السامعين طالما أنهم من أذواق ومستويات علمية مختلفة. هذا مع ان أغلب كتب التفاسير لم تكن بالمستوى العلمي والموضوعي الذي ينهض بمسؤولية الدين.

رابعاً: حرص الوائلي كثيراً على ان يجمع حول منبره شرائح اجتماعية، ذات مستويات متعددة وأذواق مختلفة وأفكار متباينة. ففي الوقت الذي يخاطب به العلماء في حالة استعراضه لابعاد مضامين اخلاقية من آية معينة والتطرق إلى منابع الاستنباط بعد

الاستفاضة الاستقرائية والخروج بالحكم الشرعي وتنوع هذا الحكم بين الحرمة والحليّة والاكراه والاستحباب والمندوب لا يغفل عن مخاطبة الشريحة المثقفة من سامعيه حينما يستعرض مقومات الأخلاق مثلاً ويذكر أقوال (نيتشه، الألماني) وماركس وبعض علماء التربية في الغرب ثم المقارنة بين اقوالهم وأقوال الرسول ﷺ وسيد الاخلاق علي بن أبي طالب عليه السلام. بعد ذلك يتعرض إلى قانون حماية الإنسان واثر الأخلاق السائدة في المجتمع ودور الفقير والغني مع توشيح المحاضرة بالشواهد الشعرية والأقوال الأدبية ثم الاستحضارات التأريخية والأحداث المؤلمة جراء فقدان عنصر الأخلاق ومن ثم أثر هذه الاخلاق على عبادة الإنسان مع ذكر الأحكام الشرعية لهذه العبادات وهنا يحاول الشيخ استعطاف واستقطاب جمهور عوام الناس في محاولة ارشادية هادية لا تخلو من حكاية طريفة تعيد ذاكرة المستمع وتهيئة ذهنيته للمطلب الاساس الذي من اجله صاغ الخطيب الوائلي محاضرته. وبطريقة فنية رائعة يحاول فيها استحضار موقف كربلائي مروّع منسجم مع وحدة الموضوع وينتهي بالمصيبة التي غالباً ما تأتي عفو الخاطر.

ومن خلال هذا التنوع المعرفي المنسجم، لا يشعر المستمع بالملل والضجر والانزعاج، فهو قد راعى مستمعيه وراعى المقام وما يقتضيه من اختصار أو إطناب ونجح في مهمته بإيصال الفكرة الّتي يريد بها نهضة المجتمع وتحرره من حالات الاستبداد والتعسف والسيطرة الفكرية والثقافية الكافرة المهيمنة عليه، سيما وان المجتمع يستصحب بعض آثار هذه الثقافة في سلوكه بحالة لا شعورية، فالوائلي يتحرق دائماً لحال هذه الأمة المتهرئة وينذر بعاقبة وخيمة تحل بها فكان شديد الملامة على مثقفيها وعلمائها، فحيث يخاطبهم بأسلوب حازم وهادف ومعبر لكي يتحملوا مسؤولياتهم.

خامساً: حرص الوائلي ضمن منهج واضح ومحدد على أن لا يكون للأساطير والخرافات موضع في محاضرته. وسوف نأتي على تفصيل رؤية الوائلي رحمه الله حول

الانحرافات الّتي دُست في المنبر الحسيني دساً عفوياً أو مقصوداً. فـي مـوضوع الوائـلي والاصلاح الديني، ان شاء الله.

ولكن نكتفي هنا بما يقوله ﷺ حول توفر الأهلية العلمية عند الخطيب، فيقول: «ان رسالة المنبر بناء الأجيال، وقد أصبحت مسؤوليات الخطباء ثقيلة ومهمّتهم شاقة بـعد ان صعد الزمان بأهله، ووضع المنبر مباشرةً امام سمع العالم وبصره عن طريق وسائل الاعلام المرئية والمسموعة، وصار الناس يسـتمعون إلى أطـروحتنا ويـقرأون عـقولنا وأفكـارنا ليحكموا عليها بعد ذلك بما يرفع أو يضع، ومع نـتيجة الحكـم يـتعزز مكـان المـنبر مـن الساحتين الاسلامية والانسانية، فهل هناك ما هو أكثر حفزاً لنا على مضاعفة الجهد والعمل الدؤوب من أجل أن نكون أو لا نكون؟» (١).

سادساً: ومن الأمور الواضحة أيضاً في منهج ومميزات منبره، هو حرصه على ان يكون المنبر رسالة بناء لوحدة المسلمين، لا رسـالة هـدم وتـفرقة لأصـحاب المـذاهب الاسلامية فيما بينها فيقول ﷺ: يجب أن يتبنى المنبر الدعوة إلى أن يتعايش المسلمون فيما بينهم على اساسٍ من الإسلام مع بقاء كلّ منهم على ما عنده من آراء ما دام يقرّ بالشهادتين ولا ينكر ضرورة من الضرورات الإسلامية، وإلا فليس من الواقـعية فـي شـيء أن نـدعو المسلم إلى الانسلاخ مما يحمله من آراء والانتقال إلى الآراء المـقابلة، ولكـن تشـرح له الحقائق ويُدعى لدراستها ويترك له الاختيار والسير حسب قناعاته، وحسابه بعد ذلك على الله وإليه وحده، إنّنا ـ لاحظ ـ ندعو إلى منبر من بعض مهّماته بل في رأس مهمّاته القيام بدور الدعوة إلى التعايش تحت لواء الاسلام.

فالوحدة الاسلامية من منظور الوائلي ﷺ هي أسمى وانبل هدف للـمنبر الرسـالي الهادف الواعي، ومما يؤسف له ان هذه الميزة العظيمة، تكاد تنعدم في بعض المـنابر الّـتي

---

١. تجاربي مع المنبر: ١٢٤.

يمتلك أصحابها مكانة علمية وقابلية خطابية، بل الأنكى ما يصدر بين الحين والآخر من دعوات تبثّ الفرقة بين المسلمين الشيعة أنفسهم، وذلك نظير ما فعله بعض الخطباء من دور لا مسؤول بجعل ضلع الزهراء عليها السلام [١] شبيهاً بقميص عثمان في كُلّ نزاعاتهم السياسية ومآربهم ومنافعهم الذاتية، وهذامما لا يغفره تأريخ المنبر الحسيني.

سابعاً: انتهج الشيخ الوائلي رحمه الله طريقة استهلال محاضرته بآية من آيات القرآن الكريم ثم يبدأ بالحديث عنها وتفسيرها والتوسع في مضامينها العقائدية والاجتماعية والأخلاقية واضفاءات تاريخية وأدبية وما إلى ذلك من مواضيع تتصل بمضمون الآية الكريمة. والحقيقة انها حالة من حالات الابداع، استطاع الشيخ الوائلي ان يغيّر من خلالها طريقة الخطابة الحسينية، فهو منهج لم يكن معروفاً قبله، حيث كان المجلس يبدأ بأبيات شعرية حول المصيبة الحسينية ينطلق منها الخطيب في خطبته، وبذا يكون الشيخ أحدث تطوراً مشهوداً في الخطابة سار عليه الخطباء الذين جاءوا بعده، وقد أِلف الناس هذا النمط من الخطابة واعتبروه ابداعاً نموذجياً يفوق الطريقة التقليدية الّتي تبدأ بأبيات من الشعر.

ثامناً: من الأمور الواضحة في منهج الوائلي رحمه الله طرح ومعالجة القضايا المعاصرة، فهو يجعل من الآية القرآنية مدخلاً في تشخيص القضية المعاصرة ثم يستكمل بحثه بطرح الحلول، ومن خلال هذه المحاولة يكون قد مارس طريقة التفسير الموضوعي الذي اشتهر به السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله فهو يجعل من القرآن الكريم مرجعاً أولاً في الحلول المستعصية للقضايا المتجددة في المجتمع وتدل هذه المحاولة في بعد من أبعادها علىٰ أزلية وخلود القرآن العظيم في حياة الإنسان والمجتمع ولا يمكن الاستغناء عنه فيما

---

١ . يقول الوائلي رحمه الله: «أسهمت بعض المنابر عن طريق التأثر بردود الفعل في تأجيج أجواء عاطفية تقتضي الحنكة وبعد النظر ورسالة الإسلام، والأبتعاد عنها أو مواجهتها بأعصاب باردة تحلّل العوامل الكامنة وراء تلك الأجواء بروح الطبيب المعالج لا بروح طالب الثأر المنفعل» (تجاربي مع المنبر: ١٥٧).
ويعد هذا الأسلوب من مميزات منهج الشيخ الوائلي رحمه الله .

لو أردنا الحياة الحرة الكريمة والسعيدة.

ولذا نرى ان الشيخ الوائلي يفرض على كُلّ مستمعيه متابعة خطبته حتى النهاية بل هو يفرض الحضور المتميز من الطبقة المثقفة، من الطلبة الجامعيين والاساتذة ورجال الفكر والأدب، بعد ان كانت المجالس قبله تضم عادة كبار السن وبسطاء الناس .

تاسعاً: من الأمور الواضحة أيضاً في منهج الوائلي ﵀، هي الموضوعية في طرحه فكان لا يبخس حق أعداء آل محمد ﷺ فيعرض الحادثة أو الواقعة أو الشخصية بما لَها وبما عليها، وكأنه رجل لم تصب عاطفته ومشاعره وأحاسيسه الانحياز والفئوية والتعاطي مع رجال مذهبه وأئمته المعصومين﵈، وهذه الميزة هي من ميزات المنبر الحسيني الناجح والهادف لبناء عقلية المسلم بصورة صحيحة بعيداً عن تحفيزه وتربيته وتعليمه على التعصب الأعمى دون معرفة أصل الحقيقة أو اصل الحادثة. لان مهمة المنبر الحسيني هي البناء وليس الهدم وإثارة البغض ونبش الدفائن والتركيز على الباطل. فالآداب القرآنية اوجبت الموضوعية وقول الحق حتى ولو على النفس والرهط.

طبعاً الالتزام بكامل الموضوعية ليس أمراً سهلاً ويسيراً، فهو يحتاج إلى تربية ذاتية تخلق الاتزان في الشخصية دون ممارسة الحالات الانفعالية الّتي قد تأتي بنتائج المحاضرة بصورة عكسية احياناً. فالموضوعية باختصار ان لا ينظر الخطيب بعين واحدة حتى لعدوهِ كما ينبغي ان يرتفع قدر الأمكان عن تأثيرات الذات وأهوائها لحساب الحقيقة، وهذا ما ألزم الشيخ الوائلي نفسه به .

عاشراً: امتاز الشيخ الوائلي ﵀ بمنهجية خطاب هادئة بينه وبين مستمعيه فهو يحاول كثيراً أن يرأف بهم عند عرض مضمون عقائدي أو حادثة تأريخية قد تلامس لديهم موضعاً حساساً. إنّه يسعىٰ إلى ان يُهدئَ من روع السامعين ويضرب لذلك الأمثال حول أهمية الحوار الهادئ الهادف، فالحوار المنفعل بغلوائه لم يجد نفعاً وهذا ما أكدته مضامين آيات القرآن الكريم المختصة بالحوار ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وغيرها. وأيضاً من

سيرة الأئمة المعصومين في حواراتهم مع الآخرين. ومثال ذلك ما ينقل عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

روى ابو القاسم الكوفي في كتاب (التبديل) إن اسحاق الكندي، فيلسوف العراق في زمانه، أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله، وأن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقال أبو محمد عليه السلام: أما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن، فقال التلميذ: نحن تلامذته كيف يجوز منّا الأعتراض عليه في هذا أو غيره .

فقال أبو محمد عليه السلام: أتؤدي إليه ما ألقيه اليك.

قال: نعم .

قال: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فاذا وقعت الأُنسة في ذلك، فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها فانه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها، فانه سيقول: من الجائز لانه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه .

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أعد عليّ، فاعاد عليه، فتفكر في نفسه، رأى ذلك محتملاً في اللغة، وسائغاً في النظر .

وفي المناقب ج ٤٤ص ٤٢٤، فقال :

أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك.

فقال: انه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك.

فقال: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك.

فقال: أمرني به أبو محمد .

فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بـالنار وأحرق جميع ما كان ألفه [١].

احدى عشر: وقار منبر الوائلي، حرص ﷺ على ان يكون من أوليات منهجه هـو وقار المنبر ووقار الخطيب. ولم يقصر همه على الإجادة وإرضاء السامع بقدر ما كان يتّجه همّه إلى ما يذكره في محاضرته، هل هو بمستوى كرامة الاسلام وأهل البيت عليهم السلام. فأراد ان يصون الاسلام ومنبره قبل كل شيء وأراد أيضاً ان يعطي للخطيب منزلة محترمة مُكـرّمة. وهذا ما حتم عليه التفكير حتى في استخدام المفردة اللفظية فكان ينتقيها انتقاءً، وفي هذا السياق يذكر ﷺ (أما في المظهر فقد كنتُ أتصور أن فيه نوعاً من الاعلان عن حزن مفتعل كما أن فيه محاولة لتكميل نقص عند الخطيب، هكذا كنتُ أتصور، ولولا ذلك للبست مـا يمكن من السواد، فالحسين عليه السلام عبرة كُلّ مؤمن ومؤمنة إذا أطلت أيام ذكراه لبست الأرواح الحزن قبل الأجساد، أما باقي الالتزامات بما يحقق الوقار فكنت حريصاً عليها حتى أنّي لم أنتعل حذاءً حديثاً إلا متأخراً بعد مضي فترة ليست بالقليلة وواضبت على انتعال الحـذاء التقليدي، ولم انخرط في الأجواء التي كان بعض صنّاعه الخطباء يألفونها مع أنّـها بـريئة، ولكن لتصوري أنّها تنافي الوقار)[٢]. وربما ذهب الوائلي إلى أبعد من ذلك من باب لزوم ما لا يلزم (على قول الأصوليين) فيقول «ان كثيراً من مـعارفي وأرحـامي هـيّأوا لي فـرصة الإتجار ببعض ما وفّرته من مال فامتنعت وأصررت على ان لا آكل من أي مصدر غير ما يأتيني عن طريق خدمتي للحسين عليه السلام حتى أتجنب ـ لاحظ ـ كُلّ محتمل من القول وأبتعد عمّا يهزّ صورة المنبر في أعين الناس)[٣]. هكذا نأىٰ الوائلي ﷺ بنفسه عن كلّ الأمور الّتي قد تتنافىٰ مع وقار المنبر والمنبري وإن كانت مباحة، فأرهق نفسه بـالالتزام، فـهفت إليـه قلوب الناس، وامتلأت حباً وتقديراً واحتراماً وعشقا له.

اذن فالوائلي من خلال منبره ادى رسالة عظيمة لهذه الأمة ونبّه ابناء الأمة إلى دور

---

١. بحار الأنوار: ٥٠ / ٣١١.　٢. تجاربي مع المنبر: ٩٣.　٣. ن. م: ١٠١.

المنبر على ان يكون لسان حالهم ومعبراًبصدق عن تطلعاتهم، فكان هو اشبه بالطبيب الذي يشخص المرض ويعطي العلاج. ولذاكان من الصعوبة على غير الوائلي النجاح في مخاطبة المستويات المختلفة والأذواق المتباينة وأداء مهمة إيصال الفكرة اليهم، فليس من اليسر ـ حقيقة ـ مخاطبة الشرائح المتعددة من الأمة إلا لمن ملك قلوبها وأعارته عقولها وعواطفها. ولم نرَ في السابقين والمعاصرين من كان على شاكلة هذا المالك العاشق.

الوائلي والاصلاح الديني:

سعى الوائلي دائماً إلىٰ ان لا يدع في منبره فسحة لذكر الأساطير والخرافات وبعض الروايات غير المعتبرة، كما حرص شديد الحرص على ان يكون المنبر الحسيني خالياً من الشذوذ في الأفكار والعقائد فضلاً عن تنبيهاته المستمرة لجمهور الأمة من محاولات بعض علماء السوء (وعاظ السلاطين) ومحاولاتهم العديدة والمتكررة في حرف مسار المنبر وتوجيهه بما يتلاءم ومنافعهم ومصالحهم وأهوائهم.

ولذاتتضح منهجيته بالمحاولات المتعددة لتنقية الفكر الحسيني والثورة الحسينية من ترهلات العقائد والمعتقدات المستصحبة من بسطاء وعوام الناس، فكان شديد الحرص متألماً متحرقاً لبعض ممارسات إحياء الشعائر والّتي يرى فيها استخفافاً وتقليلاً من قيمة النهضة الحسينية، كما انه كان حريصاً على تنقية ما يطرح في فكر الثورة الحسينية، من سفاسف الأمور وخوارق العادة واللاشعور لما يعتقد بها البعض من ضروريات الإحياء. تحت ما يطلق عليها احياناً بالمعجزات والتي لا يقرها الدين والعقل والمنطق، كُلّ ذلك جهلاً وطمعاً وتحقيقاً لمآرب أخرى كالتباهي والتفاخر في الحب والعشق للحسين.

البكاء

للوائلي مواقف عظيمة في التفاني والتضحية والعطاء والنصيحة للعديد من الخطباء، ولا ننسىٰ إصراره على ان تكون للخطيب مكانة مرموقة ومحترمة في الوسط الحوزوي

وطالما صرّح وناشد المرجعية الدينية ان تتكفل الخطيب مادياً ومعنوياً كي لا تسوقه الأقدار كما ساقت البعض لأمور غير محمودة انعكست على المنبر وسمعة الخطيب والخطابة بشكل عام. وفي هذا السياق يذكر المرحوم الشهيد مطهري قصة مثيرة لا أساس لها خلقها خطيب من نسج خياله كي يحصل على مجلس تعزيه يقرأ فيه ويعتاش منه.

ونقلاً عن الشيخ نجف آبادي، يقول الشهيد المطهري ان سبب القصة المثيرة المبكية هي «في أحد الأيام وبينما كنت حاضراً ـ والقول للشيخ نجف آبادي ـ في أحد المجالس الحسينية في بازار أصفهان قرب مدرسة الصدر (القصة جرت قبل زمانه، وهو ينقلها من مصادر موثقة عنده) وقد كان هناك مجلس حسيني من الوزن الثقيل لا يحضره إلا كبار علماء أصفهان ومن بينهم العلامة الكبير المرحوم الحاج ملا اسماعيل الخاجوي الذي كان حاضراً في ذلك المجلس وإذا بواعظ حسيني معروف ينقل لنا هذه القصة حيث قال:

كنت أنتظر دوري ضمن قائمة الوعاظ المتعدّدين الذين ينبغي عليهم قراءة التعزية الحسينية على التوالي حين يحين موعد الظهر، وكنت أستمع إلى الوعاظ الذين سبقوني وأتابع باهتمام قدرتهم على ابكاء الناس وشدّهم إلى المنبر إلى أن حان دوري، وكنت أفكر بطريقة أنافس بها الوعّاظ، فلم يخطر على بالي شيء حتى جاءتني هذه الفكرة فاختلقت هذه القصة من عنديّاتي وبذلك كسرتُ الرقم القياسي في البكاء... ويضيف هذا الواعظ: لكنني عندما ذهبت عصر ذلك اليوم لاحضر مجلساً حسينياً آخر وبينما أنتظر دوري رأيت أن الواعظ الذي سبقني ينقل هذه القصة وقد أغرق الناس بالبكاء أيضاً، وهكذا إلى أن صارت تكتب شيئاً فشيئاً في كتب التعازي الحسينية بل وتطبع أيضاً»[١].

---

١ . الملحمة الحسينية، مطهري: ١ / ٣٩، ويعتبر الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري رائداً كبيراً من رواد الفكر الإسلامي الاصلاحي الحديث، وعلماً بارزاً من أعلام العمل الحركي والتجديدي الذي قاد حركة التغيير والثورة في المشروع النهضوي الإسلامي المعاصر، وقد كان لهذه

أما خلاصة هذه القصة، فيقول الشهيد مطهري :

«قبل حوالي خمسة عشر عاماً وأثناء زيارة لي لمدينة اصفهان، التقيت هناك بالعالم الكبير المرحوم الحاج الشيخ محمد حسن نجف آبادي (اعلى الله مقامه) ونقلت له آنـذاك قصة التعزية الحسينية الّتي كنت سمعتها لتوّي في المدينة وكانت قد أثـارت استغرابـي بشكل مثير للغاية، لاسيما وأن قارئ التعزية كان من المدمنين على تـعاطي التـرياق [١] وشرحت لعالمنا المذكور قدرة ذلك القارئ على ابكاء الناس بكاءً شديداً وذلك من خلال نقله لقصة امرأة عجوز عاشت في زمن المتوكل وكانت تريد زيارة قبرالإمام الحسين عليه السلام الأمر الذي كان محظوراً على الناس آنذاك، بل إن فاعلها كان يتعرض للقتل أو لقطع اليدين، إلى ما هنالك من التفاصيل، حتى وصل إلى الفقرة الّتي ذكر فيها بأن جند المتوكّل ألقوا بتلك العجوز في البحر، الأمر الذي دفع بالعجوز في تلك الحالة إلى النداء بأعلى صوتها: يا أبـا الفضل العباس (واعباساه)، وفي تلك اللحظة الّتي كانت أوشكت فيها على الغرق ظهر لها فارس من وسط أمواج البحر وقال لها هيا تمسّكي بركابي وأقفزي ورائي، فقالت له العجوز: ولماذا لا تمد اليّ يدك؟ فقال لها ومن أيـن لي اليـدان حـتى أمـدّهما؟ فـقد كـانت يـداه مقطوعتين، وهنا ضجّ الجـمهور بـالعويل والبكـاء»[٢] والنـداء.. واعـباساه، واحسـيناه، واحيدراه، وافاطمتاه...

هكذا تلعب المنافع الخاصة [٣] في القفز على ثوابت قيم الثورة الحسينية، فكـان

☜ الملحمة الحسينية الّتي تعتبر الشاخص الأول ضمن مشروع التأسيسي التأصيلي هو الاكثر شهرةً وإثارةً للجدل، فقد لخص فيه أهم متبنياته التأصيلية المتينة ورؤاه الرائـدة فـي إصـلاح هـذه الشعائر.

١ . نوع من الحشيشة المخففة.

٢ . الملحمة الحسينية: ١ / ٣٨.

٣ . ينقل عن (الحلاج) انه وقف مرّةً أمام جمع من الناس وخـاطبهم مـتسائلاً: «مـاذا تـعبدون؟» ☜

لابد للرجال المصلحين من صرخةٍ قوية بوجه هذا الانحراف الخطير والتلاعب بعواطف ومقدرات المسلمين، والإساءة مهما كانت بريئةً أو مقصودةً لهذه القيم الانسانية العظيمة، فلابد من وقفةٍ حازمة أمام كُلّ التأويلات والأعذار على جعل البكاء ديمومة لاستمرارية الثورة الحسينية على حساب قيمها ومعانيها السامية، فالحسين عليه السلام لا يريد الخلود عن طريق البكاء والعويل، ولم تكن أهدافه إثارة عوطف الناس عشرة أيام ثم ينتهي بانتهاء الخطبة وأيام الذكرى!!

الثورة الحسينية رسالة تواصلية مع رسالة السماء، رسالة قيم ومبادئ، رسالة تطبيق وعمل لنبذ محاولات الاستبداد والعبودية والانحرافات الفكرية والعقائدية، بل هي التحرر من كُلّ قيود الخنوع والخضوع ورفض الظلم والطغيان والتعصب، ورفض الاستئثار والاحتكار بالمال والقرار، وهي الدعوة العظيمة لتجنب المداراة والمواراة والتزلف والتملق على حساب الحق والحقيقة، فالثورة الحسينية هي الدعوة الأصيلة للنضوج والتكامل والتسامي والتعالي على موبقات الدهر الفاني، فهي خلاص وانعتاق وانبعاث لكرامة الأحرار والتطلع إلى المراتب العليا من الشرف والسمو، والمعرفة الحقة بين الحق والباطل.

فالبكاء لن يجلب كُلّ هذه العزّة وهذا الطموح إذا كان هدفاً وغايةً لبعض الخطباء الآخرين ممن يعتقد أنه الكفيل بديمومة شرف الثورة الحسينية. نعم فليكن البكاء حينما يكون ذلك في موضع قد يتطلب البكاء.

وهذا ما ينشده ويصرح به الوائلي دوماً، بل ان من أبرز ميزات محاضراته هو أنه

☜ فأجابوا: «نعبد رباً» فكرر عليهم السؤال (ماذا تعبدون؟» فقالوا: «نعبد ربنا وربّك» فقال ثالثاً (ماذا تعبدون؟) فأجابوا: «نعبد ربنا وربّك وربّ أبائنا الأولين). وهنا صرخ (الحلاج) هاتفاً: «ان ربّكم تحت قدمّي هاتين»!!! وحين أراد بعض الناس قتله على هذا الكفر والمروق والزندقة حوّل قدميه الّتي أشار اليهما فوجدوا تحتحهما ذهباً ودنانير، فقال: هذا هو ربّكم الذي تعبدون، فلا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم... تباً لكم ولربّكم الذي تعبدون!!!

يقتصر على المصيبة الّتي لا تتعدى بضع دقائق معدودات لاكمال صياغة ما تعارف من بناء الخطبة، وفي أوقات يترك الدخول في المصيبة حسب ما يتطلبه المكان والزمان [١] .

نعم كان البكاء في وقت الظالمين من الحكام الأمويين والعباسيين أبلغ سلاح بيد أنصار الحسين عليه السلام وكان للبكاء دور هام في سماع مظلومية الحسين عليه السلام وولده إلى من لم يسمع بناعيتهم أو إلى من كابر على ان لا يريد سماع مظلوميتهم وسلب حقهم واغتصابه، فقد كان البكاء في هذه المرحلة يعبّر عن لواعج الفكر والثورة الحسينية. وقد جاءت أحاديث عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تحث المؤمنين على البكاء وذكر مصائب الحسين، ولكن لا يعني هذا أن البكاء هو ذات السلاح الصالح في كُلّ العصور والدهور، ففي عصرنا لم يكن البكاء سلاحاً في محاربة الطواغيت والظالمين، ولو كان البكاء سلاحاً في كُلّ العصور، لكان للحسين عليه السلام أنفع في ندب جده وأبيه ولم يخرج لاصلاح الأمة باذلاً مهجته دونها!! ولا يدفع بدمه باطلاً وينصر به حقاً!!

ولكن حينما يدعو الخطيب المصلح الواعي على هدي وارشاد الأمة إلىٰ ان تمارس سلاحاً آخر غير البكاء ـ أو حصره بالقدر المقدر له ـ، تنبري أصوات الجهلة والنفعيين وذوي المآرب بالقول: «ان البكاء لوحده سبباً لغفران الذنوب ودخول الجنة»!!

وحول هذا القول لا أرى ابلغ من صرخة الشهيد مطهري رحمه الله حين يعلق على هذا القول: «ان الحسين عليه السلام انما قام لمقارعة الذنوب، وإذا بنا جئنا لنجعل منه متراساً لارتكاب الذنوب ودرعاً واقياً للمذنبين، وتمادياً كثيراً في هذا الاتجاه عندما قلنا بأن الحسين قد أسس شركة للضمان، وأي ضمان؟! ضمان الذنوب، وصرنا ندعو الناس للتسجيل في هذه الشركة مقابل أقساط من الدموع» ويضيف «تصّوروا الحسين عليه السلام وهو يقول لابناء أمته: «أسكبوا الدموع في سبيلي وأنا أكفل لكم مقابل ذلك غفران الذنوب، ليس مهماً من

١ . تجاربي مع المنبر: ١٧١ .

تكونوا!؟ ابن زياد أو عمر بن سعد أو سنان بن أنس أو غيرهم!! ومن خلال شركة الضمان هذه... قال: أيّها الناس كونوا سيئين ما شئتم فانا ضامنكم وغافر لكم ذنوبكم» إلى ان يصرخ المطهري ﷺ: «والله لو أن أحدنا كان صائماً في شهر رمضان وتقوّل على الحسين بن علي هذه الأقاويل أو نسب مثل هذه الأقوال إليه لكان صيامه باطلاً، لأن ذلك كذب محض»[(١)].

أما ما يقوله الوائلي ﷺ بهذا الخصوص موصياً الخطباء الآخرين «لابد من أخذ الاعتبارات الاخرى مآخذ الجدّ بحيث نبتعد عن الإطالة ونقتصر على ما يؤدي المطلوب لنبرهن على أن وقعة الطف مدرسة مليئة بالعبر والمواقف الكبيرة واننا نستهدف أن نأخذ منها زاداً كريماً لأجيالنا ودروساً من الفداء والشهادة في سبيل الله والارتفاع فوق مستوى الرغبات الموقتة وما هو من هذا القبيل مما جسّده الحسين عليه السلام بموقفه يوم الطف وبذلك نرضي الحقيقة ونرضي تطلعات الحسين الّتي استهدفها من وراء اراقة ذلك الدم الطاهر وما تبعه من تضحيات تظلّ أكبر من اعتصار العيون لسكب الدمع»[(٢)].

وفي قول بليغ يضع فيه ﷺ كامل رؤيته حول المصيبة، فيقول «المسألة في تقليص المصيبة في المجلس الحسيني كمّاً وكيفاً لا يمكن معالجتها بطفرة كما أننا لا نريد إلغائها وإنما نريد تهذيبها، فشرعت أجسد نسبياً ذلك الأمر حيث أقلّل من طول المدة بذلك كما أختار للمصيبة والمصاب ما لا يهبط بهما ـ ويقصد الشيخ ﷺ نوعية النظم ومضامينه ـ وتعرّضت من أجل ذلك إلى كثير من الحثّ ومن الطلبات بتطويل المدة وتكثيف الكمية حتى من جماعة من المثقفين الذين درسوا في اوربا ـ لاحظ السبب لذلك ـ: وأعتقد ان لذلك علاقة بالواقع الاجتماعي لهذه الطائفة وما تتعرض له من ضغوط ممّا يدفع على طلب

---

١ . الملحمة الحسينية: ١ / ٦٠ .

٢ . تجاربي مع المنبر: ١٧٠ .

التنفيس الذي هو الحزن والبكاء وحيث أن البعض قد يرى أنّ من الضعف والركة أن يبكي فينتقل إلى غطاء البكاء على الحسين، ففيه بالإضافة للتنفيس وعد بالثواب والجزاء الكريم، وعلى كُلّ حال فإن كُلّاً من الزمن ومستوى الذهنية العامة والعوامل الاجتماعية الأخرى هي الّتي ستعطي الفصل في ذلك»[١].

وفي موضعٍ آخر يقول ﴿﴾: أعتقد أنّه أمام المنبر دور مهم للقيام بإعادة بناء الفرد بناءاً سلمياً وإعداده إعداداً مدروساً ليبقى الطاقة المذخورة للحاجة، ومن المؤكد أن ذلك لا يقع على عاتق المنبر وحده لكن لعل المنبر يُكفِّر عن بعض ما اجترحه في تحويل رموزه الثائرة إلى دموع ومظاهر تفجع وإيلام للذات وتوجّه إلى الانتقام من النفس لا من العدو... »[٢]

وهذا ما جعل الوائلي ﴿﴾ ناقداً جريئاً لاصحاب المنابر الّذين جعلوا من الحسين عليه السلام وسيلة للندب والنوح ليس إلا، فيقول ﴿﴾: قام بعض الخطباء (بتكريس المنبر للنياحة والفجائع وإيراد شواهد وأحداث تفجر الدموع وتحرق القلوب ولا شيء غير ذلك، مع ان حصة الدمع من المجلس لها حجم معين لا يستدعي هذا الكم الكبير من الشعر الدارج والجمل والمقاطع التي تحصر المجلس في نطاق اللوعة، وكأن الحسين عليه السلام ما قُتل إلا ليؤسس مؤسسات للندب والنوح، وهذا ليس بجزاء لتلك التضحيات الضخمة والعطاء الكبير.[٣]

وهذا لا يعني ان الوائلي ﴿﴾ يقف بالضّد من البكاء، ولكن كان يرى ان يكون ذلك بالقدر المطلوب، فالدمع عند الوائلي موقف أو جزء من موقف يلعب دوراً في الاعلان عن ظلامة أهل البيت عليهم السلام وشجب مواقف اعدائهم ويعمل على الشحن والتعبئة ضد المنكر والبغي، من اجل ذلك يستحق ان يكون عملاً يستحق عليه صاحبه الثواب ويسلك مع

---

١ . الوائلي: م. س: ١٧٢. وهنا يرى الوائلي ﴿﴾ في البكاء الكثير: حالة يهرب إليها اغلب الناس أشبه بتطهير ـ (كاترسيس) ـ نفوسهم من تعب الحياة ومشاكلها، تحت غطاء البُكاء على الحسين عليه السلام .

٢ . تجاربي مع المنبر: ١١٧ .

٣ . ن. م: ١٥٧ .

المجاهدين، كما يحقق معنى المواساة، (**وبالجملة ينبغي أن يكون بقدر المطلوب لا غير**)[١].

كما أن الدمع عند الوائلي «جذوة تفتقر لها العقيدة لتبقى حارّة، ولوعة تعبير عن مواساة في المصيبة،... كما ان الدمع رمز لتراث مقدس درجنا عليه والتمسنا فيه غطاءً يجمعنا مع آل البيت في لوعتهم ـ لاحظ ما يؤكد عليه ـ: على أنّنا ندعو إلى أنّه يجب ان يقدر بقدره ولا يطغى على الأهم»[٢].

خرافات وأساطير

عُرف الوائلي خطيباً واعياً، وحريصاً في تهذيب الملحمة الحسينية، ومحققاً بارعاً في هذا المجال، وعُرف بالحصانة الدينية المنيعة، والذهنية العلمية الوقادة الّتي تحتم عليه نبذ ورفض كُلّ مالا ينسجم مع الدين والعقل وإن خالف المستصحب المشهور الذي لا سند ولا قيمة اعتبارية له، فضلاً عن رفضه لكُلّ ما يخالف العقل والمنطق، وإن كلفه ذلك ثمناً مادياً ومعنوياً. يقول في بعض مذكراته: «أذكر أني اجتمعت في كربلاء بدار الدكتور أحمد ثامر، وقد انتقل إلى دار جديدة وأراد أن يبرّكها بذكر أهل البيت عليهم السلام وهي في حي الحسين، وأثناء الجلوس رأيت حركة غير عادية فسألت فقالوا: جيء بالشيخ فلان يحملونه على كرسي، وهذا الرجل هو الذي يروي أن الحسين عليه السلام قَتل يوم الطف اثني عشر ألفاً، فانتظرت حتى فرغ المجلس وخرج الناس فقلت له: يسمح فضيلة الشيخ بسؤال؟ قال: نعم سل. فقلت له: هل قاتل الحسين عليه السلام يوم الطف بمعجزة أم بصورة عادية؟ قال: بل بصورة عادية. قلت له: لو أن اثني عشر ألف دجاجة تُهيَّأ وتعلق للذبح ويتولّى ذابح ماهر قطع رؤوسها بأن يأخذ واحدة واحدة لقطع رأسها، فكم تحتاج كُلّ واحدة من الوقت، ولنفترض أنّها ربع دقيقة فمعنى ذلك أن الوقت الذي يستغرقه قتلها ثلاثة آلاف دقيقة تُقسم على ستين يكون

---

١ . م. س: ١٥٧ .

٢ . م. س: ١٦٣ .

الوقت المستغرق خمسين ساعة، هذا على الفرض المذكور، أما لو كان القتيل رجلاً ومن الفرسان فيحتاج كُلّ واحد إلى وقت طويل، والحال أنّ مدّة واقعة الطف القتالية لا تتجاوز كُلّها بضع ساعات فلماذا هذه الروايات الّتي تتركنا مهزلة بين الناس، فامتعض ﷺ وخرج وهو غضبان»[١].

وحول نفس هذه الرواية يسخر الشهيد مطهري ﷺ منها ومن غيرها، ويعلق «أن أولئك الذين قالوا ان الإمام الحسين قتل ثلاثمائة ألف شخص بيده، علماً بأن عدد قتلى هيروشيما بلغ ستين الفاً، وان ذلك لو صح وكان سيف الإمام يحصد حصداً في كل ثانية رجلاً لاحتاج بلغة الحساب إلى ثلاث وثمانين ساعة وعشرين دقيقة. وإن كان (المؤلفون) لم يَفتْهم ذلك فقالوا ان يوم عاشوراء صار سبعين ساعة...»[٢] وكذا رواية رمح سنان بن أنس الذي قطع رأس الحسين وكان يبلغ ستين ذراعاً. وأيضاً قصة الطير الذي أبلغ فاطمة الصغرى بخبر الفاجعة، وقصة الفتاة اليهودية الّتي كانت مصابة بالفلج ـ الشلل ـ وكيف أنها شفيت بعد أن تم تزريق نقطة دم من دماء أبي عبد الله الحسين عليه السلام في بدنها بواسطة الطير، وقصة طفل الحسين الذي مات في الشام بعد أن جيئ له برأس أبيه عليه السلام هناك، وقصة زيارة الأسرىٰ لقبر الحسين عليه السلام في كربلاء يوم الأربعين وملاقاة السجاد عليه السلام لجابر، وخرافات من قبيل حربة (هاشم المرقال) الّتي تحتوي ١٨ شقاً وكذلك حربة قاتل القاسم وحربة سنان (ذات الستين رأساً)[٣].

وكذلك قصة (الأسد) الّتي وردت في كتاب (أسرار الشهادة) للدربندي، وكتاب (منتخب الطريحي) الّتي خلاصتها أن (أسداً) كان يأتي فضة في الليالي وقد تبين فيما بعد أنه علي بن أبي طالب عليه السلام ـ والعياذ بالله ـ[٤].

---

١ . تجاربي مع المنبر: ٨٢.
٢ . الملحمة الحسينية: ١ / ٢١ .
٣ . الملحمة الحسينية: ٣ / ٢٣٩ .
٤ . ن. م: ٢٣٨ .

وكذلك القصة الّتي حيكت عن ضربة علي عليه السلام لمرحب الخيبري في معركة خيبر، وكيف أن الله تعالى أرسل جبريل ليحول بين سيف علي والكرة الأرضية لأنها لو وقعت على الأرض ـ كما تقول الرواية ـ لقدّتها نصفين بعد أن قدّت مرحباً نصفين بل «نصفين متساووين تماماً وأنه لو وضع كُلّ نصف في كفة ميزان لما اختلفا شعرة واحدة)[١] والأدهى من ذلك ـ والكلام للشهيد مطهري ـ ان جبريل قد جُرح بسبب تلك الضربة مما أدى إلى مرضه أربعين يوماً الأمر الذي أخر صعوده إلى السماء كُلّ تلك المدّة، ولما صعد إلى السماء وسأله ربه، أين أمضيت تلك الأيام الأربعين؟ قال: ربّي إنك أمرتني بالنزول تحت سيف علي وقد فعلت ولما كنت قد جُرحت من جراء تلك الضربة فإنني كنت أداوي جراحي كل تلك الفترة». !!!

وهكذا، يروح الشهيد مطهري رحمه الله يسرد العديد من هذه الحكايات الّتي لا أصل لها، وفي بعضها منداً بسندها ومتنها وبرواتها وقرائها ومروجيها ومنها مثلاً قصة (احتضان ليلى لابنها علي الأكبر في ساحة الوغى) فيقول: (حضرت شخصياً في قم مجلساً حسينياً أُقيم بأسم آية الله البروجردي، دون ان يكون هو حاضراً بالطبع، وقد سمعتُ في هذا المجلس أن علياً الأكبر نزل إلى ساحة الوغى وإذا بالحسين يتوجه إلى أمه ليلى ويطلب منها الدخول إلى احدى الخيم ونشر شعرها والتوجه إلى ربّها بالدعاء ليرجع ابنها سالماً اليها، فإني سمعتُ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول بأن دعاء الأم بحق ولدها مستجاب) وهنا يستغرب الشهيد مطهري رحمه الله ويقول: «فهل هناك تحريف أكثر من هذا؟ أولاً: ليس هناك ليلى في كربلاء حتى يُحدّثها الإمام الحسين عليه السلام، وثانياً: هل هذا هو منطق الحسين في المعركة؟! أبداً ان منطقه كان منطق التضحية والجهاد...)[٢] وهو العالم علم اليقين بأنهم كانوا يسيرون والمنايا تسير من ورائهم... وعلي الأكبر نفسه القائل «والله يا أبه لا نبالي، ما دمنا على الحق، وقعنا

١ . الملحمة الحسينية: ٣ / ٣٣ .

٢ . ن. م: ١ / ١٨ .

على الموت أو وقع الموت علينا» والانكى من ذلك أنَّ القارئ يتحدث عن ليلى وعلي الأكبر وكيف توجهت هذه ال(ليلى) إلى الخيمة ونشرت شعرها بناءً على طلب الحسين!! وإنها نذرت في تلك اللحظة أن تزرع الطريق من كربلاء إلى المدينة بالريحان إذا ما استجاب الله دعاءها وأرجع لها ابنها سالماً من المعركة، حتى قالت هذا البيت من الشعر:

نذرٌ عليّ لئن عادوا وإن رجعوا ... لأزرعنّ طريق التفت ريحانا

وهنا المضحك المبكي، المرّ المؤلم، وسَرّ البلية ما يضحك فعلاً، أن الشيخ المطهري يقول: (لقد ذهلت لما سمعت، وزاد عجبي من هذا البيت من الشعر العربي، وصرتُ أسأل نفسي من أين جاء وسط هذه التعزية؟ ثم ذهبتُ أبحث في بطون الكتب وإذا بي أجد بأن (التفت) هذه،هي منطقة غير كربلاء أولاً، ثم أن بيت الشعر كُلّه لا علاقة له بحادث عاشوراء لا من قريب ولا من بعيد، بل أنه نُظم على لسان (مجنون ليلى العامرية) المعروف وهو ينتظر ليلاه الّتي كانت تقيم في هذه الناحية، وإذا بقراء التعزية صاروا يقرأونه على لسان ليلى أم علي الأكبر (التي يؤكد المؤرخون أنها لم تكن موجودة أصلاً في كربلاء)، ثم حُرّفت (التفت) إلى (طف) كربلاء...)[1] وصار بيت الشعر أكذوبة ساطعة للسخرية.

نذرٌ عليّ لئن عادوا وإن رجعوا ... لأزرعنّ طريق الطف ريحاناً

يقول الوائلي: هناك الكثير من الدواهي لا أحب ذكرها خصوصاً في أجواء المصيبة، حيث تُذكَر أمور تقشعرّ لها الجلود، وإني وإن كنت لا أستكثرها على أعداءِ آل محمد وهم قوم عرفناهم يعملون أضعافها لأنهم معادن خسّة ولكن ينبغي هنا أن يتوفر أمران: الأول: التأكد من مصادر الرواية في السند.

ثانياً: أن لا يصطدم المضمون مع الأسس العقلية، كما ينبغي أن نلحظ كرامة أهل

---

١ . ن. م: ١ / ١٨ ـ ١٩ .

البيت عليهم السلام فوق كُلّ ذلك قبل أن تجمح بنا عاطفة نسمّيها حُبّاً لهم .

أدب المصيبة

أدب المصيبة هو الآخر تأثر بأجواء المصيبة والّتي في بعضها ـ كما قال الوائلي قبل قليل ـ تقشعر لها الجلود، فمثلما وجِدت الأساطير والخرافات والروايات الّتي لا قيمة لها والتي أدت بلا شك إلىٰ خلق نوع من التصور المشوش حول قيمة ورسالة المنبر الحسيني والثورة الحسينية، كذلك هو الأدب، أعطى صورة منكسرة محرّفة عن واقع احداث ثورة الطف وقيَمها، فبدلاً من ان يكون الشعر نهضوياً تعبوياً يعكس قيم الطف البطولية وبالتالي حقيقة مواقف أهل البيت عليهم السلام، نرى في بعضه ما لا يستسيغه المنطق والعقل من انكسار وخمول وجحود وجمود يؤدي بالسامع إلى التراخي والجبن والرضا بالذل والتعسف والتراجع، وليس بالضرورة ان يكون وراء هذا الشعر اغراضاً مبيتة، بل ينطلق الشاعر غالباً من فرط الجهل بالعاطفة نحو ما يسمى بحب آل البيت عليهم السلام .

يقول الوائلي: ... رحم الله السيد الحميري فقد دخل عليه يوماً شاعر طلب منه أن يستمع إلى ما رثي به أهل البيت عليهم السلام وما تفجع به لهم ومنه قوله:

ما بال بيتهم يخرّبُ سقفه   وثيابهم من أرذل الأثواب؟!!

فقال له الحميري: يا ابن اللخناء من الذي دعاك إلى أن تقول مثل هذا في آل محمّد، ألا قلت كما أقول أنا:

أقسمُ بالله وآلائه   والمرءُ عما قال مسؤولُ

إنّ علي بن أبي طالب   على التقى والبرّ مجبولُ

يقولُ بالحق ويعني به   وليس تلهيه الأباطيلُ

ومثل ذلك الكثير في المصيبة، فمنهم من جنح إلى وجه المقارنة بين المعصومين عليهم السلام، عتاباً غير كريم ولا مسؤول وفيها الكثير من التعسف. كما في أبيات السيد الهندي رحمه الله :

يا صاحب العصر أدركنا فليس لنا ... وردٌ هنيٌّ ولا عيش لنا رغَدُ
فاكحل بطلعتك الغرّا لنا مُقَلاً ... يكاد يأتي على إنسانها الرمَدُ
هب أن جندك معدودٌ فجدّك ... قد لاقى بسبعين جيشاً ماله عددُ

فيما كان شاعرٌ آخر ثائراً زاهداً بالورد الهني والعيش الرغيد، يقول مخاطباً الحسين عليه السلام :

أبكيك بالبيض الصفاح وبالقنا ... فإن بها ما يَطلب الطالبُ الوترا
ولستُ كمن يبكي أخاه بعَبرةٍ ... يعصّرها من بينِ أجفانه عصْرا
وإنّا أناسٌ لا تسيل دموعنا ... على هالكٍ منّا وإن قصمَ الظهرا(١)

ويذكر الوائلي رحمه الله نماذج من الشعر الهابط الذي يقلل من قيمة المصيبة ويفرز نتائج سلبية على المنبر الحسيني فتترك آثاراً نفسية لا تتناسب مع ما يطمح له المنبر والحقيقة الحسينية الّتي يراد عرضها بالشكل اللائق الذي يصون سمعة الاسلام وآل البيت عليهم السلام ومن بعضها باللغة الدارجة:

لو تشوف شلون سوّوا بيكم أهل الكوفة
شبعوا أخواتك مذّلة وروسهن مجشوفه
ونهبوا العزّ والذخيرة واصبحت متلوفه
وانت مالك ما تردّ العتب لختك يا نفل

---

١ . تنسب هذه الأبيات إلى الثائر الشاعر إبراهيم ذو النفس الزكية .

وأما في القريض فمنه

فلو رأيتهموا والسوط يوجعهم فيصرخون به من شدّة الألم
كأنهم ديلم أو ترك قد سحبوا وليس ويلاه فيهم غير مهتضم

وهذه الصورة كما يقول الوائلي لا تحتاج إلى التعليق، طبعاً للمستوى الهابط في رسمها. ولكن في المقابل كثيراً ما نجد الشعر الناضج الذي يُعطي المنبر قيمة اعتبارية ويسمو به إلى عنان السماء والمجد حينما يصور الشاعر نفس المضمون السابق ولكن يفعمه بالحرارة الصادقة والعاطفة الجيّاشة فيقول الشاعر الشيخ عبد المهدي مطر ﷫ :

ولكن نشدتك لو تستطيع لتسمع ما يذكر الناشد
غداة العقائل قد هوجمت فما تصنع الثاكل الفاقد
يرقّ لها السوط إذ يلتوي عليها ويقسو لها الجالدُ

ولذا نجده ﷫ يوجه دعواته [١] بين الحين والآخر إلى المثقفين من ابناء الأمة للولوج إلى عالم الشعر ورفد الملحمة الحسينية بنتاجاتهم الناضجة وينقذوا الساحة من النتاج الهابط الرخيص، فلم ينفك ﷫ من تشخيص الظاهرة السيئة ونقدها وايجاد احتمالات الحلول لها والدعوة الملحة والمستمرة للنهوض بالجانب الايجابي للظاهرة .

التمثيل والتشبيه:

في احدى محاضراته، أشار الشيخ الوائلي ناقداً متهكماً متحرقاًلما فعله البعض من الناس وبدعم من بعض الشخصيات الدينية لإحياء ذكرى عاشوراء ومراسم الطف، في

١ . الوائلي: م. س: ١٧١ .

وسط مدينة (لندن) وبالتحديد في حديقة (هايد بارك)، فحاول هؤلاء استحضار بعض الجِمال والخيول وتجسيد واقعة السبايا، بعد أن يمتطي أحد الجمال شخص يمثل شخصية الإمام السجاد عليه السلام، وبشكل عام فان منظر التشبيه والتمثيل لا يوحي نقل الصورة القيميّة العظيمة لثورة الحسين عليه السلام والانكى ان يعرض هذا التشبيه وسط جمهورٍ أوربي لا يعرف عن الاسلام ولا عن ثورة الحسين عليه السلام الشيء الذي يمكن ان يستلهم منه حقيقة الثورة وعظمة مبادئها، سوى ما يرى بأم عينه ما يعرضه هؤلاء الذين يجهلون القيمة الاعتبارية لحقيقة الثورة.

فبين الحين والآخر يشتد غضب الشيخ الوائلي رحمه الله على هذا العمل الذي لم تأتِ به رواية لها اعتبارية السند والمتن سوى أنها تقاليد دخلت مؤخراً على الملحمة الحسينية لاغراض عدّة. فيصل به الغضب إلى ان يخرج عن طوره ويصفهم (بالنعاج). ولم نرَ في كُلّ سيرته الخطابية ان وصل به الحد للخروج عما يمكن ان يصل له غيره سوى هذه المرة الّتي طفحت به غيرته وحرصه والتزامه ومسؤوليته من جراء هذا العمل المنافي واللامسؤول عن حقيقة النهضة الحسينية.

وهناك العديد من العلماء المصلحين يشاطرون الوائلي رأيه حول ضرورة تنقية المنبر الحسيني، والتصدي بحزم وقوة للفئات المخالفة وإلا ما قيمة العالم الذي لا يظهر علمه في شدّة المحن والفتن. فالشهيد مطهري رحمه الله يعرج على اسطورة منبرية أخرى، لها واقعة تمثيلية دأبت عادة الناس في إحيائها وتشبث الخطباء بذكرها دون الالتفات إلى حقيقة وجودها تأريخياً وهي قصة زواج القاسم (عرس القاسم). وقد أصبحت هذه من المسلّمات في أحداث الطف، حيث أراد الإمام الحسين عليه السلام تزويج احدى بناته لابن أخيه القاسم في يوم المعركة، ويعلق الشيخ مطهري على هذه القصة، بأنه كيف يعقل ان يزوج الإمام الحسين عليه السلام ابن أخيه من ابنته في ذلك اليوم الخطير، حيث انّه عليه السلام عندما أراد أن يصلي صلّى صلاة الخوف وقد تعرّض لرشق السهام من معسكر الأعداء ويشير إلى ان أول

من اختلق هذه القصة هو الملا حسين الكاشف. ثم يقول «تصوّروا ـ بالله عليكم ـ هذا الكلام الذي كثيراً ما يتردد على ألسنة البسطاء الذين يتمنون رؤية عرس ابنهم أو بنتهم قبل موتهم، فينسبونه إلى شخص كالحسين عليه السلام وهو في خضم المعارك وفى ذلك اليوم التاريخي الذي لا مجال فيه حتى لاقامة الصلاة بسهولة، وكأن القاسم لا همّ له إلا البحث عن زوجة ولا همّ لعمه إلا تزويجه»[١].

أما ما يقوله الوائلي حول هذه القصة «مسألة إقامة عرس القاسم يوم الثامن وما يتخذ فيه من ممارسات لا تلتقي والدين والحقيقة في شيء في تفاصيل يعرفها حضّار المجالس ولا أريد أن أعرض لها، كما أن الرواية في موضوع الزواج غير معتبرة، يضاف لذلك أن مسألة الزواج يمكن تصورها على نحوين:

النحو الأول: هو الزواج بمعنى الدخول وهذا أركانه غير متوفرة فالقاسم صبي لم يبلغ الحلم يومئذٍ والمرأة المروي أنه تزوج بها كانت ذات بعل يومئذ يوم الطف، والجو الذي كان فيه أهل البيت ليس بجو زواج أو فرح.

أما النحو الثاني: فهو بمعنى العقد فقط أي أن الحسين عليه السلام عقد للقاسم على إحدى بناته فيمكن أن يرد هنا سؤال هو ما هي الغاية من ذلك والإمام عليه السلام يعلم أن القاسم سيقتل بعد ساعة بالإضافة لإشكالات أخرى، وعلى العموم فالموضوع لا حاجة للإطالة بالحديث عنه كما لا جدال بأنّه موضع نقد وركة في اجواء النهضة المحبوكة في تسلسل مفرداتها وتتابع فصولها المأساوية الّتي ينبغي أن نحافظ على مكانتها بعيداً عن هذه الممارسات»[٢].

١ . الملحمة الحسينية: ١ / ٢٤ .

٢ . تجاربي مع المنبر: ١٠٠.

شق الرؤوس أو التطبير :

وهو من الأعمال الّتي لا تلتقي والمسار العقائدي للفرد المسلم، ولم يكن له وجود وأصل في كُلّ الروايات المعتبرة عن المعصومين في ندب الحسين عليه السلام. ولا نرى ابلغ من قول الإمام السجاد عليه السلام، زين العابدين: «أحبّونا حُبّ الإسلام والله ما زاد حُبّكم بنا حتى صار عاراً علينا»[١].

يقول الشيخ الوائلي حول هذه الظاهرة وأخواتها السابقات: «لا تجعلوا الناس يرمون أهداف الثورة الحسينية بالخرافةِ والتفاهة إن هذه الخرافات وراءها أياد أثيمة تلعب دورها»[٢] ويقول السيد محمد باقر الصدر رحمه الله: «ان ضرب الاجسام وإسالة الدماء هو من فعل عوام الناس وجهالهم ، ولا يفعل ذلك أي واحد من العلماء، بل هم دائبون على منعه وتحريمه...»[٣].

ومن أوائل العلماء الّذين أفتوا بحرمة هذه البدعة، هو المرجع الاعلى السيد ابو الحسن الاصفهاني قدس سره حيث قال «ان استعمال السيوف والسلاسل والطبول والأبواق وما يجري اليوم من أمثالها في مواكب العزاء بيوم عاشوراء باسم الحزن على الحسين إنما هو محرم وغير شرعي»[٤] ومن أقوى ردود الفعل على هذه الفتوى، يقول الكاتب الاستاذ جعفر الخليلي:

---

١ . هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثنى عشر، ج ٢، ص ١٦٥ .

٢ . نقلاً عن شريط كاسيت مسجل له.

٣ . راجع كتاب «كُلّ الحلول عند آل الرسول صلى الله عليه وآله» للدكتور محمد التيجاني السماوي ط ١ / ١٩٩٥ ص ١٥٠ .

٤ . هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي: ١ / ١٠٦، ١٠٨، ٢٠٧، ٢١٢ وجاءت فتوى المرجع أبو الحسن الاصفهاني تشاطر وتعاضد فتوى السيد محسن الأمين في رسالته «التنزيه لاعمال الشبيه» وممن عاضده أيضاً السيد مهدي القزويني في البصرة والسيد هبة الدين الشهرستاني في بغداد أيضاً ممن وقف مدافعاً عنه كُلّ من الشيخ علي القمي والشيخ جعفر البديري رغم ما كان يعرف عنهما بالابتعاد عن روح التجديد! الخليلي: ١ / ٢١٠ .

«قد انتهز السيد صالح الحلي ـ الخطيب المعروف ـ فرصة تحريم السيد أبي الحسن شج الرؤوس بالسيوف والضرب على الظهور والصدور بالسلاسل فشنّ على السيد أبي الحسن غارة واسعة عنيفة بكل معنى العنف ولم يترك لوناً من ألوان الزراية بالكتابة والتصريح إلا وصبغ بها السيد أبا الحسن من فوق المنابر الّتي كان يرقاها، فكان يتصرف من فوقها بعقول المستمعين تصرّف المالك، ويميل بها ان شاء بما كان يملك من مقدرة وموهبة وجرأة، رفعته إلى أعلىٰ الدرجات في سماء الخطابة والبلاغة...» .

ولكن لنرىٰ كيف استطاع هذا السيد الحلي أن يوظف هذه الموهبة العظيمة والقدرة الرائعة والجبارة في تسفيف العقول وكأن لا هَمّ له في مجتمعٍ يغلب عليه الجهل وهو يحاضر عشرة أيام متحدثاً عن الحمير وأصنافها وأخبارها!!!

فيقول الخليلي «انه حاضرَ عشرة أيام لهيئة عزاء (المكارين) الذين يؤجرون حميرهم وبغالهم للمسافرين بين النجف والمدن المتَّصلة بها، وإنه لم يخرج طيلة تلك الأيام العشرة عن حديث الحمير والبغال والقوافل واخبارها القديمة والحديثة وقصصها، وكان الناس بمختلف طبقاتهم يعافون أشغالهم ويحضرون تلك المحاضرات الّتي ظلّت مدة طويلة موضوع أحاديث الناس وتفكههم ومثار إعجابهم وغبطتهم له على هذه الموهبة...».

ويقول الشهيد مطهري: «ان التطبير والطبل عادات ومراسم جاءتنا من أرثوذكس القفقاز وسرت في مجتمعنا كالنار في الهشيم»[١] .

ويقول المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية «إن لبس الأكفان وضرب الرؤوس والجباه بالسيوف في اليوم العاشر من المحرم... ان هذه العادة المشينة بدعة في الدين والمذهب، وقد أحدثها لأنفسهم أهل الجهالة دون أن يأذن بها إمام أو عالم كبير...»[٢] .

---

١ . عن كتاب الجذب والدفع في شخصية الامام علي عليه السلام عن النسخة الفارسية.
٢ . عن كتاب (تجارب محمد جواد مغنية) بقلمه .

ويقول المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين «ان ضرب الرؤوس خطأ، وأدعو إلى الكفّ عن هذا العمل»[١].

وهناك الكثير من العلماء المعاصرين الذين أفتوا بحرمة هذه البدعة.

منهم آية الله محمد محمد صادق الصدر[٢] وآية الله الخميني والسيد علي الخامنئي والشيخ فاضل اللنكراني والشيخ جواد الآملي والشيخ الآذري القمي والشيخ مكارم الشيرازي والسيد كاظم الحائري والشيخ المشكيني والسيد محمد حسين فضل الله والشيخ محمد مهدي الآصفي والسيد محمود الهاشمي والسيد مرتضى العسكري وغيرهم. وأغلب هذه الفتاوى جاءت في عام ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م بعد ما أصدر السيد علي الخامنئي خطاباً تأريخياً حول إصلاح الشعائر ومما جاء فيه بهذا الصدد:

(البعض يعلّقون الأقفال بأجسامهم في مواكب العزاء، انه عمل خاطئ يقوم به هذا البعض وكذلك الأمر بالنسبة لشجّ الرؤوس بالسيوف أي ما يصطلح عليه بـ «التطبير» الذي يعتبر عملاً مخالفاً هو الآخر). وحول بدعة أخرى في مراسم عاشوراء يقول السيد الخامنئي: «هل سمعتم أن أحداً من الأئمة أو من العلماء كان يزحف على صدره من باب الحرم إلى الضريح أثناء الزيارة، فلو كان هذا العمل مستحباً أو مستحسناً لقام به علماؤنا الكبار، إلا أنهم لم يقوموا بمثل هذه الاعمال، حتى أنه نقل بأن المرحوم آية الله العظمى البروجردي ذلك العالم الورع والمجتهد البارز وذو الأفكار النيّرة منع حتى تقبيل العتبة لدى دخول الحرم المطهر لأي من الأئمة، ورغم ان هذا العمل قد يكون من المستحبات كما جاء في كتب الأدعية، وأتذكر أن هناك رواية باستحباب تقبيل العتبة، ولعل المرحوم البروجردي إنّما منع ذلك حتى لا يتصوّر أنه نوع من السجود يتبجح به الأعداء لتوجيه الاتهامات إلى الشيعة».

وبافتراض حُسن الظن باولئك الذين يقومن بهذه الأعمال تبدو في ظاهرها مستحبة ولكنها تسيء للاسلام أكثر مما تنفع بلحاظ الظرفين الزماني والمكاني، وهنا ينبغي التأكيد

١ . من كلام لسماحته في المجمع الثقافي بمنطقة الغبيري.

٢ . يعتقد البعض ان السيد محمد الصدر لم تكن لديه فتوى واضحة بهذا الخصوص، نتيجة ما كان يطمح ويسعى لتعبئة الأُمة تحت لواء الثورة الحسينية ضمن مشروعه الاصلاحي.

على ان النوايا الطيّبة لوحدها لا تسوغ القيام بأفعال تسيء إلى الاسلام ككل رغم طيبة وصفاء وطهارة القائمين بها فعلاً، وهذا ما أشار إليه خطاب آية الله الخامنئي «طبيعي ان هؤلاء أصحاب النوايا الطيبة ـ معظمهم من المؤمنين الصادقين إلا أنهم على خطأ واشتباه... وهذا الأمر مسؤولية كبيرة يتحمّلها السادة العلماء والخطباء أينما كانوا...».

منشأ بدعة التطبير

إن فكرة (التطبير) والقامة [١] فيها روايتان: الأولى تقول: إن أحد عشاق الحسين عليه السلام جاء زائراً يوماً مرقده الشريف من بلاد القفقاز، وكان يحمل سيفه معه كسلاحٍ شخصي في ذلك السفر الطويل... ولما استقر به المقام عند المرقد المقدس وراح يستمع يوماً بتأمل وإمعان إلى تِفاصيل المواجهة الدامية وغير المتكافئة بين الامام الحسين عليه السلام وخصومه، لم يستطع أن يتمالك نفسه، فأخذ سيفه وراح يضرب رأسه بلا شعور حتى مات.. ثم شيّع الرجل في جنازةٍ مهيبة باعتباره زائراً وغريباً وعاشقاً، فصارت هذه الحكاية باباً لاجتهاد أحد مسؤولي المواكب لمواساة هذا الزائر الغريب في مصيبته وكذلك مواساة سيد الشهداء وأصحابه عليهم السلام في فاجعتهم الكبرى.

أما الرواية الثانية فتقول: (وهي أضعف سنداً) خلاصتها أنّ مجموعة وليس واحداً هم الذين فقدوا سيطرتهم على مشاعرهم بعد أن سمعوا ماساة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وراحوا يضربون رؤوسهم بسيوفهم فمات اثنا عشر شخصاً منهم في الحال إذ لم تكن السلطة مستعدّةً أو (مهيّأة) لإسعافهم في تلك اللحظات، وهكذا راحت (مواكب التطبير)

١ . القامة: سيف قصير يحمله بعض الشيعة في بعض (مواكب الحسين) تعبيراً عن رفض الظلم والظالمين وتحدّيهم، ولكنه أسيء استخدامه في السنين المتأخرة حيث صار يستخدم بشّج الرؤوس في يوم عاشوراء تعبيراً سلبياً عن هذا الرفض وفي زمان ومكان لا داعي فيه لاستخدام هذا السلاح السياسي، وبمثل هذه الطريقة المقرفة البائسة حيث يتدفق الدم على الوجوه والصدور من الرأس المشجوج .

تترى باجتهادات (مشقٍ) لا يعبر بعضها إلا عن استعراض لا طائل وراءه فيما يعبر بعضه الآخر عن مشهد من مشاهد معارك السيوف التي تدافعت خيولها ورجالها على أرض الغاضرية ظهيرة عاشوراء وراحت تجول على الاجساد الطاهرة الّتي تناثرت أشلاؤها على رمضاء الطفوف.[١]

الاسباب الّتي ساهمت في توسيع مواكب التطبير:

أولاً: من أهم الأمور الّتي تساهم في هذه الظاهرة، هي البساطة في التفكير عند البعض من شرائح المجتمع والتعبير عن مشاعرهم، واستجابتهم لتوجيهات سواء كانت مغرضة أو مقصودة فتؤثر فيهم تأثيراً نفسياً يرتبط بعقيدتهم ويساهم الزمن في ترسيخ هذه الظاهرة وتعميقها، مما يصعب بعد ذلك التغيير أو ترشيد هذه الظاهرة.

ثانياً: يرى بعض الشيعة في هذه الظاهرة تعبيراً واسعاً في الولاء لآل البيت عليهم السلام وركن من أركان الايمان، فيطمع الجميع بشفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون، وعلى هذا المبدأ يقيمون هذه الشعيرة، وهذا مما يدلل على القصور المعرفي في نوعية الولاء لآل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: لعب الصراع الطائفي دوراً في أظهار هذه الشعيرة أو الظاهرة، فاحتفظت كُلّ فرقة من الفرق الاسلامية بطقوسها وممارساتها للشعائر بحيث تسعى كُلّ فرقة إلى تمييز نفسها عن الفرق الأخرى. بعد ان كان الاختلاف بين الفرق اختلافاً فكرياً وعقائدياً.

رابعاً: العامل السياسي: لعب العامل السياسي دوراً مهماً في ابراز هذه الظاهرة، تأريخياً، فغالباً ما كانت حرية الطوائف الاسلامية تتأثر تبعاً للعامل السياسي، ففي العهد العثماني، وفي زمن داود باشا الذي عُرف عنه من أكثر مماليك العهد العثماني تضييقاً على الشيعة في اطلاق شعائرهم، إلا انه فسح المجال لهم وبالأخص في المدن المقدسة كالنجف

---

١ . راجع كتاب (الشعائر الحسينية بين الوعي والخرافة)، محمود الغريفي: ٨٥ ، ٨٦ تقديم السيد كامل الهاشمي .

وكربلاء والكاظمية بعد وقوع الصلح بينه وبين حكومة ايـران عـام ١٨٢١ م ـ ١٣٣٦ هـ، حيث ان الإساءة إلى شيعة العراق والتجاوز على شعائرهم يعني التجاوز ضمناً على شعائر الايرانيين [١].

أما في فترة الاحتلال البريطاني للعراق، فكان العامل السياسي أكثر وضوحاً في نمو هذه الظاهرة وللاسباب التالية:

أ ـ ان البريطانيين لا يهمهم الوضع الاجتماعي للبلد بقدر مـا كـان اهـتمامهم بـما يحصلون عليه من أقتصاد هذا البلد وتكريس احتلالهم.

ب ـ اعتقد البريطانيون بأن السماح لهـذه الظـاهرة هـو عـملية كسب الشـيعة إلى صفوفهم وقبولهم بالاحتلال أو السكوت عنه على أقل التقادير ما دام المحتل يسمح بحرية ممارسة الشعائر.

ج ـ مارس البريطانيون دعماً مادياً لأصحاب مواكب العزاء ومنها مواكب التـطبير لغرض كسب مجتهدي الشيعة الذين كان لهم الدور الأول في الجهاد ضدهم والفتاوى الّتي دفعت العراقيين لمواجهتهم، وقد نتج من ذلك اقبال الناس على ممارسة هذه الظاهرة بـعد توفر التشجيع والجانب المادي.

د ـ السياسيون العراقيون استغلوا هذه الظاهرة في الاربعينات والخمسينات من هذا القرن فلم يتعرض أحدهم لهذه الظاهرة لانهم اعتبروا أنفسهم الناطقين باسم هذه الطـائفة والمدافعين عن شعائرهم أملاً في الكسب السياسي. كما تـجنب التـعرض لهـذه الظـاهرة السياسيون من باقي المذاهب الاسلامية الأخرى خوفاً من اتهامهم بالطائفية الّتي تؤثر على شعبيتهم في الأوساط الشيعية.

خامساً: نزعة حب الظهور والتزعم، وهي من النوازع الفردية الّتي جـبلت عـليها

---

١ . الموسم، مجلة، العدد (١٢): ٢١٥ .

طبيعة الفرد الإنساني، فالانسان السوي الذي يشار إليه بالبنان بعد أن أحتل مركزاً علمياً أو سياسياً أو عسكرياً أو مالياً يحاول ان يجعل امامه الأنظار تشير إليه بمركز اجتماعي معروف، أما من لم يستطع ولم يجد في نفسه القدرة ليتبوأ مركزاً من هذه المراكز يحاول اللجوء إلى مجالٍ آخر يضفي عليه مركزاً اجتماعياً (مرموقاً) فيسعى لتأسيس موكب وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى دعم مادي كبير وقد جرت العادة ان تجمع تبرعات من الناس باسم الحسين عليه السلام وتختلف طرق جمع المال فمنها التبرعات النقدية من التجار والكسبة في الاسواق ويصنع البعض صندوقاً يكتب عليه اسم الحسين عليه السلام ولا يفتح إلا بعد مرور سنة كاملة، كما أن هناك (عادة) لبعض المواكب، وهي أن يذهب افراد الموكب على هيئة (مشق) إلى صاحب الدار الثري فيدخلون الدار تكريماً لصاحبها فيقدم لهم مبلغاً من المال والطعام والأكفان وتتجمع لدى قيادة الموكب موارد لا يستهان بها، ويترك أمر التصرف بها لقيادة الموكب، ويحظى رئيس العزاء بثقة جمهور العزاء وهو حرّ في كيفية صرف الواردات ما دامت تصرف باسم الحسين عليه السلام .

ويقول الأستاذ طالب علي الشرقي: مرت على الناس ظروف معاشية حرجة ونقص في بعض المواد وأهمها قماش (القميص الأبيض) وكانت حاجة الناس إليه ظاهرة، فكان البعض ينتمون إلى مواكب التطبير لغرض تحصيل الكفن الذي كان يوزع من قبل رؤوساء مواكب التطبير بكميات كبيرة وكان الدعاة يحملونه على أكتافهم لتوزيعه على المشاركين. كان ذلك بعد الحرب العراقية البريطانية في مايس ١٩٤١ م / ١٣٦٠ هـ حيث اتخذ الإنجليز التقرب من الشيعة ومجتهديهم واعتقدوا في تشجيع شعائر هذه الطائفة خير وسيلة للحصول على التأييد فقدموا ـ في الأماكن المقدسة للمواكب الحسينية وخاصة التطبير ـ الأموال النقدية والزيت للمشاعل والرز لاقامة الولائم الحسينية والأكفان للمتطبرين. وينتهي الاستاذ الشرقي بالقول: ان تلك الهبات كان لها أثر في توسيع ظاهرة التطبير وغيرها ولا غرابة في اقبال السُذّج والمعوزين على ممارسة عمل قد لا يؤمنون بصلاحيته ولكن

بدافع الحاجة الآنية وليس بعيداً عن هؤلاء قول الإمام الحسين عليه السلام :

«الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحيطونه مادرت معائشهم فاذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون»[١].

خطر التحريف على المسار العقائدي

لقد ظهرت نتيجة هذه التحريفات سلباً على العقائد الأصيلة للاسلام، والّتي ضحى من أجلها الامام الحسين عليه السلام، وهو ما يصنفه الشهيد مطهري ضمن التحريف المعنوي للثورة الحسينية .ومن هذه النتائج الّتي صار يؤمن بها قطاع من الناس ـ للاسف الشديد ـ هو ان البكاء [٢] على الامام الحسين عليه السلام ولو بدمعة واحدة كافٍ لان يغفر الذنوب جميعاً مهما كان نوع تلك الذنوب وكثرتها!!! ويذكر الشهيد مطهري قصة حقيقية لها دلالاتها الكبيرة في الواقع الاجتماعي، ولها مصاديقها الكثيرة في حياتنا، فقد قيل: لأحد الأشخاص لماذا لا تصلّي ولا تصوم ولا تترك الخمر، فأجابهم بأنه مشهور باللطم على صدرهِ، فكيف يطلبون منه أكثر من ذلك [٣]!!

ومن نتائج هذه الانحرافات ـ أيضاً ـ اعتقاد قسم كبير من الناس أن من يمس جسمه غبار زيارة الإمام الحسين عليه السلام فإنه لن يدخل النار بصرف النظر عن الذنوب الّتي ارتكبها في حياته، ونظموا في ذلك شعراً:

---

١ . الموسم: م. س: ٢١٧ .

٢ . وهذا لا يعني الدعوة لالغاء البكاء على مصيبة سيد الشهداء عليه السلام بأي شكل من الاشكال بل ان لا يتحول البكاء والتباكي إلى حالة اعتقادية بأن الجنة والفوز بالآخرة هي البكاء على الحسين عليه السلام حتى وان تسلل الشيطان وأحبط الاعمال وابتعد الإنسان عن أصل عقائد الاسلام، وإلا فالبكاء تعبير للعهد أو ميثاق بين الأنسان وربّه على ترك المعاصي والتوبة إليه والإنابة له والتوكل عليه والاستعانة به (عزّوجل) .

٣ . الملحمة الحسينية: ٣ / ٢٤٠ .

فان شئت النجاة فزر حسيناً لكي تلقى الإله قرير عين
فان النار ليس تمس جسماً عليه غبار زوّار الحسين

هذه المفاهيم المنحرفة تتعارض مع أصل العقيدة الاسلامية وتساهم بدون شك في تضعيف الالتزام الديني عند طبقة من الناس العوام وبالأخص عندما يتم الاعتقاد بها جيداً يرون فيها طرقاً سهلة للدخول إلى الجنة!! دون النظر والاعتقاد بأصل العقائد الّتي من اجلها كانت ثورة الحسين عليه السلام الذي أراد بها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصلاح في امة جده صلى الله عليه وآله للقضاء على جميع طرق الفساد والضلال والانحراف في المجتمع الاسلامي .

ومن الطريف أن نذكر ما ذكره الشهيد مطهري حول موقف بعض ما يسمى بعشاق الحسين الذين يترأسون مواكب العزاء. وهي تكشف عن تأثير الخرافة في الاوساط الاجتماعية وخطورتها على التوجه العقائدي يقول رحمه الله: اراد السيد البروجردي ان يمنع المسرحيات الّتي تعرف باسم (الشبيه) والّتي فيها يتم تمثيل وقائع عاشوراء بصورةٍ محرّفة، دعا السيد البروجردي جميع رؤوساء الهيئات الحسينية في المدينة إلى اجتماع في منزله، وسألهم عن المرجع الذي يقلدونه.

فأجابوا: نقلدك أنت.

فقال لهم: إن فتواي بشأن المسرحيات والتمثيليات الّتي تقيمونها بالشكل الذي سمعت فيه حرام في حرام.

قالوا: مولانا، نحن نقلدك طوال العام ما عدا هذه الأيام.

ويعلق الشهيد مطهري: ان هذا يبيّن بوضوح ان الهدف ليس الامام الحسين عليه السلام وليس الاسلام، الهدف هو المسرحية والتمثيل بحد ذاته، وما تخفيه من فوائد، أو قل من لذات واستمتاع رخيص [١].

١ . الملحمة الحسينية: ١ / ١٦٢ ـ ١٦٣ .

بعد ذلك يعلق الشهيد مطهري ﵀ على جميع هذه الانحرافات سواء كانت في الخطبة الحسينية أو في مظاهر العزاء الحسيني، فيقول ان الامام الحسين ﵇ استشهد ثلاث مرات:

المرة الأولى: استشهد على يد اليزيديين بفقدان جسده.

المرة الثانية: استشهد من خلال تشويه الأعداء لسمعته ومقامه واسمه ولا سيما على يد المتوكل العباسي.

المرة الثالثة: استشهدت أهدافه على يد المنبر الحسيني [١].

وقد تكون هذه العبارة الأخيرة قاسية، ولكن الشهيد مطهري ينطلق في تقريرها من رؤيته الرسالية لمبادئ ثورة الحسين ﵇ وتأكيد أهل البيت﵈ على ضرورة إحيائها، فهو يرى ان احياء ذكرى الحسين يجب ان يكون في الخط الذي يجعل منها مدرسة اسلامية حقيقية كما أراد أهل البيت، فهي ليست مناسبة لنشر القصص المختلقة والأحاديث الّتي تسيء إلى الثورة الحسينية فهو يقول «إن فلسفة المدرسة الحسينية ليست مبنية على أساس تربية جيل من المذنبين، بل هي في الحقيقة ليست إلا استمرار لمدرسة الأنبياء.. وإن إحياء هذه الذكرى في كُلّ عام إنما يستهدف من ورائها تخليداً لتلك المدرسة النبوية [٢].

وأما الشيخ الوائلي ﵀ فيقول: «هناك وعاءان لا ثالث لهما يمكن أن نضع الحسين ﵇ في أحدهما في حدود اختيارنا: الوعاء الأول، وعاء الارتزاق ولهذا الوعاء مواصفات معروفة لا تخرج بواقعة الطف عن صورة ذليلة ونساء حاسرة ومواقف لا مكان للرجولة فيها ولا ملامح للأهداف وإنما كُلّ ما فيها نساء يندبن أجساداً ممزقة ويتامى يستبدّ بهم الرعب ومجموعة من القتلة تمثّل بالأجساد وتعبير عن ذلك كلّه بألفاظ لا تناسب مكانة الشهادة والشهداء، ولست أريد أن أنفي وقوع هذه الصورة الماساوية فقد وقعت بالفعل،

---

١. ن. م: ٣ / ٦٥.

٢. ن. م مطهري: ٣ / ٦٥.

ولكنّها وقعت لتسفر عن نتائج معينة، هي ثمرة التضحية فهي تمثل جانباً من الصورة لا ينبغي أن يستبدّ بالصورة كُلّها وتحاط بمبالغات تذهب بالملامح الصحيحة المعبّرة والّتي تدين الأمويين وتفضح نواياهم. أما الوعاء الثاني ـ والقول للشيخ الوائلي ﷺ ـ الذي يفترض أن يوضع الحسين ﷺ فيه هو وعاء الرسالة الذي يبتعد عن المزايدات والمبالغات ويستشف من وراء كُلّ تحرّك وكلّ مفردة من مفردات واقعة الطف الهدف الكبير والسرّ الكامن وفي الوقت ذاته استجلاءمحتويات هذه الواقعة وتقديمها دروساً نستلهمها في مسيرة الحياة، ان الحياة الكريمة محتاجة دائماً لأن تستلهم مواقف رموزها وقادتها فإنّ سيرة القادة طعام النفس الجائعة...» [(١)].

وبهذا الخصوص سجل المصلح الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مواقف جريئة وشجاعة في تطهير وإصلاح الشعائر الدينية من كُلّ ما يسيء إليها من حالات تسيء بدورها إلى صاحب الذكرى الإمام الحسين ﷺ فيقول: إن مسألة لطم الصدور ونحو ذلك من الكيفيات المتداولة في هذه الأزمنة كالضرب بالسلاسل والسيوف وامثال ذلك إن أردنا أن نتكلم فيها على حساب ما تقتضيه القواعد الفقهية والصناعة المقررة لاستنباط الأحكام الشرعية فلا تساعدنا إلا على الحرمة، ولا يمكننا إلا الفتوى بالمنع والتحريم فانه لا مخصص للعمومات الاولية والقواعد الكلية من حرمة الإضرار وإيذاء النفس وإلقائها في التهلكة ولا دليل لنا يخرجها عنها في المقام...» [(٢)].

ثم يذهب ﷺ إلى أن أغلب الاشخاص الذين يرتكبون هذه الأُمور والكيفيات لا يأتون بها إلا من باب التظاهر والمراءاة والتحامل والمداجاة مع ان هذا المعنى يغير القصد الصحيح والنية الصادقة، ويقول ﷺ: انه لا يخلو من إشكال بل حرام حرمته تتضاعف [(٣)].

---

١. تجاربي مع المنبر، الوائلي، المقدمة: ٧.
٢. الفردوس الاعلى: ١٩ ـ ٢٠.
٣. الفردوس الاعلى: ٢١.

ولهذا راح يدعو بإصرار شديد على إصلاح الشعائر الحسينية، بعد ان تحولت من حالة التقرب والنية الصادقة في استظهار معالم الحزن لإنسجام مع واقع الظليمة الكبرى لصاحب الذكرى عليه السلام إلى حالة اللعب والترف الاجتماعي والمادي، وعبارته رحمه الله صريحةً بهذا المعنى ضمن رسالة بعثها إلى وجهاء مدينة البصرة بعد ما اشتدّ الخلاف بين رؤوساء المواكب الحسينية حول بعض الأساليب والقضايا التي تقام أيام محرم الحرام فيقول: «... تنزيه المواكب الحسينية الشريفة من كُلّ ما يشينها ويدنسها ويخرج بها عن عنوان مظاهر الحزن والفجيعة إذ ليس الغرض من تكرار فاجعة الطف كل سنة بل كل يوم اللهو واللعب بقصة من الأقاصيص وعجيبة من الأعاجيب. بل في ذلك من الحكم السامية والأسرار المقدسة ما يقصر عن اللسان ويضيق به البيان، فاللازم تطهير تلك المواكب الشريفة عن كُلّ ما يمس شرفها وكرامتها حتى يترتب عليها آثارها المشروعة وغاياتها الشريفة التي من أجلها وفي سبيلها بذل الحسين (أرواحنا فداه) نفسه وأفلاذ وأعز أهل بيته» [1].

ولهذا نرىٰ أنّه وقف موقفاً شجاعاً أمام بعض البدع والخرافات التي تستغل من بعض المغرضين بهدف الإساءة إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، يقول الشيخ جعفر آل محبوبة: «حينما اتسعت الأعمال المنكرة من العوام في (تاسع ربيع الأول) ـ بمناسبة ما يسمى (فرحة الزهرة) ـ حتى صار لا يمر أحد في الصحن الشريف أو في الأسواق من شريف أو وضيع، إلا ويهان ويضرب وتُلوث ثيابه مضافاً إلى ضرب المفرقعات هائلة الاصوات في الصحن وعند رأس الأمير عليه السلام ولا رادع ولا مانع ولا آمر بالمعروف ولا ناهٍ عن منكر، وأصبح الأعلام يخافون العوام فصعد ـ الشيخ كاشف الغطاء ـ المنبر في الصحن الشريف وبقي يعظ الناس زهاء ساعتين بمواعظ كان لها أعظم الأثر، وزالت تلك الأعمال السيئة والبدعة الخبيثة بالمرة ولم يبق لها أي أثر...» [2].

١ . الآيات البينات للإمام كاشف الغطاء: ١٠ ـ ١١ .

٢ . آل محبوبة، جعفر الشيخ باقر: ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ١٨٦ ـ ١٨٧ .

وهذا مما يوضح ويؤكد: ان بعض العلماء يخافون التصدي لمثل هذه البدع التي أضحت من العقائد الاساسية التي يلهو بها المجتمع مما يولد ظواهر وقضايا خطيرة، أما الإمام كاشف الغطاء فهو يختلف تماماً عن هؤلاء بحكم مسؤوليته الواعية، وسليقته الخاصة في التصدي والمواجهة، وإن كان يعرضه هذا الإقدام إلى النقد الجارح من قبل السُّذّج ففي الاحتفالات التي تقام بما يسمى (فرحة الزهرة) اعتبر ﷺ هذا الأمر من الروايات الضعيفة، رافضاً التعريض بوحدة المسلمين، معتبراً هذه الأعمال السيئة من أكبر مصائب الزهراء! قائلاً: «فليس معنى كونه يوم فرح وسرور عند الشيعة ان يؤذي بعضهم بعضاً. ويتجاسر بعضهم على بعض بيدٍ أو لسان، أو يستعملوا بعض المفرقعات المزعجة كما يستعمله بعض (العوام) فإن جميع ذلك من أسوء الكبائر، وإيذاء المؤمن محاربة مع الله عزوجل، وإيذاء فضيع للأئمة ومن أكبر المصائب على الزهراء...)[١].

وأما بخصوص دور المنبر الحسيني، فكان يرىٰ ﷺ: اللازم على خطباء المنابر والذاكرين لرزية الحسين عليه السلام في هذا العصر الذي ضعفت فيه علاقة الدين وتجرأ الناس على المعاصي وتجاهروا بالكبائر ان يفهموا ان الحسين عليه السلام قتل وبذل نفسه لأجل العمل بشعائر الدين، فمن لا يلتزم بأحكام الإسلام، ويتجاهر بالمعاصي فالحسين عليه السلام منه بريئ كبراءته من يزيد وأصحاب يزيد...) ثم يقول في نهاية كلامه وقلبه يعتصر ألماً: «ان أكثر أعمالنا جناية عظمى على الحسين عليه السلام ولا مجال للبيان أكثر من هذا»[٢].

وعن الدور الإصلاحي الكبير لدى الإمام كاشف الغطاء يقول الاستاذ جعفر الخليلي: أردت ذات يوم أن أقوم بدعوة منظمة لتهذيب خطباء المنابر الحسينية في جريدة الهاتف، فقد بلغت المهزلة حدّاً لا يطاق من جراء صعود عدد من اشباه الأميين المنابر الحسينية، والإتيان بأحاديث ملفقة مكذوبة على الله ورسوله وأوليائه، وجئت إلى الشيخ

١. جنة المأوى، الإمام كاشف الغطاء: ٩٥ ـ ٩٦.

٢. المصدر نفسه: ١٣٩.

مستفتياً عن رأيه في هؤلاء الذين يرقون المنابر على هذه الكيفية. والذين كثيراً ما يسمعهم الشيخ بنفسه، فرأيته يكاد ينفجر غيضاً، وقد صبّ جام غضبه عليهم، وعلى الذين يستقرئونهم في بيوتهم وهم يعلمون شأنهم، ويعرفون عجزهم، فاستكتبتهُ فكتب لي رأيه بهم، واعتبر الإصغاء إلى مثل هؤلاء الخطباء وحضور مجالسهم والاستماع إلى خطبهم من الأُمور المحرمة التي لا يجيزها الشرع بوجهٍ من الوجوه، وقد حدد في هذه الفتوى مؤهلات الخطيب وواجبه تحديداً جيداً دون أن يهتم بالرأي العام وما يمكن ان ينتهي إليه الأمر»[١]،

هذه الدعوات الإصلاحية قد دعا لها العديد من علماء الإصلاح الاجتماعي وفي مقدمتهم الشيخ محمد رضا المظفر ﷺ الذي أراد أن يؤسس مدرسة تربوية هادفة وواعية لتربية الخطباء والمبلغين الواعين لخدمة المجتمع، فتمت مواجهته من قبل العقول المتحجرة[٢] (والنفوس الضيقة التي تحترف العمل المذهبي، ما يثيرون بهذه عواطف الناس وأحاسيسهم كردود أفعال على علماء الدين الواعين الذين يهدفون في إصلاحاتهم وضع الأساس الفكري الرصين لمذهب أهل البيت عليهم السلام »[٣].

ويخلص الشيخ كاشف الغطاء ﷺ إلى القول: إن أفضل الأعمال وأنزهها لإقامة مراسم العزاء الحسيني هو النياحة والندبة والبكاء لريحانة الرسول عليه السلام.

ويؤكد فقيه معاصر: «ان اللطم كما هو البكاء يمثل تعبيراً إنسانياً عن الحزن، فمن الطبيعي ان يكون الجانب الشكلي فيه يمثل هذه الحالة الإنسانية وذلك باللطم الهادئ الذي يوحي بالخشوع، لا اللطم الاستعراضي الذي يوحي بالكثير من الأشكال الناشزة التي

١. الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم: ١ / ٢٤٤.
٢. هذا ما سوف يخبرنا به الشيخ أحمد الوائلي ﷺ عن هذا المشروع وكيف أُحبط، هذا ما سوف يأتي في الفصل الثالث ان شاء الله.
٣. ظاهر جبار عبيد، (التجديد والاصلاح في فكر الشيخ كاشف الغطاء) مجلة قضايا أسلامية العدد ٥، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م).

يستعرض فيها الناس أوضاعهم، فذلك يفقد اللطم معناه التعبيري ليّحوله إلى مجرد فن استعراضي» ويؤكد هذا الفقيه من جانب ثانٍ على اثر الضرر الذي يتركه هذا العمل فيقول: «إذا بلغ اللطم درجة يمكن للانسان أن يتأثر فيها جسدياً حتى لو كان يتعافىٰ بعد يوم أو يومين من ذلك، فانني أجد ان هذا عملاً محرماً...» [١].

وأما عن رسالة الخطيب ودور المنبر الحسيني فيقول السيد فضل الله: «على الخطيب الذي يمتهن هذه المهنة ان لا يعيش تحت تأثير العامة بحيث يصادر كل رسالته من أجل إرضائهم ويُبعد القضية الحسينية عن مسارها الإسلامي الطبيعي، ثم يقول: «علينا أن نشجع الخطباء الذين يعتبرون الخطابة دمعةً في عمق الرسالة، ورسالة في عمق الحركة، وعقلاً في داخل العاطفة، حتى ينمو هذا الجيل الذي يعيش الرسالة مع الحسين عليه السلام ويبعد كُلّ الجيل التقليدي الذي لا يعيش الغاية الكبرى في قضية الحسين عليه السلام في ساحة الواقع».

الغلو في أهل البيت عليهم السلام

تبقى ظاهرة الغلو من أخطر الظواهر الانحرافية في الدين الاسلامي، وقد أفرد الشيخ الوائلي رحمه الله محاضرات عديدة وفي مناسبات مختلفة لمعالجتها [٢]، وتوجيه المجتمعات الإسلامية نحو الفهم الصحيح لمعرفة المنزلة الحقيقية لأهل البيت عليهم السلام، بعد أن طفحت هذه الظاهرة في الوسط الاجتماعي وبإصرار من بعض الخطباء غير آبهين بنتائج هذه الظاهرة، سوى ما يبتغون من أهداف بسيطة وساذجة، ظناً منهم أنهم يحسنون صنعاً، في خلق حالة العشق والتعلق بالأئمة المعصومين عليهم السلام.

ولهذه الظاهرة ـ كما للظواهر الأخرى ـ اسباب ونتائج، فمن أسبابها :

١. الدافع النفسي والعاطفي.

---

١ . المرجع الديني آية الله السيد محمد حسين فضل الله، فقه الحياة: ٢٧٦ .

٢ . أنظر الفصل الرابع من كتابه «هوية التشيع» موضحاً فيه موقف الامامية من الغلو والغلاة: ١٦٥ ـ ١٧٣ .

٢. الأثر الفلسفي، وهو نتيجة تأثر الدين بالفلسفة الافلاطونية الحديثة وفلسفات الأمم الوثنية الّتي اختزنت الكثير من الاساطير والخرافات.

٣. الدافع السياسي: كان الشعوبيون يدخلون الاسلام فيظهرونه ويخفون عقائدهم الوثنية المنحرفة وأحقادهم على الاسلام والمسلمين، فيوظفون الغلو كمولِّد ذاتي للشحن العاطفي والطائفي وهو ما يخدم مصالحهم وأهواءَهم.

أما نتائج الغلو :

فتكتمل في الجانب الفكري والعقائدي بعد ان يترك أثراً مهماً في تخصيب العقول وتهيئة الأذهان لتقبل الشرك كنتيجة حتميّة بعد ترويض عقل الإنسان على تقبل الخرافات والاساطير وتصديق الأكاذيب والأوهام والاحلام .فيتحول الله سبحانه وتعالى عند المسلم الشيعي البسيط إلى مفهوم مجرد غير مؤثر وغير فاعل في الحياة، أي يبقى في ذهنه وعقله ولكنه لا ينفذ إلى وجدانه.

ومن نتائجه في الجانب الاجتماعي أنه يصنع مجتمعاً ساذجاً يعيش الأوهام والأحلام بعيداً عن الواقعية والعلمية، اما في الجانب السياسي، فيكفي انه يُمزِّق وحدة المسلمين ويخلق الأحقاد والعداوات بين الطوائف المتعددة.

أقوال في الغلو والغلاة:

قال الله تعالى في كتابه المجيد:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ

الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[١].

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾[٢].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[٣].

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[٤].

بعض ما جاء على لسان النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في ذم الغلاة والمفوضة:

١. قال النبي ﷺ: «لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً»[٥].

٢. وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «لا تتجازوا بنا (العبودية) ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإني بريءٌ من الغالين»[٦].

٣. وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي»[٧].

٤. قال الصادق عليه السلام: «والله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا، ما نقدر على ضر ولا نفع، ان رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة وما معنا من براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون، من أحب الغلاة

---

١. الرعد: ١٦.
٢. هود: ٣١.
٣. الكهف: ١١٠.
٤. إبراهيم: ١١.
٥. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ١ / ٢١٩.
٦. الاحتجاج، للطبرسي: ٢ / ٤٣٨.
٧. الاعتقادات، للصدوق: ١١٢.

فــقد أبـغضنا، ومـن أبـغضهم فـقد أحـبنا، الغـلاة كـفار والمـفوضة مشـركون، لعـن الله الغلاة»[١].

٥. وقال الصادق عليه السلام: «الغلاة كفار والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم، أو زوجهم أو تزوج منهم أو ائتمنهم عـلى أمـانة، أو صـدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة، خرج عـن ولايـة الله عـزوجل وولايـة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولايتنا أهل البيت»(٢).

٦. وقال الصادق عليه السلام أيضاً: «لعن الله الغلاة، الا كانوا يهودا، الا كانوا مجوسا، الا كانوا نصارى، الا كانوا قدرية، الا كانوا مرجئة، الا كانوا حرورية، لا تقاعدوهم ولا تـصادقوهم وابرأ منهم، برئ الله منهم»[٣].

٧. قال الإمام الرضا عليه السلام: «اللّهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة، ولا حول ولا قوة إلّا بك، اللّهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لا نعلمه في أنفسنا، اللّهُم لا تليق العبودية إلّا لك ولا تصلح الألوهية إلّا بك، اللهم انّا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا قوة ولا حياة ولا نشورا، اللهم من زعم أن لنا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون»(٤).

٨. وعن الرضا عليه السلام: «من زعم ان الله عزوجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه فقد قال بالتفويض والقائل بالتفويض مشرك»[٥].

٩. وعن الرضا عليه السلام أيضاً: «ان من تجاوز بأمير المؤمنين العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الغالين»[٦].

---

١. بحار الأنوار: ٣ / ٥١.
٢. عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٠٢.
٣. عيون أخبار الرضا: ١ / ٢٣٧.
٤. الاعتقادات، للصدوق: ١٠٠.
٥. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ١ / ١١٧.
٦. شبهة الغلو عند الشيعة، عبد الرسول الغفار: ٧٠.

١٠. ومما خرج عن صاحب الزمان عليه السلام: يا محمد بن علي (قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقائهم ومن دينه جناح بعوضة، وأشهدك وأشهد كل من سمع كتابي هذا اني برئ إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب ونشاركه في ملكِه، اويجعلنا محالاً سوى المحل الذي رضيه الله لنا وخلقنا له [١].

عن أبي بصير، قلت للصادق عليه السلام: «انهم يقولون... قال وما يقولون، قلت يقولون: تعلم عدد النجوم وقطر المطر وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب... فقال: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، والله ما يعلم ذلك إلا الله» [٢].

وعن أبي المغيرة قال: «كنت أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن عند الإمام الصادق عليه السلام، فقال يحيى: جعلت فداك انهم يقولون انك تعلم الغيب، فقال: سبحان الله، ضع يدك على رأسي فو الله ما بقيت شعرة فيه وفي جسدي إلا قامت: لا والله وما هي إلا وراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله» [٣].

عن زرارة، قلت للصادق عليه السلام: «ان رجلاً يقول بالتفويض؟ فقال الصادق عليه السلام: فما التفويض، قلت يقولون: ان الله خلق محمداً وعلياً ثم فوض الأمر إليهما فخلقا ورزقا وأحيا وأماتا، فقال الصادق عليه السلام: كذب عدو الله... اقرأ عليه... ﴿أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ ان قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم» [٤].

---

١. الاحتجاج، للطبرسي: ٢ / ٤٣٨.
٢. البحار: ٢٥ / ٢٩٤.
٣. البحار: ٢٥ / ٢٩٣.
٤. نفس المصدر.

مقتطفات من أقوال بعض علماء الشيعة في الغلاة:

لقد وقف معظم علماء الشيعة ضد الغلو والغلاة كما وقف من قبلهم أئمتهم عليهم السلام، وحاربوا الفكرة واشخاصهاورموزها بلا هوادة، وهذه بعض اقوال علماء الشيعة القدماء والمعاصرين ننقلها على سبيل الاستشهاد وليس الحصر أو الاحصاء.

١.قال الشيخ الصدوق: اعتقادنا في الغلاة والمفوضة انهم كفار بالله تعالى [١].

٢. وقال المفيد: الغلاة من المتظاهرين بالاسلام، هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة، ووصفوه في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا به الحد وخرجوا عن القصد وهم ضلّال كفار [٢].

٣. وقال المفيد: والمفوضة صنف من الغلاة، وقولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة اعترافهم بحدوث الائمة وخلقهم ونفي القدم عنهم، واضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم، ودعواهم ان الله تفرد بخلقهم خاصة (أي الائمة) وأنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الفعال [٣].

٤. وقال الشهيد الأول في اللمعة: الغلاة لا يدخلون في مفهوم الاسلام وإن صلّوا للقبلة.

٥. وقال السيد كاظم اليزدي في العروة الوثقى: لا إشكال في نجاسة الغلاة.

٦. وقال الشيخ محمد الخالصي: روج مذهب التفويض في العصر الأخير.........، وزادوا فيه، واوغلوا في الغلو حتى زعموا استحالة أن يكون الله خالقاً ورازقاً وإنما الخلق والرزق للحقيقة المحمدية ـ الاشباح النورية ـ [٤].

---

١ . الاعتقادات، للصدوق: ٩٩ .

٢ . تصحيح الاعتقادات: ٥٢ .

٣ . تصحيح الاعتقادات: ١٣٧ .

٤ . الاعتصام بحبل الله: ٧٠ .

٧. يقول الشيخ جعفر السبحاني: اتفقت كلمة الموحدين على أن الاعتقاد بالتفويض موجب للشرك، وان الخضوع النابع من ذلك الاعتقاد يعد عبادة للمخضوع له .[١]

٨. وقال الشيخ جوادي الآملي: وفي القرآن الكريم توضح العبارة ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ إن الولاية في جميع أمورها التشريعية والتكوينية منحصرة بالله تبارك وتعالى[٢] .

٩. وقال السيد الخوئي ﷺ: ان الكتاب العزيز يدل على أن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلها بيد الله سبحانه وتعالى[٣] .

١٠. وقال الخوئي أيضاً: ان التفويض يلزمه القول بخالق غير الله، فإن معناه ان العبد مستقل في أفعاله وانه خالق لها، ومرجع هذا إلى تعدد الخالق وهو شرك بالله العظيم[٤] .

١١. وقال الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب: ومن المشركين طائفة الغلاة من المسلمين الذين يقولون ان التدبير والخلق والرزق بيد الامام علي عليه السلام، وكذا المفوضة الذين يقولون بتفويض الأمور للأئمة، والظاهر انهم يجعلون الامام علياً عليه السلام شريكاً لله في الربوبية[٥].

أما أهم ما كتبه علماء القرون الأولى في الرد على الغلاة، فنذكر منه على سبيل المثال لا الحصر أيضاً عدداً من الكتب وكما يلي :

١. كتاب الرد على الغلاة، ليونس بن عبد الرحمن (٢٠٨ هـ).

٢. كتاب الرد على الغلاة، لعلي بن مهزيار (٢٢٩ هـ).

٣. كتاب الرد على الغلاة، للفضل بن شاذان (٢٦٠ هـ) .

---

١ . الالهيات ـ جعفر السبحاني: ١ / ٤٣٨ .
٢ . ولاية الفقيه، جوادي آملي: ٣٩ .
٣ . التنقيح في شرح العروة الوثقى ـ تقريرات علي التبريزي لابحاث السيد الخوئي: ٢ / ٧٣ .
٤ . البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ٥١٢ .
٥ . القلب السليم، عبد الحسين دستغيب: ١ / ١٢٥ .

٤. كتاب الرد على الغلاة، لمحمد بن الحسن الصفار (٢٩٠ هـ).

٥. كتاب الرد على الغلاة، لسعيد بن عبيد الله الاشعري القمي (٢٢٤ هـ).

٦. كتاب الرد على الغلاة، لإسماعيل بن علي النوبختي (٣١١ هـ).

٧. كتاب الرد على الغلاة، لإسحاق بن حسن بن بكر (٤١١ هـ).

٨. كتاب الرد على الغلاة، لأبي الفتح الكراجكي (٤٤٩ هـ).

٩. كتاب الرد على الغلاة، لمحمد بن الحسن بن حمزة (٤٦٣ هـ).

ولعلّ اشهر من تعرّض للغلاة في العصر الحديث هم :

١. المصلح الكبير الشيخ محمد الخالصي ﷺ: حيث كتب مجموعة من الكتب في الرد عليهم وفضحهم وأهمها كتابه الشهير والذي طبع أخيراً تحت عنوان (علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات).

٢. آل القزويني: السيد أمير محمد القزويني ﷺ وولده السيد علاء الدين القزويني ولهم في هذا الباب العديد من الكتب والدراسات القيمة والمفيدة.

قصة كتاب (اللؤلؤ والمرجان):

كتب احد علماء الهند السيد محمد مرتضى العندي الجونبوري إلى المؤلف المحقق ميرزا حسين النوري صاحب كتاب (مستدرك الوسائل)، يشكو إليه خطباء المنبر الحسيني أنهم غير آبهين بالكذب، بل حريصون عليه، ومصرون اصراراً تاماً على نشر الأكاذيب والموضوعات، حتى ان بعضهم يرى ذلك جائزاً ومباحاً، وأنه خارج عن صفة المعصية، وحتى عن القبح العقلي لأنه يسبب بكاء المؤمنين على الحسين المظلوم الشهيد عليه السلام، فطلب منه أن يكتب مقالاً بهذا الشأن لعل الخطباء يكفّوا عن هذه السُنّة القبيحة!

ثم يقول المؤلف: «ولم لم يكن أهل العلم ليتساهلوا مع هؤلاء، بل كانوا يراقبونهم

على تمييز السليم عن السقيم والصدق عن الكذب من مقالهم فينهونهم عن نشر الأكاذيب، لم يكن ليصل الأمر بهم إلى هذا الحد من الفساد والجرأة على الله والرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، ولم يكونوا هكذا ينشرون الأكاذيب الواضحة المعلومة الفساد، ولم يكن ليصل الأمر بمذهب الإمامية إلى هذه الدرجة من الاستهزاء والسخرية ولم تكن هذه المجالس الشريفة تصل إلى هذا الحد من فقدان بهائها ورونقها وبركتها الروحية والمعنوية!».

ثم يعتذر إليه عن تأخير الإجابة فيقول: «وبسبب اشتغالي بتأليف كتاب «مستدرك الوسائل» لم أكن لأتمكن من اجابة ملتمسه، حتى إذا فرغت في هذه الأيام من هذه الخدمة كتبت هذا المختصر ـ حسب أمر السيد ـ في بيان الكيفية اللائقة لعمل هذه الطائفة وسميته بـ «اللؤلؤ والمرجان» في بيان شرائط الخطباء، ورجائي ـ بلطف الله ـ واثق بان يكون هذا الكتاب سبباً في ردع بعضهم عن جميع أو بعض تلك الأكاذيب والفساد العظيم المترتب عليها ان شاء الله تعالى».

ومما جاء في هذا الكتاب، يقول المؤلف: ان الخطيب الذي يكون غرضه الأصلي من وراء تعلم فن الخطابة وما يتعلق بها من أخبار الفضائل والمصائب والخطب والمواعظ وحتى المسائل الدينية، مجرد تحصيل المال وكسبه، فيكون كسائر الكسبة والتجار يعامل الناس ويساومهم في زيادة وقلة الأجرة، لعرض متاعه على الزبائن والمشترين يرسل الوسائل إليهم ويكتب الرسائل، فإذا أذِن له وذهب وقرأ وكان ما أعطى أقل مما كان يتوقع غضب وفضحه!

وبهذا الصدد فإن أوضح مصاديق هؤلاء الخطباء ما رواه الكشي في رجاله عن العوف بن القاسم عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال له: «إياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً» وما رواه الكليني في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام في وصاياه لأبي النعمان: «ولا تستأكل الناس بنا فتفتقر».

ورواه المفيد في أماليه هكذا «يا ابا النعمان: لا تستأكل بنا الناس فلا يزيدك الله بذلك إلا فقراً»، وما رواه الكليني في الكافي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به الآخرة أعطاهُ الله خير الدنيا والآخرة»(١).

وأيضاً ما رواه ابن شعبة الحراني في آخر كتابه «تُحف العقول» في وصايا المفضل بن عمر لأصحابه: «لا تأكلوا الناس بآل محمد صلى الله عليه وآله فإني سمعتُ أبا عبد الله يقول: «افترق الناسُ فينا على ثلاث فرق: فرقة أحبّونا وانتظروا قائمنا ليصيبوا من دنيانا، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصّروا عن فعلنا فسيحشرهم الله إلى النار، وفرقة أحبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا، ولكن ليستأكلوا الناس بنا، فيملأ الله بطونهم ناراً، يسلط عليهم الجوع والعطش، وفرقة أحبّونا وحفظوا قولنا وأطاعوا أمرنا ولم يخالفوا فعلنا فأولئك منّا ونحن منهم»(٢).

ومن الغريب المضحك، ان هؤلاء الخطباء مع هذه التجارة المربحة، ومعارضة دنياهم بآخرتهم يفخرون على منابرهم، في محافلهم ومجالسهم فيعدّون أنفسهم من خدّام سيد الشهداء عليه السلام!!.

وعوداً لكتاب (اللؤلؤ والمرجان) عَدَّ المحدث النوري بعض المهالك العظيمة المترتبة على عدم إخلاص الخطيب، ومنها:

١. حرمانه من الثواب.

٢. دخوله في مصداق من جعلوا آل محمد صلى الله عليه وآله رأسمال لعملهم وتجارتهم وكسب معايشهم.

٣. دخوله فيمن باع آخرته بدنياه.

---

١ . أصول الكافي: ١ / ٤٦، الحديث ٢.

٢ . تحف العقول: ٣١٤ مؤسسة الأعلمي.

٤. دخول كثير منهم في مصداق من يصف معروفاً ولا يعمل به، فيقول: سيما أولئك الذين يذكرون الخطب البليغة لأمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه واقواله وافعاله، فيحذرون الناس من حب الدنيا وآفاتها ومهلكاتها ويحثونهم على بغض الدنيا والزهد فيها ويستشهدون بأحوال الأئمة والعلماء العاملين ويذكرون الآيات والأحاديث المناسبة مرتبة ومنتظمة... بينما هُم معجبون (بجيفة) الدنيا، مغرمون بها، متلوثون بخبائثها ورذائلها.

أما عن أحاديث الزهد، فيقول المحدث النوري: إن حقيقة الزهد هو إعراض القلب بصدق عن الدنيا وعدم تعلّقه بها، وعدم الاعتناء بها كشيء ينبغي أن يتعلق قلبه بها ويحبّه، بحيث لا يفرح بها إذا أقبلت عليه ولا يغتم إذا ولّت عنه «لكي لا تأسوْا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» وهنا، على القارئ الكريم أن يطبق هذا المعنى القرآني للزهد على كُلّ خطيبٍ عرفه عن قرب، وليقارن أقوال الخطيب بأفعاله فيما يخص هذا المعنى.

ثم ينبه المحدث النوري إلى بعض المحرّمات الضمنية، ومنها؛ الترويج للباطل في المحافل، أو في الدعاء في نهاية المجالس والمدح لمن لا يستحق ذلك، والإهانة إلى عظماء الدين، وإفشاء أسرار آل محمد صلى الله عليه وآله، وإعانة الظالمين، وتعزيز المجرمين، وإثارة جرأة الفاسقين، وتفسير القرآن والحديث بالرأي والمعاني الفاسدة، والفتوى بغير علم وتنقيص مقام الأنبياء لتعظيم مقام الأئمة عليهم السلام، وتقطيع الأخبار وحذف ما لا يتلائم منها مع الأفكار الخاصة، والإكثار من القصص والاكتفاء بها وبالمضحكات منها بالخصوص، وطرح الشبهات بقوّة مع الضعف في ردّها وجوابها، وذكر ما ينافي عصمة أهل البيت عليهم السلام.

أجزاء الخطبة عند الوائلي

بعد جهود مضنية في البحث والتنقيب في بطون الكتب الّتي تناولت موضوع الخطبة [١]، لم أجد من حاول تصنيف هيكلية الخطبة بالشكل العلمي والأكاديمي إن لم أجد شروحاً وتفاصيل كثيرة جميعها تصبّ ضمن مفهوم (العَرض).

في حين نجد أن الوائلي ﷺ، وإن لم يذكر ذلك بشيء من التفصيل أو الاشارة ولو من بعيد إلى هذه الهيكلية، إلا أننا قمنا باستقراء علميّ دقيق لأغلب محاضراته الحسينية، فوجدنا ان هيكلية الخطبة عنده اتسمت بثلاثة أمور فقط وفقط.

أولاً: المقدمة.

ثانياً: العرض .

ثالثاً: الخاتمة.

ولكل من هذه الأمور الثلاثة ميزة خاصة تميّزها عن أُخرياتها، فمثلاً المقدمة. فالمقدمة عند الوائلي ﷺ تتسم بحالة انتقائية لظاهرة معينة من صميم الواقع أو شبهه من الشبهات الّتي يحاول اعداء الدين اتخاذها ذريعة للتشويش علىٰ مسار الدين أو العقيدة فيختار الوائلي مقدمة تناسب الموضوع المُثار حوله هذه الشبهة أو الظاهرة، وبهذه المحاولة استطاع أن يشدّ السامع ويُهيِّء ذهنيته لما يقول. وكلما كانت المقدمة قويّة كلما كانت حالة الأصغاء هي الأخرى قويّة والعكس صحيح، ولكن مع الوائلي فالمسألة شيءٌ آخر لأن المستمع مستحضر مقدماً قوة وبلاغة الطرح عند الوائلي، فهو لا يحتاج اساساً من الوائلي ان يمارس معه أسلوب الشوق والشَد، لان هذه من الأمور الطبيعية في محاضرة الوائلي، ولا نعتقد أن هناك من يخرج من محاضرة الوائلي وهو لم يستفد شيئاً

---

١ . لاحظ: الخطابة لمحمد أبو زهرة، وفن الخطابة وإعداد الخطيب لعلي محفوظ، خصائص الخطبة والخطيب لنذير محمد مكتبي، وغيرهما .

على الاطلاق مع تباين من يرتاد مجالسه في الذوق والمستوى العلمي والثقافي والاجتماعي.

قد يختلف استهلال المحاضرة عند الوائلي، فمرة بآية قرآنية أو الحديث النبوي أو الحديث القُدسي أو ابيات من الشعر. ولكن الغالب عنده هو الاستهلال بالآية القرآنية وحسب طبيعة المعالجة واحتمالاتها للظاهرة أو الشبهة.

العرض: من أوائل منهجيّات الوائلي في المحاضرة الحسينية هي وحدة الموضوع، حيث كان رائداً بحق في هذا المجال، فالوائلي ﷺ مهما شرّق وغرّب في محاضرته أو تعرّض لأمورٍ قد تبدو بعيدة عن أصل الفكرة لكنها في الواقع شيئاً مكملاً لمستلزمات الطلب الأصلي، فبين الحين والآخر يرجع إلى صلب الموضوع بشكل واضح وملحوظ ليعيد ذهن السامع لأصل المطلب، وهي أشبه بمحاولة رياضية لا تخلو من البراعة والفن في توسعة مدارك السامع لقبول أوسع واغنى المعلومات الّتي تحيط بأساسيات المطلب الأصلي.

الخاتمة: وهي القسم الثالث من هيكلية خُطبة الوائلي ﷺ فهو ينقل السامع بحالة لا شعورية للدخول إلى عالم المصيبة الحسينية وبدون أي فاصلة بين أصل الموضوع ومظلومية أهل البيت عليهم السلام، وهذه قدرة وقابلية قد لا تتوفر عند أغلب الخطباء، فهي فن براعة المواصلة في الحديث.

ولذا أصبح اسلوب الوائلي ﷺ في الخطابة هو المدرسة النموذجية والمثل الأعلى الذي يحتذيه الخطباء، لانه رسم الصورة السليمة للتزود بالوعي والفكر النيرّ، ولهذا يقاس مستوى نجاح وهبوط الخطيب بقدر ما يتقن من الخصائص الّتي وضعها وصاغها الوائلي ﷺ.

وهنا نعرض نموذج لإحدى خطبه ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه وتعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**﴾.

سبب نزول الآية هو ان جماعة من الصحابة قد تخلفوا عن الخروج للقتال مع جيش النبي ﷺ بسبب الانشغال بمزارعهم واموالهم، ولما رجع النبي ﷺ وجدهم قد ربطوا انفسهم إلى سواري المسجد عقوبة لانفسهم وحلفوا ان لا يحلّهم الا رسول الله ﷺ حيث اعتبروا انفسهم مذنبين ومرتكبين لجريمة التخلف عن القتال مع المسلمين.

قال لهم ﷺ: وانا لا احلكم حتى تأمرني السماء، فهبطت الآية الكريمة ﴿**وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(١).

وبعد مدة قالوا لرسول الله ﷺ ان السبب الذي جعلنا نتخلف عنك هو اموالنا وهذه البساتين والمزارع، ولذا نضع اموالنا هذه بين يديك لتتصرف بها كيف ما تحب، إنها اموال مشؤومة، خذها وطهّرنا.

قال ﷺ: انا لا آخذ من اموالكم شيئاً أبدا، اموالكم لكم، فبقى ﷺ كذلك حتى نزلت آية البحث فأخذ منهم الزكاة، أي الحق الواجب.

في الآية حكمان: الأول هو ان النبي ﷺ هو الذي يجب أن يأخذ الاموال، أو يرسل من يستلم منهم الزكاة لان الخطاب (خذ) للنبي ﷺ بالذات والأخذ يفيد المباشرة

---

١ . التوبة: ١١٨.

أو من يوكله، والامر ـ كما هي القاعدة ـ يفيد الوجوب.

ومعنى ذلك: إذا تخلف شخص عن الزكاة أو انكر ضرورتها فانه يعتبر منكرا لضرورية من ضروريات الدين، ولهذا ورد ان من منع درهما من الزكاة ـ أو قيراطا حسب بعض الروايات ـ خُيّر عند الممات ان يموت يهوديا أو نصرانيا، هذا إذا لم يكن الامتناع بدافع العصيان بل الانكار والّا فان له حكما ثانيا.

والزكاة حق الطبقات التي لا تنهض، وهي ـ بتعبير آخر ـ صندوق ضمان وليست من البنود الرئيسة التي اعتمد عليها الاسلام في تسيير الوضع المالي، أي لا يمكن ان نعتبر الزكاة من الاعمدة الاقتصادية التي يقوم عليها بناء الدولة، فهي صندوق ضمان اجتماعي لا اكثر، فمن يعجز عن العمل يعطى منه، وهكذا من يقل وارده عن الكلفة، فمثلا: من كان له عشرة اطفال وما يحصل عليه هو مائة درهم، وكان هذا المبلغ يسد حاجة سبع اطفال فيؤخذ للثلاث الباقين من صندوق الزكاة باعتباره صندوق ضمان.

الضمان هو للفئات الثمانية التي ذكرتها الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

الحكم الثاني هو ان الآية تقول ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فالتعبير بـ(من) يفيد التبعيض، أي خذ بعض اموالهم، فهؤلاء الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وقالوا بان جميع اموالهم بين يديه قال لهم: لا، اموالكم لكم، انا انتظر امر السماء، فجاء الأمر بأن يأخذ من الاموال وحدد الوحي نسبة الزكاة في البقر، الغنم، الابل، الحنطة، الشعير، والفضة،... الخ.

القرآن الكريم أمر بالزكاة وترك تفصيلها إلى السنة الشريفة والنبي ﷺ قد بيّن انها تكون في هذه الموارد.

---

١. التوبة: ٦٠.

والمذاهب الاسلامية تختلف في متعلق الزكاة، فعند الاحناف تكون على الخضر كـ (الكرفس، الفجل، القرع و...) وبعض المذاهب الزكاة في بعض الاشياء غير المأكولة لمجرد انها تدّخر.

وعند الامامية تجب الزكاة في تسعة: الانعام الثلاثة (الابل والبقر والغنم)، الغـلّات الأربعة (الحنطة والشعير والتمر والزبيب) والنقدين بقيد أن يكون النقد ذهبا أو فضا وهناك مدرسة اسلامية أُخرى تقول: انما قال النبي ﷺ بهذا القيد لانهما كانا في زمانه فنظر لهما بعنوان النقد ووسيلة تبادل، واليوم حيث لا يتبادل بالذهب والفضة بل بالورق فتجب الزكاة فيه لانه نقد، وهذه المدرسة نسميها بـ(المدرسة الملاكية).

وهناك حكم آخر يستفيده الفقهاء من قوله ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وهو ان الزكاة تجب في عين المال لا في الذمة.

فمثلا: إذا كان لدي حنطة فهل الزكاة التي فرضها الله عزوجل تتعلق بالحنطة نفسها ام بذمتّي، فاذا كان ثمنها مثلا الف درهم فهل نسبة ٢,٥ ٪ منها (٢٥ درهم) تتعلق بذمتي على ان اسددها ام يجب علي دفع نسبة ٢,٥ ٪ من عين الحنطة ؟

الفرق يظهر فيما إذا اخّرت الزكاة سنتين مثلا، فعلى الرأي الثاني يجب دفع النسـبة مرة واحدة وعلى الرأي الاول يجب دفع النسبة لسنتين.

آية البحث يستفيد منها الفقهاء انها تتعلق بالعين، وفي ذلك فائدة وهي ان الدفع من العين ابعد عن غبن الفقير، إذ يحتمل عند تحويل العين إلى القيمة ان يحدث تلاعب، فـقد يقال مثلا ان ثمن الكيلو غرام من الحنطة هو درهم أو درهمين بينما في الواقع قد يكون اكثر من ذلك، وحاجة الفقير إلى العين قد تكون اشد.

ثم إذا تعلق الحق بالعين فان الفقير يخول بملازمته، فيقف ويقول هذا حقي، ولكن إذا تعلق بالذمة فان في ذلك مجال للتأجيل والادعاء بعدم وجود المال، وهناك فوائد وآثـار كثيرة أُخرى.

قد يقال: المجتمع الذي يقوم على الصدقات ليس مجتمعا كريماً ابدا، حيث نـعطل مجموعة من الناس ونجمع لهم صدقات، فهل هذا يناسب كرامة الانسان؟

فنقول: هذا الاشكال جاء من كلمة (صدقة) التي يفهم منها طلب فقير من آخـر ان يتصدق عليه، والواقع ان الصدقة في القرآن تعني الضريبة، ولذلك يؤمر في الفقه الجـنائي وعلم الاجتماع وعلم النفس بحفظ الالفاظ التي تصدر من الانسان عند ارتكابه الجريمة والجناية لان اللفظة تعطي معنى خاصا.

فمثلا: إذا قال شخص لآخر (أجيء اليك) فانها تفيد ـ باصطلاحنا ـ التأديب بـينما معناها اللغوي هو اني انتقل من مكاني إلى مكانك وليس فيها معنى التأديب.

والزكاة كذلك، فاذا اخذت الضريبة من الشعب ودفـعت كـرواتب للـموظفين فـان الموظف لا يستكنف من اخذها لانه يأخذ حقه من الشعب، كذلك لفـظة (الصـدقة) فـان المقصود منها هو الضريبة ولذلك من يمتنع عن دفع درهم من الزكاة يقاتل عليه حتى يقتل، اذن ليس فيها معنى يحط من قيمة الانسان أو يجعله يشعر بشيء من النقص .

الاصوليون يسمون هذا الوضع بـ(الوضع التعيّني) أي ان كلمة (الصدقة) وضعت ايام النبي ﷺ بمعنى الضريبة، ولكن في ايامنا صار لها وضع تعيّني أي انها تستعمل بـمعنى الاحسان إلى الغير.

قد يسأل: لماذا لا تقول الآية ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ بالجزم، لان جواب الأمر يكون مجزوما.

الجواب: ان الفعلين صفتان للصدقة لا جواب الأمر، أي هذه الصدقة موصوفة بانها تطهرهم وتزكيهم، وقد لمّحت لكم ان اداء الحق الضريبي يشعر الضمير بالراحة، فاني حينما اعلم ان هذا الحق اعطيه للطبقة الضعيفة والفقير والبائس والاسرة المنكوبة، وان لم اعـطه فاني اكون قد سرقت من هذه الطبقة والاسرة ويشعر ضميري بالاثم ولا اقدر على تنزيهه

من ذلك مالم ادفع ما افترض الله عليّ من حق، فالتطهير يعني تطهير الضمير من الشعور بالاثم والجريمة والتلوث.

الآية تخاطب النبي ﷺ ان هذه الزكاة التي تأخذها منهم تطهر ضمائرهم ونفوسهم وتربى فيهم الروح الاجتماعية، أي تجعل الفرد مواطنا صالحا يساهم في بناء المجتمع، فان الفرد لبنة منه، والانسان اخو الانسان والله عزوجل يقول: إذا اردتم رحمتي فارحموا خلقي والمفروض هو ان يستشعر الانسان الرحمة، فان تجرد عن الرحمة فلا يمكن اطلاق الانسان عليه .

والتزكية في قوله ﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾ تفيد التنمية، فقد يتصور احدنا انه إذا دفع الزكاة فان ثروته سوف تنقص، والواقع لا يوجد تنقيص ابدا، فاذا كنت ـ مثلا ـ تاجرا فاني قادر على العمل واكتساب الربح فيما إذا كانت هناك قوة شرائية لدى الناس والا فان السوق يركد، والزكاة ونظائرها من الحقوق توزع على الطبقات الضعيفة لتصرفها في السوق وليس لديها فائض حتى تدخره وبذلك استرجع ما دفعته مع زيادة ما دفعه غيري ومن ناحية ثانية هناك عنصر غير منظور وهو البركة وهي ليست مسألة رياضية بل انبأ الله عزوجل عنها وهو الصادق حيث انبأ ان الزكاة تنمي.

لاحظ الذين عرف عنهم العطاء لحقوق الله عزوجل تجد ان اموالهم تعيش اكبر قدر ممكن ولذلك تقول الرواية (ما تلف مال الا ولله فيه حق).

ثم امرت الآية الكريمة النبي ﷺ بالصلاة على من يدفع الزكاة: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾.

والمقصود من الصلاة هو الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبي﴾ فالصلاة من الملائكة هي الدعاء إلى الله برفع منزلة النبي ﷺ، والصلاة من

الله هي رفع منزلته والآية حينما أمرت النبي ﷺ فانها تعني ادع لهم برفع المنزلة والبركة والنمو.

وبعض فقهاء المسلمين يقول لا يمكن ان يقول فلان (صلى الله عليه) فنسأله: لماذا لا يمكن؟ هل الأمر هو كما تحب، هل تعلم النبي وظيفته ام تعلم القرآن؟ القرآن يخاطبه ﷺ: (صل عليهم) بهذا التعبير.

كنت ذات يوم في المدينة المنورة فسمعت صاحب مكتبة يقول لاحد المسؤولين: متى تتركون هذا الكتاب وهو «اعلام النبوة للماوردي الشافعي» فسألته: لماذا هذا الكتاب ممنوع؟ فقال: لانه مكتوب فيه: قد اعانني على طبعه فلان جزاه الله خيرا بجاه محمد وآله صلوات اللهعليهم، فهذه الـ (صلوات الله عليهم) نجاسة!! فكيف تدخل هذا الكتاب؟ وكأن آل محمد ﷺ هم آل كسرى أو آل هرقل وليسوا آل محمد، فبيّنت له آيات تبين جواز الصلاة على سائر الناس كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ و ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ و ﴿هُوَ الذِي يُصَلِي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ﴾ وقلت له: إذا كانت الصلاة على سائر الناس جائزة فلماذا لا تجوز على آل محمد؟ وقد روى مسلم في صحيحه وهكذا البخاري بان أبي اوفي جاء بالصدقة (الزكاة) إلى النبي ﷺ فاستلمها منه وقال: اللهم صل على ابي اوفي وآل ابي اوفي ، كما ان الكتب الاسلامية الأخرى تروي ان النبي ﷺ قال: لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء، قالوا يا رسول الله وما الصلاة البتراء؟ فقال: تقولون اللهم صل على محمد، قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد، اذن ينص القرآن الكريم على جواز الصلاة بالنسبة إلى سائر الناس وآل محمد أولىٰ لانهم عدل الكتاب وحملة احكام النبوة وآدابها.

القرآن يأمر النبي ﷺ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ أي إذا دعوت

لهم فان نفوسهم تسكن اليك، بالفعل كان النبي ﷺ إذا استلم الحق (الزكاة) يدعو لدافع الحق بالبركة والنمو لانه اسهم في تلبية نداء الله عزوجل ونداء الاسلام بوجوب التكافل الاجتماعي، فلا يتصور الانسان انه معزول عن الهيئة الاجتماعية بل هو مواطن مسؤول عن رعاية اهله واخوانه، فهو مسلم وجزء لا يتجزأ من المسلمين فلا تهمه نفسه فقط (من بات ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)، والنبي ﷺ يضرب مثلا لاصحابه ويقول: كانوا إذ ارملوا ـ أي جاعوا ـ يمسكون رداء أو بساطا ويتوجهون إلى البيوت فكان كل من عنده طعام يضعه في ذلك البساط ويجمعونه ثم يقسمونه فيما بينهم بالتساوي، وكان يقول: اولئك مني وانا منهم، لان هذه روح الاسلام روح الاسهام في بناء المجتمع والفرد يشعر بانه جزء مفروض عليه ان يؤدي واجبه ازاء المجتمع وبعد اداء الواجب يتعدى إلى الايثار وهو اهم من الاسهام لانه يعني ان تعطي ما انت بحاجة إليه ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يقول حاتم بن عبد الله الطائي في احدى روائعه:

واني لاستحيي صحابي ان يروا   مكان يدي من جانب الزاد اطوعا
أقصر كفي ان تنال اكفهم   إذا نحن أهوينا وحاجتنا معا
فانك ان اعطيت نفسك سؤلها   وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

ولذلك مجّد القرآن الكريم افعال آل محمد بالايثار لما دفع الامام علي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام افطارهم إلى المسكين واليتيم والاسير ثلاثة ايام، وباتوا طاوين وذلك عندما نذروا ان يصوموا بعد شفاء الحسنين عليهما السلام فهبطت سورة الدهر وفيها قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ والضمير في (على حبه) يعود إلى الطعام أي على شدة حبهم له وعلى جوعهم و (على) في الآية بمعنى واو الحال ومعنى الآية يأخذه الكواز ويقول :

ليت الأُلى اطعموا المسكين قوتهم   وتاليبِه وهم في غاية السغبِ

يَرونَ بالطف ايتاما لهم أسِرت　　　يستصرخون من الآباءِ كل أب

وفعلا مرت عليهم ليالي كانوا يدفعون فيه رغيفا إلى الطفل طول النهار وهذا لا يكفيه فكانت اخت الحسين عليه السلام تضطر إلى ان تدفع رغيفها إلى الاطفال تكمل به جوعهم، وتبيت طاوية اليوم واليومين والثلاثة ايام حتى رآها الامام السجاد عليه السلام ليلة من الليالي في طريق السبا تصلي وهي جالسة. فقال لها: عمة، ان هذا خلاف عادتك، انت ما كنت تصلين من جلوس حتى ليلة الحادي عشر كنت تصلين من قيام.

قالت: يابن الاخ، من الضعف الذي ألمّ بي اصبحت لا اقوى على القيام ولا على الكلام، هذا المعنى اخذه السيد حيدر الحلّي حيث يقول:

وقد كان من فرطِ الخفارةِ صوتها　　　يغضُّ فقض اليوم من شدة الضعفِ

خُذي يا قلوبَ الطالبيين قرحة　　　تزولُ الليالي وهي داميةُ القرفِ

فان التي لم تبرحِ الخدرَ ابرزت　　　عشية لا كهفٍ فتأوي إلى كهفِ

آه، لونّك يـخويهْ اتشوفْ حالي
حالِ الغريبة بـغيرْ واليْ
انهْ تـوني اذكرت عـزّي ودلالي
مـنْ گـوّضتْ ذيج الليالي
اقلّب طرفي لا حـامي ولا حـميْ

من ألطاف وبركات المنبر الحسيني

لم يعد الحديث عن الإمداد الغيبي والرعاية الإلهية خارجة عن قاموس الشعور والتصور العقلي عند الإنسان المعاصر، فعندما يعيش الانسان الصفاء في أعلى مراحل النقاء يختلج عالمه رؤى صادقة لا تختلف في تفسيرها عن الكثير من الاشكالات الّتي تُنبىء بالعديد من الوقائع والّتي لا تختلف نتائجها كثيراً عن الرؤى التي أوردها القرآن الكريم ومأثورات الاسلام في قضية نبي الله يوسف مثلاً وقصة نبي الله إبراهيم وغيرهم من أنبياء الله عليهم السلام، وكأن هذه الرؤى والألطاف الإلهية لا تقل أهمية عن كرامة النبي موسى واعجاز ذي النون وقصة النار وإبراهيم، وغيرها من كرامات الأنبياء والمرسلين. وهذا ما صار يؤمن به مؤخراً المئات من علماء الغرب حين قالوا «لقد دخلنا عصر الغيب بعد أن تجاوزنا عصر الذرة والسرعة والفضاء...».

فصارت لهم معاهد بـ(علم الأرواح)، ومدارس للتنويم المغناطيسي، ودراسات وبحوث مكثفة حول الباراسكولوجي والتليباثي (أي علم انتقال الأفكار أو ما يسمونه الاتصال من بُعد) والشفاء الاعجازي كما يسميه العالم الفرنسي المعروف الكسيس (كاريل) في كتابه المشهور (الإنسان ذلك المجهول): The man Unkown أو قدرات الحاسة السادسة أو البصيرة الثانية والرؤية المسبقة، والتواصل عن بُعد والتنبؤ والإحساس بالخطر، كما يصطلح عليه (كولن ولسن) في كتابه المعروف (الإنسان وقواه الخفية: The Occult وأيضاً ما كتبه الدكتور (عبد الرؤوف عبيد) في كتابه المعروف (الإنسان روح لا جسد) وما عمله (معهد الراين) في مدينة (ديوك) وتوصيته بأن على كُلّ جامعة في العالم أن تقيم (قسماً للعلوم الروحية).

ولعل أكثر ما يهمّنا في هذه المقدمة هو كتاب (الإنسان ذلك المجهول) The Man Unknown للطبيب الفرنسي (الكسيس كاريل)، فقد أفرد هذا الطبيب فصلاً خاصاً تحت عنوان (الشفاء الإعجازي) قارن فيه بين قدرة المسيح عليه السلام على معالجة

الأمراض المستحيلة العلاج (بإذن الله). وما يجري على بعض الناس في شفائهم بما سمّاه (قدرة الدعاء)[١]. ولعل متابعة علمية وإحصائية دقيقة لواحد من مراقد الأئمة عليهم السلام تكشف السر الكبير أو بعض السرّ في تدخل حالات الإعجاز الالهي في علاج المئات ممن قطع الأطباء بنهايتهم واستحالة شفائهم. وواحدة من تلك هي قصة ذلك التاجر البصري التي رواها الشيخ محمد رضا النعماني أحد مقربي السيد الشهيد الصدر رضي الله عنه والّتي تدخل فيها السيد الشهيد قدس سره في إجراء عملية جراحية للتاجر المذكور في إحدىٰ المستشفيات واستخراج حصوة أو غدّة، وعبر رؤية صادقة وحالة إعجازية فريدة[٢].

القصة الأولى

فالوائلي رحمه الله هو واحد ممن لمس هذا الإعجاز الإلهي أو بالأدق عاش قصة (الشفاء الإعجازي) مع احدى بناته في بداية السبعينات حينما ذكر تفاصيل قصة اصابة احدى عينيها بعد تقطع شبكيّة العين إثر دخول قطع صغيرة من الزجاج في داخلها. فذكر الوائلي رحمه الله تفاصيل هذه القصة وتقاريرها وشهادات اطبائها من على المنبر وأمام آلاف الناس، والّتي اصبحت آنذاك، ومازالت حديث المجالس ومصداق شفاعة أهل بيت النبي عليهم السلام وخاصة الامام الكاظم عليه السلام الذي يسميه العراقيون (باب الحوائج) وكيف تدخّل هذا العبد الصالح في علاج ابنة الشيخ الوائلي رحمه الله بعد أن فقد الأمل تماماً بكل الأطباء المشرفين على علاجها ولاذ رحمه الله بالدعاء فنال كرامة هذا الولي الصالح والإمام العظيم عليه السلام فقال على الأثر قصيدته، ومنها:

لقدسك ياباب الحوائج باب ... جثت عنده للطالبين رغابُ
يمرّ عليه المستحيل فينثني ... إلى ممكنٍ يُدعى به فيجاب
مناهل ريّا عند باب ابن جعفر ... تفيض عطاءً للذين أنابوا

---

١. انظر تفاصيل بعض القصص العجيبة في كتاب (مع المجاهدين والشهداء في عوالمهم) للاستاذ مختار الأسدي، وهي قصص واقعية، سجلها المؤلف على لسان أبطالها.
٢. راجع كتاب النعماني (سنوات المحنة وأيام الحصار) طبعة أولى ١٩٩٦ م: ١٢٣.

القصة الثانية

قبل حلول عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م كان الشيخ الوائلي ﵀ يعاني من مرض السرطان في عنقه، فسافر إلى بريطانيا للمعالجة، وعند اقتراب شهر محرم الحرام والذي اعتاد فيه ان يقرأ الخطابة الحسينية، كتب قصيدة شعرية وأرسلها كرسالة إلى سيد الشهداء الإمام الحسين ﵇ وأُلقيت في ضريحه المقدس، يطلب فيها من الإمام الشفاء:

عنق عشت فيه ستين عاماً ... كنت عقداً يزينه ووساما
كُلّ يوم يستاف منك ويستوحيك ... سيفاً وفارساً وإماما
ملأ الكون من صليلك إيقاعاً ... وهل فارق الصليل الحساما؟
فإذا ما استعاد ذكرك وقعاً ... حوّل الكون كلّه أنغاما
وجلا الطف من خلالك يوماً ... علوياً ينضّر الأياما
طاب من طيب ما حوى من حسين ... سل إذا شئت عن وعاء الخزامىٰ
كم بأغلى العقود جدت عليه ... ثم سدّدتَ خطوه فاستقاما
أفترضى حاشا وأنت تراه ... واهن الجسم يجرع الآلاما
ولك التربة الشفا وحباك ... الله ما شئت رفعةً ومقاما
فاسأل الله يا بن أكرم رهط ... ان ينحّي عنه الأذى والسقاما
أنا لا أطلب الدوام بدنيا ... كيف أرجو من الفناء الدواما
غير أني لديّ بضع أمانٍ ... وأمانيَّ ان انال المراما
ثم أمضي كما مضى الناس قبلي ... لكريم آلاؤه تتهامى
عند باب عطاؤه لا يجارىٰ ... وفناء نزيله لن يضاما

أتـــفيا بـــظل عـــفو سـخي يـــمسح الســـيئات والآثـــاما
ونـعيماً أرجــو بـجنب حسـين وعـــلي ومـــن بـهم أتسـامىٰ
ربّ فـارحـم فـقري فـانت عـطاء كـم تـصدى فـحقق الاحـلاما
واسـقِ غـرساً غـرسته فـلقد عـا د بـقلب الهـجير يشكـو الأوامـا

في غضون هذه الأحوال اقترح عليه أحد المؤمنين أن يخاطب الإمام الرضا عليه السلام بهذا الشأن، فكتب قصيدة أخرى تضمنت هذه الأبيات:

سـيدي يـا أبـا الجـواد ويـا بـن الخـــير ويـا مـناط الرجـاء
يـا مـقيماً بـقلب كـل محب رغـم أن المـدى بـعيد نـائي
يا بـن اصـلاب مـن أعـز رجـال وابـن ارحـام مـن أعـف نسـاءِ
يـا بـن بـيت بـه مـهابط جـبريل ومـحراب سـيد الأنـبياء
يـا إمـاماً مـن الأئـمة فـي عـقد زهـي فـي فـرائـد عـصماء
حـملتني الآمـال نـحوك أرجـو أن تـذاد الضـراء بـالسراءِ
والثـرى إن ألح جـدب عـليه وجـه الوجـه ضـارعاً للسماءِ
سـيدي إنـني ابـنكم ولو أنـي لستُ أرقـىٰ لمستوى الانـتماءِ
بـيد أن الأنـبياء لن يـعدموا العـطف بـرغم العـقوق للآبـاءِ
مد كـفيك يـا بـن فـاطم وامسـح عـنقي بـالشفاءِ مـن شـر داءِ
ولتكـن هـذه يـد مـن أيـاد غـمرتني بـالفضل والآلاء
سـيدي إنكـم مـزاج تـلاقىٰ عـنده الأنـبياء بـالأوصياءِ
فـتسامى الإبـداع فـي نـطفة أمشاج أهدت للكون أهل الكساء

المـــــيامين والذيـــــن إليـــــهم تـــــؤدىٰ غـــايتي وابـــتدائـــي

فعزم على إرسال من يلقيها في ضريحه المبارك، وفي اليوم الثاني اتصلت به علويّة من أقاربه في ايران وسألته عن احواله وصحته وأبـلغته أنـها تـحمل خـطاباً مـن الامـام الرضا عليه السلام يشير فيها إلى عدم الحاجة إلى إرسال حامل الرسالة فإنها قد وصلت وقـضيت حاجة صاحبها.

ولدىٰ مراجعة الطبيب المختص بشّره بأنه قد برأ من علته، فسافر الشيخ الوائلي إثر ذلك إلى الكويت ليواصل إلقاء محاضراته الحسينية القيّمة في شهري محرم وصفر .

خطباء من مدرسة الوائلي

أغلب الخطباء المعاصرين تأثروا بخطابة الشيخ الوائلي رحمه الله وبدرجـاتٍ مـتفاوتة، فهناك من الخطباء من تأثر به إلى درجة تقليده في كل شيء، حتى في حركاته وسكـناتهِ، وهناك من تأثر بطريقته في استهلال المجلس بالآية الكريمة، وهي الميزة التي تميّز بها منبر الوائلي وإن كانت هذه ضرورة من الضرورات الّتي لابد ان تُمارس مع التـطور الحـضاري والّتي لا بد ان يجد فيها الخطيب منطلقاً قرآنياً لعلاج الشبهات والقضايا العصرية المـثارة، ولكن الوائلي رحمه الله كان هو الرائد الأول في هذا المجال.

وهناك من الخطباء من لا يستطيع ارتـقاء المـنبر مـا لم يستمع لمـحاضرة مـن محاضرات الشيخ رحمه الله المطابقة للمناسبة الّتي يريد ان يعرج عليها الخطيب، فالمحاضرات الوائلية هي مادة غنية لا يمكن الاستعاضة عنها عند أي خطيب يطمح بالارتقاء وتـطوير منبره.

وهناك أيضاً ممن تأثر أشد التأثير بالطريقة الفنية الّـتي مـارسها الوائـلي رحمه الله فـي التعريج على المصيبة، وعلى أي حال ان مسألة التأثر والاستفادة من منبر الوائلي رحمه الله هي من الأمور الّتي يجب ان يفتخر بهاكُلّ خطيب، وأرى من الأمانة العلمية والأخلاقية ان يشير

الخطيب إلى قول الوائلي ورأيه بهذه المسألة أو تلك، فالخطيب مثلما يمارس مصطلحات (ارجع، وانظر، ولاحظ المصدر الفلاني) عليه ان يشير أيضاً إلى الطريقة الّتي عالج فيها الوائلي ﷺ هذه المسألة أو تلك، وبهذا يكون الخطباء قد شقوا طريقاً جديداً يجعلون من الوائلي مرجعاً ومصدراً للخطابة، وإن كان هو بحق مرجعاً أعلى لها .

وعندما تنمو هذه الظاهرة بالاشارة إلى قول الخطيب أو رأيه ـ من الخطباء الكبار ـ يحقق الخطباء بذلك أمرين مهمّين :

أولاً: أن الخطابة علم وفن. ولها روادها الأوائل، الذين سجلوا من خلالها آراءَهم ومتبنياتهم ومواقفهم.

ثانياً: تبقى بصمات الخطيب منطبعة على المنبر الحسيني لأجيال عديدة، وهذا بدوره يسجل خلوداً للخطيب راسخاً في أذهان الأجيال .

وتسجل هذه الظاهرة للخطيب المعاصر، سمو الخلق، وعلو الشأن، ورفعة التواضع فضلاً عما يحرزه الخطيب من حسنات الثواب والتوفيق والأجر من بركات صاحب المنبر عليه السلام .

يقول الشيخ محمد باقر المقدسي، كنت أقرأ المقدمة قبل الشيخ الوائلي ﷺ، وبعد أن تمكنت من القراءة الكاملة للمجلس الحسيني، صادف لي منبر في إحدى دول الخليج، فقرأت ذلك العام فيها وبعد انتهائي من المحاضرة، أخبرني أحد الحاضرين، وقال لي: في العام الماضي قرأ الشيخ الوائلي في هذا المجلس ومحاضرتك لا تختلف عما جاء في محاضرته، طبعاً، يعتز الشيخ المقدسي أنه من الذين تأثروا بخطابة الشيخ الوائلي ﷺ ويقول انه صاحب مدرسة جديدة في الخطابة فلابد للخطيب آنذاك ان يتأثر بهذه المدرسة، ولكن بما أني وإياه من خريجي جامعة النجف الدينية وكلية الفقه (١) فلاشك ان يكون هناك شبهاً

١ . كان الوائلي من الدورة الاولى فيها، والمقدسي من الدورة الثالثة.

في طرح الموضوع وعلاجه وهذا لا يعني اني لم أكن متأثراً بـمدرسته، ولكـن بـعد ذلك أستطعت ان أخط مساري المميّز وطريقتي المختلفة عن مدرسة الوائلي ﵀ .

ولم يقتصر هذا التأثير الايجابي على الشيخ محمد باقر المقدسي وإنما حصل لكثير من الخطباء المعاصرين ومنهم من تأثر بمنهجه وطريقته وحتى تقليده ومنهم:

١. الشيخ فاضل المالكي.

٢. الشيخ عبد العظيم الكندي.

٣. السيد داخل السيد حسن .

٤. الشيخ ابو حيدر الكوفي.

٥. الشيخ أبو علي الساعدي .

وهناك خطباء بلاشك تأثروا بمنهجية الشيخ الوائلي ﵀ ولم يكن لهم من الصـوت والأداء بما يمكن القول أنهم يقتربون إلى تقليد الطريقة الوائلية، ومنهم :

١. الشيخ جعفر الهلالي.

٢. السيد حسن الكشميري. وغيرهم .

الوائلي... ونصائح من التجربة :

لم يمرَّ على الوائلي ﵀ حديث إلا واغتنمهُ بالنصح والارشاد للخطباء وغيرهم ممن يريد تعظيم الشعائر الحسينية، ويؤكد فيه ـ غالباً ـ على عمق تجربته الطـويلة مـع المـنبر والحصيلة الّتي خرج بها من هذه التجربة بإيجابياتها ومواطن الضـعف الّـتي اسـتطاع ان يشخصها ويرفدها بعلاجات ملائمة، واضعاً هذه الخبرة أمام الخطباء من البراعم الواعـية والفتية العاشقة لهذه الوسيلة الاعلامية لخدمة الملحمة الحسينية. فبالاضافة إلى كتابه عن هذه التجربة والذي أسماهُ «تجاربي مع المنبر» فهو لم يمتنع عن التصريح ـ بهذه التجربة ـ

في لقاءاته الصحفية والإذاعية وتوجيهاته لزائـريه مـن الخـطباء والوفـود مـن أصـحاب المواكب الحسينية. ففي لقاءٍ له مع صحيفة «كيهان العربي» [١] يؤكد ﷺ إلى ضرورة وجود مؤسسة ثابتة الاركان تتخصص في مجالات المنبر الحسيني، كما هو الحال في المؤسسات الفقهية والأصولية وذلك للوصول إلى وضع مستقر للمنبر.

وعن أسباب عدم فهم أهداف الثورة الحسينية من قبل أتباع المـذاهب الأخـرى، أجاب ﷺ: إنَّ ظاهرة ابتعاد اخواننا المسلمين عن المراسم الحسينية تـتحمل مسـؤوليتها جهتان:

الأولى: الدعاية المغرضة الّتي يتعرض لها هؤلاء الأخوة، فتصور لهم المنبر بأنـه مظهر من مظاهر شق وحدة المسلمين، وشتم تراثنا وشـخصياتنا ونـبذ عـقائدنا، وبـذلك تبعدهم عن الدنّو للمنبر لأنه يؤلف خطراً فيما يقوم به من كشف الحقائق ودحض الشبهات، ثم هو يشكل ممارسة عملية في تجسيد عقائد الشيعة، وذلك ما لا يريده أصحاب المصالح ومن يعيش على أنغام الفرقة منذ عهد الأمويين والعباسيين وأتباعهم.

والجهة الثانية: هي بعض المنابر الجاهلة المرتزقة الّتي لا يهمها إلا المادة ولو على حساب وجود الطائفة وكرامتها، وكذلك بعض الممارسات الّتي لا تلتقي مع جلال الذكرى ومع أهداف أهل البيت عليهم السلام في إحياء أمر آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ويضيف الوائلي ﷺ: إن هذين العاملين تظافرا على إبعاد حتى بعض ابنائنا عن المنبر، ولو أتيح لهذه المراسم الخلاص من هذين العنصرين ففي عقيدتي سيساهم كُلّ مسلم في الانتهال من نبع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكم كان موقف مرشد الثورة الاسلامية الامام الخامنئي رائعاً عندما شـجب بـعض السـلبيات (التطبير) في هذا المجال، ولكنه وللأسف الشديد تُرك وحده في الميدان أمّـا لأن البـعض يرى ان في حذف بعض الزوائد تعريضاً للقضاء على الأصل، أو لأنه حدثت تجارب فـي الميدان لم تنجح وتحتاج إلى زمن طويل واجواء مساعدة، وانا لا أشك ـ والقـول للشـيخ

١ . صحيفة تصدر باللغة العربية في ايران.

الوائلي ﷺ ـ ان كثيراً ممن يمارس بعض الزوائد يمارسها عن عقيدة بأنها شعار يُقرب إلى الله، ويجسد بعض المواساة، ولو تصدى ذوو الشأن لإرشاده لأعطى الارشاد نتائجه، وأخطر ما في الأمر ما قد يحصل من تمزق بالساحة حينما يفعل من لا يخاف الله ما يفعل ويسعى وراء اغراضه وإن هدت إلى هدم الدين .

أما عن وظيفة المنبر، فيقول ﷺ: وظيفة المنبر عموماً بناء الإنسان ثقافياً مع تأكيد عقائدي يشدّ ذوي العقائد إلى منابعهم الاساسية ووظائفهم الدينية ومثلهم العليا، شرط ان يكون أمينا في ايصال النبع للعطاشىٰ، كما هو من دون اضافات وبدون ان يسبغ من ذاته عليه وان يكون المنبر مؤهلاً لذلك علمياً. والمنبر الحسيني في ذلك لا يختلف عن المنبر عموماً لان استعراض احداث واقعة الطف والاستفادة من معطياتها يعتبر من مفردات المطلب الذي اشرنا إليه وهو بناء الإنسان أخذاً بعين الأعتبار مشخصاته الفردية، فالمنبر ثقافة لغير المسلم، ومرشد ومبلغ للمسلم عموماً، يرشد للحقائق الكامنة وراء الواقعة.

واما عن مواصفات خطيب المنبر، فيقول ﷺ: المنبر الحسيني حُصر على الخطباء الحسينيين لأن في ذلك مهارة، اضافة إلى الثقافة ولا تأتي المهارة إلا من التدريب والممارسة. فهي إذن لمن يقوم بذلك.

أما صفاته، فينبغي ان تكون صفات العالِم الاسلامي، لانه اصبح يقوم بوظائف العالِم فيفتي على المنبر ويوصل العقائد ويفلسف التأريخ والخ. يضاف لذلك العلوم والآليات ذات العلاقة بواقعة الطف وبالجملة أصبح الأمر بالنسبة للخطيب صعباً لضرورة توفره على مؤهلات تناسب مستوى العصر.

وأما عن الآفات الّتي تهدد المنبر الحسيني، فيقول ﷺ: تهدد المنبر آفات من الخارج أهمها تقييد حُرية الكلمة وفرض اتجاهات معينة عليه، ومحاولات افراغه من محتواه حتى يعود إلى ممارسة باردة، وواضح من هي الجهات الّتي تفرض عليه ذلك. أما من الداخل فتهدده عوامل أهمها، الهبوط بمستواه إلى مجاراة الخُرافة والشعوذة والأسطورة وارضاء

النزعات الهابطة، ويهدده الخطيب غير الكفوء، والجهة الّتي تريد من وراء احياء هذه الذكرى منافع شخصية، ولا تتوخى هدفاً رسالياً أو عقائدياً وغير ذلك، ولابد من الوقوف بوجه ما يهدد المنبر حتى يستمر في مسيرته حاملاً لرسالته، ويتوقف ذلك على مؤسسات غير موجودة فعلاً، وسيظل المنبر يشكو من أمراض كثيرة أبرزها جهل القاعدة الّتي ليس لها قابلية صنع المنبر العملاق (١). وأيضاً يدعو ﷺ الخطباء إلىٰ ان يكونوا بالمستوى الفكري والعقائدي والمعرفي الذي يؤهلهم لإرشاد ونصح وتبليغ المجتمع يقابل ما يحصل هؤلاء الخطباء من مكانة اجتماعية واموال طائلة، انطلاقاً من قاعدة (الغنم بالغرم) فان ما يغتنمه الخطيب من أجر مادي ومعنوي في عشرة أيام قد لا يحصل عليه أُستاذ جامعي يحمل أعلى شهادة جامعية خلال سنة من تدريسه وجهده الفكري، «أفلا يحملنا هذا ـ والقول للوائلي ﷺ على مضاعفة جهدنا لتحصيل قدر أكبر من العلم والمعرفة والمهارة تقابل به ما حصلنا عليه من مكانة وأموال، إن الزمان يركض في دروب المعرفة فينبغي أن نلحق بغباره إن لم نلحق به لاسيما والدنيا أصبحت غنية بوسائل العلم والمعرفة والحصول عليها سهل يسير» (٢).

وأمام هذا المطلب المعرفي، لاحظ ماذا يقول هذا الرجل ـ الموسوعة ـ وكم هو صادقٌ في قوله وتجربته ورغم كُلّ عطائه المميز، لكن الرجل يشعر بالقصور والتقصير امام الجانب المعرفيّ فيقول: «إن الله وحده يعلم كم أشعر بالنقص، وكم أتضاءل إذا جلستُ بجانب من يحسنون اللغات الأجنبية الّتي تضع أيديهم على كنوز المعرفة وتدمجهم اجتماعياً بشعوب أخرى» ثم يؤكد على أهمية هذه اللغات في الجانب المنبري بعد ان يقدم نصيحةً مخلصةً إلى الخطباء الناشئة «ولأن جئنا في زمن لم يتيسّر فيه لنا من وسائل المعرفة

---

١ . أنظر أيضاً نص الحوار في صحيفة المبلغ الرسالي العدد (١٥٢) / ٣٠ محرم الحرام ١٤٢٠ هـ نقلاً عن صحيفة كيهان العربي .

٢ . الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ١٧٣ ـ ١٧٤ .

ما هو ميّسر الآن لطلّاب المعرفة، فلا ينبغي أن تفوت ناشئة المنبر هذه الفرص الثمينة والكنوز المعرفية الميسّرة الّتي تضعهم في مستويات عالميّة من الاتصال المعرفي وترفع من قدرهم في مجالات التقييم وتنعكس عليهم مادياً ومعنوياً، هذا بالاضافة إلى التوفر على معرفة ماجدّ من كنوز فكرية أصبحت في متناول اليد وأصبح المنبر مهيّأً لقبولها بل يرى فيها منهاجاً لابد أن يحدث ليطعّم مضمون المنبر باللائق والمناسب».

ثم ينتهي الوائلي بنصائحه إلى إلفات نظر الناشئة من الخطباء، واصفاً مسار الخطابة بأنه مسارٌ طويل وجهد شاق وفرصٌ غير مضمونة، فعلى الخطيب أو ممن يريد الدخول إلى هذا المسلك، التدرّع بالصبر «ولايتصور أنّه يختصر المسافات، فإن الزمن دخيل في النضوج والأصالة... إن استيعاب أكبر قدر من المعلومات في وقت ليس بالطويل قد يكون ممكناًولكن استيعاب المهارة وخواص الفن الّتي لا ينبغي أن يتم تصريف المعلومات وفقاً لها لا تحصل بزمنٍ قصير، فإن هناك أخطاء فنية قد لا ينتبه لها الخطيب إلا بعد عشرات السنين »[١] .

هذا ولن يدّخر الوائلي ﷺ جُهداً من تجربته الخطابية الّتي استمرت أكثر من نصف قرن إلا ووضعها بين يدي الخطباء، ايماناً منه بأن التجارب البشرية وفي مختلف المجالات لم تكن ميراث الشخصية فحسب، فهي ميراث أمة يجب أن تطّلع على الجانب المعرفي لتجارب عظماء الاختصاصات المتعددة، وانطلاقاً من أهمية المنبر الحسيني كوسيلة اعلامية هادفة لها أثرها وتأثيرها في الوسط الشيعي، نرى هذا العظيم ﷺ في اختصاصه يقدم ما تجود به تجاربه ليضعها في خدمة الدين والمذهب وخدمة الملحمة الحسينية ووسيلتها المؤثرة ليدلل في بعد من أبعادها علىٰ سمو خُلقه العلمي وتقديره لمضمون الرسالة العلمية ووسائلها وأدواتها المهمة في خدمة الانسانية والدين.

---

١ . تجاربي مع المنبر: ١٧٥.

الفصل الثالث

الحركة الاصلاحية في النجف الأشرف

* آفاق الوعي مع المصلح الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء
* الوائلي... والمصلح الشيخ محمد رضا المظفر
* الوائلي... والمصلح السيد الشهيد محمد باقر الصدر

الوائلي والحركة الإصلاحية في النجف الأشرف

مدينة النجف هي حاضرة زاخرة بالعلم والعلماء منذ مئات السنين، والجو الشائع فيها جو فكري وثقافيّ، فلابد ان تنعكس إشراقة هذه المدينة على أبنائها والوافدين إليها أيضاً، فقد نشأ الوائلي ﵀ في أحضان هذه المدينة المزدهرة بالعلم والمعرفة وعاصر فيها أهم مراحل النهضة الاصلاحية على يد كبار العلماء الذين خاضوا مجالات الاصلاح في الميادين المتعددة المختلفة. وهنا من التعسف ان يعتقد البعض ان التطور والنهضة الاصلاحية ينحصران في المجال الفكري فقط دون سواه، وقد خضع لهذا الفهم الكثير من الكتّاب والمؤلفين والمفكرين والمثقفين، وبالرغم من صحة هذه الرؤية وهذا التقييم إلا ان الحقيقة تبقى ناقصة، فالاصلاح يشمل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية باعتباره مشروعاً حضارياً في حياة الأمة.

ومع ان التأكيد على قيمة الفكر تنطلق من الزاوية الّتي تقول: «إن البنية الفكرية هي القاعدة الأساسية في انطلاق المشروع الاصلاحي، وهي الّتي تحدد هويته ومتجهاته العامة في الواقع». ولكن حصر الاصلاح في الجانب الفكري لوحده إنما هو تحديد وتحجيم لظاهرة حضارية مؤثرة في المسار التأريخي للأمم والشعوب.

ولذا نجد في سيرة الأئمة ﵈ أن دورهم الريادي في الحركات الاصلاحية المتعددة لا ينحصر في الجانب الفكري وحده وانما يشمل المجالات الحياتية الأخرى، فسجلوا أدواراً متنوعة وحسب طبيعة الظروف الّتي كانوا يعيشونها.

فعلماء الشيعة هم قادة الأمة الذين تحملوا مسؤولية النهوض بواقعها بعد الأئمة عليهم السلام وقد مرّت مسؤولياتهم الاصلاحية بعدة أدوار متباينة ومتنوعة ضمن حركة الاصلاح الديني وحفظ مسار الدين وتراث الأئمة عليهم السلام، فكانت الخطوة الأولى ضمن مشاريع الاصلاح الشيعي هو حفظ التراث الذي خلفه الأئمة المعصومين عليهم السلام من روايات وأحاديث وجعلها الركيزة الأساسية في فكر مدرسة أهل البيت، فيما كانت الخطوة الثانية في الاصلاح هي الكتب الرجالية الّتي تكفّلت ببيان أحوال رجال الحديث، فكانت هذه من الخطوات الاصلاحية المهمة في تاريخ التشيع، حيث أرست قواعد وأسس لمعرفة الحديث الصحيح من غيره ومكنت الفقهاء فيما بعد من التوصل إلى الرأي الفقهي، حسب قواعد علم الدراية ومعرفة الحديث.

ثم قام علماء الشيعة بتدوين العقائد والكتب الفقهية الّتي قدّمت للامة فكر أهل البيت عليهم السلام وعقائدهم، وقد بقيت تلك المدونات متوارثة عبر الأجيال وأهمها الكتب الأربعة في الحديث وهي: الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه.

ومن ذلك يتضح ان علماء الشيعة الأوائل اهتموا بالجانب الفكري بالدرجة الأولى حيث كانت الظروف تتطلب التركيز على هذا الجانب، ولذا أثمرت هذه الحركة الاصلاحية الفكرية في ترسيخ الأسس الفكرية والعقائدية الّتي وضعها الأئمة عليهم السلام واصبحت المرتكز الذي انطلق منه كبار العلماء الذين ذاع صيتهم في المجالات الفقهية والعقائدية امثال الشيخ الصدوق والشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي وغيرهم، وكان لكل واحد منهم أيضاً دور مهم في الجانب الاصلاحي في مجال الفكر الاسلامي.

ولم يقتصر علماء الشيعة على الجانب الفكري مِن النهضة الأصلاحية، فقد ولجوا معتركات السياسة فمرّة بالدفاع عن الوطن والمقدسات ومرةً بالانتفاضات المستمرة بوجه الاعداء سواء كانوا من المحتلين الغزاة أو من اعدائهم في الفكر والمعتقد، فهم بكلا الحالتين يبتغون الاصلاح الديني وسط جمهور الأمة المسلمة، وتأتي هذه النهضة في الجانب

السياسي مثالاً حيّاً وواقعاً لمعرفتهم البليغة بتنوع الأدوار الّتي مارسها الأئمةعليهم السلام في حياتهم، فالإمام الحسين عليه السلام طلب الاصلاح من خلال الثورة والإمام الصادق عليه السلام طلب الاصلاح من خلال الفكر والتوسع العلمي، وهكذا بقية الأئمةعليهم السلام وبهذا الخصوص يذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل (١): أن أبا مسلم الخراساني عرض على الإمام الصادق عليه السلام ان يتصدى للزعامة، ووعده بأنه سيضع الجيوش الّتي يقودها تحت تصرفه من أجل تثبيت موقعه في الحكم، لكن الإمام عليه السلام رفض هذا العرض (السخي) الكبير، وقال له كلمته المشهورة: «ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني».

ولذا نجد ان الحركة الاصلاحية الّتي عاصرها الوائلي رحمه الله ضمن دائرة محيطه، تمثلت ـ في الغالب ـ بكل أبعادها في الجانب الفكري والثقافي والعقائدي والتربوي، والسياسي بشكل ملحوظ (٢)، فكانت ظروف المرحلة جميعها تتطلب من علماء الشيعة التصدي لهذا النوع من الحركة الاصلاحية، ولم تكن مؤهلات الظرف تتطلب الخوض في معترك السياسة ومستلزمات النهوض في هذا الجانب.

مع الشيخ كاشف الغطاء:

أول من عاصره الشيخ الوائلي رحمه الله وهو في مقتبل العمر، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، فقد خدمته الفرصة في قراءة التعزية في مجلسه بعد تأخر أو غياب الخطيب ـ كما يقول الوائلي رحمه الله (٣) ـ.

---

١. الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ٢٤١.

٢. وعندما نقول السياسي بشكل ملحوظ يعني ذلك ان أغلب علماء الشيعة لم يكن ضمن توجهاتهم اقامة الحكومة الاسلامية وانما اكتفوا بالاصلاح السياسي على القدر الذي يلحظ فيه هذا الجانب.

٣. راجع الفصل الثاني من هذا الكتاب، عنوان «علماء في نقد الوائلي». وتوفي كاشف الغطاء عام (١٣٧٣ هـ).

وقد عُرف عن هذا العلّامة النحرير اهتمامه العام بالاصلاح لواقع المسلمين الاجتماعي والسياسي. وقد تميّز هذا الرجل المصلح بشخصية قوية ووعي سياسي كبير. فضلاً من ملكاته الخطابية والكتابية والأدبية. فقام بأدوار مهمة ومؤثرة في الساحتين العراقية والاسلامية، وهو المجتهد الوحيد الذي قام بجولات واسعة في البلاد الاسلامية من اجل اصلاح واقع المسلمين وشارك في مؤتمرات عديدة دفاعاً عن القضية الاسلامية وقضايا الأمة المصيرية.

وقد كان له نفوذ اجتماعي وسياسي بالدرجة الّتي استطاع ان يسقط وزارة علي جودت الأيوبي عام ١٩٣٤م إثر قيام هذه الوزارة لإنتخابات برلمانية لم تكن نزيهة مما أثار ذلك معارضة رؤوساء العشائر العراقية في الجنوب. فعقد الشيخ كاشف الغطاء اجتماعاً في منزله ضم جميع رؤوساء العشائر المعارضة، وتم كتابة بيان تضمن مجموعة مطالب في الاصلاح السياسي للبلاد، وقدم هذا البيان إلى رئيس مجلس الاعيان[١] في المقابل حشدت وزارة الأيوبي رؤوساء العشائر الموالية لها من أجل التصدي للمعارضة وكادت ان تكون فتنة كبيرة تؤدي إلى اشعال حرب داخلية لو لا فتوى الشيخ كاشف الغطاء والّتي يظهر فيها همه وتطلعاته للاصلاح، فيقول فيها:

«من البداهة بمكان ان محاربة العشائر بعضهم لبعض، واستعمال القتال والمضاربة فيما بينهم، هو من أفظع المآثم وأكبر المحرمات، ومحاربة المؤمنين فيما بينهم محاربة لله ورسوله، وفساد في الأرض كبير، ومعاذ الله ان نرضى بها، ويرضى بها مسلم، ومن نسب الينا ذلك فقد افترى على الله واقترف إثماً كبيراً، ومن رضي بذلك فجزاؤه جهنم خالداً فيها..

وقد علم كل ذي حس أن خطتنا ومخاطباتنا لا تزال مقصورة على دعوة الناطقين بكلمة التوحيد إلى توحيد الكلمة، وجمع الشمل، ولم الشعث، ولا نرى سلماً للسلامة وسبباً

---

١ . عبد الرزاق الحسني. تاريخ الوزارات العراقية: ٤ / ٥٢، انظر نص البيان أو الميثاق ـ كما أطلق عليه أيضاً ـ، الملاحق رقم (٥).

للسعادة إلا بالاتفاق والوحدة،والتعاون والتضامن... وهذا واجب على كل واحد من أبناء الأمة، وكبار مفكريها وقادتها وزعمائها... وان غرضي الأسمى وهدفي الأعلى الذي قد أخذ الله عليّ العهد والميثاق في القيام به والدعوة إليه.. من غير توان ولا فترة. هو تعزيز قضيّتنا المقدسة والسعي في الاصلاح لتضميد بعض الجراح الذي نزف بها جسم الأمة دماً زاكياً. الاصلاح هو أقصى ما نروم، وغاية ما نحاول، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، إن أريد إلا الأصلاح ما أستطعت وما توفيقيإلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب»[١]. وعلى أثر هذه الفتوى سقطت وزارة الأيوبي وتشكلت وزارة ثانية لكنها لم تأخذ ببنود الاصلاح، فاستمرت المعارضة وبدعم من الشيخ كاشف الغطاء وسقطت الوزارة الثانية بعد أسبوعين.

أما خارج العراق، فقد كانت قضية فلسطين الشاغل الأكبر لكل أصحاب الهمم والغيرة على الاسلام فسجل الشيخ كاشف الغطاء مواقف رائعة في نشر هذه المظلومية حاضراً المؤتمرات الدولية ملقياً خطبه النارية الواعية في افهام وتوجيه الرأي العام والحكام والزعماء، وقد كتب العديد من القصائد الشعرية حول فلسطين، وقد جمعت خطبه العديدة بهذا الخصوص في كتاب «قضية العرب الكبرى».

وفي عام ١٩٥٤ م عندما أراد البريطانيون والأمريكيون عقد مؤتمر كبير في لبنان بمنطقة (بحمدون) لمواجهة الخطر الشيوعي المنتشر في البلاد الاسلامية وجهت دعوة إلى الشيخ لحضور هذا المؤتمر. ولكنه رفض حضور هذا المؤتمر بعد أن بعث رسالة إليه طبعت فيما بعد تحت عنوان «المُثل العليا في الاسلام لا في حمدون» لأنه عَرف ان الهدف من وراء هذا المؤتمر هو ابعاد التوجه العام عن القضية الفلسطينية والتعمية على المأساة الحقيقية الّتي نجمت من استعمار امريكا وبريطانيا. ومن هذه الرسالة:

«ان ألوف المؤتمرات والمذكرات وكل الاجتماعات والمجتمعات ليس لها أثر إذا لم

---

١ . عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية: ٤ / ٥٢ .

تكن الدولة المؤسسة لتلك المؤتمرات والمذاكرات هي في نفسها منسجمة وملتزمة بالقيم المثلى والنواحي الروحية، ولا يندفع خطر الشيوعية إلا بتحقيق حرية الشعوب والعدالة الاجتماعية وقلع جذور الظلم والعدوان، وقمع رذيلة الحرص والشره على حق الغير والتجاوز عليه، فهل أنتم يا معاشرالأمريكان ويا حكومة الولايات المتحدة ويا دولة الإنجليز، هل أنتم واجدون تلك الصفات وهل عندكم شيء من القيم الروحية والمثل العليا وهل أبقيتم للقيم الروحية قيمة. أليست أعمالكم الفظيعة وضربتكم القاسية للعرب والمسلمين في فلسطين قد سودت وجه الدهر وألبست الأعصار جلابيب الخزي... أليست هذه الإضرابات الّتي تراق فيها دماء أهل الوطن الواحد والملة الواحدة في طهران وسوريا ومصر ولبنان، أليست كلها من أصابعكم الخفية الّتي تلعب ليلاً ونهارا من وراء الستار؟ ألستم أنتم الذين تصبّون البلاء والمحن وتريقون دماء الأبرياء في الشرق والغرب... إن أصل بلائنا باسرائيل كما ذكرنا من انجلترا الّتي كونتها وأمريكا الّتي شجعت اسرائيل وعاونتها، فخلاصنا من اسرائيل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بخلاصنا من الاستعمار...».

وبقي هذا الكتاب (الرسالة) يطبع عدة مرات لأثره البليغ عند المسلمين كافة فهو قد تضمن الآراء الّتي تبناها الشيخ كاشف الغطاء بصدق نحو التطلع إلى الاصلاح السياسي في البلاد الاسلامية.

ولم يقتصر الشيخ ﷺ على هذا الجانب في الاصلاح، فقد مارس الاصلاح من جانب آخر، حيث ترك تراثاً ثرياً، منه كتاب في العقائد سمّاه (أصل الشيعة وأصولها) وهو من المصادر المهمة عند الشيعة لحد اليوم، وكتاب آخر سمّاه «الدين والإسلام» وغير ذلك.

وهنا لابد من الاشارة إلى ان الشيخ كاشف الغطاء كان من تلاميذ السيد اليزدي المعروف بعمله التقليدي فهو لم يتأثر بمنهج استاذه وانما خط لنفسهِ منهجاً مغايراً يعتقد ويؤمن به لما يمتلكه من مؤهلات عظيمة في الاصلاح والتطلع نحو التغيير، فقد عاش ﷺ في عصرٍ غير عصره وفي مجتمع غير مجتمعه أو انه عاش في مجتمع متخلفاً عنه فمارس

الاصلاح بمفرده في العديد من المواقف والظروف، وكان بحاجة حقيقية لدعم المرجعية له ولكن ظل هذا الدعم غائباً فرحل دون ان يستطيع تحقيق ما كان يطمح إليه .

وعن همته وغيرته وحرصه وتفانيه عن الاسلام والبلاد الاسلامية فلا نرى أبلغ من ان أنقل للقارئ الكريم ما يقوله هو عن نفسه من خلال خطابٍ له في النجف في ذكرى تقسيم فلسطين، قال ﷺ: «يعلم الأساتذة والأفاضل اني أول عراقي هبّ إلى دعوة فلسطين ومعونتها على دفع نكبتها فشخصت بنفسي قبل بضع سنوات على عظيم ضعفي وعجزي وحضرتُ تلك البلاد المقدسة مع جمّ غفير من رجالات المسلمين. وما كان تكلفي ذلك العناء وتحملي تلك المشقة إلا لأني أصبت باديً بدء بعظم المصيبة وخطر البلية على عموم الاسلام والعرب. وعرفت ان قضية الصهيونية لا تخص فلسطين بل تعم العرب والمسلمين، عرفت هذا قبل ان تفتضح القضية ويتضح الأمر وتلوكه الألسن».

ثم يروح ﷺ يصف في خطابه هذا الصهيونية ويشبهها بجرثومة السل الخبيثة موضحاً خطرها علىٰ قلب العالم الاسلامي فيقول: «تعلمون ان موقع فلسطين من البلاد العربية موقع القلب من جسد الإنسان فها هي كما ترونها بين العقبة وشرق الأردن وبين عدن واليمن وبين مصر والحجاز كما هي بين سوريا والعراق تحوطها الأقطار العربية الصميمة من جميع نواحيها، وما مثل الصهيونية إلا مثل جرثومة السل الخبيثة الّتي تتبوأ من جسد الإنسان أشرف اعضائه الرئيسية من الرئة والقلب فتفتك بحياته وكان الأمر يهون والخطر يؤمن لو تركت تلك الجرثومة وذلك الجسد الحي فقط فإنه كان من الممكن القريب أن يقضي عليها بعناصره الحية ومواهبه القوية، إنما المصيبة الكبرى والداهية العظمى هي أن أقوى دولة في العالم أخذت على نفسها أن تغذي ذلك الجرثوم الفتاك وتنميه وتدافع عنه وتحميه بكل ما لديها من حول وطول وعدد وعدة».

ثم يبيّن ﷺ الاسباب التي تجعل من هذه الدولة الكبيرة ان تقف موقف المدافع عن الصهيونية فيقول: هناك امران: الأول: أنها أرادت أن تسجل وتبرهن للعالم على نجابتها

وحسن وفائها للعرب الذين وازروها في وقت محنتها وشدة بلائها حتى خرجت من ذلك الضيق مكللة بالفوز والظفر، نعم أرادت ان تسجل على نجابتها وحسن معاملتها للعرب فتضربه الضربة القاضية وعرفت أن موضع الضربة القاتلة هي فلسطين قلب البلاد العربية فسلكت إلى هلاك العرب الهلاك الأبدي من هذا السبيل .

والأمر الثاني: ولعله أقوى السببين هو الذهب الوهاج الذي أصبح معظمه عند الصيارف والمصارف اليهودية وفي خزائن بنوكها، نعم أغشى بصرها ذلك الذهب الوهاج وأعمى قلبها ومن عشق شيئاً أعمى بصره وأمرض قلبه فصارت تعمل في فلسطين وترتكب من اخواننا العرب البواسل ما لا يرتكبه أي حيوان مفترس واي وحشٍ من الوحوش، هذه الدولة الّتي تزعم أنها حامية الحضارة وأم المدنية مُرتكب تلك الفظايع الدموية الّتي ما حدَّث التاريخ بمثلها في عصرٍ من العصور».

ثم راح ﵀ يعدد المآسي والآلام التي خلفها الصهاينة، فيقول «أتعلمون أن في سجن المزرعة بعكا من اخوانكم العرب مائتان وخمسون وفيهم الشباب المثقف والشيخ العاجز وكلهم قد اضربوا عن الطعام منذ تسعة عشر يوم وقضى منهم سبعة عشر نفراً والباقون على شرف الهلاك والنساء والأطفال تحت صواعق البنادق وقذائف الطيارات، وأنتم ـ مخاطباً الحاضرين ـ تسرحون وتمرحون وتستحسنون فتصفقون ولا تعلمون ان البلاء سوف يصل اليكم والنار علقت بأذيالكم وأنتم عنها غافلون وأن القضية ليست قضية فلسطين بل هي قضية العرب والاسلام .

ثم أخذ ﵀ يحدد الواجب الشرعي لكل مسلم من هذه القضية المصيرية فيقول: «فالواجب المحتم على كُلّ عربي وعلى كل مسلم له أدنى حس وشعور وبمقدار مالَه من الغيرة على قومه وبلاده أن يبذل كل ما في وسعه وامكانه وأقصى جهوده بمالِه ولسانه ونفسه في مقاومة هذه الفكرة الخبيثة فكرة انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين لامساعدة لاخوانه مسلمي فلسطين وان كانوا جديرين بالمساعدة وهم أهل للمفاداة

والتضحية، فإن المقصود بالضربة العرب جمعاء وإنما صار عرب فلسطين مجنّاً ودريئة للباقين ولكن مع ذلك كله فإن الواجب يحتم علينا أن نشاركهم وننهض معهم لامساعدة ومحاباة لهم فقط بل حماية لانفسنا ودفاعاً عن بلادنا وأوطاننا، فإن السمّ القاتل والبلاء النازل وشيكاً ولا محالة واصل الينا لا سمح الله، فليعمل كل انسان بمقدار ما عنده من الشعور والغيرة وما يوحيه إليه ضميره ووجدانه قبل أن يفوت الأمر ويندم حيث لا ينفع الندم واستودعكم الله، والسلام».

وقد ترامى خبر موقفه هذا إلى أهالي فلسطين، فأرسلت إليه لجنة السيدات العربيات البرقية التالية شكراً له على جهوده وغيرته:

حضرة صاحب السماحة محمد الحسين كاشف الغطاء الأفخم: نُكبر فيكم جهادكم ودفاعكم المجيد عن فلسطين عشتم نصيرين للحق وذخراً للعروبة والسلام... التوقيع (لجنة السيدات العربيات بالقدس)[١].

ولم يقتصر الهم الاصلاحي عند الشيخ كاشف الغطاء على الجانب السياسي فقط، بل شمل إصلاحاً في المناهج الدراسية الحوزوية وتأسيس مدرسة خاصة حملت أوسمة للنهوض بأفكاره الاصلاحية، ويطلق عليها احياناً (نهضة الشيخ كاشف الغطاء)، فقد أُقيمت المدرسة عام ١٩٣١ م / ١٣٤٩ هـ واشترك فيها من التقليديين جنباً إلى جنب مع أصحاب التغيير، لان هذه الدعوة الاصلاحية صادرة من قبل مجتهد مقلَّد عرفه الجميع بالنزاهة والحرص على استمرار الحوزة العلمية وتطويرها. ومن بنود هذه النهضة كما أوردها الشيخ علي الزين[٢].

١ . مجلة الموسم العدد ١٨ (١٩٩٤ م ـ ١٤١٤ هـ): ١٩٢ .

٢ . الزين، علي؛ بوادر الاصلاح في جامعة النجف، أو نهضة كاشف الغطاء، مجلة العرفان (صيدا)، مج ٢٩، ج ٢، ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٩ م. كما ذكرها ـ أيضاً ـ الاستاذ المرحوم علي أحمد

١. وضع منهاج عام للدروس والكتب الّتي يفترض درسها وتعليمها في المدرسة.

٢. تقسيم التعليم بها إلى أولي: يلقّن به علوم المقدمات والمبادئ.

وثانوي: يكمل به اللازم من علوم المقدمات مع قسم من دروس العلوم الّتي يراد التخصص بها، وإلى عالي: للإختصاص بالمطلوب.

مع تحديد الوقت لكل قسم، ولكل علم، ولكل مدرس بتحديد ما لكل قسم وعلم من السنين، وما درس من الساعات في اليوم، والاسبوع والشهر.

٣. اختيار الأساتذة الأكفاء، وتعيين كل منهم لتدريس العلم الذي يمتاز به، والكتاب ـ من الكتب المقررة للدرس ـ الذي يقوى على شرح غوامضه، ويحسن تقريب مسائله إلى ذهن الطالب.

٤. إعداد لجان فاحصة لامتحان الطالب عند كل مناسبة، وفي رأس كل سنة.

٥. تبديل الكتب الدراسية أو تعديلها بتصحيح الأخطاء أو حذف الزوائد ـ وإتمام النواقص ـ وتوضيح المغلق، وتقويم المعوج، وترتيب المشوش، ثم تقسيمها على حسب عقلية التلامذة، وعلى حسب مراتبهم العلمية، لتتضح بذلك السبل أمام الطالب، وتقرب النتائج ويتوفر عليه من الوقت والنفقة ما يزيد في نشاطه وطموحه إلى أن يتثقف ثقافة عالية تيسر له بعد الاختصاص بما يختص به من علوم الدين ان يتذوّق الحياة، ويتذوّق الدين بدون مشقّة.

٦. وضع بيان ضافٍ في رأس كُلّ سنة مدرسية للداخل على صندوق المدرسة من الواردات والأموال مع تفصيل مصادرها وطرق استيرادها بوضوح يليه بيان للخارج من النفقات وطرق إنفاقها والتصرّف بها.

☜ البهادلي في رسالته (الماجستير): الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية. ١٩٢٠ م ـ ١٩٨٠ م. دار الزهراء بيروت، ١٩٩٣ م: ٣٢٤ ـ ٣٢٧.

٧. إنشاء إدارة خاصة للأوقاف الخيرية العامة في العراق وغيرها من الأمصار الشيعية واحتكار ريعها للجامعة وفروعها.

٨ . الاقتصار على الطلاب الممتازين بحسن سلوكهم، وسمو فطرتهم، واحترامهم لواجبهم العلمي والثقافي من بحث ودرس وتمحيص وتدوين ليكونوا نموذجاً يُحتَذى وعنواناً صالحاً للتطور في التدريس، يجعل للمدرسة سيرتها الحسنة بين الناس، وأثرها الطيب في الاوساط العلمية والاسلامية.

٩. فتح ناد للمطالعة واختيار كتب خاصة من كل علم، وكُلِّ فنّ، ثم افرازها للدرس والمطالعة على حسب درجات الطالب.

١٠. تأسيس ندوة للخطابات والمحاضرات العلمية والأدبية في كُلّ أسبوع، أو في كل شهر، يتبارى بها الأساتذة والطلاب اللامعون في المدرسة ويدعىٰ لها قادة الفكر من العلماء والأدباء و (الفلاسفة) الذين يؤمّون العراق والنجف، لما في ذلك من التنوير للأفكار، والإشراف بها على مختلف المناحي العلمية والأدبية، ومن شحذ الهمم لممارسة كل طريف في العلوم والأداب.

١١. إنشاء مجلة لتحرير الأفكار العلمية والدينية وتعميم ما يقره منطق العلم والدين والحيّاة الحرّة، ويفرض الإخلاص والتجرّد لمحض الحق والخير والمثل الاسلامية.

١٢. أن تُتبادل الزيارات والبعثات العلمية بين مدرستي النجف والأزهر تمهيداً لتوحيد مناهج التعليم وأساليب التدريس في كلا المدرستين، وتأليفاً بين الأذواق والأفكار والاتجاهات من كلتا الطائفتين.

١٣. تعديل مناهج التعليم القديم بادخال بعض الدروس والعلوم الّتي يضطر الطالب إلى الإلمام بمسائلها وقواعدها العامة، لتحرير جانب من فروع الفقه، وقضايا الدين، والّتي هي ضرورية لكل من يريد أن يتثقّف بثقافة عالية: كعلم النفس، والاجتماع، والأخلاق

بأصوله، والحساب وعلم الجغرافيا والتأريخ، بما فيه الأديان والمذاهب، وتأريخ الاسلام، وتأريخ أدب اللغة العربية.

ولقد عمل الشيخ كاشف الغطاء على تنفيذ تلك البنود من خلال مدرسة حملت أسمه، إذ تمَّ «تأهيلها بكل ما تسمح به ظروف النجف، وظروفه الخاصة، وتبرع لها بمكتبتهِ الكبرى والّتي تشتمل على أندر المخطوطات، وأنفس الكتب العلمية والأدبية».

ولم يقتصر همّهُ الإصلاحي على الجانب التعليمي والسياسي، وإن كان يرىٰ في السياسة طموحاً (شرعياً) كبيراً في كُلّ دعواته مع العلماء والمراجع، نحو تفعيل هذا الطموح وإستلام السلطة من قبل الاسلامين المخلصين الأتقياء لتجسيد المبادئ العادلة من روح الإسلام، والأطروحات الفكرية في بناء العقل الإسلامي المغيّب من الدائرة الفكرية والسياسية.

ولكن لم يكن هناك من الفقهاء ممن يرتقى إلىٰ هذا الطرح بعد الانحسار الحركي في عودة العلماء إلى العراق بعد الموافقة الشرطيّة في الابتعاد عن الواقع السياسي للعراقيين.

وعلى ما أعتقد أن هذه الرؤية البليغة. ومشروعية الطموح السياسي العالية في بُعدٍ من أبعاد التوهج الاصلاحي في فكر الشيخ كاشف الغطاء جعلته يستصغر ويستهين ببعض المشاريع الإصلاحية في الجانب التعليمي ويقف منها موقفاً معارضاً داعياً أصحابها إلى التوجه إلى المشاريع الأكثر أهميةً وتأثيراً في بناء الأمة والمجتمع، كما كان موقفه ـ المعارض ـ من مشاريع الشيخ محمد رضا المظفر وبالاخص مشروع منتدى النشر، فهو في الحقيقة لم تكن توجهاته الاصلاحية تخالف هذا المشروع وهذا التوجه، بل كان يرى في تلك الطبقة من العلماء طموحاً كبيراً في قابلياتهم للتوجه نحو الأهم في بناء الأمة والخروج من دائرة النجف الضيقة إلى دائرة العراق بأجمعه وللعالم الإسلامي ككل.

وأما باقي أهتماماته الإصلاحية، فيمكن الوقوف على أهمها في الجانبين الفكري والاجتماعي لما فيها من الإذعان إلى بعض التقاليد والظواهر، فيما سجل ﷺ شجاعة وإقداماً

في تقييم بعض هذه الظواهر التي لا تنسجم مع روح الرسالة ومصالح المجتمع. ففي مجال الحوزة العلمية وفي جانب تعيين المرجع والذي ينبغي ان يكون تعيينه على أسس عادلة وموزونة تُراعىٰ فيها المصالح العامة للإسلام والأمة، فلا يمكن أن يكون مجرد طبع الرسالة العملية مقياساً حقيقياً يسمح للفقيه التصدي لأمور الأمة ومسائلها العلمية والاجتماعية المعقدة.

ولذا يقول ﷺ: «الرسالة العملية وان تعددت فلا تدل على شيء وما أكثر ما يأخذها اللاحق من السابق وليس له فيه سوى تبديل الاسم أو تغيير بعض الكلمات وإليه تعالى نفزع في إصلاح هذه الطائفة...).[١]

ولذا قام ﷺ بأول عمل إصلاحي من خلال الطريقة العلمية والمنهجية الحديثة في إصدار رسالته العملية التي جعلها على شكل (سؤال وجواب) استجابة لكل استفهامات ومتطلبات العصر الذي عاشه متحاشياً الطرق التقليدية في الحوزة، إضافة إلى أسلوبها البسيط الواضح الخالي من التعقيد والإبهام.

أما ما قاله حول كيفية تعيين الفقيه للمرجعية «إن مرجعية الإمامية كان معيارها وطريقها كثرة الانتاج وتوفر المؤلفات في شتى العلوم لا في خصوص الفقه والأصول... أما اليوم وفي هذا العصر التعيس فقد أنقلبت الآية وانعكست القضية وضاعت الموازين وسقطت العقول ونهضت البطون!!)[٢] إضافة إلى بعض المعايير والضوابط التي حددها الشيخ كاشف الغطاء ﷺ وتركها في العديد من تراثه (الفكر الإصلاحي)، ومنها ان يتوفر الفقيه والمرجع على ملكة الشجاعة في اقتحام الحرب بسهولة بخلاف الجبان[٣]... وأيضاً خدمة المرجع للشرع والإسلام، ومساعيه في صيانة الحوزة العلمية والذبّ عنها لا ببذل

١ . تحرير المجلة: ١ / ٢٤٤ .

٢ . تحرير المجلة: ١ / ٢٩ .

٣ . رسالة الاسلام العدد ٣ / ١٩٤٩ م مقال الاجتهاد في الشريعة بين السنة والشيعة، للامام كاشف الغطاء .

المال وكثرة الدعايات الناشئة من المطامع والأغراض.[(١)]

وأما بخصوص (سهم الإمام) فإن الشيخ كاشف الغطاء كان محتاطاً بشكل كبير فيقول: «إنه أمرمهمّ وموضوع صعب للغاية، وصرفه في الموارد التي يحصل للمجتهد القطع برضا الإمام عليه السلام فيها مقام متعذر أو متعسّر بل رده لكل مجتهد أيضاً مشكل غاية الإشكال بل لابد من الرجوع إلى الأعلم...)[(٢)].

وفي موضع آخر قال: «الواجب دفع سهم الإمام إلى الأعلم، ولا تبرأ ذمة المكلف بدون ذلك، أما اليوم فقد صار مال الإمام عليه السلام كمال الكافر الحربي ينهبه كُلّ من استولى عليه فلا حول ولا قوة إلّا بالله»[(٣)] وهذه الرؤية نتيجة لدور المتطفلين والمتاجرين بالدين من أصحاب البيوتات العلمية والرئاسة المرجعية وحواشيهما لما تكالبوا على المطامع والرغبات والدعايات الشخصية لافراد وعوائل معينة خدمة لاغراضهم الشخصية، فسخر سهم الإمام عليه السلام بهذه الطرق اللامسؤلة والمجحفة بحق الدين والإمام والصالح الإسلامي العام.

وهذه الرؤية تلتقي مع الحملة التي شنها الشيخ محمد جواد مغنية على هؤلاء معتبراً إلغاء سهم الإمام أفضل بكثير من صرفه على هؤلاء حيث يقول: «يصرف سهم الإمام عليه السلام في زمن الغيبة في السبيل الذي نعلم برضا الإمام به... أما الإنفاق من سهم الإمام عليه السلام على المتطفّلين والمرتزقة، أو على الذين يتاجرون بالدين فإنه من أعظم المحرّمات وأكبر الكبائر والموبقات، وفي عقيدتي أن إلغاء سهم الإمام أفضل ألف مرة من أن يأخذه أحد هؤلاء أو من إليهم، لأنه تشجيع للجاهل على جهله، والمغرور على غروره، وللضالّ على ضلاله)[(٤)].

---

١. الفردوس الاعلى: ٥٢.

٢. الفردوس الأعلى: ٣٠ ـ ٣١.

٣. الفردوس الاعلى: ٥٥.

٤. مغنية، محمد جواد، فقه الإمام جعفر الصادق: ٢ / ١٢٧.

وفي تعليقة للشهيد القاضي الطباطبائي تلميذ الشيخ كاشف الغطاء: «كان أهل الورع والتقوى من أهل العلم والدين في الزمن الغابر في أشد الاجتناب عن صرفه في حاجاتهم المادية وأما اليوم فينهبهُ كُلّ من أستولى عليه، ومن الغريب أن تحسب عدة من النـاس أن الشارع شرّع سهم الإمام عليه السلام وهيّأه في زمن الغيبة لمؤنتهم ولصرفه في حوائجهم ومعايشهم وحاجاتهم الشخصية»[1].

ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى دوره في إصلاح الشعائر الحسينية وتـوجيهاته القـيمة للخطباء والمستلزمات التي توافر عليها الناجحون من الخطباء، وما ينبغي ان يتوفر فـيه، كُلّها من الأمور التي استطاع الشيخ كاشف الغطاء تسليط الضوء النقدي عليها. وهذا ما تقدم ذكره في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

وفي هذه الفترة أيضاً عاصر الوائلي رحمه الله الحركة الاصلاحية بزعامة السيد ابو الحسن الاصفهاني ـ والّتي كانت قد امتدت الارهاصات الاصلاحية من خـارج مـدينة النـجف، عندما ألّف السيد محسن الأمين رحمه الله رسالته الشهيرة (رسالة التنزيه) او عـنوانـها الأصـلي (التنزيه لاعمال الشبيه) وقد وقف السيد الأصفهاني بقوة لدعم فتوى السيد الأمين ورسالته، واسناده والدفاع عنه وعن متبنياته، وقد كان الاصلاح هذه المرة بما يخص المنبر الحسيني وتنقيته من الخرافات والأساطير، وأيضاً بما يخص التشبيه وشج الرؤوس (التطبير) وغيرها من الممارسات الّتي يمارسها العوام في احياء الشعائر الحسينية، ويُعدّ السيد محسن الأمين مصلحاً في المجالات الاجتماعية والتربوية والسياسية، إلا ان هذه الرسالة طغت على باقي إصلاحاته فأخذ يدافع عنها حتى النهاية، ومما أثارته هذه الرسـالة، هـو انـقسام العـلماء والمجتهدين في النجف الاشرف إلى قسمين فمنهم المعارض ومنهم الموافق لرأي جانب السيدين الأمين والأصفهاني.

---

١. الفردوس الأعلى: ٣٠.

وكان الوائلي ﵀ يعيش هذه الأجواء وان كان في مقتبل عمره، وبقيت هذه الضجة مشتعلة إلى أن قرر السيد الأمين زيارة النجف الأشرف وكانت النجف في حينها تعيش نوعاً من الاستغراب والدهشة لما سوف يحصل للسيد الأمين في زيارته لها، وتكفل جهاز السيد الأصفهاني بترتيب هذه الزيارة، واستُقبل السيد محسن الأمين أستقبالاً حاراً قل نظيره فقد خرج لاستقباله الموالون له والمعارضون على حدٍ سواء، وبهذا الخصوص يذكر الاستاذ المرحوم جعفر الخليلي في كتابه «هكذا عرفتهم» (١): (وجاءت الأخبار تنبئ ان السيد محسن قادم إلى العراق، فاختلف أنصاره في هذا القدوم، فمنهم من رجحه، ومنهم من لم يرجحه، ذلك لان الفتنة فتنة (الأمويين) و (العلويين) (٢) لم تكن قد خمدت بعد تماماً، وأن رد الفعل وإن كان قد بدأ أخف من السابق ولكنه لم يكن بحيث يستهان به أو تتجاهل عواقبه، وقد كتب البعض إلى السيد محسن ينصحه بتأجيل قدومه إلى وقت أنسب وذلك خشية ان يلقى ما لا يليق به من الاعراض والتنديد والتحرش، بصفته البطل الأول في تلك الدعوة الّتي مست السواد في الصميم،ولكن السيد محسن كان جريئاً وكان غير هيّاب، فتحرك من دمشق، ولست أدري كيف انقلب الوضع مرةً واحدة، وكيف دبت في النفوس روح جديدة! فاذا بالجماهير كلها تتحرك وتستعد لاستقباله، وجاءت إشارة (السيد ابي الحسن) (٣) بوجوب التهيؤ لاستقبال السيد محسن ملهبة لشعور الناس، فاذا به يستقبل

---

١ . هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي: ٢١٥ ـ ٢١٦ .

٢ . اطلق لقب الأمويين على جماعة السيد الأمين، والعلويين على المعارضين له .

٣ . مرض ﵀ وانتقل إلى الكاظميّة للاستشفاء والاستجمام من كثرة الأعمال الّتي كان يباشرها بنفسه، فما كان من ذوي النفوس الشريرة العميلة إلا أن يشيعوا مرضه وعجزه عن مواصلة القيام بعبئ المرجعية العظمى، وكتبوا رسائل إلى التجار المقلدين والممولين لمشاريعه الضخمة غير ما نشر في الصحف الايرانية والهندية من الكذب وتهويل الأمور، مما جعل المقلدين له يتماهلون في إرسال الحقوق الشرعية، فتكاثرت عليه الديون وحرضوا عليه

استقبالاً لم تشهد النجف نظيراً له في كُلّ المناسبات الماضية، وإذا بالسرادق الكبير ـ وهو أكبر ما تملك النجف ـ يُقام خارج المدينة... فلم يبق عالم أو تاجر أو وجيه أو وضيع، دون أن يخرج إلى استقباله على نحو من الجلال الذي لا يوصف... وإذا «بكلو الحبيب» وهو من الزعماء ومن وجوه الطبقة الّتي يسمونها «بالمشاهدة» والمعروفة باستخدامها السلاح في حل مشاكلها، إذا «بكلو الحبيب» الذي كان أكبر دعامة للسيد صالح الحلي وأكبر خصوم السيد محسن الأمين، إذا به يدنو من السيد محسن، ويأخذ يده وينهال عليها بالتقبيل، مرة بعد أخرى، وهو يقول ويردد هذا المضمون «لعن الله من غشني فصوّرك لي أموياً فها هو ذا وجهك النوراني يشع بالايمان فاغفر لي سوء ظني واعف عني، فانما الذنب ذنب اولئك المغرضين المارقين الذين شوّهوا الحقائق وقالوا عنك ما قالوا).

ويدل هذا الاستسلام السريع على ان اجواء المعركة لم تكن على مبدأ صحيح ولم يجتمع خصوم السيد الامين إلا على الضلال والكذب والافتراء والمصالح.

ويُعتبر السيد صالح الحلي من الخطباء المفوهين، ويمتلك موهبة خطابية وموسوعة معارفية واسعة وله قدرة على خلق رأي عام وسط الأمة، فكان هذا الخطيب ﷺ ممن وقفوا بوجه المشروع الاصلاحي عند السيدين الامين والاصفهاني وقد عُرف ببعض تفوهاته اللامسؤولة خصوصاً بحق السيد الأصفهاني، ولكنه رجع أخيراً نادماً مستغفراً لافعاله، ومصالحاً للمرجع السيد ابو الحسن الأصفهاني وعاد ثانية للقراءة في مجلس السيد ﷺ وكان الوائلي في هذه الفترة يحضر مع والده الشيخ حسون في هذا المجلس ولكن يقول

☜ أصحاب المخابز خاصة لأخذ مالهم بذمته، مما اضطره للذهاب إلى سوريا، وبعد استقراره في حلب وشفائه من المرض زاره وفد من كبار التجار الايرانيين المقلدين له في منزله بحلب وعلموا بجلية الأمر، فطلبوا منه الرجوع إلى النجف الأشرف، وتعهدوا له بتسديد ديونه، فقرّر العودة إلى العراق، وفي المطار لدى نزوله من الطائرة دفعه أحد الحاقدين من أتباعه فسقط من سُلّمْ الطائرة وكسرت إحدى رجليه، واستقر في مدينة الكاظميّة للمداواة إلى أن توفي ﷺ.
انظر ترجمته في مجلة الموسم العدد (٢٨) عام ١٩٩٦ م: ١٣ ـ ١٧.

الوائلي حينها ما كنت (افهم تماماً ما يقوله أو أقيّمه) [١] ولكنني حضرت مجالسه بصحبة والدي كثيراً.

كانت آثار هذه الضجة في وقتها وما بعدها، من الأمور الّتي عاصرها الوائلي وعرف مضامين أبعادها ومنزلة طرفي الصراع.

وعرف ان ما يترتب على الاصلاح ضريبة باهضة يجب ان يدفعها المصلح لاجل قول الحق وان كلّف ذلك حياته. وهذا هو من أول الدروس الّتي تعلمها الوائلي في حياته: إن الشجاعة في قول الحق هي أبلغ وأشد من خوض الحرب ذاتها. فليس الشجاعة ان تقول الحق ورأسك آمن بل الشجاعة ان تقول الحق وأنت تستثقل رأسك. وقد عرفنا فيما مَرّ سابقاً بالمواقف الشجاعة الّتي وقفها الوائلي ﵀ وهو يستثقلُ رأسه، وذلك ضمن بعض مواقفه السياسية الّتي ندد بها بالسلطات الحاكمة.

واستطراداً لمعالم الاصلاح والنهضة الدينية، فقد صاحبت هذه الفترة حملة من الأفكار الملحدة الّتي راجت افكارها بين الشباب، تصدى علماء الشيعة لمهمّة التبليغ العقائدي من خلال وسيلة التأليف والنشر، التي اضطلع بها الشيخ محمد جواد البلاغي فكان من آثاره: (الهدى إلى دين المصطفى) و (التوحيد والتثليث) و (الرد على شبهات الملحدين) و (أنوار الهدى) و (البلاغ المبين بين الإلهيين والماديين) وأيضاً كتابه في التفسير (آلاء الرحمن) الذي وافته المنية قبل اكماله .

الوائلي وأُستاذه المظفر:

بعد ان وصل الوائلي إلى درجة من الوعي وأصبح ملحوظاً بين أقرانه، لازم أستاذه الشيخ محمد رضا المظفر والذي يُعدّ من طلائع رواد الاصلاح الديني في حاضرة النجف

١ . تجاربي مع المنبر: ٧٩.

العلمية وفي كافة المجالات الحياتية، فكان ينشد الاصلاح السياسي والاصلاح العقائدي والاصلاح الفكري والاصلاح التعليمي، وقد طغى الجانب الاخير على كُلّ مواقفه الاصلاحية الأخرى نتيجة ما كان يواجهه ﷺ من مطبات ومعرقلات يضعها في طريق عمله بعض المتحجرين المنغلقين الذين يرون في حركته الاصلاحية افساداً للدين والغاءً لذواتهم وقطعاً لارزاقهم ومآرب أخرى. ولذا نراه ﷺ حذراً من هؤلاء ومن المحيط الذي كان يرى في الاصلاح مفسدة فيقول ﷺ من ضمن مذكراته «تألفت ابتداءً من عام ١٣٤٣هـ« عدة جماعات اشبه بجمعيات سرّية أو مجالس تمهيدية للتفكير في طريق الاصلاح واكتساب الشعور العام، واتذكر جيداً أني اشتركت في احداها وكنت كاتبها وأعضاؤها كُلّهم من الشباب الديني ذلك اليوم، وجماعات أخرى هناك منها الّتي اتصلنا بها وهم أكبر منا طبقة، اشترك أكثرهم بعد ذلك في (منتدى النشر) ومحورها الثلاثة المعروفون بالصفوة أو أضلاع المثلث المتساوي الأضلاع «الشيخ محمد جواد الحجامي والشيخ محمد حسين المظفر والسيد علي بحر العلوم» ولا أزال أحتفظ بمحاضرات جلسات جماعتي الأولى وبمذكراتي الخاصة عنها وعن غيرها، وهي على بساطتها تمثل لي مقدار التكتم والخوف الذي كان يساورنا، كان علمنا وتفكيرنا مقتصراً على تفقد المفكرين من أصحابنا الذين يحسون بالداء مثلنا، وبالرغم من مواصلة الجلسات والتفكير طيلة عامٍ واحد لم نستطع أن نُخرج صوتنا من غرفتنا إلا بعض الشيء، ولم نستطع أن نضم الينا أكثر من عشرة أعضاء... وفي عام ١٣٤٩هـ عندما هاجمت النجف كتب عدائية حسّست الشعور العام، اتخذ جماعة منا.. وسيلة للنهوض بتأسيس جمعية للنشر والتاليف، وكان ينوي بعض القائمين بالحركة الذين اتصلت بهم استغلال هذه الجمعية إذا تمت لاصلاح الدراسة الدينية...

هكذا كانت الأجواء ساخنة وساخطة على كُلّ حركة يشم منها رائحة التغيير والاصلاح، ولكن لن يثني هذا من عزم الشيخ محمد رضا المظفر بالتقدم بمشروع رغم هذه المخاوف والمحاذير، فهو لن ينتظر ـ من أجل ان يعمم الثقافة الاسلامية ـ من محيط النجف

ان يقف منه الموقف الصامت والمتفرج فكان يعلم بمقدار وحجم الضجة الّتي سوف تحدث.

(وقد قُدّر للشيخ المظفر في هذا السبيل أن يحظى بشيء كثير من التوفيق يتخلله الفشل ويخالطه الإخفاق ولا يفتر شيء منهما من عزيمة الشيخ المؤسس ﷺ »[١].

وقد أكد نظام منتدى النشر هذا المعنى أيضاً «فمن أهم الاعمال الّتي توجه اليها تأسيس المدارس الدينية ايماناً منه بأن تربية الناشئة تربية دينية وتوجيههم إلى العلم والأخلاق الفاضلة من أفضل الواجبات المفروضة على الرجل الديني في هذا العصر، وخير السبل القويمة لتحقيق أهدافه الاصلاحية في نشر الثقافة الدينية وبعث الروح الاسلامية في النفوس وتقويم الأخلاق ومقاومة روح التمرد الّتي جلبتها النهضة الغربية الحديثة الاستعمارية بقصد الاستيلاء على معنويات البلاد الاسلامية وتحطيم القوى الكامنة في نفوس المسلمين حتى خلقت من تلك النفوس الأبية عبيداً لاغراض الاستعمار من حيث يشعرون ولا يشعرون، وحتى لم يبق من الاسلام إلا اسمه ومن عزة الايمان الا خيالها. وقامت محاولات في تأسيس المدارس على اختلافها عالية وابتدائية فنجح في بعض وفشل في بعض، وليس في ذكر مواطن الفشل من حزازة على مؤسسة تريد الخدمة الخالصة فتوضع العراقيل في سبيل محاولاتها)[٢].

وقد شرعت هذه الجماعة المؤمنة في تأسيس أول صف لدراسة العلوم العربية والمنطق والفقه والأدب العربي في عام ١٣٥٧ هـ. وقد نجح المشروع وبلغ طلابه ١٥٠ طالباً. وحصلت الجماعة على اعتراف للمنتدى من وزارة المعارف وهو أول اعتراف تعطيه الوزارة لمدرسة دينية ولكن بعد خمسة أشهر عدلت الوزارة عن قرارها هذا، فأحدث هذا الالغاء رجة عنيفة في الاوساط الدينية بالنجف وكاد ان يقضي هذا الالغاء على أصل المشروع لولا انهم حصلوا على الاعتراف ثانية بعد سنة.

---

١ . الآصفي، محمد مهدي: الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف: ٨٩.

٢ . نظام منتدى النشر، ط ٢ عام ١٣٧٠، ص، ز، ح، أنظر الآصفي، مصدر سابق: ٨٩ ـ ٩٠.

وكثرت بعد ذلك صفوف المنتدى بفتح أربعة صفوف باعتبارها قسماً متوسطاً للعلوم الدينية مع صف تحضيري قبلها ثم حاول الشيخ المظفر ان يحصل على تأييد الوزارة لفتح اعدادية اسلامية بعد ان حصل على موافقتها لمدرسة ابتدائية دينية في النجف عام ١٦٣٦ هـ حتى أصبحت بناية منتدى النشر تحتوي على أربع مدارس ابتدائية ومتوسطة واعدادية وكلية الفقه.

الاصلاح في سير الحوزة

عمل المظفر ﷺ على اصلاح الوضع التعليمي في مجالين المجال الأول الذي سبق وهو فتح المدارس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية والكلية وصياغة مناهجها وفق المنظور الاسلامي، واما المجال الثاني فكان ﷺ يهم باصلاح نظام الحوزة العلمية في النجف ومناهجها. وإذا كان المظفر حذراً ومحتاطاً في المجال الأول [١]، فمن الأولى أن يكون أكثر حذراً وحيطةً في التحرش بهذا الموروث المقدس بنظامه ومنهجه كما يراه ويعتقده التابعون للحوزة. ولهذا فهو يقول في أحدى مذكراته المخطوطة: «هذا هو التفكير الذي يبدو ظاهراً على بعض رجالنا الذين كانوا يحلمون باصلاح نواقص الدراسة العلمية في معاهد النجف الأشرف، فان هذه النواقص كفقدان نُظم التربية والتدريس في الامتحانات والمواد العلمية والأوقات والشهادات كانت تهدد المفكرين منا بشل الحركة العلمية في مستقبل الجامعة القريب أو البعيد، يوم ان اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار هذا العصر الجديد فهزتنا في بحر متلاطم بالميول، ولكن الوقت الذي كانوا يفكرون في هذا كان

١. ذكر لي الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي بعض عن ذكريات فترة منتدى النشر، قال: كان الشيخ محمد رضا المظفر، ضعيف الحال مادياً ولم تُمد له يد العون والمساعدة في مشاريعه مما حتم عليه لصق اعلانات المنتدى بنفسه مستخدماً (التمر) للصق الاعلانات وبصورة متخفية كي لا يراه أحد، وهذا مما حمل المعارضين له. على إطلاق شعار ضده استخفافاً وانتقاصاً بالشيخ وبمشروعه (الرائد) وهو «هذا منتدى النشر يلصق اعلاناته بالتمر».

يعوقهم عن التقدم في العمل ذلك التفكير المؤلم». ويقول الشيخ الآصفي: ظهرت في هذه الفترة فكرة الأصلاح، وقامت محاولات اصلاحية بين حين وحين وتألفت لذلك في النجف الأشرف لجان ومجالس وجمعيات تهتم بهذا الشأن من شؤون الحياة النجفية وقد واكب الشيخ المظفر هذه الحركات منذ ظهورها واشترك في كثير منها ووعى ضرورتها منذ بدء ظهورها.(١)

أما كيف كان ينظر الشيخ المظفر ﵀ إلى نظام الحوزة ؟

ففي الحوزة مرحلتان مرحلة المقدمات والسطوح، ومرحلة البحث الخارج. ورأي الشيخ المظفر ان يبقى النظام المعمول السائد في مرحلة الدراسات العليا (الخارج) على ما هو عليه، واما في المرحلة الاولى (المقدمة والسطوح) فكان يرى ان النقص يكتمل ليس في النظام السائد وإنما يرجع إلى النقص في المادة وضعف الأسلوب، فالاقتصار على دراسة النحو والصرف والبلاغة والمنطق والتفسير والفقه والأصول مع توسعة في الأخيرتين، هذه المواد على مالها من الأهمية في تكوين ذهنية الطالب لا تنهض وحدها بواجبات الطالب الرسالية من توجيه ودعوة وتبشير وتثقيف (٢).

وحينما لم يجد من له القابلية للقيام بسد النقص في مواد هذه المرحلة قام بنفسه في تبسيط بعض الكتب الدراسية وحرر كتابين (المنطق) و (أصول الفقه). فحررهما من غموض وتعقيد الكتب القديمة.

هذا في ما يخص الدراسة في الحوزة وخارجها بمدارس منتدى النشر، أما ما يخص الاهتمام بنشر الدعوة الاسلامية والتوجه الديني فكان مجال التأليف والنشر، وحيث شُكّلت لجنة برئاسة الشيخ المظفر وقدّر لها أن تصدر سلسلة مؤلفات صغيرة نافعة فكان منها:

---

١ . الآصفي، م.س: ٩٤ .

٢ . الآصفي: م.س: ٩٨ ـ ٩٩ .

١. الشيعة والإمامة ـ للشيخ محمد حسين المظفر .

٢. الصادق والثقلان ـ للشيخ محمد حسين المظفر .

٣. تاريخ الشيعة ـ للشيخ محمد حسين المظفر .

٤. اسبوع الإمام عليه‌السلام ـ: ويضم مجموعة محاضرات.

٥. السقيفة ـ للشيخ محمد رضا المظفر.

٦. مالك الأشتر ـ للسيد محمد تقي الحكيم .

كما قدّر لمؤسسة منتدى النشر ان تصدر مجلتين برعاية الشيخ المظفر وهما (البذرة) و (النجف).

أما من أكبر آمال الشيخ محمد رضا المظفر فكان مشروع فتح معهد الخطابة الذي حصلت حوله ضجة، أدّت إلى وأد هذا المشروع وإلى بروز مخاطر حتى على الشيخ المظفر نفسه. اما تفاصيل قصة هذا المعهد فيحدثنا عنها آية الله الشيخ الآصفي قائلاً: «تألفت لجنة عام ١٣٦٣ هـ برئاسة خطيب العراق الشهير فضيلة الشيخ محمد علي قسام وذلك على أثر التحسّس العام الذي ظهر في جميع الاوساط المثقفة في العراق بضرورة تهذيب ناشئة خطباء المنبر الحسيني وتثقيفهم ثقافة عالية تليق برسالة الإمام الحسين الشهيد عليه‌السلام، وقد باشرت هذه اللجنة أعمالها وشرعت بالفعل ـ قبل ان يتم منهاج الدراسة وفتحها رسمياً ـ في فتح صف بمثابة تجربة لعملها لدراسة الفقه والعلوم العربية وأصول الدين واصول الحديث (علم الدراية) غير انه لم يمض على فتح هذا الصف التجريبي قرابة شهر واحد إلا وثارت ـ على غير انتظار ـ زوبعة عنيفة على هذه اللجنة، بحجة أنها تسعى لتحديد نوع خطابة المنبر الحسيني وتحديد اشخاص الخطباء، وبحجة أنها تريد أن تقلص من ذكر الحسين عليه‌السلام وبغير ذلك من التهم الباطلة الّتي كانت تكال على هذه اللجنة في حين ان أعضاءها كلهم من مشاهير الخطباء وأتقيائهم الذين يحرصون كُلّ الحرص على خدمة الحسين عليه‌السلام ومنبره،

وماكان تأليفهم اللجنة الا بدافع الاخلاص للدعوة الحسينية، لغرض تثقيف ناشئة الخطباء، وقد تكهرب جو النجف بهذه التهم ضد اللجنة مما اضطر معه اصحاب اللجنة إلى أن يسرعوا في الغائها تفادياً من وقوع ما لا تحمد عقباه، وكانت هذه الحركة الثائرة في وضع لم يدع للجنة المهلة لكشف نواياها ومبادئها، وبعد الغائها في فترة وجيزة استطاع رجال المؤسسة وجماعة من علماء البلد وزعمائها ان ينوروا الرأي العام بالدوافع الحقيقية لتلك الحملة إن يفهموا الفوائد العظيمة الّتي كانت تجنى من تأليف مثل هذه اللجنة. وما يجب ان يذكر للتأريخ أن الذين تأثروا لهذه الحركة وقابلوا الجمعية كان أكثرهم مندفعين بدافع عن سلامة النية ووفرة الايمان الصحيح، لذلك كانوا أسرع استجابةً من غيرهم إلى قبول ما ادلى به موضحو الفكرة من العلماء والزعماء)[1] .

كادت هذه المحاولة ان تقضي على مشروع منتدى النشر بأكمله بل كادت ان تنهي حياة المظفر نفسه *، ولذا نجد في ادبيات الوائلي ﵀ ما يؤكد هذا المعنى في قصيدةٍ له نظمها عام ١٩٦٣ تحت عنوان (إلى جمعية منتدى النشر)، سيما وان الوائلي ﵀ كان في هذه الفترة خطيباً ملحوظاً وعاملاً في الساحة الثقافية لمنتدى النشر فضلاً عن دراسته في كلية الفقه في دفعتها الأولى الّتي ضمت (٢٠٠) طالب تخرج منهم (٤٠) طالباً وحاز بشهادته على المرتبة الاولى من بين اقرانه امثال السيد مصطفى جمال الدين والسيد عدنان البكاء وعبد

---

١ . الآصفي، مصدر سابق: ١٠٠ .

* . حدثني العلامة السيد مرتضى العسكري قائلاً: إنَّ الشيخ المظفر لجأ إلى الكاظميّة بعد أن تشنجت الظروف في النجف الأشرف، حتى انه خاف على حياته من بعض المدفوعين والمندفعين ـ قاتل الله الانغلاق والتحجر ـ وقمت بضيافته وعرّفته على وجهاء الشيعة للتوسط والتأثير على بعض علماء النجف في تهدئة الأمور، فأبرق الوجيه عبد الهادي الچلبي وعبد الوهاب مرجان رسائل إلى أغلب علماء النجف، واستطعنا بعد ذلك أن نخفف اثر هذه المعارضة الّتي اندفعت بقوّة. أنظر التفاصيل في بحثنا الموسوم (العلامة العسكري رؤية اسلامية معاصرة) ضمن كتاب (مؤتمر تكريم العلامة السيد مرتضى العسكري... دراسات وبحوث): ٥٨ .

الهادي الفضلي والشيخ محمد مهدي الآصفي والشيخ عبد المجيد الصيمري وغيرهم *.

فيقول الوائلي في قصيدته:

نـجَّاكِ عبر التِّيه أنَّك بيرق ... ووقاك عند الموج أنَّكِ زورقُ

لا ترهبي أن يغرقوكِ بضَّجةٍ ... فأَبوك عهدي سابح لا يغرق

شدّت بكاهله الخطوب فأَدَّها ... ثـقلاً وما أَدَّته سود تطرق

ورمته أُمٌّ بالعقوق فكذبت ... كفٌّ تذود وفكرة تتألق

المسرج الأذهان يطعم جوعها ... قلباً على اللَّهب المقدَّس يحرق

والمنكر الذَّات الّتي لو رامها ... لتضخمت ذات وأخصب مرفق

لكنَّ ذات العاملين وجودها ... هدف وإن وعر الطَّريق يحقق

ولتنمحي من بعد ذلك ذاتها ... ما عاش رقم بالمكاسب ينطق

ويقول فيها أيضاً:

ما ضرَّ والهدف المؤمل ناصعٌ ... أَن ينبز النَّبع المذال مرنِّقُ

لو كان كُلّ مطقطق يُعنىٰ به ... حاز الوسام لدَى السِّباق اللَّقلق

إن الذي نبزوك حين تبيَّنوا ... رجعوا إليك وكذَّبوا ما لفّقوا

رفقاً بعاقرة تهزُّ بمهدها ... خلواً لتهرب من فراغٍ يقلق

---

* . يقول السيد عدنان البكاء، أنا والوائلي دخلنا كلية الفقه لا لغرض عمقها الدراسي وانَّما لغرض الشهادة كي نستطيع بواسطتها الدخول إلى الجامعات العراقية ـ بل الدراسة في الحوزة العلمية هي أعمق وأمتن من الدراسة فيها (الكلية) ـ ونشر الوعي الاسلامي بين طلبة الجامعات يوم كانت تشكو فقرها الشديد للعلوم الاسلامية بعد الموجات الفكرية المتعددة الّتي كانت تتلاطم في الساحة العراقية السياسية. وتاثير ذلك في الوسط الجامعي بين الشباب. من لقاء كاتب السطور معه في ١٦ شوال ١٤٢٤ هـ.

إلى ان يقول:

إنَّ الحـــياة لواضـــحين مشـــوا إلى هـــدفٍ وليست للّـــذين تـزأبـقوا

صـــاغوك للأجـــيال أمـــنية فــلا يـــلوي بـــعزمك أَنَّ أُفــقك ضـيِّق

إنـــا نـــريدكِ جـــذوة تــهدي ولا يُكــوىٰ بــها حــتّى العــدوُّ المــحنق

غـــذِّي البـصيص فسـوف يـغدو شـعلة تــهدي وإن غـضب الظّــلام المـطبق

وتســاكــبي شـدواً يـبرعم فـي الثَّـرى نـــبتاً ولو كُـــلُّ الضـــفادع نـقنقوا

أما كيف يصور الوائلي ﷺ هذه الضجة والهزة الّتي جاءت من محيط النجف، يوم كان ﷺ من أشد المتحمسين لفكرة معهد الخطابة، فيقول «اشترك في هذه المحاولة مع الشيخ المظفر ﷺ والشيخ الشريعة كل من الحجة الراحل الشيخ عبد المهدي مطر والشيخ محمد الحسين المظفر ﷺ والخطيب الجليل ـ خطيب الثورة العراقية ـ الشيخ محمد علي القسام وجملة من الخطباء، فيهم الشيخ جواد القسام والسيد جواد شبّر والشيخ مسلم الجابري والسيد عبد الحسين الحجار وكنت من ضمنهم وأنا صبي* أتحمس للفكرة وأعطي من الأدوار ما يناسب حجمي. وقد تم اعداد المنهج بصورة أولية للصف الأول نظرياً واتجهت النية إلى أخذ إذن من المرجعية آنذاك للاستفادة من مؤسسة آل زيني الواقعة في الجهة الشمالية من الصحن الشريف والملاصقة للمغاسل والحمامات المعدة للزوار على ان يفتح لها باب غير بابها المفتوح على الصحن الشريف وترمّم على نفقة جمعية منتدى النشر وذلك لتعذّر الانتفاع بها حتى أصبحت مهجورة لأنها كانت معدة لاستقبال الزوار الذين لا مأوى لهم ولكنّها بعد ذلك آلت إلى ان تكون محلاً لمن لا أهل لهم من العاجزين المرضى. وفعلاً أعطت المرجعية الإذن بذلك، ولكن تحرك جماعة فشنوا حملة شعواء على منتدى النشر وأنّه اغتصب مؤسسة معدة للزوار وموقوفة عليهم، والذي أذكره أنّه لا توجد وثيقة

* . الوائلي من مواليد ١٣٤٢ هـ كما في شعراء الغري، وفكرة المعهد ١٣٦٣ هـ كما جاء في كتاب الآصفي فيكون عمر الوائلي ﷺ في هذه الاحداث بحدود ٢١ عاماً.

تؤيد وقفية هذه المؤسسة ـ إن لم تخني الذاكرة ـ ولأجل هذا أجازت المرجعية الانتفاع بالمؤسسة ولكن حدث بعد هذا أن سحبت هذه الإجازة. وكان سحب الإجازة إنذاراً ورسالة تنبّئ عما وراء ذلك، ولكن القائمين على العمل أصرّوا على المضي في مشروعهم ولم يثنهم ذلك عن مواصلة المسيرة، واتّجهوا للبحث عن مكانٍ آخر. وبالفعل استأجروا داراً في ذيل جبل المشراق بجوار الساباط الذي يؤدي إلى فضوة المشراق على ما أتذكّر، ونقلت إليه حاجات الصف الأول من رحلات وكراسي وسبورات ووسائل إيضاح وتمّ الإعلان عن الاستعداد للقبول، وبالفعل انتمى جماعة وللأسف الشديد غابت عن ذهني أسماؤهم كما غاب عن ذهني تذكّر شروط القبول، وبعد هذه البدايات المذكورة بدأ التحرك المضاد واشتركت فيه عناصر منوعة في طليعتها حواشي بعض العلماء الذين تتجه معارضتهم أولاً وبالذات لمحاولة ابتداع اسلوب جديد في الدراسة الحوزوية، فاستغلوا موضوع الخطابة ولم يكن مقصوداً بالذات عندهم بل المقصود ما ذكرناه. وبعض القائمين على المشروع خصوصاً الشيخ محمد الشريعة والشيخ عبد المهدي مطر والشيخ محمد علي القسام الذي استهدفه بعض زملائه من الخطباء واستكثر ان يكون هو رئيس هذه المؤسسة وعلى العموم ثارت الحواشي وعملت على تهيئة موضوع يصدر الحكم بناءً عليه وحشدت لذلك عناصر منوعة منها من هو على دين ولكن عكسوا له أجواءً تؤدي إلى المساس ببعض الأمور التقليدية، فثار وحرّكوا العوام. وتحرّك أصحاب المصالح وفي طليعتهم مجموعة ممن يمتهن الخطابة وانتشرت شائعات تقول ان منتدى النشر يريد تغيير صورة الأمويين في أعين الناس والقضاء على الشعائر الحسينية وتزوير التاريخ إلى آخر ما هنالك من الافتراءات أدت إلى صدور تصريحات من الزعامات الدينية تدين منتدى النشر وأنهى الأمر بالهجوم على المؤسسة المعدة للتدريس وعلى منتدى النشر هي الأخرى فكسّرت الكراسي وحطم ما في البنايات من أدوات وهرب القائمون على العمل وأختبأوا عن الأعين.

ويضيف الشيخ الوائلي ﷺ: كان أحد التصريحات من بعض المراكز الدينية أن الحسين عليه السلام قتل مرتين مرةً يوم الطف وأخرى في حركة منتدى النشر وتصريح آخر في حيثيات عجيبة وثالث ورابع وهكذا وهنا مكان المثل ـ ما كُلّ ما يعرف يقال ـ وانتهى الأمر بفشل المشروع وموت الفكرة في مهدها واختفاء كُلّ عنصر له صلة بالموضوع مّدة طويلة إلى أن بدت بعض الحقائق تتضح وبعض الافتراءات تنحصر ونبّه الناس إلى أن الأشخاص الذين أرادوا تأسيس معهد الخطابة هم من الناس المعروفين بالعلم والتقوى والأصالة ممّا أدّى بالتدريج إلى انحسار موجة النقمة والتعرّف على خلفيات تلك المعارضة فذهب الخطر وبدأ اعضاء منتدى النشر يخرجون من بيوتهم فلا يتعرض لهم أحد عملياً أما السبّ والنبز لهم فبقي مدّة طويلة إلى أن اتضحت الصورة)* .

كان الوائلي ﷺ من أشد المعجبين بشخصية الشيخ محمد رضا المظفر وتطلعاته الاصلاحية لما تميّز به هذا الرجل المصلح الفاضل من خصال نادرة أهمها خُلقه وحرصه وغيرته وهمه الدائم على اصلاح الوضع الثقافي والتعليمي عند المسلمين وبالطريقة الّتي تحقق لهم انتصاراً رائعاً في حقول الفكر والمعرفة والوعي والابداع، اضافة إلى ذلك كانت تجمع بينهما علاقة اجتماعية وثيقة كان أهم اطرافها زوج عمة الشيخ الوائلي ﷺ خطيب الثورة العراقية المرحوم الشيخ محمد علي القسام والذي لازمه الوائلي وتتلمذ على يده، فصحبه ولم يبخل عليه بمشورةٍ أو رأي، بل كان يوفر له الفرص لاقتنائها في بلورة موهبته ونضوج مساره الخطابي. اضافة إلى ان الشيخ المظفر ﷺ كان على درجة من الخلق العالية في احتضان الشباب ورعايتهم فضلاً عن روحه المتسامية المتسامحة، وبهذا الخصوص يذكر الشيخ الآصفي أن المظفر لم يعرف معنى لكلمة (الأنا) ولا يعرف معنى (البغض) ولا يعرف معنىً للخصومة والعداء. فيقول المظفر (... أنا أكثر اخواني عذراً لجماعة كبيرة ممن وقف موقف المخاصم لمشروعنا ولا سيما الذين نطمئن إلى حسن نواياهم ويطمئنون إلى

---

* . تجاربي مع المنبر: ١٤٤ ـ ١٤٦ .

حسن نوايانا) ثم يذكر الشيخ الآصفي قول المظفر الذي يوضح مدى تضحيته ونكران ذاته من قولٍ له ﷺ: «نحن مستعدون تضحية جديدة بأنفسنا (لاحظ) فتنتحي عن العمل عندما نجد من يحبون ان ينهضوا به دوننا خصوصاً إذا اعتقدوا أنهم سيعطون المشروع صبغة عامة بدخولهم وليثقوا أنّا عمّال للمشروع أينما كنا ومهما كانت صبغتنا فيه ولا نريد ان نبرهن بهذا القول على حسن نوايانا، ان هذا لا يهمنا بقليل ولا كثير بعد الذي كان، انما الذي يهمنا أن ينهض المشروع نهضة تليق بسمعة النجف ويؤدي الواجب الملقى على عاتقه كاملاً، وبأي ثمن، حتى إذا كان ثمنه أرواحنا، وما أرخصها في سبيل الواجب وقد صرّحنا مراراً أننا لم نخط حتى الآن الا خطوة قصيرة في سبيل ما يقصد من أهدافه...)[١].

فأمام هذه الروح المتعالية والمتسامية المتسامحة، والشخصية العملاقة الفذة في علميتها وانجازاتها، اذن فكيف يقف الوائلي ﷺ صاحب الحس المرهف، والمشاعر الانسانية النبيلة في إيفاء حق هذا الرجل الصادق المخلص، وما عساه أن يقول فيه إلا أن قال زفرات مؤلمة وآلام واحزان أحرقت حشاشته يوم وقف ينعاه بتصبرٍ وتجلدٍ وهو يقول:

أكبرتُ أمسك أن يأسى عليه غدُ ... ولم يزل يرفد الدُّنيا بما يلدُ
وأمسك النَّبع ثرٌّ في تدفُّقه ... رحب بفنائه يوفي بما يعدُ
وطئت في فجره جمراً فما احترقت ... رجل ولذَّ لها في الجمر مقتعد
ورضته فأحلت الجمر داليةً ... يحلو لضاحين في أفيائها بردُ
وما لعنت صخوراً فيه قد زرعت ... ليوعر الدَّرب فينا صخرها الصَّلدُ

١. الآصفي: م. س: ١١٢ ويقول الشيخ محد مهدي الآصفي حول هذه العبارة للمظفر: انها من أحب الأشياء اليّ فليصغي لها القارئ الكريم لما فيها من الرقة الّتي تشف عن نفسية كاتبها الكبيرة.

إلى ان يقول:

فغبت عنّا وحاشا أن تموت فما يموت فكر ولا يغتاله اللَّحد
مازلت أجحد والأمس القريب على كفَّيّ يرعف منه العطر والشَّهد
وأنت تملأني في مقلتي ألق والسمع أُنشودة والفكر معتقد
لالن يموت نديٌّ منك مؤتلق بالنيّرات وللأمجاد منعقد
إنّي وحقّك لا أنفك تؤنسني رؤى ويلطم وعيي واقع نكد
تراك عيني وذهني يحتويك فإن مددتُ كفّي إلى كفّيك لا أَجدُ
فكم مسحت عيوني علَّ خادعة من الكرى أخبرَتْ ماليس يعتمد
وكم حضنتُ ظنوناً أَنَّ كاذبة نعتك يدفعها للفرية الحسد
لكن قبراً على رمحين من بصري يشدُّني فإذا كُلّ المنى بددُ
فأرعوي للنُّهى تجلوك لي أُفقاً رحباً يشع على أبعاده رأَدُ
ومن عطائكِ فيه ألف باسقة شوامخ في نداها للسَّما نُهدُ
لا يأكُل التُّرب روحاً منك خالدةً بل كُلّ ما للتُّراب الشِّلو والجسدُ

***

إنّي لأعذر دهراً لم يسعك فبا لأيام من كلِّ فكر رائد كبد
لخَّصت في عزم عملاق مطوَّله وإنَّ معجزة أن تخصر المددُ
ستون عاماً ضخاماً في حصائلِها وإن تبدَّى قصيراً عندها العددُ
عمر كما القَدر في خير فليلته عن ألف شهر بما تعطي وما تعد
والعمر أن تصنع الأمجاد باذخةً طال المدى بعدها أم قصرَّ الأمد

ليهنِ روحك أنَّ النجم سوف على أفكار أَبنائكِ الأخيار يتَّقد
وأنَّ من كُلِّ إسفافٍ ومنعطف نحو الهبوط سينجي نهجك السّدد
وليهنها أنَّ أُمَّ الصقر قد ولدت صقراً وأن الحمى من دونه رصدُ
تجسدوك سلوكاً خيّراً وهدى وسوف تبقى بهم حيّاً ومن ولدوا
شددت أهدافهم بالنَّجم فاحتقروا ما دون ذاك فباركهم إذا صعدوا(١)

وتزامناً مع حركة المصلحين الكبار من أمثال الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والشيخ محمد رضا المظفر، كانت هناك إلى جانب حركتهم مشاريع تربوية وتوجيهية نهض بها علماء تميّزوا بروح التجديد والمعاصرة، وركزّوا جهودهم على طرح الفكر الإسلامي بما يلائم حاجة الفرد والمجتمع وبأسلوب شيق وجميل ومن امثال هؤلاء المرحوم آية الشيخ محمد أمين زين الدين والذي لقب أخيراً بـ(كاتب الشباب) وذلك لسهولة اسلوبه وخلوه من التعقيدات اللفظية الّتي تستخدم في الدروس الحوزوية القديمة. وأيضاً ما تميزت به طريقته في الكتابة فكان يكتب بطريقة هادئة خالية من التكليف والتصنع، ويحاول دائماً تبسيط الفكرة والمضمون وعرضها باسلوبٍ انسيابي غاية في الرقة والجمال والتصوير، وكأن القارئ يقرأ لاديب معاصر وليس لشيخ حوزوي وفقيه من كبار فقهاء الوسط الشيعي. ولذا ترك نتاجاً رائداً في بابه من امثال كتبه «إلى الطليعة المؤمنة» و «العفاف بين السلب والإيجاب» (٢) وكتابه «الاسلام، ينابيعه، مناهجه، غاياته» و «كلمة التقوى» ويقع في عشر مجلدات كبيرة مثلت رسالته العملية.

---

١ . القصيدة قرأها الوائلي في تأبين الشيخ محمد رضا المظفر عام ١٩٦٤ م. وتحت عنوان (رائد الفكر). انظر بقية القصيدة في ديوانه: ١ / ٨٧.

٢ . جاء تأليف هذا الكتاب في خضم الصراعات الفكرية السائدة في الساحة العراقية، ولم يمنح الكتاب اجازة لطبعه من قبل الحكومة ولكن بعد ضغط الوسط العلمائي على الحكومة، منح أجازة الطبع .

وأيضاً ساهم مشروع فتح المكتبات الدينية في مختلف مناطق العراق في زمن مرجعية آية الله الحكيم والّتي شهدت ـ هذه المكتبات ـ نشاطات عديدة في توعية الجماهيرقبال ظاهرة المدّ الماركسي الذي تحكم نوعاً ما بمصير الشباب، فشكلت هذه المكتبات ونشاطاتها ظاهرة اصلاحية إلى جانب حركة المصلحين الكبار بعد ان اسس لنهضتها كبار علماء الدين الشيعة، وفي هذه الفترة من عقد الستينات مثلت تطلعات المرحوم السيد محمد تقي الحكيم ﷺ شاخصاً لامعاً في الاصلاح الفكري بعد ان شغل منصب عمادة كلية الفقه فكتب كتابه القيم (الأصول العامة للفقه المقارن) وكان أحد كبار المصلحين على مستوى البحث العلمي وبجدارة. اضافة إلى كتابيه (مالك الأشتر) و (شاعر العقيدة).

كما شكّلت البحوث العلمية التحقيقية رافداً آخر من روافد النهضة الاصلاحية فقدم السيد مرتضى العسكري بحوثاً هامة في هذا المجال وبالأخص كتابه الأول «عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى» ثم كتابه الآخر «خمسون ومائة صحابي مختلق» وغيرها فضلاً عن تطلعاته الاصلاحية الأخرى سواء كانت في الجانب السياسي عندما كان اول من ساهم في تأسيس حزب الدعوة الاسلامية أو في الجانب التربوي في تأسيسه للمدارس الدينية في الكاظمية والكرادة الشرقية ببغداد وبقية المحافظات الأخرى [1].

يُذكر أن حركة التأليف والنشر قد تسارعت بشكل واضح وجليّ خلال مرحلة الخمسينات والستينات، فاضافة إلى ما تقدم من نتاجات اصلاحية هامة، يتألّق أمامنا ما قدّمه به سيد المصلحين، العالم المتبصر الشهيد السيد محمد باقر الصدر ضمن كتابين هامين جداً في علاج الفكر، وتقديم الاسلام الاصيل اطروحة عمل بديلة لكل الايديولوجيات

١ . راجع اصلاحاته في الجانبين السياسي والتربوي في بحثنا الموسوم (العلامة العسكري رؤية اسلامية معاصرة) ضمن كتاب (مؤتمر تكريم العلامة السيد مرتضى العسكري،... بحوث ودراسات): ١٧ ـ ٦٩ .

(المستوردة) الغازية لعقول الطليعة المؤمنة من ابناء العراق المسلم. فقدم ﷺ: (فلسفتنا) و (اقتصادنا) و (المدرسة الاسلامية) وسوف نقف بعد قليل ان شاء الله على معالم حركته الاصلاحية الشاملة، بشكل واسع.

وأيضاً قدم الشيخ أسد حيدر موسوعته العلمية الكبيرة (الامام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة) وقدم السيد محمد حسين فضل الله (قضايا على ضوء الاسلام) و (أُسلوب الدعوة في القرآن) وأيضاً الشيخ عبد الهادي الفضلي في كتبه الأربعة (مشكلة الفقر) و (من البعثة إلى الدولة) وفي (انتظار الامام) و (التربية الدينية) والمرحوم الشيخ كاظم الحلفي في كتبه (الاسلام نظام وعقيدة) و (الربا في القرآن) و (الخمر في القرآن) و (الاخلاص) وعشرات المؤلفات الاخرى فكان الحلفي بحق من اصحاب العقول الوقادة والاقلام السيالة وجاءت اغلب كتبه في معالجة القضايا المهمة المعاصرة. وأيضاً قدم السيد محمد بحر العلوم (ضحايا العقيدة) وأيضاً المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين (نظام الحكم والادارة في الاسلام) و (بين الجاهلية والاسلام) و (دراسات في نهج البلاغة) و (علمانية الدولة) وقدم محمود المظفر (المعتزلة)، وقدم السيد عدنان البكاء (الأسرة المسلمة) و (نظرات في السنّة) والشيخ باقر شريف القرشي (النظام السياسي في الاسلام) و (حقوق العامل) و (الامام الحسن عليه السلام) وقدم الشيخ محمد الخليلي (الاخلاق في القرآن الكريم) و (أمالي الامام الصادق) و (طب الامام الصادق) و (المطهرات في الاسلام) وقدم الشيهد السيد محمد محمد صادق الصدر ﷺ (نظرات اسلامية في اعلان حقوق الإنسان) و (أشعة من عقائد الاسلام) وأيضاً (القانون الاسلامي وجوده، صعوباته، منهجه) وأيضاً (موسوعة الامام المهدي، تاريخ الغيبة الكبرى، تاريخ الغيبة الصغرى، تاريخ ما بعد الظهور) وقدمت الشهيدة بنت الهدى (المرأةُ مع النبي) و (كلمة ودعوة) وأيضاً السيد جمال الهاشمي (أصول الدين الاسلامي).

الوائلي واستمرارية النهضة... مع السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﵀:

عاش الوائلي ﵀ عمق النهضة الاصلاحية، بعد أن كان له من النضوج الفكري ما يُؤهله لان يمارس دوراً مهماً ضمن حيثيات ومتطلبات هذه النهضة، فبعد ان لازم كُلّ تطلعات النهضة والأفكار الاصلاحية ـ بين النجاح والاخفاق ـ في حركة المصلح المجدد الشيخ محمد رضا المظفر وبكل ابعادها التربوية والثقافية والسياسية [١]، وواكب بعد ذلك عن بصيرةٍ ووعي حركة المصلح العظيم الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﵀ الّتي شملت أغلب مجالات الحياة، وإذا كان للمصلح اثر هام في مجالٍ معين، فإن السيد محمد باقر الصدر أثبت بحركته وتطلعاته ـ وبعمق وجدارة ـ قدرته على الخوض في كل المجالات الحياتية الّتي كان يرى فيها الحاجة إلى الاصلاح. كما قد يكون هناك مصلح يهتم بالجانب النظري للمسألة ويشير إلى مواطن الخلل في مسيرة الناس ويدلّ على سبل التخطي للامراض والسلبيات، وبعضهم يمتلك القابلية العالية في التنظير والتخطيط للكثير من المسائل ويباشر العمل من أجل تنفيذ تصوراته الاجتماعية من خلال المشاريع الفكرية والاجتماعية، ولعل ـ من باب المصداق ـ المنظر الاسلامي (مالك بن نبي) يمثّل أُنموذجاً من الطراز الأول، إذ كان الرجل رائداً في تقديم الاطروحات الاجتماعية كما يتضح ذلك من خلال سلسلته (مشكلات الحضارة)، إلا أن سيرة حياته لن تفصح بأن الرجل ساهم بتأسيس مشاريع اجتماعية وسياسية هامة لتنفيذ افكاره الغنية الكبيرة، وهذا ما يلاحظ من خلال مذكراته (مذكرات شاهد قرن).

---

١. كانت للمظفر مواقف سياسية عديدة منها العمل ضمن جماعة العلماء، الآصفي: ٧٩ وأيضاً له موقف مهم أيام الزعيم عبد الكريم قاسم بعد اصدار قانون الأحوال الشخصية: ٨٠ كما أفرد في بعض المجلات حقلاً بعنوان (اسمعني) تحدث فيه عن محنة الجزائر وفلسطين، كما أنه ساهم في الوقوف مع أخوانه المصريين في حادثة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ م وغيرها، انظر الآصفي، مصدر سابق: ٧٦ ـ ٨٢.

بينما نجد طرازاً آخر من الرجال جمعوا بين التنظير والعمل، وبين الأطروحة والتنفيذ فكان لهم وقع تأثيري أبلغ من جماعة التنظير، ومن هذا الطراز نلاحظ الشيخ ابو الأعلى المودودي الذي أسس حركة الجماعة الاسلامية في القارة الهندية والاستاذ حسن البنا مؤسس حركة الاخوان المسلمين في مصر وآية الله السيد الخميني ﵀ في حركته الجهادية وتكليلها بالنصر الفريد بإقامة الحكومة الاسلامية.

أما السيد الشهيد الصدر الأول ﵀ فهو من الطراز الذي يحرص على تنفيذ ما يؤمن به وينظّر له من مفاهيم وأطروحات اسلامية اجتماعية وسياسية وثقافية.

والحقيقة ان النجف ومدرستها لم يكن فيها على مستوى ما كان يؤمن به ويعمل له مثل الشهيد الصدر الذي أفنى ذاته ـ بعد ان أقبلت المرجعية والدنيا عليه ـ من اجل ما كان يؤمن به. ومهما قيل عن المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من ناحية الوعي والحرص على الاسلام والأمة الاسلامية (فأن افكاره ووعيه ظلا مجرد صيحة غاضبة لله تعالى، لم يجسدها في حياته إلى مشاريع مناسبة من أجل النهضة الاسلامية)[1].

لقد سجل الشهيد الصدر الأول ﵀ مجموعة مشاريع نفذها بنفسه وأخرى ساهم فيها الأمر الذي يشير بوضوح إلى عبقريته وحرصه وغيرته على الاسلام وواقع المسلمين.

ولكي نقف بوضوح على صدق هذه النهضة الاصلاحية، لابدّ لنا من تصنيف مجالاتها:

أولاً: في المجال الفكري

استطاع ﵀ ان يوجد البديل الفكري الاسلامي عوضاً عن الأفكار

---

١. عز الدين سليم، الإمام الشهيد محمد باقر الصدر رائد حركة التغيير في العراق: ٤٠، وارى ان انحسار الوعي في الأمة والظروف الموضوعية الّتي حاطت الشيخ كاشف الغطاء (والّتي لا أرى مجالاً لذكرها هنا) جميعها أمور ساهمت ان تكون مساهمته لا ترتقي إلى مستوى نهضة السيد الشهيد الصدر ﵀.

والايديولوجيات الفكرية السائدة في الساحة الاسلامية العراقية والتي اخذ مفعولها يسري بين المثقفين والمفكرين من ابناء الأمة. فشكلت تلك الفترة انحساراً واضحاً في الفكر الاسلامي الذي لم يُعرَض ويُقدَّم بالشكل الذي يناسب المصطلح العصري الذي ساد فيه التحاجج في الاوساط الثقافية. بل ان المثقفين الاسلاميين كانوا لا يستطيعون الاستمرار في السجالات والحوارات الفكرية بينهم وبين الآخرين المخالفين لهم، لأن مادتهم الأولى في الجدال هو القرآن فيما كان أصحاب الرأي الآخر لا يؤمنون بالقرآن نفسه. كدليل وحجة طالما أنهم لا يعتقدون بوجود الخالق! وهذا ما يُنبئ بأن أصل الحوار يفتقر للاسس والمقومات، فلا يمكن للحوار ان ينهض عند الاسلاميين إلّا بوجود مادة مشتركة بينهم وبين الآخر، هذه الأفكار جميعها كانت تدور في خَلَد السيد الصدر ﷺ ولذا شرع في تأليف كتابيه (فلسفتنا) و (اقتصادنا) الذين وفرّا للاسلاميين سلاحاً فكرياً وسياسياً اكمل من خلالهما المادة الاساسية في الحوار المشترك، ففي كتاب (فلسفتنا) برهن على صحة النظرة الاسلامية للوجود وتهافت النظريات الأخرى كافة وبمنطق علمي ومنهج أكاديمي محض.

وتصدّىٰ في (اقتصادنا) لدحض النظريتين الاشتراكية والرأسمالية في المجال الاقتصادي كاشفاً عن اصالة البديل (الاسلامي) في معالجة المسائل الاقتصادية على مستوى التملك والحرية الاقتصادية والعدالة ومشكلة التوزيع، ومسألة الأرض، اضافة إلى تفنيد المادية التأريخية كعقيدة يعتمدها الماركسيون في تبرير المنحىٰ الاقتصادي لديهم.

كما أكد السيد الصدر ﷺ في (اقتصادنا) اشارة مهمة على كيفية معالجة القضايا الاقتصادية من المنظور الاسلامي وهي مراعاة البعد الأخلاقي أو البعد الانساني أي البعد الروحي والفكري ضمن المعالجة الموضوعية في تنظيم الحياة الاقتصادية وكما يقول هو ﷺ: «هناك المزاج النفسي العام للمجتمع الاسلامي وهذا لا يدخل في الحساب العلمي، لان المزاج ليس شيئاً مادياً له درجة محدودة أو صيغة معينة، يمكن ان تفترض مسبقاً وتقام

على اساسها النظريات العلمية»[١] فعلم الاقتصاد الاسلامي «لا يمكن ان يولد ولادة حقيقية، إلا إذا جُسّد هذا الاقتصاد في كيان المجتمع بجذوره ومعالمه وتفاصيله، ودرست الأحداث والتجارب الاقتصادية الّتي يمر بها دراسة منظمة»[٢].

بعد ذلك قدم السيد الصدر ﵀ مؤلفاته الأخرى ذات القيم المعنوية والحضارية أيضاً ومنها:

البنك اللاربوي في الاسلام، والمدرسة القرآنية، والاسلام يقود الحياة، والفتاوى الواضحة، والاسس المنطقية للاستقراء، وغيرها. وقد امتاز السيد الصدر ﵀ بلغة اكاديمية وبأسلوب رصين وهو أول مرجع ديني واجه الفكر الغربي بلغة العصر وتنبأ بأنهيار النظريتين الشيوعية والرأسمالية حيث نسفهما بطريقة حديثة ولغة حوار علمية، فكانت كُلّ كلمة لها مدلول علمي ووضعت باسلوب منطقي، كما امتاز ﵀ بأنه لم يفسر الواقع بالتفسيرات الغيبية البعيدة عن أذهان الآخرين، بل قدّم حلولاً واقعية للمشاكل الّتي تعاني منها الانسانية، فخاطب الانسانية بلغة واضحة تفهمها بسهولة ويسر، فمارس ﵀ الدقّة والوضوح في الاسلوب لعرض الأفكار المعقدة واستخدام اللغة العلمية اسلوباً في طرحه سيما وان واقعنا واقع علم، فقدم الاسلام بلغة علمية مناسبة لروح العصر.

ومن جميل ما يذكر أنَّ الصروح الفكرية للماركسية والرأسمالية قدمت بثوب علمي وبأسلوب انبهر به الباحثون والأكاديميون وأضفت عليها مصطلحات العصرية والحداثة، ووقفت الجامعات العراقية بأساتذتها وطلبتها باجلال واكبار وانبهار امام هذه الطروحات الّتي لم يجدوا بديلاً عنها في مجال البحث العلمي وبعد صدور (فلسفتنا) و (اقتصادنا) أثبت السيد الصدر ﵀ باسلوب علمي رائع خطأ هذه الصروح التي تهاوت وانهارت بمعول النقد

---

١. اقتصادنا: ٣١٥.

٢. نفس المصدر.

العلمي والطريف أنها هذه الصروح نسفت بـنفس الاسـلوب العـلمي الذي عـرضت فـيه افكارها، فالسيد الصدر ﷺ لم يناقشها بأسلوب الغيب الذي لا تؤمن هي به أو من الزاوية الدينية البحتة وإنما عرض ايجابياتها وسلبياتها ونـاقشها بأسـلوب مـوضوعي وبأسس علمية وبمنطق البحث العلمي الذي تدعيه. واثبت ﷺ ان اساليبها العلمية لم تكن نقيةً وانها تنطوي على فجوات علمية لا يمكن ردمها بالتحايل على منطق البحث، فهي تـحتاج إلى تدقيق وغربلة وتنقية وتطهير وانتقاء ولذا فان النتائج الّتي تمخضت عنها كانت نتائج مبتورة بعيدة عن الواقع.

إنّ من اهم معالم المنهج عند السيد الصدر ﷺ هي فـي تـحديد اهـداف البـحث، ودقة المعلومات والتبويب والتركيز والاختصار والتقويم أو ما يصطلح بالنقد الموضوعي، والواقـعية العـلمية، والتـجديد والتـعمق والاسـتقلال العـلمي، والأسـلوب الواضـح وتوثيق المعلومات والتواضع العلمي وشمولية المعالجة واللغة العـلمية المـعاصرة وقـوة الاستدلال والمناظرة بـالحجة والدليـل والبـرهان. ولذا فـان مـجموع مـا انـتجه السـيد الصدر ﷺ من فكر اسلامي كان له ريادة السبق في تـحدي الصـيغة المـضمونية للـنهضة الاسلامية الحديثة في العراق. ولولا هذه المؤلفات الفكرية للاسلام الأصيل الّتي أصدرها هذا العملاق المتواضع لفقدت النهضة الاسلامية العراقية كـثيراً مـن الشـروط الدالة عـلى الأصالة والعمق والرشد .

الثقافة الاسلامية :

اهتم هذا الرجل ﷺ اهتماماً كبيراً على ان يحيط الفرد المسلم بالثقافة الاسـلامية الّتي تمنحه الحصانة من التأثّر بالعقائد والأفكار الغربية وحتى الافكار العقائدية الاسلامية ذات الشبهة، فأراد بذلك ان يقدم للأمة الاسلام الأصيل.

ولكن كيف كانت محاولاته ومن أين ابتدأ؟؟ بعد ان عرف ان الأمة لم يكن عـندها

عقدة اتجاه المضمون الاسلامي، والحقيقة ان العقدة كانت تكتمل بـالاسلوب الذي يـظهر الاسلام بالشكل الذي يتماشى مع العصر وبالوقت الذي يفهمه النـاس. فكـانت انـطلاقة الصدر نحو الثقافة من هذا الاتجاه ولذا نرى أن التجديد أخذ ينطبع في كُلّ كتاباته. فبدلاً من أن يتحدث بالمصطلحات الفقهية مثلاً، عن آداب التجارة، والبيع الفـضولي، والخـيارات، والمساقاة، والإجارة وما إليـها مـن مـعاملات مـالية، اتـجه ﷺ إلى اكـتشاف المـذهب الاقتصادي في هيكليته العامة وفي أطـر هـذه الهـيكلية، وبـدلاً مـن ان يـتحدث حـول المعاملات المحرمة في التجارة اتجه حول الحديث حول الحرية في الاقتصاد الاسلامي. وبدلاً من ان يلتجىء إلى الحيّل الشرعية، طرح مشروع البنك اللاربوي في الاسلام، كـما تجنب ﷺ بشكل عام كُلّ مصطلحات المـذاهب الاسـلامية الأخـرى وأبـرز المـصطلح الاسلامي والمنهج والمضمون الاسلامي في حُلّة جديدة، ولذا فحافظ على أصالة الشريعة مع التماس منهج تجديدي معاصر بأعلى درجاته وأرفع مستوياته كما يتضح ذلك من خلال مؤلفاته جميعاً، كي ينمي الواقع الثقافي عند الأمة لتنهض بمهام مسـؤولياتها تـوافـقاً مـع الخطاب الديني. فبدونهما لا يمكن ان تحصل حالة الرقي والسعادة وفق مـنظومة رسـالة السماء، ولذا فهو ﷺ يؤكد على الطاقات الداخلية عند الأمة ولا يتناسى دورها في التنمية فيقول «حركة الأمة كلها شرط أساسي لانجاح أي تنمية، واي معركة شاملة ضد التخلف، لان حركتها تعبير عن نموها، ونمو ارادتها، وانطلاق مواهبها الداخلية، وحيث لا تنمو الأمة لا يمكن ان تمارس عملية تنمية، وتجربة الإنسان الأوربي الحديث، هـي بـالذات تـعبير تاريخي واضح عن هذه الحقيقة، فان مناهج الاقتصاد الأوربي كإطارات لعملية التنمية لم تسجل نجاحها الباهر على المستوى المادي في تأريخ اوربا الحـديثة إلا بسـبب تـفاعل الشعوب الاوربية مع تلك المناهج وحركتها في كل حقول الحياة، وفقاً لاتجاه تلك المناهج ومتطلباتها واستعدادها النفسي المتناهي خلال تاريخ طويل لهذا الاندماج والتفاعل، فحين نريد ان نختار منهجاً أو إطاراً عاماً للتنمية الاقتصادية داخل العالم الاسـلامي، يـجب أن

نأخذ هذه الحقيقة أساساً ونفتش في ضوئها عن مركب حضاري قادر على تحريك الأمة، وتعبئة كُلّ قواها وطاقاتها للمعركة ضد التخلف ولابد حينئذ أن ندخل في هذا الحساب مشاعر الأمة، ونفسيتها، وتاريخها، وتعقيداتها المختلفة)[١]، ولا نرى أبلغ من قوله هذا مع ما يتضح من اسلوبه المبسط وادواته العلمية والمعرفية في البحث العلمي وادواته النقدية الموضوعية الّتي تشكل ـ جميعها ـ منهجهُ العلمي ﷺ في توفير المادة الفكرية والثقافية للفرد المسلم. كما لا نرى ابلغ من قوله الآنف في اعتماده على الأمة وكيف يحرص على ان يوفر لها ما يناسبها من المادة الفكرية والثقافية لحركتها وتنميتها مع كُلّ ما يراعيه من الأمور النفسية والتأريخية لها. فاضافة إلى ما قدمه من الكتب القيمة في الفكر لم يهمل الجانب الحوزوي في الأمة فقد قدم كتابه (دروس في علم الأصول) خالياً من كل الصعوبات والتعقيدات فضلاً عن رسالته العملية (الفتاوى الواضحة) ويذكر انه ﷺ عندما أراد كتابة رسالته العملية بعد طلب والحاح من الناس صادف حلول الشيخ محمد جواد مغنية ضيفاً على السيد الصدر ﷺ والشيخ مغنية ممن عرف بكتاباته السهلة وبأسلوبه الشيق حتى لقب بكاتب الشباب فكلفه السيد الصدر بتبسيط رسالته العملية كي يتسنى قراءتها من أبسط الناس ثقافة وعلماً. وبعد محاولات عديدة لم يفلح الشيخ مغنية في انجاز هذه المهمة (إما لأنّ الصياغة التعبيرية قاصرة عن إفادة الحكم الشرعي المقصود، وإما لأنّ الصياغات التعبيرية لا تخلو من تعقيد ولا تحقق التبسيط المطلوب) [٢]. فتبنى السيد الصدر المهمة بنفسه وكم كانت شاقةً عليه كما يقول النعماني نفسه .

ثانياً: المجال السياسي:

لم يقتصر السيد الشهيد الصدر ﷺ على الجانب التنظيري في مهمته الاصلاحية، بل كان يرى ان غاية الاصلاح تحتم الدخول إلى المعترك السياسي كي يكون المصلح مصداقاً

---

١ . اقتصادنا: ١ / ١٤ مقدمة الطبعة الثانية.

٢ . النعماني، سنوات المحنة وايام الحصار: ٦٠ .

لتنظيراته ولذا خاض المعترك السياسي منذ مقتبل عمره، ولا نـريد ان نسـتعرض الأدوار السياسية الّتي مارسها السيد الصدر ﵀ في هذا المقام بقدر ما نريد المرور عليها سريعاً كي نحيط القارئ، والأجيال القادمة علماً بهذا البعد الاصلاحي عند السيد الشهيد الصدر ﵀ سيما وان هذا الجانب قد أُشبع بالدراسات والبحوث والمقالات.

فقد مارس العمل السياسي أولاً مع جماعة العلماء عندما كان يرأسها خاله الشـيخ مرتضى آل ياسين، ولم يدخلها رسمياً لصغر عمره آنذاك، ولكنه كان بحق المحرك الأساس لهذه الجماعية، فبعد عام ١٩٥٨، اصدرت الجماعة مجلة الأضواء، وأخذ السيد الصدر ﵀ يكتب فيها افتتاحيتها تحت عنوان (رسالتنا) كما كان يكتب بياناتها الاستنكارية الشاجبة لقرارات الدولة المنافية للاسلام ومبادئه، وأيضاً في بعضها راداً على الشبهات الّتي يثيرها الشيوعيون، وجاءت كُلّ كتاباته تخلو من كتابة وتوقيع اسمه، ولكن المحيطين به في اجواء النجف يعرفون ان السيد الصدر ﵀ كان وراء هذه الموجة الثقافية الاسلامية. وبعد حصيلة التجربة مع جماعة العلماء تبلورت في ذهنه أطروحة العـمل السـياسي، فـتضمنت هـذه الأطروحة ما يلي:

١. توفير البديل للافكار السياسية السائدة، فقدم الفكر الاسلامي بديلاً عنها بعد ان رفده بكتابيه العلميينْ (فلسفتنا) و (اقتصادنا).

٢. مساهمة علماء الأمة من خلال:

أولاً: اهتمام المرجعية الدينية والقيادة العلمائية بعموم الأمة لتنمية وعـيها الديـني والأخلاقي ورفع حسها السياسي وتبلور هذا العمل بعد ان ساهم السيد الصـدر ﵀ فـيه بصورة فعالة:

أ ـ نشر المكتبات الدينية في مختلف محافظات العراق. لجعلها مركزاً للـنشاطات والفعاليات الدينية في نشر الوعي.

ب ـ نشر وكلاء المرجعية في كافة أنحاء المدن والقرى العراقية، ويتم اختيارهم وفق التقوى والسمعة والوعي .

ج ـ رعاية المنبر الحسيني وتطوير مضمون المجلس الحسيني ورعاية المواكب الملتزمة.

ثانياً: الأطروحة السياسية: والّتي تمثلت في تشكيل الحزب السياسي الاسلامي والذي أُطلق عليه مؤخراً حزب الدعوة الاسلامية، وكان للسيد الصدر ﵀ دور هام في بناء هذا الحزب ودعمه، وكان أيضاً من المؤسسين له .

ثالثاً: بلورة القيادة العلمائية الاسلامية المعاصرة، ومن أهم محاور هذه الفكرة هي :

١. ايجاد قيادة سياسية تمتلك البعد الشرعي عند الجماهير.

٢. تهدف هذه الأطروحة إلى تبني المرجعية الصالحة (للاهداف الحقيقية الّتي يجب ان تسير المرجعية في سبيل تحقيقها لخدمة الاسلام وامتلاكها صورة واضحة محددة لهذه الأهداف، فهي مرجعية هادفة بوضوح ووعي، تتصرف دائماً على أساس الأهداف» على حد قول السيد الصدر ﵀ .

٣. تحويل المرجعية إلى جهاز لا يتأثر بموت المرجع، فإذا توفي المرجع الصالح يكون بمقدور المرجع الصالح الذي يرثه أن يبدأ «ممارسة مسؤولياته من حيث انتهى المرجع العام السابق بدلاً من أن يبدأ من الصفر ويتحمل مشاق هذه البداية وما تتطلبه من جهود جانبية، وبهذا يحتاج للمرجعية الاحتفاظ بهذه الجهود والأهداف وممارسة ألوان من التخطيط الطويل المدى، ويتم ذلك عن طريق شكل المرجعية الموضوعية إذ في إطار المرجعية الموضوعية لا يوجد المرجع فقط، بل يوجد المرجع كذات ويمارس العمل المرجعي الرشيد، والشخص المرجع هو العنصر الذي يموت، وأما الموضوع فهو ثابت» على حدّ تعبير المرجع الصدر ﵀ .

٤. تعمل المرجعية الصالحة على حماية العمل الإسلامي القائم لدى الأمة بواسطة «لجنة رعاية العمل الإسلامي والتعرف على مصاديقه في العالم الإسلامي وتكوين فكرة عن كل مصداق وبذل النصح والمعونة عند الحاجة»[١].

ولم تقتصر أعماله ﷺ على التنظير في هذا الجانب (السياسي)، فقد أصدر ﷺ فتواه الشهيرة (بحرمة الانتماء إلى حزب البعث) ورغم تعسف السلطة فقد مارست بحقه شتى انواع الضغط، واعتقل من قبلها ﷺ ثلاث مرات ولاقى شتى انواع التعذيب منها ولم يصرّح بهذه الحقيقة خوفاً من أن يتسرّب الضعف بين صفوف المؤمنين، أما عن اثر هذه الفتوى فهو يقول ﷺ: «إنّني أعلم أنّ هذه الفتوى سوف لن تؤثر في الوقت الحاضر التأثير المرجوّ منها، وذلك لأن السلطة طوّقت حياة المواطن العراقي في كُلّ مناحيها، وخاصة الاقتصادية بالانتماء لحزب البعث، وسواء أفتينا بحرمة الانتماء أم لا، فإنه على كل حال سينتمي للحزب، ولكن فرق بين أن ينتمي وهو يعلم ان هذا العمل محرّم شرعاً، وبين أن ينتمي وهو يرى أنّ الانتماء أمر طبيعي لا حرج فيه من الناحية الشرعية، إن هذا الأمر في غاية الأهمية، ويجب أن نأخذه بنظر الأعتبار»[٢].

ثم صُعّدت الأحداث بينه ﷺ وبين السلطة البعثية بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران بقيادة آية الله السيد الخميني ﷺ، وقد كان معروفاً قبل هذا، بمواقفه ﷺ في دعم حركة السيد الخميني وتطلعاته للدولة الاسلامية الّتي كان يعبر عنها بـ(حلم الأنبياء).

وبين الترهيب والترغيب الذي مارسته السلطة البعثية مع السيد الصدر، لم تستطع ان تحصل ولو على لقاء صحفي للسيد الصدر مع أي صحيفة عربية أو أجنبية وإن لم يذكر فيه انجازاً واحداً من انجازات السلطة، ولكنه رفض ذلك بشدة وسعىٰ نحو الشهادة بعشق حقيقي صادق فكان ﷺ قمة في العطاء بحياته، وحتى في شهادته اراد ان يكون مستمراً في

١ . عز الدين سليم: م. س: ٨٣.
٢ . النعماني، م. س: ١٩٤ .

العطاء فجعل من دمه محفّزاً قويّاً لكُلّ المسلمين في تقييم الوضع القـائم فـي العـراق [١]، واستمرارية الرفض والثورة لهذه العصابة الجاهلة حتى في امور حياتها فضلاً عـن أمـور الأمة وأمور العقيدة الاسلامية .

وهكذا كان ﵀ مصداقاً لكلمته: «أنا يا ولدي أُريد أن أغيّر هذا الواقع بقولي وفعلي، وعليك ان لا تنسى هذه الحقيقة في كُلّ تصرفاتك وأعمالك في المستقبل» [٢].

هموم التجديد في الحوزة:

بعد مشاركة العلماء والمراجع في أحداث ثورة العشرين في العراق ١٩٢٠م، وتغير دفة الموازين، وتغيير مجرى نتائج الثورة وانعقاد آمال البريطانين على القوميين العرب، بعد هذا الحدث اتجهت الحوزة العلمية في النجف الأشرف بعيداً عن ممارسة النشاط السياسي وهموم الأمة، وصار التوجه العام فيها للدراسات الحوزوية المألوفـة، ودون سـواهـا مـن العلوم والاهتمامات.

السيد الشهيد الصدر ﵀ لاحظ هذه الظاهرة السلبية، وراح يبذل ما بوسعه من أجل تغيير واقع الحوزة العلمية فكرياً وتوجهاً. فأرسىٰ لذلك ثلاث مشاريع، وهي:

١. مشروع الدورة.

٢. مشروع إصلاح المناهج.

---

١ . يقول الدكتور زكي نجيب محمود المفكر المصري الشهير في صحيفة كيهان عدد (٦٩١) نقلاً عن صحيفة الأهرام المصرية: «إن اعدام مفكرٍ ساهم في تنمية العقل العربي الاسلامي تثير لدينا مشاعر التقزّز والاشمئزاز. فالدولة المتقدّمة تكرّم أفذاذها، أما العراق فيعدم مفكريه».

٢ . النعماني: م. س: ٩٩، عندما رفض السيد الصدر ﵀ محاولة الشـيخ النـعماني بشـراء جـهاز تكييف حسب وصية الطبيب في علاج والدة السيد فرفض السيد هـذا الاقـتراح فـي الوقت الذي كانت والدته بأمس الحاجة إليه وقال للنعماني «هل تريد أن انعم بـالهواء البـارد وفـي الناس من لا يملك حتى المروحة البسيطة». إنا لله وانا إليه راجعون!!!

٣. مشروع التوجه الفكري المباشر (المحاضرات).

أما مشروع «الدورة» أو ما يسمى (مدرسة العلوم الاسلامية) فقد تأسس عام (١٩٦٣ م) تحت اشراف مرجعية آية الله الحكيم وهي أول محاولة لتنظيم الوضع الدراسي في الحوزة، والخطوة الأولى نحو اعتماد أسلوب المراحل في الدراسة الحوزوية، الذي يمنح الوعي الاسلامي وامكانات الانسجام مع متطلبات المرحلة الّتي تمر بها الأمة. وهو نفس الهم والتطلع الذي كان يصبو إليه الشيخ محمد رضا المظفر كما مرّ في التحدث عن إصلاحاته، ولكنه لم يجد الفكرة المناسبة للنهوض بهذا الغرض واكتفى وقتها بمحاولاته التسبيطية لبعض المناهج مثل (المنطق) و (أصول الفقه) طالما انه لم يجد من يعينه للأخذ بمشروع يتعلق بنظام الحوزة، إذا لم يواجه ما واجه في منتدى النشر من أصحاب التحجر والانغلاق لكُلّ ظاهرة اصلاحية هادفة وصادقة.

وقد وقف السيد الصدر ﵀ بكل ما أُتيح له من إمكانات لدعم هذا المشروع (الدورة) وقد طلب من أفضل تلاميذه تدريس أحدث المواد الدراسيّة في مختلف المراحل الدراسيّة حرصاً منه على انجاحه. ورغم ذلك استهدف هذا المشروع بمعارضة قويّة من قِبل التقليديين ثم من نظام البعث الحاكم الذي أقدم علىٰ انهاء هذا المشروع في حدود سنة (١٩٧٧ م).

أما مشروع إصلاح المناهج، فكان من أوضح مظاهره إصلاح علم الأصول الذي بقي زمناً طويلاً يعتمد على «كفاية» للسيد كاظم الخراساني وبأسلوبها القديم، فيما سعىٰ السيد الصدر ﵀ إلى تبني عملية تبسيطه بشكل يسد حاجة الطالب ويغنيه عن الاساليب المعقدة، وفي هذا الإطار جاء كتابه «دروس في علم الأصول». وهو تجربة من التجارب الرائدة لتطوير هذه المادة العلمية الهامة في حياة طالب العلم الحوزوي.

اما محاضراته التوجيهية، فقد حرص السيد الصدر ﵀ على ان يلقي محاضرات اخلاقية على طلبة العلم اسهاماً في بناء ذهنية الطالب الحوزوي بناءً جديداً مع ما تتطلبه

ظروف العصر وشحنها بأسس الوعي الاسلامي، وهذه المحاضرات، كانت حقاً أنموذجاً من نماذج عملية النهضة الّتي يرتقبها ﷺ في خياله. ولذا كانت هذه المحاضرات لا تخلو في بعد من ابعادها الاخلاقية على الجوانب السياسية والاجتماعية، ولعل في محاضرات (المحنة) و (السنن التاريخية في القرآن) و (محاضراته حول أهل البيت عليهم السلام) مصاديق لهذه العملية التربوية الهامة والبناءة.

ولكي نقف على بعض ارشاداته التربوية نقتطف هذه الشذرات من محاضرات (المحنة) :

❊ (ان مطالب الفقه والأصول تملأ عقل الإنسان ولكنها لا تملأ ضميره ولا تملأ وجدانه ـ أي إنّ العالم إذا انكبّ على الفقه والأصول فقط ـ فسوف يمتلئ عقله علماً ولكن ضميره أو وجدانه قد يبقى فارغاً).

❊ (هذه النزعة الاستصحابية الّتي تجعلنا دائماً نعيش مع أمّة قد مضى وقتها، ومع اُمّة ماتت وانتهت بظروفها وملابساتها، لأننا نعيش بأساليب كانت منسجمة مع أمّة لم يبق منها أحد، وقد انتهت، وحدثت اُمّة أخرى ذات أفكار أخرى، ذات اتجاهات أخرى، ذات ظروف وملابسات أخرى...)، (... وحينئذٍ من الطبيعي أن لا نوفّق في العلم، لأننا تعاملنا مع أمة ماتت والأمة الحية لا نتعامل معها، ومهما يكن لنا من تأثير سوف يكون هذا التأثير سلبياً لان موضوع العمل غير موجود في الخارج، موضوع العمل ميّت، والموجود في الخارج لا نتعامل معه...).

❊ (أليس بالإمكان أن يفكر مئات العلماء الذين جاءوا بعد الشهيد الأول إلى الآن أو مئات العلماء الموجودون فعلاً... أليس بالإمكان أن يفكر هؤلاء المئات من العلماء في تصوير أساليب الشهيد الأول... في تحسينها؟... في تنقيتها؟... في تطويرها؟!! أليس بالإمكان هذا؟؟) إلى ان يقول مستغيثاً :

«أهي هي؟! أن تبقى بحدودها التي كانت في أيام المماليك... هذا جزء من وظيفتنا، لاننا ندرس العلم للعمل، ولا ندرس العلم لكي نجمّده في رؤوسنا.. نحن ورثة الأنبياء بحسب زعمنا... الأنبياء عاملون قبل ان يكونوا علماء... هم علماء لكي يكونوا عاملين، وليس عالمين من دون عمل...) ثم يصرخ بأعلى صوته :

«فاذا كنا نحن ورثة الأنبياء فيجب أن نفكر في أننا عالمون لكي نعمل، لاأننا عالمون لكي نعلم... يجب أن نطرح على أساتذتنا... على زملائنا... أن نطرح في كُلّ مكان هذه الأسئلة: ما هو العمل؟ كيف نعمل؟ ما هي أساليب العمل؟ كيف يمكن تجديد أساليب العمل بالشكل الذي ينسجم مع الأمة اليوم؟؟ نحن نتعامل مع عالم اليوم لا مع عالم المماليك...».

* (لماذا تعيش الحوزة العلمية في هذا البلد (النجف) مئات السنين ثم بعد هذا يظهر إفلاسها في نفس البلد الذي تعيش فيه؟! وإذا بأبناء هذا البلد أو ببعض أبناء هذا البلد يظهرون بمظهر الأعداء والحاقدين والحاسدين والمتربّصين بهذه الحوزة؟!!)...(ألا تفكّرون في أن هذه هي جريمتنا قبل أن تكون جريمتهم! في أن هذه هي مسؤوليتنا قبل أن تكون مسؤوليتهم...؟!).

* «... أنا منذ سنة، منذ أكثر من سنة، أتحدث مع الأخوان ومع الاعزاء، في أن كُلّ واحد من أهل العلم ـ كل واحد يكون له قدرة ـ لو كان يكوّن له مجلساً تبليغياً في النجف الأشرف يضم خمسة فقط لا أكثر... يضم هذا البقال الذي يشتري منه لبناً وهذا العطار الذي يشتري منه سكراً، وهذا الجار الذي يُسلم عليه عندما يخرج من بيته، يضم خمسة من هؤلاء... لو كان كلّ واحد من أهل العلم عنده مجلس تبليغي في يوم الجمعة بدلاً من أن يذهب إلى (شط) الكوفة ويسبح من الصبح إلى العصر. بدلاً من أن يُبذّر الوقت في ألف لهو ولهو، بدلاً من كل ذلك، لو أنه يستثمر جزءاً من هذا الوقت الذي يهدره لا في غرضٍ معقول، لو يستثمر جزءاً من هذا الوقت في تكوين مجلس تبليغي لخمسة من أبناء النجف... لو أن الف شخص من الطلبة كل واحد منهم يُكوّن مجلساً تبليغياً لخمسة، لكانت لدينا قاعدة

شعبية مكّونة من خمسة آلاف. ولأحس الناس من أبناء البلد بأننا نتعامل معهم، إننا نفكر فيهم ـ أننا نعطيهم، إن وجودنا مرتبط بوجودهم، أن حياتنا مصدر خير لهم، مصدر عطاء لهم، لكننا لم نتعامل معهم، لم نتفاعل معهم، ومن الطبيعي أنْ لا يتعاملوا معنا إذا كنا لا نتعامل معهم، إذن، لابد لنا أن نفكر في تغيير أساليب العمل. ولابد لنا دائماً ان نفكر في الجواب على السؤال التالي: ما هي افضل أساليب العمل؟» .

* (كُلّ واحد منا يجب أن يحاسب نفسه قبل ان يدخل في محاسبة الآخرين، يجب أن يتأمل في آلامه، في انفعالاته النفسية، هل هي انفعالات لله أم انفعالات لمصالحه؟ فاذا كانت انفعالاته لمصالحه، فيجب أن لا يرجو من الله شيئاً، يجب أن لا يرجو حتى الثواب لأنه يتألم لنفسه لا لله؟فلماذا يُثيبه الله؟ على ماذا يثيبه الله؟؟).

السيد الصدر ﷺ، والمنبر الحسيني:

ذكرنا سابقاً ان المنبر الحسيني كان من ضمن الأطروحة السياسية عند السيد الصدر ﷺ ولذا كان من أكثر العلماء تشجيعاً للخطباء (١) وحتى الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم، وتسديدهم وإرشادهم لأهمية المنبر الحسيني في الواقع العراقي. حتى كان يبعث ببعضهم إلى المناطق البعيدة عن المدن، في القرى والارياف بعد ان يعلم ان سكانها بحاجة ماسة إلى الدور التبليغي، وكان يعرف ان أثر الخطيب في هذه المناطق هو أكثر من دور المبلغ أو رجل الدين الذي لا يرتقي المنبر ويمارس الخطابة.

وبهذا الخصوص ذكر لي سماحة الخطيب الشيخ باقر المقدسي «ان السيد الصدر ﷺ هو من أسبق العلماء في تشجيع صنعة الخطابة، وكان يرى في الخطيب اللسان المعبر عن المرجعية الرشيدة بل هو الوسيط الأمين بين المرجعية والأمة» (٢) .

---

١ . كان السيد الصدر ﷺ في طفولته منشّداً إلى منبر الشيخ كاظم نوح في الكاظميّة لما عُرف عنه من صوت جميل وحماسة مثيرة، ويُعدّ من الخُطباء الواعين في المنبر الحسيني.

٢ . من لقاء مع سماحته بتاريخ ٢٠ شوال ١٤٢٤ هـ.

وهذه الظاهرة الفريدة ـ حقاً ـ لم يكن لها وجود في تاريخ المرجعيات في النجف الأشرف [١]، وكانت هناك فجوة واضحة وكبيرة بين العلماء والخطباء، ولا يوجد وئام بينهما خلا بعض الخطباء القريبين منهم والمحسوبين عليهم. وذلك لاسباب كثيرة، منها ان العلماء كانوا يرون في الخطيب، رجل منبر (روزخون) لا يجيد إلا القراءة وذكر المصيبة الحسينية، ولم يرونه فاضلاً بالعلم أو على اقل التقادير طالباً حوزوياً له ما يؤهله في الفقه والأصول، وهذا الجانب راجح جداً وسبب وجيه له مصاديق كثيرة فهناك من الخطباء مَن لا يجيد إلا المصيبة ولم يمتلك من العربية وعلومها ما يؤهله حتى لقراءة المصيبة نفسها بصورة صحيحة سوى انه يمتلك صوتاً جميلاً ومؤثراً، وكانت ظروف العراق آنذاك تتقبل اشكال هذا الخطيب لقلة وعيها وعدم ثقافة ذلك الجيل بالشكل الذي يتصدى لهذا الخطيب ويوقفه عند حدّه.

والسبب الآخر لهذه الفجوة وعدم الوئام بين الخطباء والعلماء، هو ان الخطباء في حالة استغناء دائم عن الموارد الّتي تصل العلماء والمراجع من حقوقٍ وغيرها.

وبقيت نظرة العلماء حول الخطيب سائدة ومستصحبة إلى ظهور السيد الصدر ﷺ، ففي هذه الفترة برز من الخطباء مَن وصل إلىٰ درجة (الاستاذ الفاضل) في كسبه للعلوم الاسلامية فضلاً عن تخرجه من كلية الفقه واستمراريته للتحصيل الدراسي الأكاديمي لنيل شهادة الماجستير والدكتوراه ولم يكن من هؤلاء إلا الشيخ الوائلي فهو أول خطيب يحصل على الشهادة الأكاديمية والعلوم الحوزوية. فالتطور في ثقافة الخطيب من مستلزمات التطور الحضاري، فالمعاصرة تطلبت من الخطيب أن يكون بالمستوى الذي يؤهله لأداء رسالته وسط مجتمعٍ سادت فيه الثقافة الفكرية والعقائدية وامتلك من الوعي ما يؤهله هو الآخر في محاججة الخطيب والوقوف على أبعاد الشبهات المثارة ومعالجتها بطريقة الدليل والحجة والبرهان.

---

١. في كربلاء كان المرجع المرحوم السيد محمد الشيرازي ﷺ يبعث بمجموعة من المبلغين اسبوعياً إلى المناطق العراقية الّتي تشكو فقر الثقافة الاسلامية.

وهذا ما حتم مؤخراً على الحوزات العلمية أن تعيد النظر في واقع الخطيب كي يواكب حركة التطور الفكري والثقافي المعاصر.

يذكر الشيخ محمد باقر المقدسي [1]: ان الشيخ الوائلي ﷺ: كان معجباً بالشهيد الصدر ﷺ أشد الأعجاب، وكان يدعو إلى مرجعيته، وكان يقول للآخرين، ماذا ترون فيه، وماذا تريدون منه أكثر من ذلك، وهل هناك أكثر منه زهداً وأكثر منه حرصاً على اموال المسلمين، فهل سمعتم عنه أو عن اهله أو أقربائه بشيءٍ من العبث بالأموال؟ لاحظوا اين يسكن الآن، يسكن في بيتٍ وقف... وهي مقبرة المامغاني».

حقاً ان هذا الرجل ـ الصدر الأول ﷺ ـ كان مثالاً للزهد، ومثالاً للمواساة والتحسس بهموم الآخرين والوقوف على احتياجاتهم وبدون مِنّةٍ أو حرجٍ لكراماتهم، فضلاً عما عُرف عنه بتفقده للفقراء والمستضعفين، ويوصي ويوصل بالخير لكل من يسمع به وبحالته من فاقةٍ وأذى. فكان بحق الإنسان العالم الفاضل العادل الذي جسد سيرة وخلق علي ﷺ بعد فارق زمني يبلغ أكثر من ١٤٠٠ عام.

أما ما يقوله الوائلي ﷺ عن اهتمامات السيد الصدر ﷺ بخصوص أهمية المنبر الحسيني، وتطلّعاته للارتقاء بهذه الوسيلة البليغة في التأثير، فيقول: كنت أتردد على مجلس آية الله الشهيد الصدر السيد محمد باقر تغمده الله برحمته، وخصوصاً بعد أن انتقل إلى دار المغمغاني الّتي فيها مقبرتهم والواقعة في مدخل سوق العمارة للقادم من مسجد آل الجواهري وكانت عادته الجلوس في ساعات معينة لاستقبال عامة الناس، أما من يختصهم

---

١ . هناك صُحبة قوية بين الشيخين (المقدسي والوائلي ﷺ)، فهناك أكثر من جامع بينهما، اولاً: النجف وحوزاتها، ثانياً: كلية الفقه حيث تخرّج منها الوائلي في دورتها الأولى، والمقدسي في دورتها الثالثة.

ثالثاً: الخطابة والمنبر الحسيني. وكان الشيخ المقدسي يقرأ المقدمة في مجالس الشيخ الوائلي ﷺ وقراءة المقدمة قبل الخطيب كانت من الأمور السائدة سابقاً، وللأسف لم نجد في وقتنا الحاضر اثراً لها، وهي من الأمور المستحسنة والجيدة لنشأة الخطيب وتعلمه.

برعايته فكانت لهم أوقات غير محددة وأعتقد أنّي كنت منهم. فكان يأنس بي ويبشّ في وجهي وإن كانت تلك سيرته مع الكل تتسم بالبشاشة والعفوية وعدم التكلف والوضوح الكامل ولكنّي كنت أشعر بنوعٍ خاص من التعامل معي وكان يطرح هموم الساحة من كُلّ أبعادها، ومن الهموم الّتي شغلت باله قضية المنبر الحسيني وكان يدعوني إلى تحمل شيء من مسؤولية المنبر ولو بعمل بسيط يتطور بعد ذلك، وبعد مداولات كثيرة انتهى الأمر إلى أن قال لك عليّ الأمور التالية:

١. أن أدمج خطباء المنبر بالحوزة العلمية حتى يحصلوا على ما يحصل عليه طالب العلم من مكاسبٍ مادية وروحية وعلمية وبذلك تزول كثيرة من المشاكل عن طريقهم.

٢. أن أعمل على ايجاد صيغة تؤمن لهم ضماناً لأيام عجزهم حتى لا يتعرضوا للذّلِ أو ضياع كما هو الوضع السائد.

٣. أن تكون لهم مؤسسة مركزية يصدرون عنها في مناهج موحدة وتوجيهات تصدر لهم في ذلك كما تعمل هذه المؤسسة على التعريف بهم في داخل العراق وخارجه ممّا يعطيهم زخماً ومكانة معترفاً بها وتكون المؤسسة تحت ظل المرجعية.

هذه هي العناوين الرئيسية ـ كما يقول الوائلي ﵀ ـ وفيها تفاصيل وملاحق تستوعب جوانب الفكرة، أما الذي عليك ـ يخاطبني ـ (والقول للوائلي)، فهو ان تضع خبرتك في هذا الميدان تحت أيدي طلاب هذه المؤسسة، وتتعاون مع زملائك الذين تعرفهم بالكفاءة لسد الثغرات المحتملة، وتقومون بادوار تنويه عن هذه المؤسسة في المجتمعات ذات الشأن وفي الوقت ذاته أن تستمرّوا في تطوير أنفسكم، هذه هي مجمل الخطوط العامة الّتي دار فيها الحديث مع الشهيد الصدر ﵁.

ثم يضيف الشيخ الوائلي ﵀: وانتهينا إلى أخذ فترة من الزمن للتوفر على دراسة ابعاد المسألة والعقبات المحتملة وطرق تذليلها وأسلوب العمل الممكن الذي تسمح به الأوضاع

وتهضمه، وقد دوّنت تفاصيل ذلك في وريقات تركتها في مكتبتي بالنجف ولا أعرف مصيرها.

ثم يضيف الوائلي واصفاً السيد الصدر ﵀ معدداً لمزاياه: وتابعت الموضوع معه يشجعني على ذلك صدره الرحب واستيعابه لمشاكل الساحة ووضوحه في المطارحة وشجاعته الّتي لا تعترف بالصعاب وفوق ذلك كلّه إيمان عميق ونزوع لخدمة الإسلام ومبادئ أهل البيت﵈ واستباق للوقت ينمّ عن شعوره واستلهامه لقصر المدة الّتي يعيشها فكأنه والشهادة على ميعاد، وكان ذلك قبل خروجي من العراق بأشهر وقبل استشهاده بسنتين وتتابعت الأحداث بعد ذلك فاضطرتني للخروج من العراق [1] إلى الكويت ثمّ إلى الشام وصورة المشروع ماثلة في ذهني والأمل والرغبة في زوال الغمة وإمكان تجسيد الفكرة يملأ جوانحي، ولكني فوجئت باعتقال الشهيد مع شقيقته الطاهرة ورجوت أن تكون سحابة عابرة، ولكن نزل علينا نبأ استشهاده نزول الصاعقة وشعرنا بفداحة الخطب وشراسة الهجمة واختفت عنا جبهة تشع بالايمان وفكر يفجر المعرفة وخلق يملأ الحياة طهراً، ورفعنا دماً طاهراً سال من أجل أن يعبد الله ولا تعبد الأوثان، ومن أجل أن يوحدّ المسلمون تحت لواء واحد وتطرد عنهم أصنام العصبية رفعناه لنضعه إلى جانب دماء آبائه الّتي سالت على نفس الدرب وسلكناه في قافلة تضمّ الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ولا حول ولا قوة إلا بالله، فانطوى الأمل وذهبت الفكرة وأحتُسبت مع حاملها عند الله وهو خيرٌ وأبقى.

بهذه الكلمات القيّمة والصادقة، عبر الوائلي ﵀ عن لوعته وألمه في خسران العالم الاسلامي لشخصية الشهيد الصدر ﵀، واكتفى ﵀ بهذه الكلمات الّتي سطرتها أنامله في

---

١ . كان خروجه من العراق عام ١٩٧٨ م. وأُعدم السيد الصدر ﵀ نيسان ١٩٨٠ م، وليس كما يقول الحاج حسين الشاكري في كتابه (ذكرياتي: ٣ / ٨٦ ـ ٨٧) على ان خروجه من العراق كان عام ١٩٧٠ م.

كتابه (تجاربي مع المنبر). مع كل ما تحمل من حُبّ وعشق وألمٍ وحزن واجلالٍ وتقدير.

وهنا يثار سؤال أو سؤلان، لماذا لم يسجل الوائلي ﵀ قصيدة بحق هذا الرجل ﵀ يثير فيها حماسة الأمة ويلهب مشاعرها؟ سيما وأنه كتب قصائد عديدة بحق آخرين لم تكن لهم منزلة علمية واجتماعية وسياسية كالشهيد الصدر ﵀!!

وأيضاً... لماذا زهد الشيخ الوائلي ﵀ بالسياسة والدخول في معتركاتها بعد خروجه من العراق عام ١٩٧٨ م؟ وفي قمة صراع الأمة مع النظام البعثي ؟

لاشك أنها من الاستفهامات الموضوعية والّتي نرى ضرورة اثارتها هنا والاجابة عليها بما تتطلب هذه الدراسة وما تحتم علينا من احتمالات:

١. ربّما يعتقد أن دخوله في المعترك السياسي وتصديه للموقع الذي يؤهله، قد يفسره المتصدون الآخرون منافسة أو صراعاً، وهذا ما يعرفه العاملون في الساحة الاسلامية.

٢. قد يكون الرجل ﵀ لا يمتلك القدرة على العمل السياسي، وهو عمل مجهد بطبيعة الحال، فضلاً عما يكتنفه من مواقف بالغة الصعوبة من أمور تتعلق بدماء وأعراض الناس وغيرها.

٣. قد يرى رسالته في المنبر وتأثيره من خلاله هو أقوى وأبلغ من التصدي للعمل السياسي.

٤. إن ضريبة التصدي السياسي ضريبة باهضة، فلن يستطيع إرضاء وإقناع أغلب التيارات السياسية، فكيف يحظىٰ بكل الآراء ويكسب رضى العاملين وأتباعهم، وهذا بطبيعة الحال يجعله فاقداً لجمهور كبير من الأمة وينتهي كما انتهىٰ بعض السياسيين، وفيما إذا أراد ان يمارس رسالته المنبرية ـ ثانيةً ـ فلن يجد ذلك التأثير فيما لو بقي بعيداً عن المعترك السياسي.

٥. أو ربّما كان يرى ان المعارضة العراقية هي أضعف من أن تسقط نظاماً كنظام صدام حسين ذلك النظام الإجرامي الذي لا نجد في قاموسه وأدبياته معنىً للرحمة دعْ عنك الدعم الذي كان يتلقّاه من أغلب الدول القوية في العالم.

٦. ليس كُلّ من برز وامتلك قلوب الناس له القابلية والطموح في العمل السياسي. نعم كان للوائلي ﵀ هِمّة تعبئة الأمة من خلال بث الوعي وشحذ الهمم بقصائده وأدبياته ومنبره.

اما لماذا لم يكتب قصيدة شعرية بحق السيد الصدر ﵀؟؟

فهذا ما لا يفهمه إلا الأدباء الحقيقيون لوحدهم. فعندما يُصاب الأديب المرهف الحس، بمن تعلق قلبه به، وشُغف به حبّاً وإعجاباً وتقديراً، تتعطل كُلّ جوارحه، وتتكسر كُلّ قوافي الشعر، وتتحطم نغماته، ويفقد اللفظ مضمونه وبريقه، ولم تتحدد هذه الحالة بفترةٍ زمنية واحدة. ويبقى شبح الشخصية ملاحقاً لن يبرح أن يفارقه، فتتعطل الشاعرية ويتجمد اللفظ وتموت المعاني.

ولا نريد أن نكتفي بهذا التبرير العاطفي والأدبي، وإنما حقيقة الرجل ﵀ لم يكن الشعر شاغله الأول، ولم يُعرف كشاعر بقدر ما عُرف أنه خطيب. وإن نَظَمَ الشعر وبرع فيه، ولكن لم يُعرف أنه شاعر بمعنى امتهان الشعر في استغلال كُلّ مناسبة وكُلّ حادثة.

ولكن يبقى الغريب في الأمر، أن أغلب الشخصيات الأدبية المرموقة الّتي جعلت دمشق موطناً في هجرتها كمصطفى جمال الدين وغيره من الاسلاميين المرموقين أهدوا ديوانهم الشعري وضاع منه الصدر ﵀!!، وهذا ما ينطبق بطبيعة الحال حتى على الجواهري وعبد الوهاب البياتي وآخرين من العلمانيين بعد أن رفعوا قيماً وشعارات مثل: (الحق)، (العروبة)، (العراقية)، فكان يحتم عليهم تمجيد هذا الرجل ﵀ طالما ملئت دواوينهم بالتغني بها، ولا ندري لعل الذي أصاب الاسلامين أصابهم أيضاً! فإطلالية الشام

وتأريخها قد يستحضر عندهم فواجع الحسين عليه السلام! فضاع من نتاجهم الصدر ﵀!!!

وهذا لا ينسحب إلى الشيخ الوائلي ﵀ الذي جعل من الشعر وسيلته الإعلامية في فضح جرائم النظام اضافة إلى منبره، فالوائلي ﵀ وفي قمة شراسة النظام الصدامي بعد انتفاضة شعبان / آذار ١٩٩١ م، خاطب بعض العرب والمسلمين بقصيدة تحت عنوان (عتاب الجراح) يصف بها حقيقة سياسة صدام حسين، فيقول:

كم تنسمتم هواءً أصغراً ... فيه مما أوقد الشيطان فحُّ

وتوسمتم صلاح الدين في ... بطل فيه من الأسلاف لمحُ

والتقت من حوله أذْرعكم ... مثلما التفَّ على الوديان طلحُ

وتهامت فوقه أموالكم ... وسلاحٌ ماله بالمجد فتحُ

هل لأهلينا شفار ولظىً ... ولإسرائيل ريحان وروحُ

قد زرعتم نبتة أعطتكم ... ثمراً مرّاً وما بالشوكِ قمحُ

فلا يمكن أن يكون خوف الوائلي ﵀ من النظام السبب في عدم كتابة القصيدة بحق السيد الصدر ﵀ وإلا لما واجه النظام بهذه القصيدة الواضحة والصريحة والّتي لا يشوبها التأويل ورغم وجود متعلقيه داخل العراق وتحت رقابة النظام.

وعلى ما أظّن أنه كان يعتقد: أن الصدر ﵀ لا يمكن أن يفيه حقه بقصيدة شعرية يساويه فيها بغيره، وبضع كلمات يسجلها للتأريخ، فزهد بالتأريخ لئلا يبقى في ضميره ما يؤلم ويوجع. فضلاً عن أنه لم يجعل منه رقماً تجارياً يزايد به مادياً ومعنوياً. كما فعل البعض ممن يحسب في صفوف تلامذته ومريديه.

الفصل الرابع

قضايا وهموم في الأدب

* آراء متضاربة حول الشعر
* من معالم تطور الحركة الشعرية في النجف الأشرف.
* الوائلي... أديباً... وشاعراً.

الفصل الرابع:

قضايا وهموم في الأدب

آراء متضاربة حول الشعر

* آراء في الشعر: نظرة عامة

يقول الكاب الإنجليزي (توماس بيكوك) في رسالته عن «أدوار الشعر» أن الشاعر في عصرنا هذا، هو نصف همجي يعيش في عصر المدنيّة؛ لأنّه يقيم في الزمن الخالي، ويرجع بخواطره وأفكاره وخوالجه وسوانحه إلى الأطوار الهمجية والعادات المهجورة والأساطير الأُولى، ويسير بذهنه كالسَّرطان إلى الوراء... ثم يقول (بيكوك) ـ أيضاً ـ: إنّ الشعر يمثّل طفولة الهيئة الاجتماعية... ومن المضحك في عصر النُّضج العلمي أن نعني بألاعيب طفولتنا، ونفسح لها موضعاً من شواغلنا، فإن هذا سُخف يشبه سخف الرجل الذي يشتغل بألاعيب الصبيان، ويبكي لينام على رنّة الأجراس الفضية![1].

وكذلك افلاطون في جمهوريته حيث قال: إن الشعر تقليد سخيف لا يليق بمقام الذكاء البشري.

في مقابل هذه الآراء هناك ما يخالفها تماماً، فيقول الأديب فيكتور هيجو في كتابه

---

١ . الدكتور بدوي أحمد طبانه: سوانح وآراء في الأدب والأدباء، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان: ١٧٣ .

(وليام شكسبير): «ينادي كثير من الناس في أيامنا هذه بأن الشعر قد أدبر زمانه، فما اغرب هذا القول!... الشعر أدبر زمانه! كأن هؤلاء القوم يقولون إن الورد لن ينبت بعد، وان الربيع قد صعّد أخر أنفاسه، وان الشمس كفت عن الشروق، وإن القمر لا ينتظر له ضياء بعد اليوم، والبلبل لا يغرِّد، والأسد لا يزمجر، والنسر لا يحوم في الفضاء، وإن تلال الألب والبرانيس قد اندكّت، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والإيقاع الحسان... كأنهم يقولون إنه لا أحد اليوم يبكي على قبر، ولا أم تحب وليدها، وإن أنوار السماء قد خمدت، وإن قلب الإنسان قد مات».

أمّا الأديب المصري عباس محمود العقاد في مقدّمة ديوانه «وهج الظهيرة» فنَّد مقالة أعداء الشعر، وأثبت أن الحياة لا تستغني عن هذا الفن الإنساني العريق وأن الإنسان مجبول على التشبث بهذا الفن ما دام هنالك حسّ وشعور، وما دام في الحياة ما يثير العواطف ويؤثِّر في النفوس .

ويقول العقاد راداً على (بيكوك) إن الذين يقولون إن فن الشعر قد مضى زمانه لأنّنا صرنا إلى عصر العلم أو عصر المدنيّة والحضارة، وقولهم أن الشعر أشبه بحياة البداوة والهمجية، وإنّه لا يناسب حياة المدنيّة الّتي يعيشها الإنسان في هذا الزمن، لأنّ مثيرات العاطفة والانفعال الّتي كانت تثير القدماء ما تزال موجودة، وماتزال تفعل فعلها في نفوس البشر ما دام الإنسان يحس ويشعر ويتذوق ويتخيل وينفعل بمظاهر الجمال الّتي يراها في الطبيعة والموجودات. ولقد انجلت اليوم عصابة الجهل عن حواسِّنا، ودرجنا من الهمجية إلى المدنيّة كما يقول العقاد الذي يستطرد فيقول: لكن الكون لم يصغر والدنيا اليوم أقل استحقاقاً لإعجابنا ودهشتنا مما كان في أعين الهمج الجاهليين! فهل من فضل المدنيّة على أبنائها الا يشعروا ببهجة الأزهار، وروعة البحار، أو ببهاء النجوم ووحشة الغيوم، وألا تتفتح نفوسهم لنضرة الوجوه المشرقة، ولا تطرب آذانهم الجداول المترقرقة، وعجيج الأواذيّ المتدفقة، وألا يأسفوا، ولا يحزنوا ولا يحبوا، ولا يبغضوا، ولا يتمنوا، ولا يتذكروا، تنزهاً عن

الهمجية وصوناً لكرامة المدنيّة؟ أم من فضلها عليهم أن يشعروا بهذه الأشياء ثمّ يسكتوا عن شعورهم بها مباهين بهذا الكم المبنيّ على ذلك المنطق الهمجي؟ أم ينطقون بها همساً لئلا يعترضوا مطارق المعامل ومقارع الآلات، ولئلا يحجبوا صفير القاطرات وأزيز المركبات الّتي لا ينبغي للمدني أن يطرب لغيرها أو يتنصت لصوت غير صوتها ؟

ويشير الدكتور بدوي أحمد طبانة... أن العقاد بحث في تقريره أو رسالته في مقدّمة ديوانه «وهج الظهيرة» ما نحا إليه علماء النفس في بحوثهم فيقول ـ العقاد ـ إذ أن الحواس هي منافذ المعرفة الّتي يتحقق بها الإدراك الذي ينشأ عن الشعور أو الوجدان، والاحساس الداخلي باللذة أو الألم، والرضا أو السخط، ثمّ تكون المرحلة الاخيرة من مراحل العقل أو مراحل الوعي وهي مرحلة الإرادة أو النزوع [١].

* القراءات الفقهية المتعددة حول الشعر وأغراضه :

تضمنت الحركة الشعرية في النجف الأشرف أغراضاً عديدة، وقد ظهر شعر الغزل بشكل مُلفت للنظر سيما وأن بعض الفقهاء الشعراء أخذوا ينظمونه، مما أثار إشكالاً في الوسط الحوزوي وبالأخص التشبيب بالفتيان!! إضافة إلى التغزل بالمرأة!! وقد أثيرت حول هذا اللون إشكالات فقهية تنازع فيه طرفان، أحدهما يرى عدم حُرمة هذا الغرض، والآخر يشترط الحرمة، فضلاً عن أن هناك من الفقهاء من يرى حُرمة الشعر عموماً. انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، فكان بعض الفقهاء يثيرون على الشعر مسألة (التخيّل) و (المبالغة) و (الكذب) ـ الأبيض طبعاً.

في المقابل هناك من الفقهاء من يحتج على ان الدين لا يتناقض مع الشعر، وإن الإسلام في أيامه الأولى استعان بالشعر والشعراء، حينما حشدت قريش حملتها الاعلامية

---

١. المصدر السابق: ١٦٠ ـ ١٦١.

ضد الرسول وصحبه كان شعراؤها أمثال (ابن خطل) و (ابن حُبابه) و (ابن الزِّبعرى) و (هبيرة بن أبي وهب) فالتف الناس حولهم فقال رسول الله: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟» فلما سمع حسان بن ثابت قول النبيّ، قال: «أنـا لهـا يـا رسول الله» وكان معه أيضاً (كعب بن مالك) و (عبد الله بن رواحة) حتى قال الرسول ﷺ فيهم: «هؤلاء النفر أشدَّ على قريش من نضح النبل» وقال ﷺ لحسان بن ثابت! «اهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، اهـجهم ومـعك جـبريل روح القدس، والق أبا بكر يعلّمك تلك الهنات» (١) .

ويقول جمال الدين ﷺ : ان رسول الله ﷺ عُرف عنه قائلاً «إن من البيان لسـحراً وإن من الشعر لحكمة» ويمضي جمال الدين يـبث شـجونه مـضطراً ومسـتغرباً مـن آراء المخالفين والمختلفين معه مؤكداً أن الرسول ﷺ كان ناقداً للشعر، حـينما قـال ﷺ: أشعر كلمة قالها لبيد:

ألا كلّ شيء ما خلا الله بـاطل وكـلّ نـعيم لا مـحالة زائـلُ

وقال رسول الله ﷺ: «أجدت لا يفضض الله فاك».

وأنه ﷺ كان يستمع لإنشاد الخنساء، فيستزيدها قائلا: «هبه يا خناس» (٢) .

ثمّ يقول جمال الدين «وما أدري لماذا يكون موقف الرجل المسلم من المرأة وحبه لها والتغزل بها، مختلفاً عن موقف نبيّه الكريم، الذي جعل حُبه لها (واحداً من ثلاث) وفي وصفه لهنّ بـ (القوارير) وفي تسميته لأُم المؤمنين عائشة ـ لاحظ ـ بـ (الحميراء) نغمة هي من جرس الغزل، بل إنّها ـ رضي الله عنها، وعفا عمن نقل ذلك عنها ـ كانت تصف بعض تغزّله بها، ولهوه معها، بما لا تستحي كتُب الحديث أن تذكره» (٣) .

---

١ . الديوان، مصطفى جمال الدين: ٧٨ .

٢ . الأصابة: ٨ / ٦٦ .

٣ . الديوان: ٨٢ ، مصطفى جمال الدين .

أمام هذه الإشكالية الفقهية وضمن أجواء مدينة النجف المحافظة لا زال الصراع والتنازع قائماً وإن لم يكن بالشكل الذي يوجب الفتوى إلّا أن بعض رجال الدين لا زال يلزم بحرمة الغزل دون توضيح مبررات الحُرمة إذا لم يكن عليه الإجماع بأنه «لهو»!!

فأصحاب الرأي الأدبي يكون لبعضهم بين الحين والآخر إشراقة غزلية تخرج عن طور البيئة النجفية المحافظة ـ والمجتمع الديني المنغلق. ففي أحدى حفلات الأعراس ـ والّتي تعتبر احدى الوسائل أو المتنفسات الّتي يستطيع الشاعر أن يعرض بضاعته ـ قرأ الدكتور عبد الرزاق محي الدين قصيدة أشبه بالموشح مطلعُها:

رَبَّـةَ الدلِّ خـففي مسـراكِ ... إن قلب المحبِ بين خطاكِ

وتضمنت القصيدة (دور) جريء جداً:

ادخـلي الحـقل أن نـهضت صـباحاً ... تـجدي الطـير كـيف يـعبد رَبَّـهْ

لا صـلاة سـوى الغـناء ولا صـو ... م سـوى أن يـطهّر العـبدُ قـلبَهْ!!

وحـياةٌ لو (تـهتدين) إليـها ... لتـركت القـصر المـنيف وصـحبَه

أمّا مصطفى جمال الدين فقد أصدر في أوائل السبعينات مجموعته الأولى بعنوان (عيناك... واللحن القديم) ومن احدى قصائد هذه المجموعة قصيدة (اللحن القديم) الّتي قدّم لها (لاحظ)!! «إلى الّتي وددتُ أن تكون لي كلّ شيء إلّا ابنتي» متمثلاً نفسه لحناً قديماً من الحان عبد الوهاب تعيد شبابه صبغة جديدة بصورة فيروز، وهو يهدي قصيدته لافيروزته) لعلّها تصنع به ما صنعت فيروز بـ(جارة الوادي).

قربي روحَك الرقـيقة مِـنّي ... ودعيني أنسى مَصارع فَـنّي

أنا يا حلوَتي شجيٌّ من الأنـ ... ـغام هيمانُ.. لم يُـمتَّع بأذْنِ

وأيضاً لاحظ قوله من قصيدة (حوار صامت):

وجـرى حـوارٌ تـحت مـائدةٍ ... دُرنـا عـليها، صـامِتٌ، عَـجِلُ

بَــــطَلاهُ: أقــدامٌ، تــناقرُ فــي شــجوٍ، كــما تــتناقَرُ الحَــجلُ
قــالت بــه قــدماكِ شــارحِةً مــا التــاث فـيه طـرفُكِ الوَجِـلُ
يــا أفــصح النــقراتِ تُــرسِلُها أنـــثى، فــيفهمَ لشــغَها رَجُــلُ
أتــعطلت كــلِماتُنا فــجرت بــين المـفاصلِ تـرقُصُ الجُـملُ
أم للــهوى، فــي كُــلّ جـارحـةٍ لغَـــةٌ بـــها الأرواح تــتصِلُ؟

أمّا الإمام محمّد حسين كاشف الغطاء (فبالإضافة إلى علمه وفقهه، فهو شاعر وأديب بارع، وناقد من أروع نقدة الشعر، فكان يقف إذا أعجبه إنشاد الشعر تكريماً لشعره)[١] وقد طُبع على شعره لمسات كثيرة من الغزل والخمريات والتشبيب، بل له قصائد كاملة في ذلك. ومنها:

لك الهــنا ولي الأفــراح والطربُ مــذ ساعفتنا بك الأمال والأرب
فقل لساقي الطلى خلِّ الكؤوس وان أميط عني في راحاتها النصب
هذي لماك وهذي ثغرك الشنب فما المحيا وما الأقداح والحبب
يــا جــنتي آه مــن نـارٍ مـؤججةٍ لوجنتيك السنا منها ولي اللهب
أعطاف قدك تصمي لا القنا السلب وسهم عينيك لا نبع ولا غرب
والصبح وجهك لكن فاقه وضحا والبرق ثغرك لكن فاته الشنب

وله أيضاً من روائع موشحاته الأندلسية

غــردي بــالبشر يــا ورق الهــنا وارتــقي مـنبر أغـصان الكـثيب
واخــطبي فــيه بأنــواع الغــنا واخــرسي كــلّ مـغن وخـطيب

***

---

١ . الديوان. جمال الدين المقدّمة.

وادر يـا سـاقي الخـمر الكـؤوس للـنـدامـى مـن عـصير الطـرب
فـي مـغان رقـصت فـيها النـفوس بـنعيم ليس بـالمستلب
أشـرقت فـيه وللانس شـموس وبـدت أقـداحـها كـالشهب
سـلبت عـنهن أبـراد العـنا واكـتست بـرداً من الزهـر قـثيب
وبـها مـذ صـدحت طـير الهـنا جـاوب القـمري فـيها العـندليب

***

أيـها النـازل فـي وادي الغـضا وبـقلبي شـبه مـن وجـنتيه
بـمريض اللـحظ قـلبي أمـرضا وشـفاه بـالذي فـي شـفتيه
أفـهل أنت عـلى مـا قـد مـضى مـن وثـيق العـهد أم لست عـليه
مـا تـذكرت ليـالي المـنحنى فـيك إلّا أوشك القـلب يـذوب
سـلبت مـن مـقلتيّ الوسـنا وانـقضت حـالفة ألا تـؤوب

وهناك أيضاً من أدب السيّد محمّد سعيد الحبوبي الفقيه المجاهد والأديب الشاعر الذي امتاز شعره بغزل وتشبيب وخمريات واضحة في الدلالة والمعنى حتى باتت الكثير من مقاطعه الشعرية تتغنى بها أجيال عديدة إلى يومنا هذا.

فضلاً عن أشعار الشريف الرضي[1] والمرتضى والغزالي وابن عربي وابن الفارض.

وبشكل عام كان فريق من الفقهاء الأدباء لا يرون حرمة في نظم الشعر أولاً، وبشكله

---

١. يقول السيّد الرضي في وصف الخمرة:

راحٌ يـحول شُـعَاعُها بـين الضّـمائر والعُـقُولِ
فكأنّـها فـي كأسـها والليـلُ مـنسحبُ الذّيـول
مـاء الهـجير مُـرقرقاً فـي سُـرةِ الظـلّ الظّـليلِ

المطلق وبكافة أغراضه وبالأخص شعر الغزل والتشبيب والخمريات. ففضلاً عن أن الشعر كان المتنفس الذي يلجأ إليه علماء الدين في جو النجف المحافظ وما تُملي عليهم طبيعة الحياة ومتطلباتها من الانغماس بالأجواء الفكرية والعبادية بالأخص، كُلّ ذلك فهي أجواء تبعد العالم الديني شيئاً ما عما يدور حوله وما يتطلع له المجتمع. فيأتي الشعر ترويحاً وتفريغاً لما تكتنفه الذات، وقد تكون بصورة يحاول من خلالها الفقيه أن يؤكّد قوة شاعريته أوّلاً ثمّ يظهر للمجتمع ـ أن رجل الدين ـ هو الآخر يمتلك قلباً وشعوراً واحساساً ينبض بالحب والمودة والتواصل، ولم يأخذ المحراب منه عاطفته ومشاعره وإنسانيته، أو بعبارة أخرى كان رجل الدين يحب أن يوصل رسالته إلى المجتمع بأنّه جزء منه يتفاعل معه في أحداثه المصيرية وبقية ما يتطلع له المجتمع من أحاسيس وضمير ووجدان وحب وكره سيما وقد كانت النظرة إلى رجل الدين توحي بانعزاله وتصوفه، بل كان البعض يعتقد أن رجل الدين رجل علم وعبادة وانطواء وانحسار والأكثر أنه يفتقر للأحاسيس والمشاعر الّتي يعتقد أنها جُمدت بألفية ابن مالك وتصخرت بعبارات الكفاية ونصوص الحكمة المتعالية. فتأتي النصوص الشعرية مجرد تقليد فني لا أكثر أي لم تعبر تعبيراً حقيقياً عن أعمال كاتبها وناظمها وهو عمل ذهني لا يعبر (أحياناً) عن معاناة حقيقية.

في المقابل يبحث بعض المفكرين والفقهاء نسبية الحُرمة أو الحرمة المطلقة على طبيعة نظم الشعر مطلقاً وعلى شعر الغزل خصوصاً انطلاقاً من تعامل أهل البيت عليهم السلام في حقل (الفن التشريعي) أو في حقل الحياة العامة يقول الدكتور محمود البستاني: يقودنا ذلك إلى القناعة بأن مباركتهم للشعر أو استشهادهم به أو حتى انشادهم أحياناً ـ كما أنشد الإمام الحسين عليه السلام.

لعَمرك إنني لأُحبُّ داراً ... تحل بها سكينةُ والربابُ
أحبهما وأبذل جُلّ مالي ... وليس للائمي عندي عتابُ

تبقى النظرة إلى الشعر من قبل أهل البيت عليهم السلام ليس من حيث كونه فناً، مموسقاً

ولحناً وخيالاً ومبالغة وتصوراً بل من حيث كونه مجرد أداة في التعبير عن الحقائق الّتي يتطلبها الموقف العابر، أي أن النظرة تبقى إلى الدلالة والمعنى وليس إلى الوسيلة الّتي جاءت بها الدلالة (كما أن تعقيباتهمعليهم السلام على قصائد الشعراء كانت منحصرة في الدلالة) حيث طالبوا بتغيير بعض الأفكار، وطالبوا بإضافة أفكار أُخرى دون أن يتعرضوا للجانب الفني من ذلك...)[1].

ويؤكّد أيضاً الأصحاب (المحافظون) على قول الشعر إن عدم قول المعصومين، الشعر بالقياس إلى النثر ينبغي أن لا ينحسر في كون النثر أيسر وسيلة توصيلية إلى الأذهان، بل يرى (المحافظون) أن الشعر بصفته عملية (إنفعالية) لا تتسم مع النضج الإنساني، وهو السبب الذي يفسر عدم ممارسة الإمام المعصوم له، أو اعتماده وسيلة توصيلية للمفاهيم الإسلامية.

بل يرى المحافظون ان التركيبة النفسية للشاعر (وهو متميز عن غيره بكونه يرث جهازاً فطرياً عن الحس الايقاعي يفتقده العادي من الناس) هذه التركيبة مصحوبة عادة باستجابة خاصة هي التعامل الايقاعي والصوري مع الآخرين أيضاً ـ(لاحظ)!! ـوليس مع التجربة الشعرية فحسب وانطلاقاً من هذه الرؤية يكون تعامل الشاعر لا يتناسب ولا يتناسق مع ما ينبغي أن تسلكه الشخصية الإسلامية السويّة والناضجة نتيجة ما ينضوي في ذات الشاعر من تعامل يسحب أثاره على استجابته الانفعالية حيال مطلق الظواهر.

ولذا يرون أن ما جاء من أراجيز وأناشيد ومقاطع شعرية (أغراض عابرة، وينم عن حالة استثنائية لأغراض من قبيل تحريض الجمهور لقضية مصيرية أو دخول ساحة معركة تتسم تلك (بالاستثناء) دون القاعدة) (مع ملاحظة أن الاستثناء لا غبار عليه بل قد يصبح ضرورياً، وبالمقابل فإن سلخ الاستثناء من طابعه وجعله سلوكاً عاماً يفضي إلى وقوع الشخصية في وهدة الانحراف على تفاوت درجته)[2].

---

١ . محمود البستاني، الإسلام والفن: ٣٣.

٢ . محمود البستاني، الإسلام والفن: ٣٤.

أمّا بما يخص الغزل والتشبيب والخمريات فيقول الدكتور البستاني: إذا قلنا بأن (الغزل) أو (التشبيب): إسلامياً لا غبار عليه، حينئذٍ لاغبار على تجسيده (فنياً) أيضاً، وأمّا إذا قلنا بأن ذلك لا يلتئم مع الخط الإسلامي: حينئذٍ فلا بدّ أن ينسحب ذلك على (الفن) أيضاً[1].

ثم يتساءل ـ الدكتور البستاني ـ عن الهدف من ممارسة هذا الغرض الجنسي، فهل يستهدف منه شدّ الآخرين إلى ممارسة هذا السلوك في عمل عبادي آخر؟ أو التشجيع على المسارعة بالزواج لمعايشة المفاتن والعواطف؟ ثمّ يقول ان الاسلام لا يقر على ذلك أيضاً بل يرسم لنا طرائق أُخرى لتحقيق هذه المهمة من خلال التوصيات على الزواج ومهمته البيولوجية والتناسلية .ويخلص بنتيجة مفادها... لا مسوغ على الإطلاق لممارسة سلوك فني (محظور شرعاً) أو لا أقل ـ لا فائدة فيه، في حين أن الاسلام يطالبنا بعمل جاد هادف، ويحذرنا من كلّ أشكال اللهو والعبث أو الفراغ أو مطلق السلوك الذي لا يحقق غرضاً عبادياً.

البستاني. ومن خلال مشروعه في أسلمة العلوم الانسانية أضفى على مشروعه لمسات فقهية بل كان في مواقف عديدة فقيهاً أكثر مما هو مفكر اسلامي وأديب، فله آراء استنباطية واستدلالية يستخرج بواسطتها الحكم الشرعي أمام أحكام ما تعارف عليها عند بعض الفقهاء، ولذا فإن البستاني الذي استعرضنا واستشهدنا بآرائه ـ هو واحد من فريق العلماء الذين يرون عدم جدوى الشعر والشعراء ـ كما تقدّم ـ.

أمام هذين الفريقين المختلفين والآراء المتضاربة حد الخلاف والاختلاف بين الفقهاء حول نظرة الفقه إلى الشعر، لم نجد ممن حسم هذا الخلاف والصراع من قدامى الفقهاء والمعاصرين سوى ما جاء في المجموعة الفقهية «ما وراء الفقه» للمرجع الديني الشهيد السيّد محمّد محمّد صادق الصدر ﷺ وبشكل موسّع ينم عن أن الفقيه كان شاعراً

---

١ . ن. م: ٣٩.

وقاصاً[١] فيعطي جميع الاحتمالات الفقهية تفريعاً وتجزيئاً لكُلّ حالةٍ يصنف فيها الغرض الشعري مع تأكيده الثابت على أن الأحكام الفقهية تشمل الشعر الملتزم، والشعر الحق بعيداً عما يُدعى جزافاً بالشعر أو النظم لشاعر أو شويعر أو شعرورر!!

أما كيف كان ينظر السيّد محمّد محمّد صادق الصدر ﷺ إلى الشعر؟ فيقول: إن الشعر الحقّ مصداق وتطبيق حقيقي لكثير من القواعد الشرعية الواضحة، كالعمل في سبيل الله، وحتى الجهاد في سبيله، وكذلك إقامة شعائر الدين، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك الهداية إلى دين الله، كما ورد في الحديث: لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس، وكذلك تعليم الجاهل وإثارة عاطفة الخامل تجاه ما يرضي اللهسبحانه ورسوله. ومن المعلوم أن كلّ تلك القواعد لا يفرق في تطبيقها الكلام نثراً أم شعراً، بل الشعر في كثير من الأحيان يكون أبلغ وأرسخ، ومن ثم يكون أوضح في انطباقه ومصداقيته لتلك القواعد المقدسة.

ومن أبلغ الأدلة الّتي يسوقها السيد محمد الصدر حول رجحان الشعر، بعد أن يذكر ستة موارد عن الأئمة عليهم السلام في قول الشعر [٢].

يقول السيد محمد الصدر: قد يخطر في البال: أن القرآن نفسه يقول عن النبي ﷺ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، وعدم تعليم الشعر له ﷺ كان يعني المعاني الحقيقية والأساسية للقرآن، وقد علّمه الله إياها، فإذا احتوى القرآن على الشعر إذن، فقد علّمه اللهالشعر ولو في ضمن القرآن نفسه مع العلم ان القرآن نفسه ينص على أنه ﷺ غير متعلم للشعر، إذن فالقرآن غير محتوٍ على الشعر .

١ . يُعرف عنه أنه شاعر من مؤيدي حركة التجديد، إذ كتب الشعر، وكان متأثراً ببدر شاكر السياب، كما كتب الرواية والقصة القصيرة، ونال درجة الاجتهاد وهو في بداية العشرينات من عمره ـ صحيفة الحياة ١ / آذار / مارس ١٩٩٩ م، نبيل الموسوي، وأيضاً كتاب مرجعية الميدان لعادل رؤوف: ٨١ .

٢ . راجع ما وراء الفقه، محمد الصدر: ١٠ / ١٠٧ ـ ١٠٨ .

ويضيف السيد محمد الصدر ﵀، ولكن يمكن أن نجيب على ذلك من وجوه أهمها:

الوجه الأول: إن المراد بالشعر في قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾، ليس الشعر المنظوم بل الباطل والضلال [1]. وإذا تمّ ذلك لم يلزم منه كلا الأمرين السابقين، بل أمكن أن ننسب الشعر بمعنى الكلام الموزون إلى القرآن وإلى النبي ﷺ أيضاً نفسه، كما نسب إليه ﷺ أنّه قال في عمه حمزة بن عبد المطلب ﵇ بعد أن قتل وقطعت أصبعه :

ما أنت إلا أصبع دحـيت   وفي سبيل الله مـا لقـيت

الوجه الثاني: إن المراد بالآية عدم تعليم النبي ﷺ قول الشعر ونـظمه، وهـذا لا يستلزم، عدم وجود الكلام الموزون في القرآن الكريم لانه ليس من قول النبي ﷺ على الحقيقة. ولا يستلزم عدم معرفته بما في الشعر سواء كان في القرآن الكريم أم غيره، لأن ذلك غير معنى صدور النظم عنه ﷺ .

ومن هنا قيل: إن البيت المشار إليه في الوجه الأول السابق، لم يقله النبي ﷺ على قصد الشعر والنظم بل على وجه النثر، وإنما أصبح شعراً على سبيل الصدفة، كما قيل مثل هذا الوجه بالنسبة إلى ما كان موزوناً من الكلام في القرآن الكريم. غير إننا عرفنا في الوجه الثاني إمكان نفي الشعر عن النبي ﷺ وليس في الإمكان نفيه عن القرآن الكريم، بعد أن وجدناه عياناً، مضافاً إلى قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيءٍ﴾ بحيث يشمل حتى الشعر. فلو لم يكن الشعر موجوداً في القرآن لكان ناقصاً من هذه الجهة ولما صدقت هذه الآية الكريمة، ومعه يتعين وجوده فيه، وقد عرفنا أن قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ لا يكون منافياً له .

ويروح السيد محمد الصدر ﵀ ليُعدد الكثير من الاستدلالات على رجحان الشعر بالحق وجواز الشعر بالمطلق. وبسياقٍ فقهي غاية في الدقة والعمق والشمول والاستيعاب

---

١ . راجع شرحه المفصل والدقيق حول الآية الكريمة ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، ن. م: ٩٦ .

وإذا كان ولابد، فهو الفقيه الرائد بهذا المجال .

أما صاحبنا ـ الوائلي ـ ﷺ ، فكان يرى في الشعر رسالةً بليغةً ومسؤوليةً كبيرةً لا يشوبها العبث والتوظيف اللامسوؤل، طالما أن الكلمة لها وقعها وأثرها في النفوس فيقول: «الكلمة الّتي تكون مقفّاة وموزونة فإنَّ وقعها على النفوس لا حدّ لتاثيره، وفي التراث التأريخي، والواقع المعاصر من الشواهد ما هو كفيل بالتدليل على ما ذكرنا، إنَّ الكلمة الشّعرية بالإضافة إلى كونها مكهربة عاطفيّاً: فإنَّها تأخذ وضعاً ملتزماً إذا أُحسِن توظيفها في مسارها الأُديولوجي وبذلك تخرج عن كونها مجرَّد إفراز عاطفي لتصبح ثمرة لمعاناة مقصودة ذات هدف محدّد، ولا منافاة بين ذلك ووظيفتها الجمالية أو الفنيّة كما يتصوّر البعض، بداهة أنَّ تغليب الجانب الفني الجمالي على الجانب الرسالي أو العكس إنما يحدّده التأكيد على أحد الجانبين دون أن يطمس هذا التأكيد معالم الجانب الآخر.

إنّ الشاعر في هذه الفترة الّتي نعيشها وفي كُلّ فترة كما أتصوّر في مسيس الحاجة لاتباع هذين الجانبين في الأثر الأدبي شعراًكان أو نثراً»[١] .

ويروح الوائلي ﷺ يترجم قوله بأبيات مموسقة يوضح فيها رسالة الشعر، ودوره في حياة الإنسان ولكن أيّ نوع من الشعر؟ هذا ما يوضحه الوائلي ﷺ في قوله :

قالوا بأنَّ الشّعر لهو مرفَّه ... وسبيلُ مرتزقٍ به يتذرَّعُ
وإذا تسامينا به فهو الصَّدى ... للنفس يلبس ما تريد ويخلع
إن تطرب الأرواح فهو غناؤها ... وإذا شجاها الحزن فهو الأدمعُ
فذروه حيث يعيش غرِّيداً على ... فَنَنٍ وملتاعاً يئِنُّ فيوجع
لا تطلبوا منه فما هو بالَّذي ... يبني ويهدم أو يضرُّ وينفع

١ . الوائلي، أحمد، الديوان، انتشار الشريف الرضي، المقدمة: ٧.

أكبرتُ دور الشِّعر عما صوَّروا وعرفتُ رزءَ الفكر في من لم يعوا
فالشِّعر أجَّج ألف نارٍ وانبرى يلوي أُنوف الظالمين ويجدع
لو شاء صاغ النَّجم عقداً ناصعاً يزهو به عنق أَرق وأَنصعُ
أو شاءَ ردَّ الرَّمل من نفحاته خضلاً بأنفاس الشذى يتضوَّع
أوشاءَ ردَّ اللَّيل في أسمارهِ واحات نورٍ تستشف وتلمع
أو شاء قاد من الشُّعوب كتائباً يعنو لها من كُلِّ أُفق مطلعُ

أما كيف يريد الشعر في ساعة الملمات فيقول ﷺ :

أنا لا أريد الشِّعر إن جدَّت بنا نُوبٌ يُخلِّي ما عناه ويقبع
أو أَن يوشِّي الكأس في سمر الهوى ليضاء ليل المترفين فيسطع
أو أن يُباع فيشتري إكليله تاج من المدح الكذوب مرصَّع
لكن أُريد الشعر وهو بدربنا مجدٌ وسيف في الكفاح وأَدرعُ

* من معالم تطور الحركة الشعرية في النجف الأشرف

نشأت الحركة الشعرية في بيئة النجف الأشرف توافقاً وتزامناً مع نشوء الحركة العلمية فيها، إن لم نقل إنّها ولدت كنتيجة حتمية من خلال متطلبات المذهب الشيعي، في فسح مجال الاجتهاد والذي بدوره يتطلب ـ الممارسة والتمعن والتفهم للنصوص الأدبية مع الوقوف على اللفظ وتعدد دلائله. ولذا يعتقد الفقهاء ان القدر التام في إلمام العلوم العربية وآدابها وأساليبها البلاغية والتعبيرية من المنطلقات الأساسية للدخول إلى عالم الاستنباط ـ ويذكر أن عبد الله بن عباس ـ حَبْر الأمّة ـ يقول: «إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه، فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب» [(١)].

ونقل ابن القيم الجوزية [(٢)] عن الإمام محمّد بن إدريس الشافعي ـ وهو من أوائل من كتبوا في أُصول الفقه ـ قوله: «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلّا رجلاً عارفاً بكتاب الله ـ إلى أن يقول ـ ويكون بصيراً بالشعر، وما يحتاج إليه للسنة والقرآن» [(٣)].

ويؤكد الأستاذ علي الخاقاني على صيغة التوافق بين الحركتين العلمية والأدبية بشكل واضح ودقيق (يظهر لي بوضوح أن الأدب يتبع في توسعه الحركة العلمية، والنجف يومذاك قد ذاب أمام الحلّة في حركتها العلمية الدينية)[(٤)] حينما كانت الحلّة مركزاً مهماً وأساسياً في طلب العلوم الدينية قبل انتقال الحوزة الدينية إلى النجف ولعلّ هو السر في أننا

---

١ . د. مصطفى جمال الدين ـ الديوان ـ (المقدمة): ١٥ طبع بيروت دار المؤرخ العربي ١٩٩٥ م عن العمدة لأبن رشيق: ١ / ٣٠.

٢ . محمّد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، المعروف بأبن القيم الجوزية. من كبار علماء المسلمين ولد في دمشق عام ٩٦١ هـ وتوفي فيها سنة ٧٥١ تتلمذ على الشيخ ابن تيمية، له مؤلفات عديدة في الفقه والأصول وغيرها، ترجمه خير الدين الزركلي ـ الأعلام : ٦ / ٦٥ طبع بيروت دار العلم للملايين ١٩٧٦ ـ الطبعة السابعة .

٣ . ابن القيم الجوزية ـ أعلام الموقعين: ١٤٦ طبع مصر .

٤ . شعراء الغري ـ علي الخاقاني: ٢ / ٢٤ مقدّمة الكتاب ـ طبع النجف المطبعة الحيدرية ١٩٥٤ م.

نجد فطاحل الشعراء هم من أدباء العربية وأصحاب الخبرة في فلسفتها اللغوية الذين تخرجوا من مدارس ومراكز الدراسات الدينية، فالشبيبيان محمّد رضا، وباقر، وعلي الشرقي، ومحمّد مهدي الجواهري في النجف، وجميل الزهاوي ومعروف الرصافي في بغداد، وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات في الأزهر، وأبي القاسم الشابي في القيروان، وعمر أبو ريشه في حلب، وبدوي الجبل في جبلة سورية، والشيخ أحمد رضا في جبل عامل، وعبد الله العلائلي في بيروت وهو من خريجي الأزهر وأمثالهم.

على كلّ حال فإن الحركة الأدبية في النصف الأول من القرن الماضي في النجف كانت معبرة عن امتداد متصل لشعر العرب في عصور ازدهارهم الأدبي والفني إذ تسمع هناك ما يضاهي نبرات البحتري، وأبي تمام، والمتنبي، والشريفين ومهيار وغيرهم، فيطربك صفاء الأسلوب، وحلاوة الجرس، وطلاوة التنغيم، وتأخذك القوة والأصالة، ويحملك كلّ ذلك على القول جازماً: إن أزمان التخلف الفكري والأدبي لم تمس هذا النهر المتدفق الرقراق إلّا من حواشيه وضفافه، حيث تعيش على طول الجانبين الهادئين أحراش ضعيفة لا تجرؤ على اقتحام التيار، حتى لا يقصمها ويبددها، فهي موجودة في جوانب النهر الأدبي وجوداً هامشياً لا يمثل الجوهر، ولا يمت بأدنى صلة إليه [(١)].

ويعتقد أن بدايات الأدب النجفي تمحورت في بدايات القرن العاشر الهجري الذي احتوى على أوائل النصوص الأدبية «لأفراد يعدون بالأصابع ولكنهم ليس من الطبقة الّتي يعتد بأدبها» [(٢)] وهناك من يذهب إلى أخريات القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني

---

١ . محمّد بحر العلوم، الرابطة الأدبية صفحة مشرقة من تاريخ الحركة الأدبية في النجف، مجلة الفكر الجديد العدد ١٨ نيسان ٢٠٠٠ م. أرى في ذلك الكثير من المبالغة والسيّد بحر العلوم يعلم بهذه المبالغة ولذا اقتبس هذا المعنى ـ تحاشياً للتساؤل ـ من دراسة الدكتور عبد الصاحب الموسوي عن الشيخ اليعقوبي: ٧ أصدار مركز البحوث العربية الاسلامية ـ كندا طبع قم مطبعة ستارة ١٩٥ م .

٢ . م. ن: ١ / ٢ .

عشر «حين ظهر السيد بحر العلوم على مسرح الزعامة الدينية» فكان له الفضل الكبير في دفع عدد من الأعلام إلى قرض الشعر [١] إيماناً منه بأن الدراسات الدينية لا بدّ أن تنهض على الدراسات الأدبية، وأن فهم القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ وآل البيت عليهم السلام واستنباط الأحكام الشرعية منها يتوقف جدّياً على الفهم الأدبي. فشارك علماء الفقه والأصول بالدراسات الأدبية مشاركة فعلية في حين كان الفقهاء قبل ذلك يزهدون في الأدب. ويزهّدون الناس فيه، ويرون أن العمل الأدبي مما يضعف مقام رجل الدين [٢]، وقد أحيا الأدباء ـ آنذاك ـ العديد من المناسبات والّتي استطاعوا من خلالها عرض نتاجاتهم الأدبية وبأغراضٍ متعددة وبما يلائم وقع المناسبة، فنتجت من ذلك روح المنافسة والتباهي بين الأدباء، فـ (معركة الخميس) هي من أشهر تلك المنافسات الّتي حدثت في عهد السيِّد بحر العلوم وتلميذه الشيخ جعفر صاحب كاشف الغطاء، وقد شارك في هذه الحلبة الشهيرة أدباء من النجف والحلّة وبغداد، أمثال آل النحوي، ومحي الدين، وقفطان، والأعسم، والسيد أحمد العطار، والأزري، ونجف: وغيرهم.

ونعتقد أن وجود هذه الروح الشفافة في المناسبة والتباهي وما نجم عنها من نتاج أدبي وبزوغ الألمعية لعدد غير قليل من الأدباء لابّد وأن يكون قد سبق هذه المرحلة من أرضية مهّدت لهذا الوجود ـ الذي من المؤكّد لم يكن وليد ساعته ـ وهذا ما يدلل على صحة الرأي القائل: ان القرن العاشر هو الأساس الذي وجد فيه بعض النصوص الأدبية لأدباء قليلون [٣].

---

١. وقد أحصى المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي، في عصر السيد محمد مهدي بحر العلوم وحده (١٢١٢ هـ) ما لا يقل عن مائتي شاعر في مدينة النجف... د. مصطفى جمال الدين (الديوان): ١٦.

٢. الدكتور عبد الرزاق محي الدين ـ محاضرة في كلية الفقه ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ م.

٣. علي الخاقاني، شعراء الغري: ١ / ٢.

في الجو العلمي الأدبي وفي الفترة الّتي حضيت بتشجيع السيد بحر العلوم واهتمامه بالأدب والأدباء، عاد الطالب الحوزوي، ليس متوانياً لنفسه بنظم الشعر ونشره خصوصاً إذا توغل في دراسة الفقه وأصوله، وقد لمعت آنذاك أسماء عديدة من الفقهاء في فن الشعر وقرضه، برغم ما كان ينظر لهم ضمن نطاق المؤسسة الدينية: بأنهم أدباء متفقهون وليسوا فقهاء؟!! ولم تقتصر هذه النظرة على فترة السيد بحر العلوم، بل لازالت ممتدة وفاعلة إلى يومنا هذا وقد أكد السيد محمد حسين فضل الله هذا المفهوم ضمن أدبياته النجفية يومذاك وبأسلوب ملؤه الرقة والشفافية عَكَس به سمو المشاعر وترافة الروح الحانية والأحاسيس المرهفة، وهو يترع كؤوساً من الغصص القاسية ـ من الأمس ولازال ـ:

فما راعنى غير أفقٍ تموج ... بأعماقه ثورة داجيه
يقيّد فيه شعور الأديب ... وتطلق فيه اليد الجانيه
وتكبت في صدره نفثة ... تجيشُ بها روحه الساميه
ويجري وقد أثقلته القيود ... فيهوي على شفة الهاويه
وينشدُ آلامه القانيات ... ويُرسلها أنة باكيه
ويؤلمه الهزّء من جانبٍ ... وسخرية الناس من ناحيه
كأن الأديب عدوّ الحياة ... تجرعه الغصص القاسيه
يعيش بها عيشة البائسين ... ويشقىٰ بألحانه الغاليه

إلى أن يقول مبتغياً علاجاً لهذه النظرة الضيّقة، سيما أن الشاعر الملتزم رسول وهادي:

وإن بأشعاره آية ... تبين لها السبل الهاديه
وإن القيود بعنق الأبي ... كعقد الحلي على غانيه

فـــــراح يـــردّد ألحـــانه على مسمع الأعصر الآتيه
ويشدو بآيـاته السـائرات فتمسي الحياة بـها شـاديه

وله قصيدة أخرى يصرخُ فيها متسائلاً:

كـيف أسـمو إلى الحـقيقة حُـراً وكـــــياني مـــقيد مـــغلولُ
وحـــياتي شــلو تـــناهبه الريـــح وألوىٰ بـــــجانبيها الذبـــولُ
وصـــراع فـــي أفـق نـفسي يـجتا ح شـــعوري بـــه سـؤال طـويلُ!!

وبصورة عامَّة كان أغلب الفقهاء الأدباء هم من الطلبة العرب الذين أتقنوا بسـهولةٍ معالم اللغة وآدابها وأساليبها، كما هناك القليل من الطلبة الأعاجم الذين تركوا لمسات رائعة في الأدب والشعر النجفي بالأخص، الذين امتازوا عن غيرهم بفاعلية الذوق الذي ينطلق من فهم عناصر اللغة العربية. فالشاعر (الفارسي) (سعدي الشيرازي) الذي (كانت دراسته في العراق، ففيه حفظ القرآن وتلقى علوم التفسير والفقه والتوحيد والأدب، وكان أهم مـا عنى به هو شعر المتنبي، وعاد إلى بلده شيراز فصار متمكناً من العلوم العربية وآدابها، وفي كتاب الدكتور حسين علي محفوظ تخريج لأشعاره الفارسية الّتي اقـتبسها مـن القـرآن والحديث وكلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والحكم والأمثال العربية، ومن أشعار العرب الجاهلية والاسلاميين والأمويين)[١] ومن نظمه العربي في مدح النبيّ قوله:

بـــلغ العـــلى بكـــمالهِ كشـف الدجـى بـجماله
حسنت جـميع خـصالهِ صــــلّوا عـــليه وآله

ولكنّ رغم ظهور طبقة الفقهاء الأدباء وباقي الطلبة الحـوزويين، لم تُشكّـل هـذه الطبقة نسبة يُعتد بها على صعيد نسبتهم داخل المؤسسة الدينية أو نسبة الحالة الابداعية

١ . مراقد المعارف، محمّد حرز الدين: ٣٤٧ .

كما هو متوقع في بلد الشعر والشعراء، عراق الماء والخضراء والوجه الحسن.وقد تُعزىٰ هذه الحالة من الضمور والقلة إلى بعض الأساتذة من غير العرب الذين لم يتقنوا معالم اللغة وآدابها، بل يفتقرون إلى السليقة والروح الناقدة، فجاءت عباراتهم أكثر تعقيداً وطرقها لمواضيع لا طائل فيها كانت تأخذ من الطالب جل وقته في تفكيكها واستدراج معانيها في سبيل فهمها وهضمها.

ولكنّ واقع الحال الفعلي ورغم ما أعاق الحركة الأدبية من تأثيرات جانبية، فهي دائمة، وبقيت في تطورٍ واضح وملموس، وقد ساهمت دروس مرحلة المقدّمات في اكتساب صورة مجملة للاطلاع على معالم اللغة، فكانت علوم (النحو، الصرف، المعاني، البيان، البديع) تكثر فيها الشواهد الشعرية والرجز الذي يكفل نصوص المتون[١].

وبصورة تلقائية ـلا شعورية أحياناً ـ يكتمل خزين شعري ورغبة نغميّة في التقليد تأخذ من شعور (الدارس) موقعاً يكاد يتفتح عن قريحة شاعرية تنم من استسقاء عوامل مشجعة، وللتصوير الدقيق عن المعطيات التأريخية لأدب النجف، يمكن القول أن الحركة الأدبية أصيبت بفتور واضح ـ وبشكل خاص ـ ابان ابتعاد السيّد الحبوبي عن قرض الشعر في أواخر القرن الثالث عشر. ثُمَّ أعقبت طبقات الشعراء المتعددة في مراحل متعاقبة زمنياً رفعت بالحركة الأدبية، للتفاوت الفاصل بينها وبين من سبقها من طبقة الشعراء، ومن ذلك نرى الوضوح والتميز متيسرين بين الفينة والأخرى في نوعية الولادات المتميزة في إنجاب وظهور الشعراء.

فالأدب النجفي حظي بمعالم أساسية خاصة في بناء المدرسة الأدبية، إذن هو مدرسة النجف الشعرية والّتي مرّ شأنها شأن العديد من المدارس الفكرية والأدبية العالمية بعدة مراحل، ويقف على رأسها العامل البيئي الاجتماعي والسياسي الذي يعاصره الشاعر

---

١ . الخاقاني، م. س: ١ / ١٥ .

مع عملية توضيحية لمقدار تفاعله مع هذا الظرف وملابساته، والتطور الحاصل في تعاقب المراحل هو أسلوب الصياغة والتعبير، كما شمل العديد من أغراض الشعر، ومن ذلك تتضح صورة واقعية في دراسة الشعر النجفي في مرحلة ما قبل عهد الدستور وحوادث المشروطة والمستبدة فكان الشعر فيها كلاسيكياً لا ينم عن مرحلة النمو والابداع بقدر ما هو نظم موزون فُعرف بالتقليد. وبقيت الأساليب المتبعة في رسم الصورة مثلاً في غرضي المدح والرثاء لا تلمس فيها الصدق والحرارة والعاطفة والانفعال، وبات الغزل غرضاً يجتر معاناة وخمريات أبي نؤاس وغراميات ابن أبي ربيعة مع ثبوتية واقع الأسلوب التعبيري من حيث التشبيه والاستعارة ووحدة القصيدة، الشاعر النجفي بقي في هذه الفترة لا يعير وزناً وهمّاً لنقد أداته الشعرية وما تكتنفه من المعايير الأدبية الحاكمة لجودة القصيدة بل كان مهتماً اهتماماً كبيراً في استمالة المتلقي، ولذا أصبح النظم الشعري يحمل روحاً وحساً خطابياً يقترب إلى الحالة النثرية التقريرية أكثر منه إلى الشعر الذي يخضع لمفردات الوزن والقافية احياناً.

وهناك من بقي راسخاً في تقليد شعراء الفترة المظلمة وبقي يدور في فلكها رغم ركاكة بناء المفردات، ومنهم من تطبّع إلى التأثر والاقتباس للأساليب الأدبية القديمة من الشعر الأندلسي والعباسي أمثال محمّد سعيد الحبوبي، وجعفر الحلّي، وجواد الشبيبي، ورضا الهندي، وموسى الطالقاني، وعبد الحسين الحلّي وغيرهم، فهم مثّلوا نهضة أدبية وقدموا ثقافة عصرهم بأفضل ما يستطيعون تقديمه.

وأخذ العامل السياسي دوراً مهماً في تغيير معالم النهضة الأدبية في النجف. وخضع العقل النجفي إلى حالة التلاقح بالأفكار الجديدة والّتي سرعان ما تسابق على توظيفها والاعتقاد بها أغلب الأدباء النجفيين ابتغاءً لكسر طوق العزلة الفكرية الّتي كانت تعيشها النجف ومؤسساتها الدينية عن أحداث العالم، فظهرت الدعوة إلى تبني مفاهيم غريبة الأطوار امثال الحرية والاستقلال وتأسيس الحكم الوطني والحركات التحررية فضلاً عما

ساهمت به الأحداث الملتهبة سياسياً وفكرياً وتفاعلت معها طبقات المجتمع وبـالأخص رجال الدين تمثلاً بحركة المشروطة والمستبدة، وقد كان للنجف دور مـهم ومـتميز فـيها آثرت في تغيير نمط تفكير عدد كبير من رجال الدين فكانت المشروطة وأحداثها بـمثابة نقطة تحول وقفزة كبيرة في اتصال مثقفي النجف والعراق بمثقفي الدول العربية الأخـرى، وقد ظهرت بشكل واضح الثقافة الواردة في نتاجات رجال ذلك العصر أمثال محمّد رضا الشبيبي وعلي الشرقي وأحمد الصافي وسعيد كمال الدين. والسيد محمود الحبوبي والشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ عـبد المـنعم الفـرطوسي والاسـتاذ صـالح الجـعفري الذي تجاوزت شهرته حدود النجف والعراق، كونه شاعراً موهوباً نشرت له الكثير من المجلات خارج العراق.

كان أُدباء النجف يستثمرون المناسبات الدينية في تـوظيف وعـرض مشـاعرهم وأحاسيسهم فضلاً عن المناسبات الّتي أقامتها «الرابطة الأدبية» سيما وأنها كانت تـحتفي بالشخصيات العلمية والفكرية الّتي تتوافد على النجف الأشرف، فمثلاً زار النجف الرئيس التونسي السابق الحبيب أبي رقيبة عام ١٩٤٨ م وكان حينذاك رئيساً للحزب الدسـتوري فحيّاه عميد الرابطة الشيخ اليعقوبي بقصيدة قال في مطلعها:

يـهدي لك التأهـيل والتـرحـيبا   شـعب مـحباً زرتـه وحـبيبا
حدّث عن الوضع الغريب بتونس   اوَ مـاترى وضـع العـراق غـريبا
وأجل لحاظك في البـلاد مسـائلاً   لو كـنت تـلقىٰ للسـؤال مـجيبا

وأيضاً حينما زار الدكتور زكـي مـبارك النـجف الأشـرف ١٩٣٧ م أنشـد الشـيخ الفرطوسي قصيدته محتفياً بالضيف موضّحاً الغرض الأسمى الذي تطمح له الشعوب، فمن أبياته:

يا نجل مصر ومن فـي كـلّ مـفخرة   إليـه تـنسب كأس السـبق والغـلب

هــذا العــراق إلى مــصر تــحيته … تــزف مـحفوفة بـالشوق والعـتب
فقل لمصر بما يـطوي العـراق ثـقي … من صبوة لسوى الإخلاص لم تشب
مــا فــرقت بــيننا للأجــنبي يـدٌ … لو كان قـد جـمعتنا وحـدة العـرب

إلى أن يقول:

يــا أمــة العـرب هـبي للـوفاق مـعي … واســـــتقبلي زُمــر الآمـــال والأرب
لتــصلحي كــلّ أمــر مـنك مـنشعب … بـــــالانفاق بـــــلا جـــهد ولا تـــعب
قــولي مــعي بـفم الاخـلاص هـاتفةً … بــوحدة الصــف تــحيا أمـة العـرب

أما الأديب صالح الجعفري الذي أخذت فلسطين من روحه الشيء الكبير حتى عاشها يقظةً وحُلماً وهو يبث شجونه بروحٍ اسلامية وعربية فيقول:

أجمعت أن لاتـرى إلا انـتصارا … أمــة لم تــقبل الضـيم شـعارا
واستماتت فــي هـوى أوطـانها … تحسب النوم عن الأوطان عـارا
لا تـــلوموها إذا مـــا جــندت … للوغى الأطفال، والغيد العذارى
فـهي لا تـرضى عـلى اسلامها … بــاليهودي لهــا خـــلا وجــارا

ثم يعاتب العرب والمسلمين على تقاعسهم لإنقاذ فلسطين:

ليت شــعري مــا الذي أقــعدنا … عـن فـلسطين ولم نشـحذ غـرارا
أوَلســـــنا أمــــة مســـلمة … أنســـينا الرحـــمة ديـناً وشـعارا
أفــليسوا فـــي الهـدى اخـوانـنا … أنســـينا حـــقهم حـــتى الجـوارا
أفــــــيهنينا نـــــعيم وارف … ودماء العرب قـد طـاحت جـبارا

وامتازت نصوصهم بمفاهيم رائعة حيث جعلوا الشعر أداة للعمل التحرري والمناداة

بالوحدة والديمقراطية والاستقلال. فهم طبقة رائدة رفعت شعار (الشعر للحياة) انطلاقاً من توظيف مطالب الشعب في أغلب نصوصهم، فضلاً عما جاء في نتاجات الشيخين محمّد جواد الجزائري ومحمّد رضا الشبيبي والّتي تُعد من النتاجات الّتي استطاعت أن تلفت الأنظار إليها وإليهم لما حملته من أفكار خاصة وجديدة كانت تُعدّ خروجاً على العرف المألوف من قبيل الدعوة إلى تحرير المرأة والانفتاح على المفاهيم الحديثة، نتيجة اطلاعهم وتفاعلهم مع ما تُصدره المطابع البيروتية وما ينشر في الصحف والمجلات.

فقد تزاحمت لديهم الرؤى في عملية النقد اللاذع للواقع الذي يسود النجف ـ آنذاك ـ فقد كانت الرؤيا نحو (التطلع إلى الدراسة الوظيفية الرسمية) من أكثر ما ميّزت هذه الطبقة إضافة إلى دعوتها السافرة إلىٰ تحرير المرأة، غير مبالين بطبيعة حشمة المجتمع النجفي، ولم يحفل البعض منهم (بما قد يجره ذلك إليه من نقمة المجتمع لا سيما الطبقة الروحية فيه).

فمن أعلام هذه الطبقة الشيخ باقر الشبيبي والذي كان أوّل من نادى بتحرير المرأة:

كيف ترجو نجاحها فئة كللتها البرود والسجفُ؟
من وراء الحجاب نسوتها تتهادى كأنها تحفُ
كلما أبصرت على كثب شبحاً للجديد ترتجفُ
تتحرى استقلال أمّتها اخسأوا أن ذلكم صلفُ
كم حصان تروح سافرة بالحيا والعفاف تلتحفُ
وعلى العكس مومس خطرت وعليها الدثار والقطفُ
لا تخلوا الحجاب يمنعها (لو أرادت) فذلكم سخفُ

ومن أُخرى له :

انظروا المرأة الّتي سلفت كيف أعلى مقامها الأوُلُ

فــهي تأتــي عكــاظ نــابغة　　وهي في الحــرب فــارس بـطلُ
وهــــي فــي بــيتها لأشــبلها　　مـــــرأة وفـــــي اللـــقا رجـــلُ
شـــاركت زوجــها بــمكسبها　　فـــهو يــمتازُ وهـــي تشـــتغلُ
قــــيّدوها بشــــر ســـلسلة　　ثـــم قـــالوا بــعقلها خـــللُ
ويـــــلكم لا ربــحتموا أبــداً　　كيف تـمشي ودربـها وحـلُ[1]

وكذلك هو محمّد مهدي الجوهري، ومحمّد طه الكرمي، ومحمّد عـلي اليـعقوبي، ومهدي الحجار وغيرهم.

كما إن هناك طبقة أُخرى منقسمة على نفسها إلى اتجاهين ـ تلت جـماعة (دعـوة تحرر المرأة) ـ ساهمت هي الأُخرى (مساهمة جادة في بـلورة النـتاج الأدبـي وتـطويره ولعبت دوراً هاماً في تنشيط حركة الشعر النجفي).

الاتجاه الأوّل: مثل اتجاه الشباب المـتمثل (بـروح التـمرد والثـورة والدعـوة إلى التجديد في الشعر والحياة) والتطلع إلى الرؤى والقيم الحديثة والمفاهيم المتجددة. تأثراً بما يصل مدينة النجف مما تلفظه المطابع في البلاد العربية من كتب ومجلات.

وقد ضم هذا الاتجاه شعراء الشباب أمـثال عـبد الرزاق مـحيي الديـن، ومـحمود الحبوبي، وصالح الجعفري، ومحمّد جواد السوداني إضافة إلى بعض الشيوخ الذين كـانوا يوجهون المسيرة ويضفون عليها من عطفهم وإمكاناتهم الشيء الكثير وعلى رأس هـؤلاء الشيخ جواد الشبيبي، ومن شعر الشبيبي السياسي الذي سجّل به موقفاً جريئاً:

ألا مـدرك هـذه البـلاد وأهـلها　　فقد لقيت من جور ساستنا جهدا
تــفرّغ أيــدينا لتــملأ جـيبها　　وتنهكنا جوعاً لنشبعها حمدا[2]

١ . الشاعر الثائر الشيخ محمّد باقر الشبيبي، عبد الرزاق الهلالي: ١٤٧ ـ ١٤٨ .
٢ . الشبيبي شاعراً، قصي سالم علوان: ٣٤٦ .

وقد تضمن نتاجه أيضاً روعة الصورة الرمزية قياساً لاقرانه، ومن ذلك:

هــــناك تأمّــلتُ الديــار مــواثــلاً تــغوّرن انشـــازاً وضـــقن رحــاباً
فأرســلت فــيهن الأمــاني فأخــفقت وســـرّحت فـــيهن الرجــاء فــخابا
وقــفتُ عــليها أنكت الأرض واجــماً وأضــرب فـي خـد الصعيد مـرابـا[١]

الاتجاه الثاني: وقد مثل (الشيوخ) ـ كما كان يطلق عليهم ـ وكان من أبرز سماتهم تقديس القديم والمحافظة على كلّ ما هو تراث، والدفاع عنه دون النظر إلى كلّ ما هو جدير والذي من الممكن أن يعاصر حركة الزمن، فقد كانت نظرتهم إلى التجديد والجديد بمنظار الشك والريبة.

وقد ضم شعراء الشيوخ أمثال إبراهيم اطيمش، وكاظم السوداني، ومحمّد رضا المظفر، وصادق ياسين، وعبد المهدي الاعرجي وغيرهم.

ومن نتاج إبراهيم اطيمش :

رقت مــن الدهــر يــا بشـراك أو قــاتُ للأُنس فـــيها إعـــادات وعـــاداتُ
وقــد تــجلت ريــاضُ البشـر نـاضرة تــجلى لخــمر الصــبا فــيهن كـاساتُ
والورقُ تــفصحُ عــن لحـن له رقـصت مــن الحســان غــداة اللــهو قــيْناتُ
والروض يــضحك عــن زهـر خـمائله مــطلولة فــوقها تــبكي العـماماتُ[٢]

وقد كان (للمناسبة) دور فاعل في عرض نتاج الفريقين ـ إضافة إلى الوادي والميادين الشعرية الأُخرى ـ وقد حضيت هذه الفترة بالعديد من الروائع والّتي لا يمكن أن يهملها الباحث في دراسته لحركة التطور في الشعر النجفي فهي بمثابة الحجر الأساس، وقد

١ . المصدر السابق: ٣٤٨ .
٢ . شعراء الغري، علي الخاقاني: ١ / ١٣٦ .

يرى المتلقي من خلال هذه الروائع أروع الصور الحية للحياة الأدبية والحرية الفكرية. فقد واكبت هذه المجموعة لاسيما الاتجاه الأوّل (التجديد) العديد من الأحداث معبرة عن شعورها الوطني والقومي ـ بصراحة ـ إضافة إلى مساهماتها في مختلف القضايا العربية والإسلامية والعالمية. وقد كان لسان حالها في مختلف الميادين عارضة بضاعتها المتجددة في سوح النوادي النجفية وجمعية الرابطة الأدبية ومختلف المجلات والصحف العراقية والعربية.

ففي هذه المرحلة ـ بالذات ـ كانت وليدة أدب جديد ناجم عن مخاض التأثر بحركة الشعر العربي والذي كانت من بوادره حركة الحداثة في الشعر العراقي أواخر عقد الاربعينات يوم كانت نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وبلند الحيدري والبياتي في عملية خضم الصراع الشكلي للقصيدة العربية.

إلا أن حداثة المضمون وحداثة الأسلوب الذي ينجم من السياق بانفراديته للشاعر كانت وليدة نجفية سابقة تبلورت في زحمة النتاج في طبقة أُخرى هي امتداد لمسيرة سبقتها في أسلوب النظم والصياغة وكان من أبرزها إبراهيم الوائلي، وعلي الصغير، وعبد المنعم الفرطوسي، ومحمّد جمال الهاشمي، ونوري شمس الدين ومحمّد بحر العلوم وغيرهم، فمن قصيدة بعنوان (إليها) للسيد محمد بحر العلوم.

لا تجزعي، فحياتك المكدودة الأنفاس رقاصة السطور
وضميرك اليقظ من مآسينا يثور
وغداً سينطلق الشعور
فترفلين كنسمةٍ عذراء تحضنها الزهور
وتوشوشين كنغمةٍ طفلية الإيقاع في الدنيا تمورُ
وتحلقين فراشة الأفراح في الروض النضير

وتقهقهين مع الغدير

وتزقزقين مع العصافير الوديعة في الوكور

وتشاركين مباهج الفلاح في الحقل المطير

وتمثلين البسمة البلهاء في ثغر الفقير

وتقاسمين وداعة الأطفال في الكوخ الصغير

لا تجزعي، لا تفزعي، لا تخضعي

فشعورك الوثاب زمجر بالنذير

ومع انطلاق النور في الفجر البشير

حتماً سينبثق المصير

وقد كانت لهذه الطبقة دور الريادة في ادخال المسرحية والقصة الشعرية في الشعر النجفي ويتمثل ذلك في (مرجريت) للصغير ومسرحيات محمّد جمال الهاشمي، كما نظم المرحوم محمّد أمين زين الدين أكثر من مسرحية رائعة.

أمّا المرحلة التي مرّ بها الشعراء في عقد الخمسينات، فاتسمت بتأثرها (بالشعر المهجري والحديث في الأسلوب والصياغة) إلّا أنها ارتكزت على صورة (النقد والتقييم) للواقع المعاصر لها، والّتي تبيّن لنا من خلال نصوصها عند البعض على عمق الحرية الفكرية وإطلاق العنان للشاعر في تشخيص مواقع الضعف، وإيجاد البدائل الإيجابية في مختلف المجالات لحياة المجتمع النجفي (الديني) فقد كانت أبرز الدعاوى، (الالتفات إلى تطوير الدراسة الدينية) وحسب متطلبات العصر. ولم ينجو شعراء هذه المرحلة من حالة التصادم مع أصحاب المحافظة على القديم ودعوتهم إلىٰ إبقاء القديم على قدمه. وقد دارت في تأبين الزعيم الديني محمّد رضا آل ياسين أهم معركة شارك فيها شباب تلك المرحلة أمثال

مصطفى جمال الدين، وصادق القاموسى والذين أسسو مع محالفيهم من الشعراء المتطلعين إلى التجديد (أسرة الأدب اليقظ) أمثال صالح الظالمي، ومحمّد الهجري، وجميل حيدر، ومحمّد حسين فضل الله، ومحمّد بحر العلوم، وضياء الخاقاني وحسين بحر العلوم وغيرهم.

فقد آثر الشاعر مصطفى جمال الدين أن يكون ناقداً (مجرّحاً) لاولئك الشيوخ!

صونوا (مناهجكم) تصونوا دينكم ... وابنو العقول يقم عليها مجمعُ

فالدين ليس يربُّه ويسوسه ... شيخٌ بمحراب الدجى يتضرعُ!!

إلى أن يختم قصيدته بدافع المقارنة بين الشيوخ والشباب منطلقاً من رؤى الشباب لحركة التجديد في المفهوم المعاصر لمعنى الدين استنباطاً واستقراءً من التاريخ الإسلامي في صدر الرسالة:

أنى سرى الداعي... فثمةَ معهدٌ ... يرتاد منبره اللبيبُ الأروعُ

وإذا فخرتُم بالمساجد أنّكُمْ ... عُمّارُها، فهم السُجود الرُكّعُ

هذا الجهادُ، فأين من عليائه ... جُبتٌ مخرَّقةٌ و (شيخٌ) مُهطعُ[1]

الغرض السياسي في الشعر النجفي

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾. لقد ثبَّت الربُّ، الكريم العدل مفهوماً منبثاً في سائر الأحكام والتشريعات، وهذا يعني أن أي حكم أو توجيه يتجرد من هذا المفهوم يحال إلى قشور واهية أو إلى قرارات وضعية لا تنم عن روح الدين ومبادئه ولا تتناسب مع منطلقات وتطلعات الاسلام الحقيقي وتنتهي إلى حالة تقنينات تتقنع بالإسلام، لأنّ روح الاسلام هو العدل وهو الحاكم على كلّ تشريع أو قيمة اخلاقية أي أن العدل ليس

١ . الديوان. مصطفى جمال الدين .

تابعاً ومعلولاً وإنّما يكون متبوعاً وعلة، وحسب تعبير الشهيد مرتضى مطهري «تقع العدالة في سياق سلسلة علل الأحكام، لا في سلسلة المعلولات. فليس ما يقوله الدين هو العدل، بل حيثما يكون العدل ينطق به الدين وهذا معنى كون العدالة معياراً للدين».

أمام هذا المفهوم لم نجد في التجربة السياسية الاسلامية مصاديق تؤكّد ذلك، حتى شاع الاستبداد وترسخ في المؤسسة الحاكمة، وقد حاول الكثير من المؤلفين تبرير وتسويغ جور الحاكم المستبد وشرعنة طاعته وتبرير جرائمه وموبقاته مهما كانت، إلى أن بلغ الأمر ببعضهم إلى القول بعدم جواز الخروج على الطاغية (يزيد) مع اعترافه بأنه كان (إماماً فاسقاً) لأن «الإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قول العلماء، بل لا يجوز الخروج عليه، لما في ذلك من إثارة الفتنة، ووقوع الهرج، وسفك الدماء الحرام، ونهب الأموال، و...»[١].

ومن ذلك شاعت الروح التسلطيّة وحُجّمت الكثير من الأمور الّتي ينبغي معالجتها ضمن مسار التجارب السياسية الاسلامية بل نحا المؤلفون في تأكيدهم حق طاعة السلطان وتبرير أعماله إلىٰ إضفاء هالة من القدسية عليه، فلا يسأل عما يفعل وعما يضطهد وكأن الناس قطيع من الأغنام والبلد ضيعة ورِثها.

أمام هذه الحالة، الأداة الشعرية يمكن لها أن توظف كأداة سياسية نافعة للحكم العادل والحكم الجائر على حد سواء. ولكن ما تسمو له الحركة العقلائية هو إعطاء دور للشعر السياسي في بناء ما أفسده الحاكم الجائر المستبد، ولنا في التاريخ الاسلامي شواهد كثيرة على حركة ودور الشعر السياسي (المعارض) لما له من تأثير في حركة الصراع العقائدي والسياسي الدائر بين الحقّ والباطل فالإمام زين العابدين عليه السلام مارس دور تعرية الحاكم الجائر ضمن نظريته ومنهجيته السياسية في مجتمعه الذي غلبت عليه ضبابية

١. ابن كثير البداية والنهاية: مج ٤ ج ٨ ص ٢٢٦.

الموقف واختلاط التصورات والرؤى، فكان لابدّ له عليه السلام من أن يخط منهجاً للتحرك في كشف زيف القراءات الفقهية والتشريعات الظالمة المضلّلة. فيقول عليه السلام في تشخيص القيادة السياسية:

ليت شعري هل عاقلٌ في الدياجي بات من فجعة الزمان يناجي
أنا نجل الإمام ما بال حقي ضائع بين عصبةٍ أعلاجِ

وله أيضاً:

لكم ما تدعون بغير حقّ إذا ميز الصحاح من المراضِ
عرفتم حقنا فجحدتمونا كما عُرف السواد من البياضِ
كتاب الله شاهدنا عليكم وقاضينا الإله فنعم قاضي

وله أيضاً عليه السلام فيما يخص تدهور الحالة الأخلاقية السياسية والاجتماعية، فيضفي الإمام لوناً من الرشد والتوجيه في نظمهِ النقدي:

وباد الآمرون بكلّ عرف فما عن منكر في الناس ناهي
وقعنا في البلايا والخطايا وفي زمن انتقاص واشتباه
تفانى الخير والصلحاء ذلوا وعزّ بذلّهم أهل السفاهِ
فصار الحرُّ للملوك عبداً فما للحر من قدر وجاهِ
فهذا شغله جمع ومنع وهذا غافل سكران لاهِ

وله في هذا السياق أيضاً:

ألم تر أن العرف قد مات أهله وأن الندى والجود ضمّهما قبرُ

علـى العـرف والجـود السـلام فـما بـقي   من العرف إلّا الرسم في النـاس والذكـرُ(١)

واستمر الشعر السياسي بين التألق والإخفاق في فترات متعاقبة خضوعاً لعوامل عدة، ويذكر السيّد محمود الموسوي البغدادي: أن العصر الأموي من العصور الّتي ارتفعت فيها بورصات عملات وأسهم الشعر السياسي... بل من أكثرها ارتفاعاً، ومن أسباب ذلك أن الغالبية من حكامه وأمرائه كانوا من الأدباء أو المتذوقين للأدب وكثير منهم كانوا من الشعراء المجدين. لما كان هناك شعراء بارعون من معارضي السلطة أو ممن كان ينقدها ولو نقداً يسيراً.(٢)

واستطراداً نقول ان الشعر النجفي لم يُغَيّب من أغراضه الهمَّ السياسي فمنذ أيام الميرزا المجدد محمّد حسن الشيرازي وما رافقها من أحداث سياسية ساخنة من قبيل الموقف التاريخي للميرزا في عملية فسخ امتياز الدخان في إيران، والّتي كان لفتواه الصدى المميّز والوقعة المؤثرة في نفوس المسلمين تحسساً للهم المشترك والروابط المصيرية بين المرجعية والأمة. ومن ذلك ادركت الدوائر الاستكبارية مدى تأثير الارتباط الروحي بين المسلمين والمؤسسة الدينية سيما وأن هذه المرجعية كانت البداية الأولى والانطلاقة المفاجئة في الدخول إلى المعترك وميدان المواجهة في التعايش مع هموم الأمة وطموحاتها... وبرغم ما أريد لها من محاولات نحو التغير الايوديولوجي الغربي خلاف ما تعتقد وتؤمن به من إسلام ووطن وحقوق.

فالمتتبع التأريخي يرى دور المرجعية (الرشيدة) في حركة الجهاد عام ١٩١٧م وفي ثورة العشرين ١٩٢٠م وما تلتها من أحداث دامية وساخنة حتى يومنا هذا، فقد أثبتت موقفاً صلباً في الجانب السياسي، مما جعل الدوائر الاستكبارية تحسب لهذا الأمر وتتعامل

---

١ . اقتبسنا الشواهد الشعرية للإمام زين العابدين عليه السلام من بحث «توظيف الشعر السياسي» للسيد محمود الموسوي البغدادي.

٢ . محمود الموسوي (البغدادي): (توظيف الشعر السياسي): ١ .

معه بكل دقّة في سياساتها تجاه العراق والأمة الاسلامية بشكل عام.

فالمرجعية الفاعلة (الناطقة) أصبحت مركزاً لاستقطاب كلّ القنوات الحياتية بعامل الإرادة الحرة والفطرة السليمة، فرغم كلّ مصاعب الزعيم الديني نرى الانفتاحية المنطقية نهجاً سامياً في إزالة الرواسب والأفكار الخانقة نحو الوحدة والتطلع العام لأمور المسلمين والشعوب بصورة عامة. وأثبتت وجوداً حاضراً في الجانب السياسي وفي ذات الوقت نرى العديد من المراجع جامعاً لكلّ النشاطات الحياتية المتعددة ففي مجال الثقافة والأدب يبرز المجدد الشيرازي (اعجوبة في أحاديثه وسعة مادته وجودة قريحته آية في ذكائه ودقة نظره وغوزه أديباً يحب الشعر وإنشاده ويجيز عليه ولذلك قصده الشعراء من سائر البلاد عرباً وعجماً وراجت بضاعة الأدب في أيامه[١]. لقد كان المجدد الشيرازي بارعاً في عملية التوظيف الرائعة والمزاوجة الناجحة بين الأدب والمرجعية بالقدر الذي أصبح الأدب يستخدم في تمجيد وابراز دور المرجعية الفاعلة في المجتمع [٢]، وقد كان هذا ناجماً من تطور المستوى الثقافي والأدبي نتيجة الاهتمام البالغ من المؤسسة الدينية ـ المرجعية ـ به وقد كان المرجع بذاته (يخلع) على الأديب والشاعر لمعرفته الثمن الحقيقي المعنوي لرسالة الكلمة الهادفة ومدى قوة التأثير النافذة في عملية التغيير. فقد كان التفاعل واضحاً وملموساً بين المرجعية والأدب إلّا أن دور الأدب ـ وبهذه الهدفية ـ برز بشكل كبير في دور المجدد الشيرازي لعوامل وأحداث تعلقت بفترة مرجعيته ـ إضافة إلى ما حملته روحه من شفافية اللون وحُسن الجمال ـ ومنها:

١. وتزامنت مرجعيته مع بداية النفوذ الاستعماري في البلدان الاسلامية وخاصة أن عهده مثّل نهاية العهد العثماني. وهذا العامل له انطباع متميز في نفوس المسلمين

١ . أعيان الشيعة: ٥ / ٣٠٤.

٢ . وهو من أيسر ما تجود به قريحة الشاعر الثائر في أبراز دور المرجعية الناطقة وأثرها في استشراف المستقبل.

بشكل عام والشعراء والأدباء بشكل خاص.

٢. قوة زعامته والّتي بدأت تبرز بشكل مؤثر في المجتمع المحلي والعالمي.

فالانتقالية في الحدث السياسي من العهد العثماني إلى بداية الاستعمار متمثلاً بالانجليز ودخولهم العراق تطلبت حالة توعية شاملة للأمة، لذلك نجد في هذه الفترة نمو الحركة الأدبية وبروز نخبة من أدباء متفقهين ومجتهدين إضافة إلى العديد من الفضلاء وطلبة العلوم الدينية الذين ساهموا وبشكل فاعل في إطلاق الكلمة الصادقة لصالح العملية التغييرية وفي إطار التصدي والمواجهة. ومن أمثلة هؤلاء: السيّد محمّد سعيد الحبوبي، وكاشف الغطاء الكبير ومن الفضلاء بيت القزويني في الحلّة. وغيرهم ممن ذكرهم الشيخ علي الخاقاني في شعراء الغري، والشيخ جعفر آل محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها. ولم تقتصر الموجة الثقافية وشعاع نورها الأدبي على حيز قطري ضيق، وإنّما أحدثت هذه الموجة نوعاً من التلاحم والتداخل الثقافي المشترك بين العديد من البلدان الإسلامية نتيجة تعدد الجنسيات المختلفة من طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف، وكذلك طبيعة الأحداث الحاصلة في البلدان الإسلامية المجاورة. فأخذ أدباء اللغات المختلفة بترجمة آداب اللغات الأُخرى كالعربي في ترجمة الأدب الفارسي والفارسي بترجمة الأدب العربي وهي محاولة فكرية للوصول إلى عمق المعالم الحاضرة في ذلك البلد من خلال سير الحدث السياسي والاجتماعي في آدابه. وهذه المحاولة لم تقصر بالطبع على طلبة الحوزة وإنّما لها وجود وحضور سابق عند الأدباء العرب. فنتاجات حافظ إبراهيم وأحمد شوقي في رباعياته وما كتبه طه حسين والدكتور حسين علي محفوظ، وما كتبه الشيخ صالح الجعفري وأخوه من رباعيات الأدب والأدب الفارسي بالأخص. وقد ظهرت من خلال هذا النتاج حالة التفاعل بين الأدب العربي والأدب الوافد. وبالخصوص الأدب الفارسي وعمق التأثر والتأثير المشترك بينه وبين الأدب العربي، وقد ظهرت تشكيلات أدبية ساهمت في نمو نهضة الشعر في النجف ومنها حركة منتدى النشر وجمعية الرابطة

الأدبية وجمعية التحرير الثقافي إضافة إلى الأمسيات والندوات العامة والخاصة[١] وقد ضمت تلك التجمعات شخصيات لامعة في تاريخ الأدب العربي أمثال محمّد مهدي البصير، وإبراهيم الوائلي، وعبد الرزاق محيي الدين، ومهدي الجواهري، وصالح بحر العلوم، وعبد الغني الخضري الذي كان يترأس جمعية التحرير الثقافي.

وقد انطبعت على أدبيات تلك الفترة لمسات عديدة مستجدة ولّدت حركة تجديدية في الشكل والمضمون بما احتوىٰ من جزئيات أدبية عصرية تماشياً مع حركة العصر وتطوره وكأنها تحصيل حاصل للواقع الحياتي ـ آنذاك ـ.

أو هي الرغبة الجامحة في انتزاع القديم واكسائه ثوباً جديداً متناغماً مع أحاسيس وخلجات الشاعر وكأن الجديد هو أكثر حرية وأكثر مساحة في التعبير عن مكنون المشاعر الجياشة بفيضها الشعري. فمن خلال دراسة تلك المرحلة ولدت لمحة سامية في الوقوف عليها وتبيانها كأثر مرحلي في النشوء وامتدادها إلى ما بعد. فالتيار الاسلامي هو الولادة الجديدة المعاصرة في جو الأدب، والذي بات من البوادر الأولى لنشوء الصحوّة، وحاجة ملحة لسد الفراغ السياسي بوجود معظم التيارات العلمانية وتأثر الشارع العراقي بتلك الأفكار المناهضة لمنهجية الفكر والشرع الإسلامي.

فبزوغ النخبة الواعية والمتفتحة على كافة الاصعدة الحياتية والتي معظمها من طلبة العلوم الدينية وبعض الاساتذة ،كان بمثابة فتيل وهاج يضيء الدروب المعتمة، فهم الشرارة الأُولى في الوعي السياسي الإسلامي وهم الشمس الّتي أمدت خيوطها لإضاءة العملية المنهجية في العمل السياسي والذي اتخذ الآن ـ طابعاً شعبياً بتوسيع قواعد العمل والانضمام إليه إضافة إلى حالة التوعية الدينية خارج نطاق التنظيم.

١ . الخاصة: أُنظر كتاب هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي: ١ / ١١، جلسات (يوم الاربعاء) في بيت السيّد مير علي أبو طبيخ.

فالمتمعّن في دراسة تاريخ الأدب، يرى البوادر الأُولى لنشأة التيار الاسلامي منذ مطلع القرن العشرين (والذي تحركت فيه كوامن النفوس لمواجهة الظرف الجديد الذي أخذ يغير الشعور الإسلامي الموحد إلى عنصرية تركية)[١].

فقد جسّد الشاعر الشيخ علي الشرقي هذا المفهوم الإسلامي حينما عاتب شهر تموز الذي صدر فيه الدستور العثماني بجهاد العرب ومؤازرته للاتراك حيثُ قال:

يا شهر تموز صرْحُ الجور منهدم ... والعدل فيك أقامت صرحه الأُمم

يا شهر تموز كم ماتت مجاهدة ... لنيل دستورها بل كم أُريق دم

يا شهر تموز ما نلنا رقيهم ... بل قد أحاطت بنا الأحداث والأزم

يا شهر تموز هل خارت عزائمنا ... عن الجهاد أم الأقوام غيرهم

فقال: مهلاً فما في القوم من همم ... (واحر قلباه ممن قلبه شبم)[٢]

الحياة السياسية في العراق أملت على الشاعر تكوين الرؤى المستقبلية وخاصة الأديب الاسلامي فقد استمد رؤى استنباطية من صميم المذهب التشريعي كحالة أفضلية في تسنن المنهج الحياتي. ولذلك فإن ولادة التيار الإسلامي في الأدب هو حصيلة الصراع الفكري ـ الايديولوجي ـ الذي حمل مجمل معاناة الشيعة على مَرّ التاريخ. فالولادة ظاهرة ـ وأن كانت هي امتداد عهود سابقة ـ في نتاج الأدباء ومنذ الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر وامتداداً إلى وقتنا الحاضر، فالتسلسل الزمني بصحبة الأحداث أنجب الكثير من الشعراء وعلى مختلف المستويات العلمية داخل الحوزة وخارجها فكانوا رُسل التبشير الثوري التغييري بالمبادئ والسنن الإلهية بمثابة رد الفعل الايجابي على مصالح القوى الأرضية والتسلطيّة. والناجم عن المحن والويلات والبلاء الذي عمَّ أرض العراق

---

١. علي الشرقي حياته وأدبه، عبد الحسين مهدي عواد: ١٣.

٢. المصدر السابق .

وحواضرها المقدسة، فالتأريخ الأدبي هو حصيلة هذا الصراع وثمرة أغنت رفوف المكتبة الأدبية ـ محلياً وعالمياً ـ بفطاحل الخيال وحكمة العقل والقيادة، تنغماً في تأجيج المشاعر، وتحرّقاً للهيب الكلمة الهادفة، من أجل تطبيق الشريعة السمحاء. والحفاظ على وحدة الوطن من دنس الغزاة الاتراك والانجليز الذين دخلوا العراق تحت ستار الشعارات المختلفة في كسب عطف جماهير الشعب. وأخطر ما كان هو الدور التركي في تتريك العرب العراقيين، حتى بات العراقيون يعملون على تقويض أركان الحكومة العثمانية من العراق فكان لهم ضلع في أكثر الحوادث الّتي حدثت. وأريد بها طرد الأتراك، كحادثة كربلاء في منتصف شعبان سنة ١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٥ م وكارثة الحلّة في منتصف شوال ١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٥م) [١]. كلّ هذه الأحداث جعلت جيل الشعراء يعيدون النظر في واقع الحكم العثماني ـ التركي ـ في العراق فقد نظم الشيخ الشبيبي قصيدته (شكوى وعتاب).

يا من يعزُّ علينا أن نؤنبهم ... في حيث لا ينفع التأنيب والعذلُ
جفوتمونا وقلتم: نحن ساستكم ... مُنىً مطيتها الإخفاق والفشل
كم تذنبون لنا ذنباً فنعذركم ... لقد تقطعت الاعذار والعللُ
أما صفحنا عن الماضي لأعينكم؟ ... أما أديلت لكم أيامنا الأولُ؟
أما استجيشت كما شئتم كتائبنا؟ ... حتى تفايض منها السهلُ والجبلُ
أما مشت تذرع الدنيا؟ أما انقطعت ... بها المتايه والغيطان والسبلُ؟
أما أطاعوا؟ أمّا بروا؟ أما عطفوا؟ ... أما احتفوا بمواليهم؟ أما احتفلوا؟

وقد ذكر الشاعر في أبياته الثلاثة الأخيرة دور العراقيين في التعبئة والدفاع عن الدولة العثمانية في صدر الزحف الإنجليزي (معركة الشعيبة) والّتي كانت تقاد بحنكة رجال

---

١ . الشبيبي شاعراً، قضي سالم علوان: ٤٨ .

الدين من العلماء والمجتهدين الذين شاركوا مشاركة فعلية جسدوا بها واقع القتال الفعلي المجابه.

وكذلك يتضح من نثر الشيخ محمّد رضا الشبيبي فعليّة العمل الحركي ومبادئه حيثُ قال في معرض حديثه عن الثوار وتشخيصهم: «فيهم عدد غير قليل من الزعماء والقادة يعدون نموذجاً في الغيرة على الشريعة السمحاء والتفاني في سبيل الإسلام والعطف على أماني الشعوب الشرقية...» ومن ذلك يتضح أن أغلب الأحداث السياسية الّتي مرت في العراق أبرزت دور الشعار والطموح الحقيقي لرغبة الشعب متمثلاً في الشريعة السمحاء. وقد عكس الأدباء ـ آنذاك ـ بصورة دقيقة عن الرغبات الجامحة في نفوس الثوارُ، ومن ذلك فحتمية الأدب مرآة صادقة في عرض هموم الواقع ومتطلباته، فلهذه الميزة الخاصة أهمية بالغة في التأثير على اشراك العقول المتفتحة و المتصدية في احتضان الأدب والانضمام إلى فريقه .

فالمرجعية (الناطقة) ورجال الحوزة المجتهدون ـ التقليديون ـ أصابهم التأثير العميق بالأحداث المتوالية بمأساتها في العراق وأثرها على المجتمع والدين.

فدورهما ـ المرجعية والعلماء ـ برز بشكل ميداني في مجال المواجهة وفي مجال الأدب، خلال حركة الجهاد عام ١٩١٧ م في معركة الشعيبة ضد الإنجليز، فقد كان السيّد محمّد سعيد الحبوبي علماً خفاقاً في سوح الجهاد متزعماً القيادة الدينية مائلاً للوقوف بوجه الحركة الاستعمارية رغم استعمارية الترك وسياسة التتريك للعراقيين.

وقد بَرع السيّد الحبوبي في تأجيج المشاعر ورفد الهمم مخاطباً بقصائده كافة العقول بمختلف مستوياته ومن خلال نظمه الحماسي تخللت الأغراض الأساسية والمؤمل عليها في التحقيق، فالغرض الإسلامي .. أو النفس الديني كان طابعاً غالباً على النظم الشعري في تلك الفترة.

لم ينتهِ دور الشعار الإسلامي في حركة الجهاد والمطالبة الحقيقية لما ينشده المجتمع آنذاك وإنّما الأصالة في المجتمع العراقي ومدى قوة التماسك الفكري الأصيل للمبادئ الإسلامية جعلت المجتمع العراقي على مر أحداثه المسايرة لحركة التأريخ الحديث رافعاً الشعار الإسلامي كمطلب حقيقي في تحقيق رغبات أفراده من مختلف الطوائف والمذاهب. وهذه الروحية الإسلامية جعلت الفرد العراقي ذا مساحة كبيرة في الطموح والتحقيق منطلقاً من أهمية الفكر الأصيل. فنرى الأديب العراقي يناصر الثورات التحررية في الجزائر، والمغرب العربي وفي فلسطين، ومصر، وإيران، والباكستان، وفيتنام وفي أي بقعة من بقاع العالم من أجل نصرة الإنسانية الّتي هي مطلب إسلامي أوّلاً. ومما يصبّ في هذا الاتجاه، ما قام به الأديب (عثمان سعدي) حيث جمع كلّ ما قاله الأدباء العراقيون وخاصة أدباء النجف في مؤازرة جهاد الشعب الجزائري، فخرج في مجلدين وكان ذلك بعد عام ١٩٥٨ م.

وقد انطلقت الاهتمامات والدراسات الأدبية لبعض الأدباء العراقيين من أوساط الحوزة العلمية كالدراسة التي قدّمها محمّد حسين الصغير تحت عنوان (فلسطين في الشعر النجفي) والتي استعرض فيها، دور فلسطين واهتمام العراقيين بقدسية هذه الأرض وشعبها العربي المسلم. عرض المشاعر الّتي جاشت بمأساوية الحدث، دالةً بذلك على عمق الترابط المشترك والجامع الأساسي المتمثل بالدين الإسلامي.

وبشكل عام كانت الروح العراقية مفعمة بالثورة والتطلع نحو الجديد والتجديد والرغبة في كسر الأطواق والهروب إلى عالم الحرية والانعتاق مع ما يتجلى من صور انسانية رائعة في تحسس آلام وأحوال الآخرين من شعوب العالم المضطهدة، ورغم هذه الفسحة المسموح بها في التعبير، فهي لم تكن في كلّ الفترات السياسية المتعاقبة دلالة خيّرة لانطلاق الأحاسيس والتعبير عما يكتنف المشاعر، بل كثير منها أصابها الفتور والانغلاق والحبس، وبالأخص في مرحلة الهيمنة البعثية.

* الوائلي... أديباً وشاعراً

قدّم الوائلي ﷺ نماذج رائعة من الأدب، سواء كان شعراً أو نثراً أو خطاباً.

فلن نجد في ادبه التعبيري الانشائي ما يدلل على أفتقاره، بل كانت العـبارة غـاية في الروعة والمتانة والرقّة والسمو ولن يجد القارئ ما يـعيقه عـن فـهم المـضامين الّـتي تحدث عنها ﷺ في كُلّ مؤلفاته فضلاً عما يجده من ديمومة المـتعة فـي الأسـلوب الذي يأخذ به غالباً إلى رحلة ممتعة مع ما يطرحه من أفكار وقيم، تـحدّث قـلب القـارئ قـبل ذهنه، فبلاغة التعبير وحرارة الصدق في الطرح ومتانة الاسلوب من مميزات نـثر الوائـلي الذي لا يخفى على كُلّ ذي لبٍ وقارئ فطن، حتى وان لم تكن له تجربة الإبحار في مرافئ الأدب.

وأما في بيان الخطبة فلا أعتقد أنّ هناك من يجحد حقّهُ، فهو الخطيب المفوّه، الذي خَبرَ لغته فأجاد، ولن يترك في بعض خطبه إلا ما هو قمة في السـجع والوصـف المـحبب الجميل، فيشد بحلاوة تعابيره ذهن السامع ويفعّل عاطفتهُ بحرارة عالية، على أثر الأجراس الموسيقية في اللفظ الذي ينتقيه الوائلي ﷺ انتقاءً منسجماً مع طبيعة الحدث، فيترك أثـره البالغ، فمن خطبةٍ له يقول فيها واصفاً الامام الحسين عليه السلام وثورته :

[الحسين عليه السلام سيف ينتضى عند الخطوب، ولواء ينشر إذا أستبد الطغيان وأُهدرت الكرامات].

وأُخرى [ان شلو الحسين الذي فرقته الرماح، ما آذى نفوس العظماء بقدر ما آذاهم تمزيق مضمون الحسين، فالاجساد خُلقت لتموت، و فـاتهم ان المـضمون لا يـموت ولا يقتل].

[وقف الحسين ليحفظ دماءً للمسلمين قد أُريـقت، وأعـراضـاً انـتهكت، وكـرامـةً سُحقت...].

اما في الشعر، فالوائلي شاعر، مرهف الحس والروح، ذكي الفؤاد، نقي الروح معتدل الذهن، يأخذ المتلقي بحرارة شعره الحرارة الصادقة، وكلماته الهادفة المعبّرة، وقد وهبهُ الله صوتاً جهورياً يُلهب العاطفة، ويُطرب النفوس.

ولن يخرج الوائلي ﷺ عن طور وأسلوب كبار شعراء مدينة النجف وهـي المـدينة الّتي حضنته ولادة وطفلاً وصبيّاً وشاباً وشيخا، فأخذ يعبُّ الشعرَ منذ بواكير عمره لما كان لهذه المدينة من أثرٍ في بلورة قابلياته، فكان محيطه خصباً لنظم الشعر ومما ساعدهُ اندكاكه واحتكاكه بأدباء النجف آنذاك وقراءته بشغف لاشعارهم ومنهم محمد مهدي الجواهري، ومحمد جواد الشبيبي ومحمد رضا الشبيبي وعبد الرزاق محي الدين ولمعاصريه أيضاً ومن خارج النجف أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومـعروف الرصـافي وجـميل صـدقي الزهاوي ومحمد سليمان الأحمد ـ بدوي الجبل ـ كـما كـانت قـراءتـه لأدبـاء مـتقدمين كالمتنبي والبحتري ومهيار الديلمي وابن حيوس والدمشقي والفرزدق وجرير والكـميت ودعبل الخزاعي والشريف الرضي، كما قرأ الترجمات المتوفرة لأشعار عمر الخيام وسعدي الشيرازي .

فكان لتأثره بمحيط النجف وبيئتها والوسط الادبي اثر بليغ في ابراز الفكرة والعاطفة المتدفقة في شعره، حيث عاش الوائلي ﷺ احداث عصره الاجتماعية والسياسية بـرهافة عالية في الحس واشتهرت بعض أشعاره بين طبقات الشعب وتتابعت روائعه تـروى بـين طلاب الأدب وعشاق الشعر، وقد نظم ﷺ في مجالات عديدة يمكن لنـا الوقـوف عـلى أغلبها وهي :

السياسة:

نظم الوائلي ﷺ قصائد عديدة في هذا الغرض استطاع فـيها ان يـجاري تـطلعات الشعب العراقي وأن يواجه الحكومات المتعاقبة الظالمة واستطاع أيضاً ان يستنهض الأمة

من سبات خيّم على كُلّ أصالتها في مرحلة حرجة من تاريخ العراق، كما انه وقف بقصائده يثير الهمم ويشد العزائم لأمةٍ احتفلت بتأريخ عظيم يوم وقفت:

ففي (الرميثةِ) من هاماتنا سمة ... وفي (الشعيبة) من أسلافنا نصبُ
و (العارضيات) امجاد مخلدة ... أضحى يحدّث عنها الدهر والكتب
فالجو طائرة والأرض قنبلة ... وبالجهات البواقي مدفع حربُ
وخضت بحراً دماء الصيد ترفده ... وما السفائن إلا الضمّر العرب
ثم انجلت وحشود من أحبتنا ... صرعى على القاع تسفي فوقها الترب
فذا قوام كأن الغصن منكسر ... وذاك وجه كأن البدر محتجب
وتلك أمّ يلفّ الوجد أضلعها ... على جنين ابوه في العرا ترب
قد أفلت الأمل المنشود فهي على ... جمر من الألم المكبوت تضطربُ
حتى احتضنا امانينا وصار لنا ... بين الممالك من جاراتنا لقب
جاء الزعانف من حلف الفضول ومن ... أذنابه فأرانا اننا الذنب
أنحى بمنجله حصداً وخلّفنا ... لا سلّة يجتنى فيها ولا عنب(١)

وبقيت صورة العراق عالقةً في ذهنه لما فعله الانجليز به ـ وإن لم يعش الشاعر أحداث ثورة العشرين ولكنه جنى اليأس والألم والمرارة في معاصرته للموجة الغاضبة الّتي اعقبت الثورة ـ ومن قصيدةٍ له وهو في لندن على نهر التايمس، يسترجع فيها الشاعر ذاكرته لمشاهد الفقر والحرمان والأسى الذي سببه الانجليز في العراق، فيخاطب النهر قائلاً:

---

١. من قصيدة للوائلي في رثاء السيد عيسى آل كمال الدين من رجالات ثورة العشرين (ولد عام ١٢٨٨ هـ) وتوفي ببغداد في ٢١ رمضان ١٣٧٢ هـ.

أتــذكر يــا شــاطئ التيمس شــواطئ مـن دمـنا تكـتسي
لنــا فــي مـناكـبها جـنة بــغير الأضـالع لم تـغرسِ
ولوعـــة أمٍ بـجنب القـتيل ودمـــع أب صـابرٍ مـؤتسي
فنحن مع الحـزن فـي مـجلسٍ وأنت مـع الورد فــي مـجلسِ
وإذ ليــل أكــواخـنا تستحيل كــواكب فــي ليـلة كـرسمس
وإذ عــرق الضـمَّر الكـادحين وذَوْب الحشــاشة والأنــفس
يعود هوىً فـي عـيون الحسـان وأشـــذاء فـي أعـين النـرجس
وإذ تــحضن التـرب أكـواخـنا ليُــفرش دربُك بـــالسندس
اتــذكر يــا شــاطئ التـيمس مـلاعب سـوطك فـي الأرؤسِ
وأنت بـــاجسادنا مـــخلب سـوى العـنق الحـرّ لم يـغرس
غرستم بها الحقد عند الشـعوب ويــابئس ذلك مـن مـغرس
ومــازال يــا مـنطق الابـتزاز لســانك للآن لم يـــخرسِ

وقد عاصر الشيخ الوائلي ﷺ سائر التطورات الفكرية والسياسية في العـراق، وقـد ذكرنا مواقفه وأشعاره بهذا الخصوص في الفصل الأول من هذا الكتاب، فراجع.

ومن قصائده السياسية، قصيدة (سـماسرة الحـرب) وهـي مـن قـصائده الحـزينة المعبرة عن الظروف المؤلمة الّتي كانت تمر بـه مـن خـلال صـور الكآبـة الّـتي فـرضتها الحرب:

ملأتم رباع الأرض بـالنوح والنـدب كـفاكـم دمـاءً يـا سـماسرة الحـربِ
لقــد مــلَّها وحش الفـلا وتـجشأت بطون الرّمال السمر من كثرة الشـرب

فأيــن عـصور هـذبت مـن غـرائـزٍ　　وسارت مع الانســان مـن أول الدرب
وعـدنا لدنـيا الغـاب فـي كُـلّ مـابها　　وحوشاً نغطي مخلب الوحش بالثوب
كـفاكـم دمـاءً يـا سـماسرة الحـرب　　دعـوها لرد الحـق والوطـن المسـبي
وللشــرف المــجني عــليه، فأمــة　　بـلا شـرف تـنداس بـالنعل كـالترب
وليست دمـــانا سـلعة تشــترونها　　ومــا للـدما أثـمان عـند ذوي اللب
لقــد بــعتم قـدس الدمـاء وطـهرها　　ببخسٍ من الأثـمان يـا أخـوة الذئب
وألقــيتمُ مــن أجـل دنـياً خسـيسة　　وحـفنة نـفطٍ الف يـوسف فـي الجبِّ
كـفاكـم دمـاءً يـا سـماسرة الحـرب　　أفــيكم قـلوب أم خـلقتم بـلا قـلب
ومن أجل ماذا؟ هـل هـناك (قـضية)　　تــراد ويُـضرىٰ دونـها المرء للـذبِّ

العاطفة

لقد عُرف عن الوائلي ﷺ حسّه المرهف وعاطفته الجيّاشة وسمو إنسانيته المُـتعبة بحرارة الشوق، فما مَرّ حدثاً عابراً إلا وقد نظَّم فيه تسجيلاً ادبياً دقيقاً. فمرّ عليه العيد وهو البعيد عن الأحبة والذكريات والوطن، فجاء مقلاً عليه بالهموم والأحزان:

ويا أيـها العـيد فـي غـربتي　　وددتُ طــبولك لم تــقرعِ
فما عاد وقعك فـي غـربتي　　سـبته الهـموم بـذي مـوقعِ
وللــهمّ فـعل يـعيد الحـياة　　أســىً والنــهار إلى أسـفع
سأبقى بحزني اغني النـجوم　　وأشرب خمريَ من أدمـعي
وأقتات طيف بلادي هـوىً　　قــويَّ الشكــيمة لم يـخنع

الحنين إلى النجف

يقول الوائلي ﵀: «وإليك يا بلدي، يا رملاً درجنا على عفره أطفالاً ونشقنا فيه رائحة الأم الرؤوم، ويا أفقاً شفّ حتى مازج الأرواح ولمعت فيه طيوف الحضارة في تألقٍ أخّاذ، ويا معهداً أغنى موائد المعرفة بعطاءٍ جزيل ورفد المسيرة الإسلامية بما يُسدد الخطى، يا روح علي ﵇ ومزاج آل محمد وهدي السائرين على دربهم يا فقه القرآن وآثار عدل القرآن، يا ومضات القرائح التي تخلب الألباب بأمواجها الزاهية، يا كُلّ هذا إليك على البعد:

فداء مالك لا تقطعي — حديثك للعين والمسمع
صليني به بالسما والصباح — وفي يقظاتي وفي مهجعي
فإني بايقاعه والرؤى — أهوّم في عالمٍ ممتع
وهل يُتّم القلب مثل الديار — هوى يوقظ الجمر بالأضلع
فلو عشت أشربُ من نبعه — بألف فم فيّ لم أشبع

هكذا كان يبكي حنيناً للنجف، وقد اعربت هذه القصيدة عن كامل نزعته الشوقيّة لها، ولعلها تكون مثواه الأخير، فقال:

رمال الغريّينْ يا لوحة — تشد الخيال إلى الأروعِ
إذا مرّ طيفك رق الخضيل — وأوحى إلى الذهن أن يربعي
يضمّخني بالشذى والسنا — ويحملني لمدىً أرفع
فاسرع بالأفق بين النجوم — وأرحل بالأسرع الأسرعِ
وأهبط حيث مسحت الثرى — بخدي في الوضع والموضعِ
وحيث أتوق إذا ما رحلت — بأن يك فيعفره مضجعي

فــثم خـزين مـن الذكـريات لو الرمــل يــذكرها أو يـعي

هناك المنى والهوى والشباب ومـــهد أصـولي والأفــرعِ

فـــيادار ليــلى حــنين إلى ربــاك يُـترجـم بـالأدمعِ[1]

ومن قصيدة يذكر فيها أهله وأحبابه، حينما وقفت الهـجرة بـينه حـائلاً لرؤيـتهم، تصاعدت لواعج الشوق تشكو مرارة البعد وشغف اللقاء، فأخذت سـحائب الكآبـة تـملأ عينيه:

أحبائي ما أقسى عـلى البـعد غـربتي وأعـــنف وقـــع الحـزن مـما أصـوِّرُ

وبــعض أحــبائي بــعيد وبـعضهم يُــغيَّب فــي عــفر التـراب ويُـقبر

وهيهات ان أسـلو وللـموت والنـوى مــعاولُ فـــي قــلبي تـحزّ وتـحفر

ولم يبق عندي غير رجع من الصـدى يـــريني طــيوفاً مـنكم ويـعبِّر

ولولاه مـــا عشت بـــقايا لنــابضٍ تــلازمه البـلوى فــيذوي ويـعصر

فيثقل عليه الحزن فيلتجئ إلى القوافي ويحملها همومه وآهاته:

تـــغرَّب حـــزني فـــاستحال اغـــانياً وقـــد يـــبدع الألحـــان حـزنٌ تـغربا

وعـــندي قـــوافٍ مـن هـموم حـملتها فـــما بـــعض شـعري غـيرهمٍّ تـعرّبا

ومـــا هـز أوتـار الحشـى مـثل لاعـج فأبكـــي كــما شــاء البكـاء واطـربا

---

١ . من دواوينه المخطوطة نشرت في كتاب (النجف الأشرف.. اسهامات في الحضارة الانسانية): ١ / ٢٥٢ ضمن مداخلة بعنوان التنوع الحضاري لمدينة النجف الأشرف .

وللحزن خمرٌ صاغ كُلّ ملاحم
وصالاً وهجراناً وعشقاً ترهّبا

تقلب بين الجمر والخمر خافقي
فيا لفؤاد بين ذين تقلبا

وأخلد للأحزان حتى عشقنه
وغازلنه إلفاً وترباً محببا

فعاش ولم يعرف سوى الحزن والجوى
فلو مرت الأفراح فيه تعجبا

الاغتراب والهجرة

شكلت الغربة في شعر الوائلي ﷺ اثراً عميقاً في ذاته فعكسها في شعره، وبهذا المضمون نستطيع ان نقول ان في اكثر شعر الوائلي المتأخر برزت الغربة تطفح في ابياته سيما وان فترة ثلاث وعشرين سنة عاشها بعيداً عن الوطن والنجف والأهل والأحبة كفيلة بان تجعل مشاعره وشاعريته تصدح بآلامها واحزانها المريرة مع كُلّ توقعات أمل زوالها وانتهائها. وعندما بَعُد أمل انقضائها راح يؤنس نفسه بها، ترويضاً مرّاً لكبح جماح آمال العودة، فيقول من قصيدةٍ :

وتؤنسني في غربة بعض ما بها
تغوّل عزمي واستراض جماحي

فقد نازلتني النائبات وهكذا
قطعتُ حياتي كُلّها بكفاحِ

تقصدن ضعفي حين لا من صلابة
ولا من مجن سابغ وسلاح

وأسلمني للوجد شلوا ممزقاً
أنيني انغامي ودمعي راحي

فبعض همومي يستجير ببعضها
وبعض جراحي يشتكي لجراحي

فلن يستطيع ان يعيد لنفسه هدوءها وسكينتها وهو بعيدٌ تاركاً أهله بيد سفاح العراق فلم يهدأ باله لحظة بما سوف يجري على اهله وأحبته، فلم يجد من وسيلة يلتزمها لتهدئه هذه النفس الّتي راحت بحق تتعبه كثيراً إلا ان يمد براحتيه صوب المسجد الحرام الذي بارك الله من حوله داعياً الله ضارعاً له بطرفٍ لم ترقأ فيه الدمعة، ولن تهدأ العبرة، ان يحفظ أهله من كُلّ سوء مردّه البعد والضنى والفراق الصعب الطويل، فيقول:

ولي وطن فيه أذوب وصبية ... بنيتهُمُ من أدمعي ودمائي
وكلهم قد مسه الضر والأذى ... وبات على قيد مع السجناءِ
بكفك يا رب المفاتيح كلها ... وناصية الأشرار والشرفاءِ
وانت وليّ فاكشف الضرّ والأسى ... فما ضرّ لو أكرمتني لِولائي
وما ضرّ لو أرسلت منك ارادة ... لتنهي احتكام القيد بالاسراء

ثم ينازعه الشوق لان يبذل نفسه في سبيل هذا الوطن العظيم الذي طفقت نفسه بالتعلق الشديد به، فلم يجد شيئاً ليخلص له سوى ان يبذل هذه النفس حتى يريحها من هذا العذاب الذي يحسسه بعدم الوفاء له:

بلدي يعيش أخو السلو بنعمةٍ ... وأنا أعيش البُعد في لأواءِ
حمّلت عيني والنجوم أليّةً ... أن يحرساك بعتمة الظلماءِ
ولو أن أضلاعي تفيك جعلتها ... سوراً يصونك من أذىً وبلاءِ
يا كُلّ أهلي والحنين سجيةً ... للكل تسكن فطرة الأجزاءِ
ابعث قليلاً من شذاك فانني ... استاف عطر رمالك العفراءِ
انا بعض تربك بنتُ عنه برهة ... وغداً يطول لدى ثراك ثوائي

الحكمة:

وقد اعتبرت الحكمة من الأغراض الشعرية المهمة في تقييم تجربة هـذا الشـاعر وذاك الأديب فهي من مستلزمات تقييم النص (على الغالب) لانها تدل على تـجربة غـنية امتلكها الأديب الشاعر نتيجة كفاح وجهاد مرير مع الحياة فخبرها وخبرته. ولذا فان مثل هذا الشاعر خليق بأن يكون شاعر الحكمة وحكيماً في حياته. ولا نستغرب ونحن نخوض في بحار الأبيات الموسقة لفقيدنا الراحل ﷺ ان نجد هذا الانطباع سائداً في كم كثير من قصائده وفي مجالاتٍ ومناسبات متعددة. وتأتي الحكمة على لسـان الوائـلي يـريد بـها تسجيل هدف تربوي واعٍ يُلزم به ثقافة وتجارب الآخرين: ومنها:

* ومن خـلق الشـطآن ان صـخورها جلامد مهما اسـتفحل المـدُّ والجـزر
* ويرضى بغاث الطـير صيد مـؤملٍ ويـرفض هــذا فـي تـخايل النسـرُ
* وقد يكتفي فـي تـافه الزاد كـاسل لأن كـــريم الزاد مأتـــاه مــتعبُ
* وأقلام هذي الناس كالناس نـفسها ففي بعضها رجس وفي بـعضها طـهرُ
* قد يخدع الوهم سكـرانـاً فـيجعله يــظن أن الذي فــي كأســه القــمرُ
* فــالمجد يــحتقر الجــبان لأنـه شـرب الصـدىٰ وعـلى يـديه المـنبعُ
* وتعجبت! كيف نـجهل حـتى الآن مــــا كُـــلّ أحـــمر تـــفاح!
* وتـلك قـواميس الحـياة فسـابق له التــمر والتــالي جــناه جــذوعُ

أدعياء العلم:

من أهم ميزات الوائلي ﷺ انه يزن الأمور بمقاديرها، فكان يتطلع إلى بـناء مـجده وشخصيته من خلال جهده وجهاده في العلم والخطابة، وكان شديد التحسس والنفور من

ادعياء العلم الذين يرومون تحقيق غاياتهم ومنافعهم الشخصية بعد ان يتلبسوا بالعلم وزي العلماء محاولين استغفال البسطاء من ابناء المجتمع، ولذا فهم يمارسون شتى الوان التملق والرياء والمداراة بدون أيّ حياءٍ وخجل، فكانت نفسه الأبية تستعيب هذا الأسلوب وهذه الألوان المخجلة، ولذا نراه يحذّر من هؤلاء ويقول :

(نجفي) أفتدي خميلك والأغصان ... فـيه مـن زاحـفات الرمـولِ
ومن الشوك راح يغزوه والسعدان ... يـمتدُ فـيه عـرضاً بـطولِ
قد مشىٰ يـزحـم الورود فـباتت ... وهي خجلى مـلمومةً فـي ذبـولِ
وأُضـيع المـقياس فـيها فأمست ... وهي مـهد الأصـول دون أصـولِ
وأشمخرت فيها انـاس فأضـحت ... لست تدري صدورها فـي ذيـولِ
أي طـعم للـتمر ان نـفق الحـنظل ... أم أيٌّ مـيزة للـنخيل
خدعوها بالشكل زوراً كما تخدع ... يـوماً بـالبوّ أمُّ الفـصيل
نـحروا طـفلها وجـاءوا بـجلدٍ ... مـلأوه بـالتبن للـتمثيلِ
أمّكـم بّـرة فـلا تـرهقوها ... بـالعقوق اللـئيم والتـنكيلِ
رب صُـن بـلدتي حـقائِق فـضلٍ ... وقـها مـن مـواكب التـضليل

وقد سبقه إلىٰ هذا المعنى المرحوم الشاعر أحمد الصافي النجفي الذي رسم صورة محزنة لما آلت إليه بعض الأوضاع وانعدام المقاييس في النجف لكنها صورة قاتمة قصد بها النكتة والسخرية معاً، فقال:

ان الغـري بـلدةٌ يـصحّ أن ... تسكنها الشيوخ والعـجائز
فصادراتُ بـلدتي عـمائم ... وواردات بـلدتي جـنائز
ما شغل أهلها سوى بطالةٍ ... فـلا يـقيم ثـمّ إلا العـاجز

وبهذا الصدد لا نرى أبلغ وأوضح معنىً في وصف (أدعياء العلم) أو ما يسميهم الشيخ موسى الزين شرارة (المتدينون المراؤون):

الديــن يـبرأ والأخـلاق مـن فـئةٍ تسعى إلى الشر باسم الخلق والدين
الدين لو كان جسـماً ضـجّ مـن ألمٍ أو كان طـوداً رمـا هـم بـالبراكـين
لا يـخدعنك مـنهم حـمل مسبحة فـفي الثـقاب عشـوش للشـياطين

***

يـا مـن يـصلي بـإعلانٍ ليـخدعني ويـظهر الزهـد والتـقوى ليـغريني
لو كـانت الخـلد فـي كـثر الصـلاة إذن ما فـاز فـيها سـوى رهـط (الحـراذيـنِ)
فـلا صـلاتي تـنجّيك الجـحيم غـداً ولا صـلاتك مـن ذنـبي تـنجّيني

***

مـا الديـن فـرض تـصلّيه لفـارضه وأنت بـالسّر تـؤذيه وتـؤذيني
مـا الديـن صـومك عـن لحـمٍ وفـاكـهةٍ بـل زجـر نـفسك مـن مـال المسـاكـين
طـهّر فـؤادك مـن حـقدٍ ومـن دنسٍ وابشـر غـداة غـدٍ بـالحور والعـين

وفاؤه:

الوفاء من صفات الاتقياء والعقلاء، وهو من أجمل مفردات القاموس الانساني كما أكد الاسلام في كُلّ تعاليمه على هذه الخصلة الجميلة، الّتي تعيد الثقة والمحبة والسرور بين أفراد المجتمع، فالوفاء على لسان الرسول ﷺ: «من علمني حرفاً ملكني عبداً» فكيف بالوائلي الذي تتلمذ واستمد شعاع نور الوعي من العملاق المصلح الشيخ محمد رضا المظفر، فكيف يكون وفاء الوائلي له؟ هذا ما نجده في قوله:

لا لن يموت منك نديٌّ منك مؤتلق بـــالنيرات وللامـــجاد مـــنعقدُ
إنـــي وحـــقك لا أنـفكّ تـؤنسني رؤىً ويــلطم وعـيي واقـع نكـدُ
تراك عيني وذهني يـحتويك فـان مـددت كـفي إلى كـفّيك لا أجـدُ
فكم مسحت عيوني علَّ خـادعة من الكرىٰ أخبرتْ ماليس يُـعتمدُ
لكنّ قبراً على رمحين من بـصري يشــدُّني فــإذا كُـلّ المـنى بَـددُ
فأرعوي للـنُّهىٰ تـجلوك لي أفـقاً رحـــباً يشـــع عــلى أبـعاده رَأَد
ومـــن عـــطائك فـيه الف بـاسقة شوامـخ فـي نـداهـا للسـما نُـهُد
لا يأكُلّ التربُ روحاً منك خـالدةً بل كُلّ ما للتُّراب الشِّـلو والجسـدُ

رسالة الشعر

لم يكن الشعر عند الوائلي ﵀ تنفيساً وترويحاً للواعج الشوق والمحبة فحسب، ولم يكن من طبيعته ﵀ الرغبة في اقتناص الشُهرة على كونه شاعراً ـ فهو في غنىً عنها ـ فعرف بالعزوف عن السعي وراءها، بل هو من أزهد النـاس بـها، والأدق هـي الّـتي لم تـبارحـه فالتصقت به، ولذا فهو يجد في الشعر رسالة عظيمة للتوجيه والتبليغ، ويرى فـي الشـاعر الملتزم هادياً ومبلغاً. فمثلما للمنبر رسالته، فللشعر أيضاً دوره ورسالته، ففي كُلّ الأحداث والخطوب لابد أن يسجل الشعر كلمته الفاصلة، بين الحق والباطل، سيما وان الشعر غاية لا وسيلة استجداء واستعطاء مذل ومهين كما نرى في أيامنا هذه، وللاسف الشـديد. فـيقول الوائلي ﵀ عن دور هذه الرسالة :

قـــالوا بأن الشـــعر لهـــو مـــرفَّهٍ وســـبيل مـــرتزق بـــه يـــتذرعُ
وإذا تســـامينا بـــه فـــهو الصـــدىٰ للـــنفس يـلبس مـا تـريد ويـخلع

ان تـطرب الأرواح فـهو غـناؤها ... وإذا شـجاها الحـزن فـهو الأدمـع
فذروه حـيث يـعيش غـرِّيداً عـلى ... فَـنَنٍ ومـلتاعاً يـئن فـيوجع
لا تـطلبوا مـنه فـما هـو بـالذي ... يـبني ويـهدم أو يـضرُّ ويـنفع
أكـبرتُ دور الشـعر عـما صوَّروا ... وعرفتُ رزء الفكر في مـن لم يـعوا
فـالشعر أجّـج ألف نـارٍ وانـبرى ... يـلوي أنـوف الظـالمين ويـجدعُ
لو شاء صـاغ النـجم عـقداً نـاصعاً ... يـزهو بـه عـنق أرقّ وأنـصع
أو شـاءَ ردَّ اللـيل فـي اسماره ... واحـات نـور تسـتشف وتـلمع
أو شـاء قـاد مـن الشـعوب كـتائباً ... يـعنو لهـا مـن كُـلّ افـق مـطلع
أنـا لا أريـد الشـعر إنّ جـدّت بـنا ... نـوبٌ يـخلّي مـا عـناه ويـقبع
أو أن يوش الكأس في سمر الهـوى ... ليـضاء ليـل المـترفين فـيسطعُ
أو أن يـباع فـيشترى إكـليله ... تاج مـن المـدح الكـذوب مـرصّع
لكـن أريـد الشـعر وهـو بـدربنا ... مـجدٌ وسـيف فـي الكـفاح وأدرعُ

تكريم المفكرين

دأبت العادة في الجامعة النجفية عـلى تكـريم الأعـلام والشـخصيات الفكـرية الّتي قدمت عطاءً مميزاً في خدمة أهل البيتعليهم السلام، فـي كـان يـقام حـفل تكـريمي تـلقى فيه القصائد الشعرية ويشترك بعض الشعراء اسهاماً في تكريم الوافـد العـزيز، وغـالباً مـا كان الوائلي رحمه الله في طليعة الشعراء الذيـن يسـاهمون بـهذا اللـون التكـريمي، ولمّـا قـدِم المؤرخ الأستاذ عبد الفتاح عبد المـقصود مـن مـصر إلى زيـارة النـجف عـام ١٩٧٧ م، أقام منتدى النشر ـ الذي كان الوائلي رحمه الله رئيساً له ـ حفلاً لتكريم هـذا الوافـد، ألقـى فـيه

الوائلي قصيدة في منتهى الروعة أستهلها مخاطباً الضيف:

طلعت فلاح الفكر والمقول الحرّ ... ولحت فهلّت في مفاتنها مصرُ

إلى ان يقول مخاطباً الضيف ومتسائلاً:

أفتّاحُ هذا مربع في ترابه ... لحيدرةٍ جسمٌ وفي أُفقه فكر
ثلاث وعشر من قرونٍ تصرّمت ... ومازال منه فوق هذا الثّرى عطر
وأزمنةٌ مرّت بكلِّ صروفها ... يشدُّ بها زيد ويدفعها عمرُو
تمرُّ عليه وهي سوداء غيمةٌ ... فيمشي إليها وهو منبلج بدرُ
ومن خُلُقِ الشّطئان أنَّ صخورها ... جلامد مهما استفحل المدُّ والجزرُ
يعربد بحرٌ ثم ينحلُّ موجه ... ويبقى برغم الموج ينتصب الصَّخر
وَعَى الدَّهر أنغاماً فأبعد ناشزاً ... وعاشت على أسماعه النغمة البكر
تمرُّ السما في كلِّ يوم نيازكٌ ... فتفنى وتبقى الشَّمس إشعاعها غمرُ
أجل تلك عُقبى المتَّقين خوالدٌ ... من الذِّكر لا تفنى ولا ينتهي الذِّكرُ

ومنها:

أخو الذِّكر والمحراب إن جنَّ ليله ... وصنو القنا والسَّيف إن طلع الفجر
وفارس مضمار البيان بنهجهِ ... تلاقى البيان الجزلُ والفِكَرُ الغرُّ
تزوَّد منه كلَّ عصر كما اشتهى ... ومازال للدنيا بمزودهِ ذخرُ
ستلقاه حيّاً في الرّوائِع كلّها ... وفي كلِّ سفر من روائعه سطر
فان قيل هذا قبره قلت أربعوا ... أهذا الكيان الضَّخم يجمعه قبر

في عالم المعصومين عليهم السلام

في شعر الوائلي رحمه الله مساحة واسعة للأئمة المعصومين عليهم السلام وبالأخص سيد المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولده الإمام الحسين عليه السلام، وحتى وإن جاءت مفردات لفظية مثل (النجف) و (الغري) فهي غالباً ما تدل على تمسك الشاعر بما هو أشرف وأطهر وأنبل شيء في هذه البقعة الصحراوية الّتي لولا وجود قبره عليه السلام لما كانت على ما هي عليه الآن من سمعة دوّت في ربوع العالم ومكانة علمية تُرنو إليها أبصار المفكرين، وقبلة لكُلّ عاشق يهيم في البحث عن الحق والعدل والزهد والتقوى و... و... و... فتهفو لها أفئدة الملايين من المسلمين، ومازار مكروب قبره إلا وزال همّهُ. فالوائلي رحمه الله لم يترك فرصةً إلا وتغنى فيها بأمجاد عليٍّ عليه السلام وإن تباين غرض المناسبة!.

عشقتك الجراح حَيّاً وميتاً ... فرأيناك مُثخناً بالجراح
بين جرح الأقلام تُصمِيك زوراً ... وجراح السِّهام وسطَ السَّاح

إلى ان يقول :

ربّنا لو دعوتَ كُلّ اناس ... بامام لهم فهذا مراحي
يا أليفي في موطني ودياري ... وأَنيسي بغربتي وانتزاحي
يا شعاعاً أَجلوه عند غدوّي ... وسكوناً أَغشاه عند رواحي
هائمٌ فيك غبت عن هذه ... الدُّنيا بما في رؤاك من أَشباح
كُلّ همس بخاطري يتغنّى ... بمعانيك في قوافٍ رداحِ
خُذْ بكفي أبا تراب فإنِّي ... مغرمٌ في ترابكَ النّفّاحِ

واضافة إلى ما يستعيره الشاعر من لفظتي (النجف) و (الغري) فهو أيضاً يستخدم (قبة الإمام) و (وادي السلام) وأيضاً بعض كُنى الإمام.

فقبة الإمام علي عليه السلام ووادي السلام، هما مظهران بارزان من مظاهر حنينه للنجف .

تـــحيةً أيُّــــها الوادي الحــــبيب إلى ... رُبــى اليــها النــجوم الزُّهــر تـنجذب
يــلوح فــي لابَتَيْها مـن (أبـي حسـن) ... وجــه ومــن قســماتٍ منه تـختضبُ
غـــفت مــلايين آمــال بـتربتها السـ ... ـــمراء فــهي عــلى ابــعادها كـثب
لوعــن ثــغورٍ بــها نــمَّ الثرى لغـدت ... تــلك المــتالع فــيها يـنبت الشـنب

ومع الحسين عليه السلام فله قصيدة تعتبر بحق من روائع وأعذب ما كتبه :

دأبتُ أزورك فـــي كُـلّ عــام ... وألثــم تـربكَ يــا ابــن النبي
ويـا ابـن عـليٍّ ويـا ابـن البتول ... ويا ابـن ذرى المـجدِ مـن يـثرب
اتــرِّب خــدِّي بـعفر الثّـرى ... بــحيث دمـــاؤك لم تـنضب
بــحيث يـــلعلع ثـغرٌ أبـىٰ ... بأن يـحتسي الذّل فـي مشـرب
وهـــامٌ أبـىٰ للـطغاة الركــوع ... وإن فـــلقوا مـــنه بــالمضرب
يـــخبِّرنا أنَّ دنـــيا الشـموخ ... بـــغير الأســـنَّة لم تــطلب

ويقول فيها أيضاً :

ومـــرَّت ســـنين ولم أَجـــتلي ... ســـماتك فـــي روضك الأطــيب
بـــعيد ضـــريحك عــن راحــتي ... ولستَ بــعيداً عـــن مـــطلبي
وحـــين نأى الطّـــف زرت الشآم ... وحـــــدت لراويـــةٍ مـــركبي
إلى جــــدثٍ فــيه مــنك المــثال ... تــحدَّر مـن جـذرك المـنجب

فأنت أراك بكـــل عـــلاك ... هــنا قــد تـجسدتَ فـي زيـنب[1]

إلى ان يقول:

ويـا كـربلا يـا هـدير الجـراح ... وزهـو الدَّم العـلوي الأبـي

ويـا سـفر مـلحمة الخـالدين ... بـغير البـطولةِ لم يُكـتب

ويـا شـفةً بـنشيد الدِّمـا ... تـغرَّد عـبر المـدى الأرحب

ويـا عـبقاً فـي ثـرى العـلقميّ ... يشـد الأنـوف إلى الأطـيب

ويـا صـرح مـجدٍ بـناه الحسـين ... وأبـدع فـي رصـفه المـعجب

يشـيّد مـن جـبهةٍ ادمـيت ... وخـدٌّ يـعفر الثـرى مـترب

سـيبقى الحسـين شـعاراً عـلى ... اصـيلك والشـفق المـذهب

والحقيقة أن الشاعر والأديب يبقى حائراً، في تطويع اللفظ ومشتقاته وما ينبئ من معانٍ في وصف شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فيكاد يعجز الحرف عن ايفاء مقدارها والمثول أمام معانيها وتجلياتها، فهي أكبر من ان تستوعب في معنىً لفظي، وأكبر من أن تحيطها صورة الأديب المبدع مهما كبُر وعَظُم شأنه!

من هنا كانت شخصيته عليه السلام محط عبرة واعتبار، وبيرقاً للقيم والخُلق ورمزاً للإباء والشموخ، ونبراساً للثورة على الظلم وبلسماً للمستضعفين والمظلومين.

ولذا نقف على شهادات بليغة من قرائح صادقة وصفوا شخصيته عليه السلام بومضات تقترب إلى بعدٍ من أبعادها.

فمحرر الهند (المهاتما غاندي) يذكر في كتابه قصة (تجاربي مع الحقيقة) مخاطباً الشعب الهندي بقولٍ مأثور: «على الهند إذا أرادت أن تنتصر فعليها أن تقتدي بالإمام

---

١. كتب الشاعر قصيدته في أرض الشام مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام.

الحسين... تعلمتُ من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر».

ويقول المستشرق الألماني (ماربين): «لاشك صاحب الوجدان إذا دقق النظر في أوضاع ذلك العصر ونجاح بني أمية في مقاصدهم، لايشك أن الحسين قد أحيا بقتله دين جده وقوانين الإسلام، ولو لم تقع تلك الواقعةلم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعاً، بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذ جديد عهد»[١].

ويستذكره جُبران خليل جبران فيقول: «لم أجد في تأريخ البشرية كُلها رجلاً جعل دمه الطاهر وقفاً لاسترجاع كرامات الناس كالحسين بن علي »[٢].

أما السيد انطوان بارا في كتابه (الحسين في الفكر المسيحي) فقد سجل إثارات تدعو البشرية للتأمل في مبادئ الإمام الحسين عليه السلام، وعقد مقارنة مسهبة بين (عيسى عليه السلام والحسين عليه السلام ينتهي بها إلى موارد التشابهه فيقول: «فثمة تقارب كبير بين حركتي الفداء والاستشهاد اللتين أقدم عليهما كُلّ منهما، مع الإقرار بالفوارق البينية في أسبابهما وكيفيتهما، لا في جوهرهما وأهدافهما... وأوجه الشبه بين عيسى والحسين تتجلّىٰ حتى في مولدهما ومسيرة حياتهما فقيل، لم يولد مولود لستة أشهر وعاش إلا الحسين وعيسى بن مريم».

ويقول قسيس مسيحي: «لو كان الحسين لنا لرفعنا في كُلّ بلد بيرقاً، ولنصبنا له في كُلّ قرية منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين»[٣].

ونجد أيضاً الصحفي اللبناني المسيحي حافظ إبراهيم خير الله يقول: «الرعشة لابد منها... أطلال مآذن كربلاء من بعيد.. والمقبل إلى العتبات المقدسة في العراق يرتعش لانه

---

١ . البلاغي، عبد الرسول، الشعائر الحسينية العقائدية، منبر التأريخ عن عبد الوهاب الكاشي: ٧٤.
٢ . الحلو، السيد عامر، أهل البيت معالم في الطريق. دار الموسم للإعلام بيروت ١٩٩٢ م: ٥٠ .
٣ . انطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي، الكويت ١٩٨٠ م: ٧٢ .

مكان محجته.. دخلت إلى مقام الحسين فصعقت وذهلت.. هو ذا من استشهد فأصبح رمزاً للانتفاض على الظلم.. هو ذا من استشهد في سبيل العدل وترك الملايين تتطلع إليه مثالاً للإنسان الذي أفنى جسده في سبيل الكمال البشري.. المسألة لم تتحمل علامات استفهام.. بعد ربع ساعة وجدت نفسي أبكي ثم أبكي ثم أبكي...»(١).

أما بولس سلامة وفي ملحمته المبدعة (الغدير) الّتي يشهد فيها: «إنها حصاة مخضوبة بدم الشهيد الغالي»، فيقول:

شرف العين أن ترى البدر وضّاءً فلا نبغي إليه انتهاء
يا ابن رسول الله حسبك فخراً إنك السبط أشرف الشهداء

وأما من المسلمين فنقف على شهادات بعض علمائهم وأئمتهم وأدبائهم فيقول أحمد بن حنبل، بعد أن أفرد فصلاً في كتابه فضائل الصحابة يضمنه جملة من الأحاديث النبوية الّتي تشير إلى فضائل الإمام الحسين عليه السلام وفضائل آل محمد صلى الله عليه وآله بشكل عام: «تلك الفضائل الّتي خصهم بهم وغيرهم عن باقي الناس وشرّفهم ومنحهم بها القيمومة والشرف المؤبد»(٢).

أما الأديب المصري عبد الله العلايلي فيقول: «في انسانية الحسين عليه السلام تلتقي شعلة البذرة المقدسة، بالفطرة المثالية الفذة، وتزدحم المعاني والصور ورموز العالم المجهول، فهو روح إلهي في طبيعة بشرية، ومعنى غيبي في حروف من أشباح الوجود، وكذلك تعطي يد الله الصناع بعض المعالم الحية سراً من أسرارها يكون لها به مالك للأحجار الكريمة من خلب وبهجة ورواء.. وحياة الحسين عظة من التأريخ، ولكن تجمع التأريخ كله، فليس معناها في حدود ما وقعت من الزمان والمكان بل حدودها حيث لا تتسع لها حدود»(٣).

---

١ . مجلة رسالة الحسينة عليه السلام العدد الثاني ١٤١٢هـ: ٣٦٠.
٢ . مجلة رسالة الحسين العدد الأول: ١٨١.
٣ . العلايلي، عبد الله، الإمام الحسين، إصدار مكتبة التربية، بيروت ١٩٨٦م: ٨.

أما الأستاذ طه حسين فيقول: «كان الحسين كأبيه صارماً في الحق، لا يحب الهوادة ولا التسامح فيما لا ينبغي التسامح فيه.. صاحب فطنه، حسن النظر في الأمور»[١].

أما الوائلي ﷺ فلن يرتوي بمدح الحسين ووصفهِ بقصيدة أو قصيدتين ففي الديوان، وحده، ثلاثة قصائد. نُظمت بفترات متباعدة زمنياً. وغالباً ما يطرّز قصائده بمعانٍ تشير إلى خصال عليٍ عليه السلام وولده الحسين عليه السلام. فهو يجد في سيرتهما المعين القيَمي في استنهاض الأمة ودعوة البشرية لفهم هاتين الشخصيتين.

فمن قصيدةٍ له نشرتها مجلة الأضواء عام ١٩٥٩ م تحت عنوان (غنّيتُ باسمك فاهتز الوجود) علّقت المجلة قائلةً: «لقد كانت هذه القصيدة هي قصيدة الحفل ولكن حالت دونها الموانع الّتي لا تعترف بها الاضواء فأثبتتها دون الّتي أُلقيت». ومنها:

لِمْ لا يلذّ على ألحانيَ السَّمَرُ وأنت لي في نشيدٍ حالمٍ وترُ
غنيتُ باسمك فاهتزَّ الوجود إلى دنياً يُمتَّع فيها السَّمع والبصرُ
إلى فتى ليس مجد الواهبين سوى قدر ضئيل إلى جدواه يفتقر
إلى البطولةِ يُستضرى بها وهجٌ وعي الشعوب إذا استشرى بها الخور
إلى الصلابة من اجل الحياة ترى حرب المقادير أو يستسلم القدرُ
إلى وريفٍ من الأفياء رفَّ على الضَّاحين حيث هجير البغي يستعر
إلى الحسين وهو غير الحسين إذا ما التاث فكر وضاء الوِرد والصَّدَر
آمنت أنَّك حقل ما تمنَّع إذ يُستاف عطر وإذ يُستقطفُ الثمرُ

إلى ان يقول ﷺ :

---

١ . حسين، طه، المجموعة الكاملة، مج ٤، الخلفاء الراشدون، بيروت ١٩٧٢ م: ٦٦٧ .

سـقيت ذكـراك والصَّـهباء قـافيةً ... هـذي الوفـود فـما ذنـبي إذا سكـروا
وطـالعتهم ومـا أسمى الجـلال بـها ... رؤاك فـي جـنباتِ الحـفل تـنتشر
هـنا يـلألئُ (يـاللنَّجم) مـنتصباً ... مـن الشُّـموخ جـبين شجَّه الحـجر
وهـاهنا يشـجب الظَّـلماء مـنبلجاً ... ثـغر تشـظّى عـلـيه العـود يـنكسر
وهـاهنا وعـليه النَّـبل أوسـمة ... صـدر يـحلي العـوالي مـنه مشـتجر
وهـاهنا شـرعة مـخضوبةٌ بـدمٍ ... كَّـفاك تـلطم خـدّاً كُـلُّه صـعر
وهـاهنا وهـنا مـن جـانحيك مشت ... روح تـوثَّب كـالبركان يـنفجر
مـنها نَسجتُ فِلمْ لا يـزدهي نـغمي ... (وأنت لي فـي نشـيدٍ حـالمٍ وتـرُ)

أما صورة الحسين عليه السلام المرتسمة في ذهن شاعرنا رحمه الله، بعد أن يعترف بأن اللفظ قاصر وعاجز عن رسم المعنى الحقيقي فيصفُها بقوله:

وضعتُ لمعناك الحروف فلم تطق ... جلاءَك فاستجليت معنىً مجرَّدا
فعشت بذهني صورةً لا أرى لها ... بـمحدودة الألفـاظ أن تـتقيّدا
تـمدَّد قـوم بـالخلود وإنـني ... رأيت بـمعناكَ الخـلود مـخلّدا
لقد أخذت منك الدوائر شكلها ... فـليس لمـرآهـا انتهاءٌولا ابـتدا
ويـولد مـن يـفنى وأنت تأصّـلُ ... فما متّ يـوماً كـي نـحدّك مـولدا

الأخوانيات

امتاز أدب النجف عن غيره بهذه الميزة، وهي ميزة لا يستسيغها الأدباء والشعراء من غير النجفيين، انطلاقاً من تبريراتهم انها تقلل من شأنية الأديب، وتجعل من رسالة الشعر، رسالة هزيلة تافهة، تحطّ من مكانة ومنزلة الشعر، فالشعر هو غاية سامية لاهداف أمة

وتطلعاتها، وهي رسالة بناء وخلاص من واقع سياسي مترهل تنعدم فيه العدالة والمساواة والحقوق والواجبات. فهو أطهر وأنبل رسالة لتنظيم الحياة الفكرية والعقائدية في المجتمع، فمثله لا يصح ان يوظف لأمورٍ يراها البعض تحط من قيمته، أما النجفيون فيرون فيه ـ اضافة إلى هذا ـ تعبيراً عن إدامة مشاعر الحزن والفرح للتواصل الاجتماعي وتعميق الأواصر الأخوية بين أبناء المدينة فلن يجدوا في ذلك بئساً وضرّا ومثلما قيل في المثل «لكل مقامٍ مقال»، فلا يمنع ان يكون الشعر رسالةً وسلاحاً في الملمات ولا يُمنع ان يكون هدفاً للتحابب والتواصل .

فما بين هذين الرؤيتين، شَقّ الوائلي ﷺ طريقاً ثالثاً جمع فيه الرأيين ولذانجد من النوادر في شعره ان ينحى بعيداً عن الهمّ الأكبر والمسألة الأعظم سواء في بث رسالته الإسلامية والانسانية أو في مواقف سياسية لقضايا حياتية معاصرة. فنجد التطعيم سمة بارزة في هذا المجال في أغلب أخوانياته، فمن قصيدةٍ له في رثاء زميله وحبيبه الشيخ سلمان الخاقاني بعنوان «دموع قلب» مطلعها:

لا السامرون، ولا الوادي، ولا البان ... كأنما الأرض ما كانت ولا كانوا

يقول فيها:

والحي ما عاد من طعم وفي كرم ... به يلوّح مطعام ومطعانُ
يشجيك ان متون الخيل أثقلها ... عبءٌ وما في متون الخيل فرسان
وان موتورة الأقواس قد كثرت ... لكنّها ما بها نبل ولا زان
وان ألف عكاظ لا خطيب بها ... لكن بها هذر في القول طنّان
فرائد الضاد أشلاء ممزقة ... وما النظم بديع العقد امكان
عرب ويا غربة الفصحى بموطننا ... ورهط ضاد وشيخٌ الحي مرطان

أليس تـــحسد دنـــيانا القـــبور اذا ما كـان فـي جـوفها (قسّ) و (سَـحبان)؟
كــم بــالقصور رؤوس هُــنّ مـنتعل وبـــالقبور عـــظام هُـــنّ تـيجانُ

فلسطين

شغلت فلسطين مساحة واسعة في الأدب العربي والإسلامي لما لقضيتها من أبعاد اسلامية وعربية، فشعراء وادباء النجف حتمت عليهم منطلقاتهم الإسلامية، والعروبية أيضاً في الدفاع عن فلسطين في كُلّ المحافل والأندية السياسية والأدبية. حتى تنبه لهذا الدكتور محمد حسين الصغير فجمع الكثير مما قاله شعراء النجف في كتاب تحت عنوان (فلسطين في الشعر النجفي) وكان الوائلي ﷺ واحداً من هؤلاء الرجال الذين وظفوا شعرهم لهذا الغرض خدمة لدينه وأمته ذاباً عن تراثها وترابها المقدّس، راجياً ان تعيش فلسطين وأهلها المشردون في منأىٰ عن الاستغلال والهيمنة الاسرائيلية، وقد أدّى الشعر النجفي رسالةً بليغةً ودوراً ريادياً في الجهاد والتوجيه والتعبئة، فيقول الوائلي ﷺ .

هذي رحابُ القدس منذ ترسخت صـرعىٰ إلى زعـقاتنا تـتسمعُ
تصحو عـلى نـوءٍ فـتتلع جـيدها وتراه من خدع السحاب فـتهطع

وحاول الوائلي بقصائده تصوير مأساة القضية الفلسطينة للعرب والمسلمين كمشكلة لا يمكن حلها إلا عن طريقهم، وبتظافر جهودهم:

فـلسطين مـا بـخل المـنفقُ ولا وهـنَ الكـتفُ المـرهَقُ
ولا مـات بـالعزمات اللـهيبُ ولا أظـلمَ الأمـل المشـرقُ
ومـا بـرح السـاح أحـلامُه تـهدهدها الضـمّر السّـبقُ
ويـنتظر الكـبرياء الجـريح مـصيرٌ بأمـثاله ألْـيَقُ
فإما إلى حيث يرضى الشموخ وإمـا بـعفر الثـرى يـلصق

فشدي الأكف، وغـذي اللـهيب وخـلّي اللـظىٰ بـاللظىٰ يـلحقُ
وضمّي لتـلك الجـراح الجـراح فـما وقـع جـرحٍ بـمن مـزّقوا
ولا تلبسي اليأس زهو الزحوف وإن خسر الشـوطَ مـن أعـنقوا
فـما زال مـذ وعـينا الوغـى يـطيح ويـرتفع البـيرقُ
ومَـن لذعـوا بـلهيب الشـواظ جنوا مـنه نَـضجاً، وإن أخـفقوا
ومـهلاً فكـم تـلد النـائباتُ لهـاذمَ فـي خـوضها أخـلقُ
وللـجمرِ نـبتٌ، ومـن طـبعه بـغير لظـى الجـمرِ لا يـورقُ

ومن قصيدةٍ أخرى عنوانها (أمتي) نظمها في ١٠ / ٣ / ١٩٦٨ م، يخاطبُ بها الأمة ويعدد بها أمجادها ومفاخرها، وقد أعدها لمؤتمر الأدباء العرب المنعقد في القاهرة بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٩٦٨، يقول فيها:

أمّـتي أرستِ الخـطوب السـودُ فـاقرعيها، ولا يـلنْ لكِ عـودُ(١)
وانتشي باللظى، فما بـرح الكأس خـلياً مـن اللـظى يسـتزيدُ
أجّـجيه كـي لا يـبوخ، فـإن النـار أن يـتبع الوقـودَ الوقـودُ
وانشـقي مـن دخـانه، فـدخان النـار فـي رحـمةِ المـعامعِ عـودُ
إنـه الإثـمدُ المـحببُ، لم تكـحل مـن مـثله العـيون السـودُ
إنـه والحـرابُ مـحمومة الطـعن خـضوبٌ مـن الدمـا تـغريد
والجباه السمراء تستشرف الطـعن كـما اسـتشرف الهـوى مـعمودُ
أنت بـين اثـنتين، إمـا وجـودٌ يـتحدّى القَـنا، وإمـا لحـودُ

---

١ . ديوان الوائلي: ٥٦ .

ويستمر الوائلي ﷺ مخاطباً الأمة، مذكراً لها بالفتوح الّتي حققتها وتجاوزها الصعاب والآلام والمحن وقرعها للزحوف، يوم كان سلاحها جريد النخل وفي محاربيها التقى وفي اقلامها الحضارات ولأمجادها الصروح، فكيف لان حديدها وانصهر عودها؟؟!!

أمـتي واسألي النـجوم، أما كـنّا أبــاةً عــبر النــجوم نــرودُ
وزرعــنا الفــتوح فــي كُـلّ فـجٍ فــلنا فــوقَ كُــلّ أرضٍ شــهودُ
الخـــدود المـــصعراتُ رســمناها فـــخرّت عــلى ربــانا الخــدودُ
وافترعنا الصعاب بالسيف، فانهارت لديــــنا حـــواجـــزٌ وســـدود
إن نــهدنا للـفتحِ تسـبقنا الأصـداءُ حـــتى تـــفرّ مـــنها الجــنودُ
أو قـــرعنا الزحـــوف فــرّتْ، ولو أن ســـلاحاً عـلى يـدينا (جـريدُ)
أو مشت خــيلنا تــبرّجنَ يــلثمنَ خـــطاها أبـــاطحٌ ونـــجودُ
فــي مـحاربينا التـقى، والهـدى، و الفكـــر لله لا ســـواه ســـجودُ
ولأقـــلامنا الحـضارات مــا زال إلى الآن جـــــذرُها مشـــدودُ
ولأمـــجادنا بكـــل ربــاع الأ رض صـرحٌ إلى السـما مـمدودُ
ثـم عـذراً، فـما اجـتررتُ ولكـني تســـاءلتُ كـيف لان الحـديدُ؟

وهنا يتساءل الوائلي ﷺ لماذا الانتكاسة؟؟؟ فيقول:

أهــو عـيبُ المـوادِ، أم عـيب مـن يــبني، فــقد ضـلل الهـنا التـعقيدُ
غـــير انـــي.. وربــما ســاء رأي وتــخطى الصـواب فكــرٌ سـديدُ
مـــا تــرددت إنــه عــيب بــانٍ صـنع الجـيلَ صنع مـن لا يـجيدُ
فــاعذروا أيــها البــناة، إذا ذابـوا فــعند اللــظى يــذوب الجـليدُ
شــدتموهم مــن الفــراغِ فــماذا هــل يُـرجّى مـن الفراغ رصـيدُ

الحداثة

لم يقف مصطلح الحداثة على تعريف واضح ومحدد، سوى ما تكاثر على اشباعه من دراساتٍ وبحوث تعلقت ببناء القصيدة وهيكليتها ـ على الغالب ـ وهذا هو الخلاف الظاهر والواضح بين نظم المدرسة التقليدية ومدرسة الحداثة. فاذا حق ان تكون الحداثة مدرسة فلم نجدها أعمق من المدرسة التقليدية في صورها ومراحل التجديد الّتي تميزت ومرّت بها هذه المدرسة، فالتجديد وإن انطبع على مدرسة الحداثة، بيد ان في الأدب النجفي التقليدي ما هو أسمى وأبلغ، ولا نرى ضرورةً للاستشهاد بموارد التجديد لهذه المدرسة بعد ان نضع امامنا التراث الشعري للجواهري وأحمد الصافي النجفي ومصطفى جمال الدين فبه ما لم يصل إليه الحداثويون في كُلّ تنظيراتهم ونتاجاتهم.

أما الوائلي فيرى في مدرسة الحداثة (البدعة) لقصور وعجز أصحابها عن النهوض بالمستوى الذي يليق بالأدب الرفيع [١] الذي تتطلبه الشاعرية الأصيلة، ولذا راح يندد بهذه المدرسة وبأصحابها فيقول:

وفريق تيمموا الشعر فاغتالوه	والشعر فكرنا المكتوب
مزّقوا هيكلاً له فاذا الشعر	تفاريق مزقت وجيوبُ
وأذابوا وقع القرار بموسيقاه	فامتصّ روحه التذويب
وأتاه يستامه بعد نزع	النسير من معشر البغاث دبيب
زعموا حُراً وقد انجبوه	ومحالٌ ان ينجب المجبوبُ
إنّها بدعة التبني وهيهات	كي يُساوىٰ بخاملٍ موهوب

١ . وهذا لا يعني ان مدرسة الحداثة (الشعر الحر) تخلو من نتاجات ادبية (شعرية) غاية في الروعة ولكن لم يكن الكيف بالمستوى الذي وصلته المدرسة التقليدية.

هـــدفٌ صـــارخ وإن سـترته ظــلمات الإبــهام والتـغبيبُ
وسيبقى في الناس كُلّ أصـيل ويــولّي لأهــله المــجلوبُ

ويبقى للوائلي ﷺ رأيُهُ في مدرسة الحـداثـة، ولا يـعني هـذا ان مـدرسة النـجف التقليدية (الشعرية) على العموم تتبنى هذا الرأي ولكن التناقض بين المدرستين أمرٌ واضح وصريح رغم ان المدرسة النجفية تفاعلت مع التحديث والتجديد وحرصت على الحفاظ على القديم، في محاولة للجمع بين التيارين الحديث والقـديم وبـما يـتلاءم ومـتطلبات المجتمع الديني في مضمار العالم الإسلامي في هذا العصر [(١)].

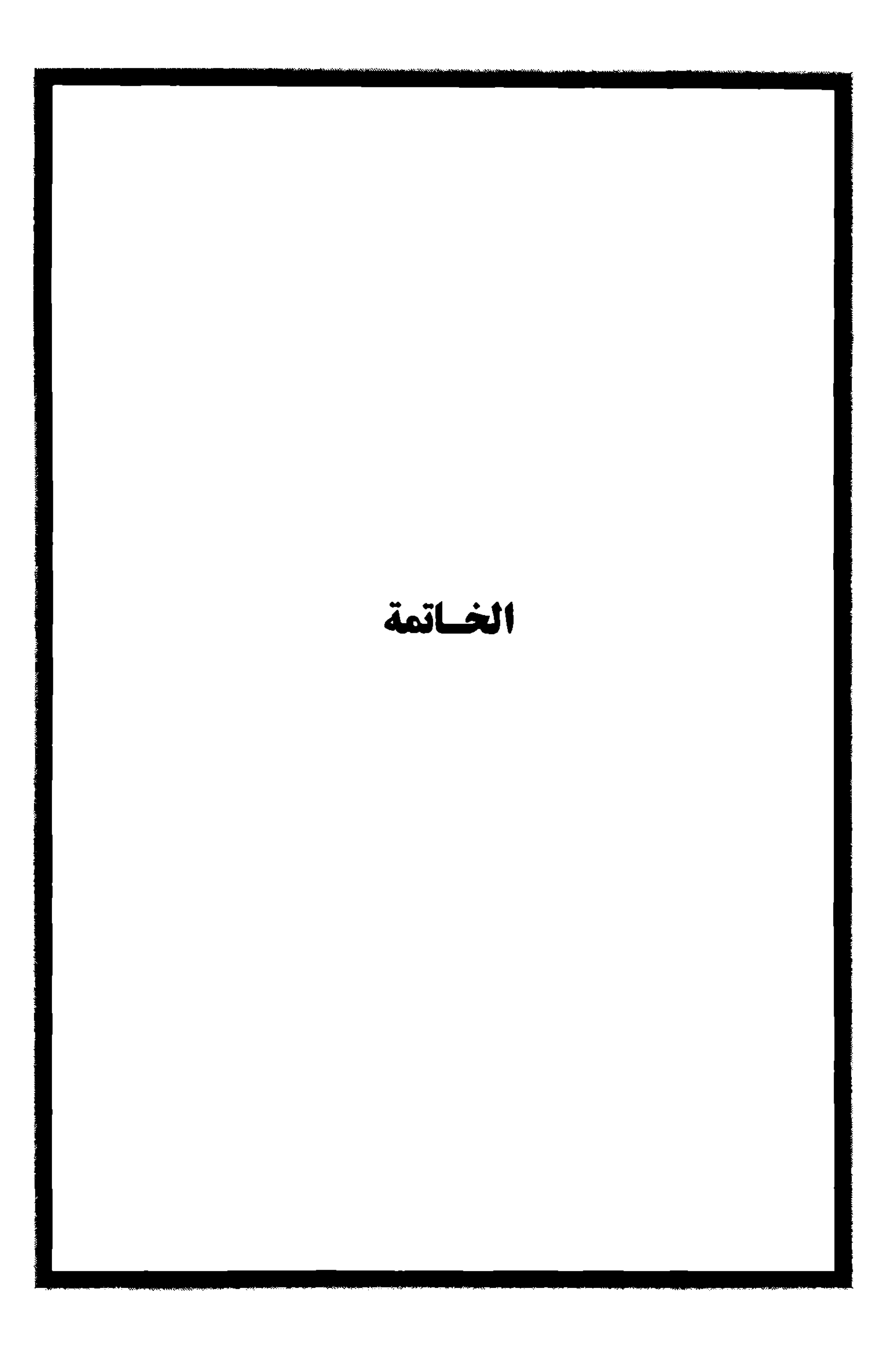
وقد تبين مما تقدم في نتاج الوائلي ﷺ، ان بيئة النجف ومحيطها انطبعا في أغـلب قصائده، فقد أضفيا عليه الانطباع الواضح في اللـغة والتـصوير سـيما وان للـنجف لغـتها الخاصة المتأصلة بها منذ قرون، وهذا ما يظهر بوضوح في لغة الوائـلي ﷺ التـي يـميّزها القارئَ بسهولةٍ، من عذوبة اللفظ ومتانة الاسلوب وبلاغة التعبير وحلاوة اللحن.

حقاً انها المدينة الساحرة، المتأصلة بحضارتها وعمقها العلمي والأدبي، فلا غرابة اذن أن يقف الشاعر نزار قباني متسائلاً بلغته الشعرية المعروفة في مهرجان الأمة الشعري عام ١٩٨٤ م أمام حشد من الشعراء العرب والعراقيين «لماذا تمطر سماء النجف ٥٠٠ شاعر في الدقيقة ولا تمطر سماء جنيف سوى ساعات أوميغا وحليب نيدو سريع الذوبان» [(٢)].

---

١ . محمد بحر العلوم من كلمة له في ندوة النجف الأشرف تحت عنوان «كيف حـافظ النـجف على أصالته» كتاب (النجف الأشرف.. اسهامات في الحضارة الإنسانية)، والسيد بحر العـلوم هو ممن جمع في النظم بين التقليد والشعر الحر. وقد ذكرنا له شواهد شعرية عديدة ضمن كتاب مخطوط لكاتب السطور (المصلح الكبير بين الأدب والميدان، محمد صـادق الصـدر دراسات في حياته وأدبه) .

٢ . عدنان الصائغ، البرق والغابة، كتاب (النجف الأشرف، اسهامات في الحضارة الانسـانية): ٢ / ١٤٧ .



الخـاتمة

تناولت هذه الدراسة خطيباً، عراقياً، أسس منهجاً جـديداً للـمحاضرة الحسـينية، وعاش مرحلة سياسية حفلت بالعديد من الأحداث، سجل فيها مواقـف تـاريخيةً مـميّزة وناصعة. وتكشفت هذه الدراسة عن عدة أمور:

أولاً: استطعت أن أُرجح عام ولادته الذي أختلف في تحديده. فكان عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٦م.

ثانياً: كان عام مغادرته العراق ١٩٧٨م، وهذا ما اختلف عليه البعض أيضاً.

ثالثاً: توصلت من دراسة حياته ومعالم شخصيته إلى أنه امتاز بتعدد نشاطه العلمي، وتمرده على المألوف التأريخي للملحمة الحسينية، وجرأته في النقد، ورهافة حسه، ورقة قلبه، ووفائه لأساتذته واصدقائه، وكُلّ ذلك أهَّله لأن يكون شخصية اجتماعية لامعة فـي عصره ومجتمعه.

رابعاً: أثبتت الدراسة أنه صاحب مدرسة فريدة ونموذجية في الخطابة الحسـينية، ولها منهجها الخاص بها.

خامساً: أوضحت الدراسة اهتمامه الأدبي الذي شكل جزءاً من شخصيته، فأجـاد فيه وأبدع، وجعل من الشعر سلاحاً في المهمات السياسية الصعبة.

سادساً: أما فيما يخص آثاره النثرية، فقد انتهت الدراسة إلى أنها تنقسم إلى ثـلاثة أقسام:

١. الكتب: ومنها المطبوع والمخطوط.

أ ـ المطبوع: هوية التشيع، من فقه الجنس في قنواته المذهبية، أحكام السجون بين الشريعة والقانون (وهي اطروحة درجة الماجستير)، تجاربي مع المنبر.

ب ـ المخطوط: استغلال الاجير وموقف الإسلام (وهي اطروحة درجة الدكتوراه)، (الأوليات في حياة الامام علي عليه السلام)، (جمعيات حماية الحيوان في الشريعة الإسلامية)، (الخلفية الحضارية لموقع النجف قبل الإسلام)، (منتجع الغيث في الصحابة والاعلام من بني ليث).

٢. البحوث:(الامام الخوئي علامة بارزة في آفاقنا العلمية)، (التنوع الحضاري لمدينة النجف).

٣. المقالات: (بين المعاصرة والتراث).

وتبين من خلال آثاره تلك، ان الوائلي رحمه الله جال بقلمه في ميادين شتى من المعرفة، فقد كتب في التفسير والاجتماع والاخلاق والأدب والتأريخ. كما انها كشفت عن أنه صاحب مبادئ إصلاحية سامية، عرضها باقتراحات تناول فيها صقل التجربة وتربية المدارك ونبذ العادات البالية ومهاجمة الفرقة، والحث على وحدة الصف الإسلامي .

سابعاً: وجدتُ أن آثاره الشعرية منشورة في :

١. الديوان .

٢. المجلات والصحف .

٣. ديوان مخطوط، كما أشار هو رحمه الله إلى ذلك في إحدى مقالاته.

ثامناً: لم أجد دراسة وافية وشاملة عنه، رغم ما جادت به مجلة الموسم من ملف حوله، إلّا أنه عَبَّر عن استعراضٍ سريع وموجز.

ملخص البحث

الشيخ أحمد بن حسون الوائلي، خطيب عراقي، ولد في النجف الاشرف، وبرز إلى الساحة خطيباً ملحوظاً في عقد الأربعينات، جمع بين الدروس الدينية والأكاديمية، فدرس في حوزة النجف ومدارس منتدى النشر وكلية الفقه وهو أول خطيب حصل على شهادتي الماجستير من جامعة بغداد والدكتوراه من القاهرة. زاول الخطابة رسالةً وهمةً في نشر الوعي الإسلامي وكانت له مواقف سياسية هامة، جعل من الشعر وكلمته الهادفة الملتزمة سلاحاً عبرّ فيه عن تطلعات وآماني الشعب العراقي، شغل رئاسة منتدى النشر في عقد الستينات، عُرضت عليه عمادة كلية الفقه من قبل البعثيين في اوائل السبعينات فاعتذر بحجج ساعدته عليها لباقته المشهودة فاستطاع ان ينجو من العمل معهم.

عاصر الوائلي ﷺ حركة الاصلاح السياسي والتعليمي والفكري في النجف الأشرف، بعد أن نهض بها كبار العلماء والمجتهدين. صاغ منهجاً مميزاً للمنبر الحسيني حتى أصبح مدرسة نموذجية لتعلم الخطابة .

انضمّ إلى جمعية الرابطة الأدبية، سجل فيها حضور الأديب والشاعرالملتزم بكل قضايا الأمة، فجاءت نتاجاته الأدبية ملتزمة هادفة مليئة بالدروس والحكمة والعِبَر، هاجر من العراق عام ١٩٧٨ م، بعد أن أنبأ الوضع السياسي فيه عن مخاطر حقيقية وويلات أليمة لما سوف تحل بهذا الشعب، فكانت محطته الاولى الكويت، ثم استقر في دمشق الشام، ساهم بمواساة آلاف العراقيين المشّردين والمهاجرين في محنتهم المهجرية الصعبة. فجادت نفسه الكريمة بعطاءات تفقَّد بها عوائل الايتام والأرامل والمساكين من ابناء شعبه المنكوب، عاد إلى العراق بعد دخول قوات التحالف وسقوط نظام صدام حسين، فلبث عشرة أيام فقط في مدينة الكاظميين، ولم يستطع النزول من السيارة لزيارة مرقد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام لشدة تضاعف الألم بجسده، وقبل أن تصعد روحه الطاهرة إلى

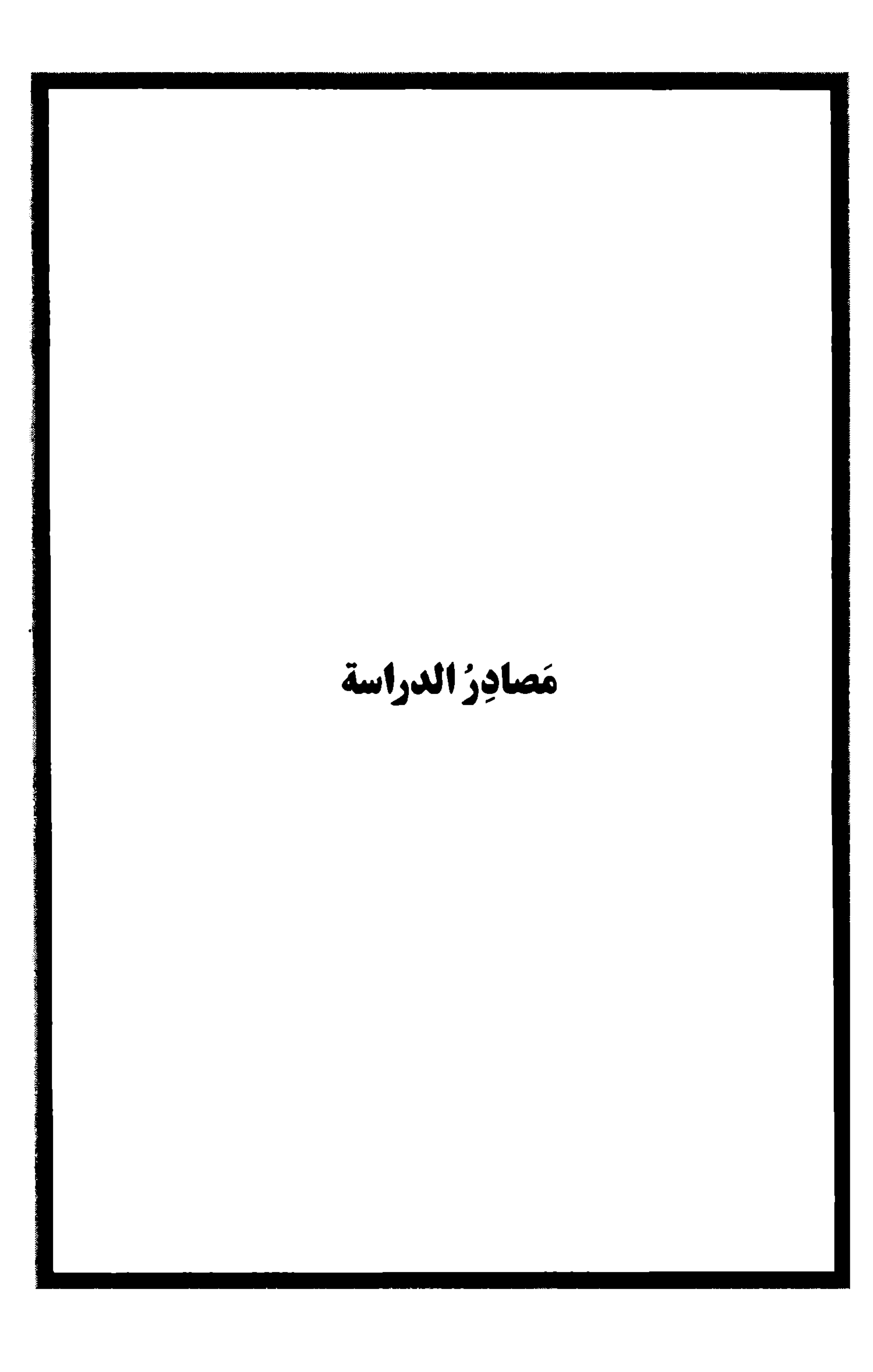
باريها الكريم، أدى ركعتين صلاة، وشُيّع جثمانه الطاهر بحشد جماهيري قُدّر بأربعة ملايين شخص، ودفن بجوار قبر العبد الصالح كميل بن زياد في مدينة النجف الأشرف، بكاه العراقيون والمسلمون [١] جميعاً أربعين يوماً، أقيمت فيها مجالس العزاء والفاتحة.. انا لله وإنا إليه راجعون.

وختاماً... لا أدعي ان هذه الدراسة أحاطت بكامل شمولية الأحداث وكُلّ أبعاد سيرة هذا الرجل المجدد والمصلح، فإذا ما وَجد القارئُ العزيز في موضعٍ ما، نقصاً أو تلميحاً أو اشارةً فيعود ذلك إلى مراعاة حساسية العقل الشيعي العراقي في مَدى تقبله للأُمور العقائدية والسياسية، والتي وجدتُ ضرورة مراعاتها بالقدر الممكن ـ في هذا الظرف المتأزم ـ ونحن نعيش حالة الجديد والتجديد في الخطاب الديني السياسي.

والحمد لله ربِّ العالمين

المؤلف

١ . يقول الخطيب الشيخ باقر المقدسي: «لقد فُجع العالم الإسلامي بعالم جليل، ومفكر اسلامي كبير، وخطيب بارع، وعميد لمؤسسة المنبر الحسيني، وعبقريّ فتح آفاق جديدة للخطباءالحسينيين، وسيبقى نهجه الخطابي مثالاً رائعاً يُقتدى به بعد وفاته كما كان في حياته، وإن تجاوب الجماهير الشيعيّة المؤمنة بالحزن والأسى على وفاته خير دليل على تعلّق هؤلاء بسيّدهم الإمام الحسين عليه السلام وتكريمهم لخدّامه المخلصين لمبادئه. تغمد الله تعالى الفقيد الراحل بواسع رحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جناته، ونسأل الله أن يجمعنا معه في رحاب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنه سميعٌ مجيب». دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية: ٣٤٢ هامش .



مَصادِرُ الدراسة

الكتب:

١. القرآن الكريم.

٢. الآصفي، محمد مهدي، الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركه الاصلاحية في النجف، مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، ايران ١٩٩٨م.

٣. آل محبوبة، جعفر باقر، ماضي النجف وحاضرها، الطبعة الثانية، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٦م.

٤. ابن الأثير، عز الدين بن علي، اللباب في تهذيب الانساب ـ الطبعة الثانية.

٥. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، كاكتا، ١٨٥٣م.

٦. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتب الاعلام الإسلامي قم ١٤٠٤هـ.

٧. ابن القيسراني، ابو الفضل محمد، الانساب المتفقة، القاهرة ٢٠٠١م.

٨. ابن كثير، اسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٩. ابن منظور، محمد بن كرم، لسان العرب، طبعة أُولى، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

١٠. أبو زهرة، محمد، الخطابة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

١١. أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية، دار

الثقافة، بيروت ١٩٧٣م.

١٢. أسود، عبد الرزاق محمد، موسوعة العراق السياسية، الطبعة الأُولى، الدار العربية للموسوعات بيروت ١٩٨٦م.

١٣. الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه عبد الأمير على مهنّا وسمير جابر، الطبعة الثالثة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥م.

١٤. الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٩٢م.

١٥. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣م.

١٦. الأمين، محمد هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

١٧. بابان، جمال، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٨٩م.

١٨. البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام دار نضير عبود، بيروت ١٩٨٩م.

١٩. البستاني، سليمان، الباذه هوميروس، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٠. البستاني، محمود، تأريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، الطبعة الأولى، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ١٤١٣هـ.

٢١. البستاني، محمود، الإسلام والفن، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ١٤٠٩هـ

٢٢ . البستاني، محمود، الإسلام والأدب، المكتبة الأدبية المختصة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٣ . البعلبكي، منير، موسوعة المورد، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م.

٢٤ . البغدادي، محمود، توظيف الشعر السياسي عند الامام زين العابدين عليه السلام (بحث مطبوع).

٢٥ . البهادلي، علي أحمد، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية ١٩٢٠ ـ ١٩٨٠م دار الزهراء بيروت ١٩٩٣م.

٢٦ . الجزائري، محمد جواد، ديوان الجزائري، مؤسسة خليفة للمطبوعات، بيروت ١٩٧٠م.

٢٧ . جمال الدين، مصطفى، الايقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة، مطبعة النعمان، النجف ١٩٧٠م.

٢٨ . جرداق، جورج، الامام علي صوت العدالة الانسانية.

٢٩ . جواد، مصطفى، نظرات في الذريعة.

٣٠ . الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، مطبعة دمشق ١٩٧٩م.

٣١ . حرز الدين، محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء، علق عليه محمد حسين حرز الدين، مكتبة المرعشي النجفي قم ١٤٠٥هـ.

٣٢ . حرز الدين، محمد، مراقد المعارف، الناشر سعيد بن جبير ١٣٧١ ش.

٣٣ . حسن، السيد داخل، معجم الخطباء، دار الصفوة، بيروت ١٩٩٧م.

٣٤ . الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٢م.

٣٥. الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات العراقية.

٣٦. الحسني، عبد الرزاق، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال.

٣٧. الحسني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، الطبعة السادسة، دار الكتب، بيروت ١٩٨٠م.

٣٨. الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت.

٣٩. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

٤٠. الخاقاني، علي، شعراء الغري، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥٤م.

٤١. الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٧م.

٤٢. الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم، انتشارات الشريف الرضي قم ١٤١٢هـ.

٤٣. الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، مكتبة اسماعيليان قم ١٣٩١هـ.

٤٤. الخويلدي، حمزة، شهداء المنبر الحسيني في العراق ج ١، الطبعة الأولى، دار المصطفى، قم ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٥. داغر، يوسف أسعد، مصادر الدراسة الأدبية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٨٣م.

٤٦. الدجيلي، جعفر، موسوعة النجف الأشرف، الطبعة الأولى، دار الأضواء، بيروت ١٩٩٣م.

٤٧. الرّوازق، صادق جعفر، الحوزة العلمية في مواجهة الاستكبار والهيمنة الغربية،

مركز دراسات تاريخ العراق الحديث، الطبعة الاولى قم ١٩٩٨ م.
٤٨ . الرّوازق، صادق جعفر، مصادر الدراسة عن الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﷺ، مركز دراسات تاريخ العراق الحديث، الطبعة الاولى، قم ١٩٩٨.
٤٩ . الرّوازق، صادق جعفر، العلامة العسكري رؤية اسلامية معاصرة،، كتاب تكريم العلامة العسكري مجموعة كُتّاب، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
٥٠ . الرّوازق، صادق جعفر، المصلح الكبير بين الأدب والميدان، محمد محمد صادق الصدر دراسات في حياته وأدبه (مخطوط).
٥١ . الزبيدي، الدجيلي، عباس محمد، الدرر البهيّة في أنساب عشائر النجف العربية، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م.
٥٢ . الزبيري، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
٥٣ . الزركلي، خير الدين، الاعلام، الطبعة السابعة بيروت ١٩٧٦ م.
٥٤ . زيدان، جرجي، تأريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٧ م.
٥٥ . سعدي عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، الدار الوطنية، بغداد ١٩٨١ م.
٥٦ . سلامة، بولس، عيد الغدير، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٣ م.
٥٧ . السماوي، محمد، الطليعة من شعراء الشيعة، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي بيروت ٢٠٠١ م.

٥٨ . السماوي، محمد التيجاني، كُلّ الحلول عند آل الرسول .

٥٩ . السلطاني، حسين علي، ادب الحوار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير.

٦٠ . سليم، عز الدين، الامام محمد باقر الصدر رائد حركة التغير في العراق، منشورات المجلس الاعلى للثورة الإسلامية في العراق، الطبعة الاولى ١٤١٦هـ.

٦١ . السيوطي، لب اللباب في تحرير الانساب .

٦٢ . الشاكري، حسين، ذكرياتي، ١٩٨٩م .

٦٣ . الشامي، حسين بركة، المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، مؤسسة دار الاسلام ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

٦٤ . الشرقي، علي، موسوعة الشيخ علي الشرقي النثرية، جمع وتحقيق موسى الكرباسي، مطبعة العمال المركزية .

٦٥ . الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل، تصحيح وتعليق الشيخ أحمد فهمي المحامي الشرعي بالجيزة، دار السرور، بيروت ١٩٤٨م .

٦٦ . الصدر، محمد باقر، فلسفتنا.

٦٧ . الصدر، محمد باقر، اقتصادنا.

٦٨ . الصدر، محمد محمد صادق، ما وراء الفقه، الطبعة الاولى دار الأضواء بيروت ١٩٩٧م .

٦٩ . الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٣م .

٧٠ . الصغير، محمد حسين، فلسطين في الشعر النجفي المعاصر، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٤م .

٧١. ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٧٢. الضبي، العباس بن بكار، أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، الطبعة الأولى تحقيق سكينة الشهابي: ١٩٨٣م.

٧٣. الطاهر، عبد الجليل، العشائر العراقية بغداد ١٩٧٢م.

٧٤. طبانه، الدكتور أحمد بدوي، سوانح وآراء في الادب والأدباء، مكتبة لبنان ـ الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.

٧٥. الطهراني، آقا بزرك، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، الطبعة الثانية، دار المرتضى للنشر مشهد ١٤٠٤هـ.

٧٦. الطهراني، آقا بزرك، الذريعة في تصانيف الشيعة، مؤسسة اسماعيليان قم ١٣٥٥هـ.

٧٧. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير البيان، تحقيق أحمد حبيب قيصر العاملي، مكتبة الأمين، مطبعة النعمان، النجف ١٩٦٣م.

٧٨. العامري، ثامر عبد الحسين، موسوعة العشائر العراقية، الطبعة الاولى، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٢م.

٧٩. علوان، علي عباس، تطور الشعر العربي في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

٨٠. علوان، قصي سالم، الشبيبي شاعراً.

٨١. عواد، عبد الحسين مهدي، علي الشرقي حياته وأدبه، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨١م.

٨٢. عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين في القرن التاسع عشر والعشرين، طبعة الرشاد، بغداد ١٩٦٩م.

٨٣. الغريفي محمود، الشعائر الحسينية بين الوعي والخرافة.

٨٤. فرج، لطفي جعفر، الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي (١٩٣٣ ـ ١٩٣٩م) منشورات مكتبة اليقظة بغداد ١٩٨٧م.

٨٥. الفضلي، عبد الهادي، دليل النجف الأشرف، منشورات مكتبة التربية، النجف ١٣٨٥هـ.

٨٦. القمي، عباس، نفثة المصدور، آخر كتاب نفس المهموم، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٨٧. كاشف الغطاء، محمد حسين، الفردوس الأعلى، تحقيق الشهيد محمد علي القاضي.

٨٨. الكبيسي، عناد اسماعيل، الأدب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين، مطبعة النعمان النجف ١٩٧٢م.

٨٩. المبارك، عبد الحسين، ثورة ١٩٢٠م في الشعر العراقي، الطبعة الأولى مطبعة دار البصري بغداد ١٩٧٠م.

٩٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، مطبعة الحيدرية، طهران.

٩١. المقدسي، محمد باقر، المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية، مطبعة سليمان زاده، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ (رسالة دكتوراه).

٩٢. مجموعة كتّاب، النجف الاشرف... اسهامات في الحضارة الانسانية) لندن ٢٠٠٠م / ١٤٢١هـ.

٩٣. محفوظ، علي، فن الخطابة واعداد الخطيب دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر ١٩٨٤م.

٩٤. محلاتي، حيدر، الشيخ عبد المنعم الفرطوسي حياته وأدبه، المكتبة الأدبية المختصة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

٩٥. مردان، جمال مصطفى، عبد الكريم قاسم، البداية والسقوط، المكتبة الشرقية، بغداد.

٩٦. المظفر، محمد رضا، المنطق، مطبعة النعمان، النجف ١٣٨٨هـ الطبعة الثالثة.

٩٧. المظفر، محسن عبدالصاحب، وادي السلام في النجف.

٩٨. المطبعي، حميد، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، الطبعة الاولى، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٥م.

٩٩. مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية، ترجمة المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم ١٩٩٠م، ١٤١١هـ

١٠٠. مغنية، محمد جواد، (تجارب محمد جواد مغنية) بخط يده.

١٠١. مغنية، محمد جواد، فضائل الإمام علي عليه السلام.

١٠٢. المكتبي، نذير محمد، خصائص الخطبة والخطيب.

١٠٣. الموسوي، عبد الصاحب، حركة الشعر في النجف الأشرف وأطواره خلال القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى دار الزهراء، بيروت ١٩٨٨م.

١٠٤. النجفي، القوجاني، سياحة في الشرق، ترجمة لجنة الهدىٰ. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٠٥. النعماني، محمد رضا، سنوات المحنة وايام الحصار طبعة أولى ١٩٩٦م.

١٠٦. الهلالي، جعفر، معجم شعراء الحسين عليه السلام، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت ٢٠٠٢م.

١٠٧. الهلالي، عبد الرزاق، الشاعر الثائر محمد باقر الشبيبي.

١٠٨. هيكل، محمد حسين، حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

١٠٩. الوائلي، أحمد، هوية التشيع، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، وطبع عدة مرات في لبنان والقاهرة وقم.

١١٠. الوائلي، أحمد، من فقه الجنس في قنواته المذهبية، مؤسسة أهل البيت ـ بيروت الغبيري ـ ١٩٩٦م ـ ١٤٠٦هـ.

١١١. الوائلي، أحمد، احكام السجون بين الشريعة والقانون، مؤسسة أهل البيت، بيروت.

١١٢. الوائلي، أحمد، الديوان، انتشارات الشريف الرضي ١٤١٢هـ.

١١٣. الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر، دار الزهراء، بيروت ١٩٩٨م.

١١٤. الوردي، علي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، انتشارات الشريف الرضي قم ١٤١٣هـ

المجلات:

١. مجلة آفاق اسلامية ع ١ ذو القعدة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢. مجلة الاضواء ـ جماعة العلماء ١٩٥٩م.

٣. مجلة الايمان ـ موسى اليعقوبي، النجف العراق ١٩٦٣م.

٤. مجلة البيان س ١ع ٦٤.

٥. مجلة تراثنا ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

٦. مجلة التوحيد ـ منظمة الاعلام الإسلامي.

٧. مجلة العلم النجفية هبة الدين الشهرستاني س ٢ع ٧ / ١٩١١م.

٨. مجلة الفكر الجديد ١٨ نيسان ٢٠٠٠م.

٩. مجلة قضايا اسلامية العدد (٥) / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

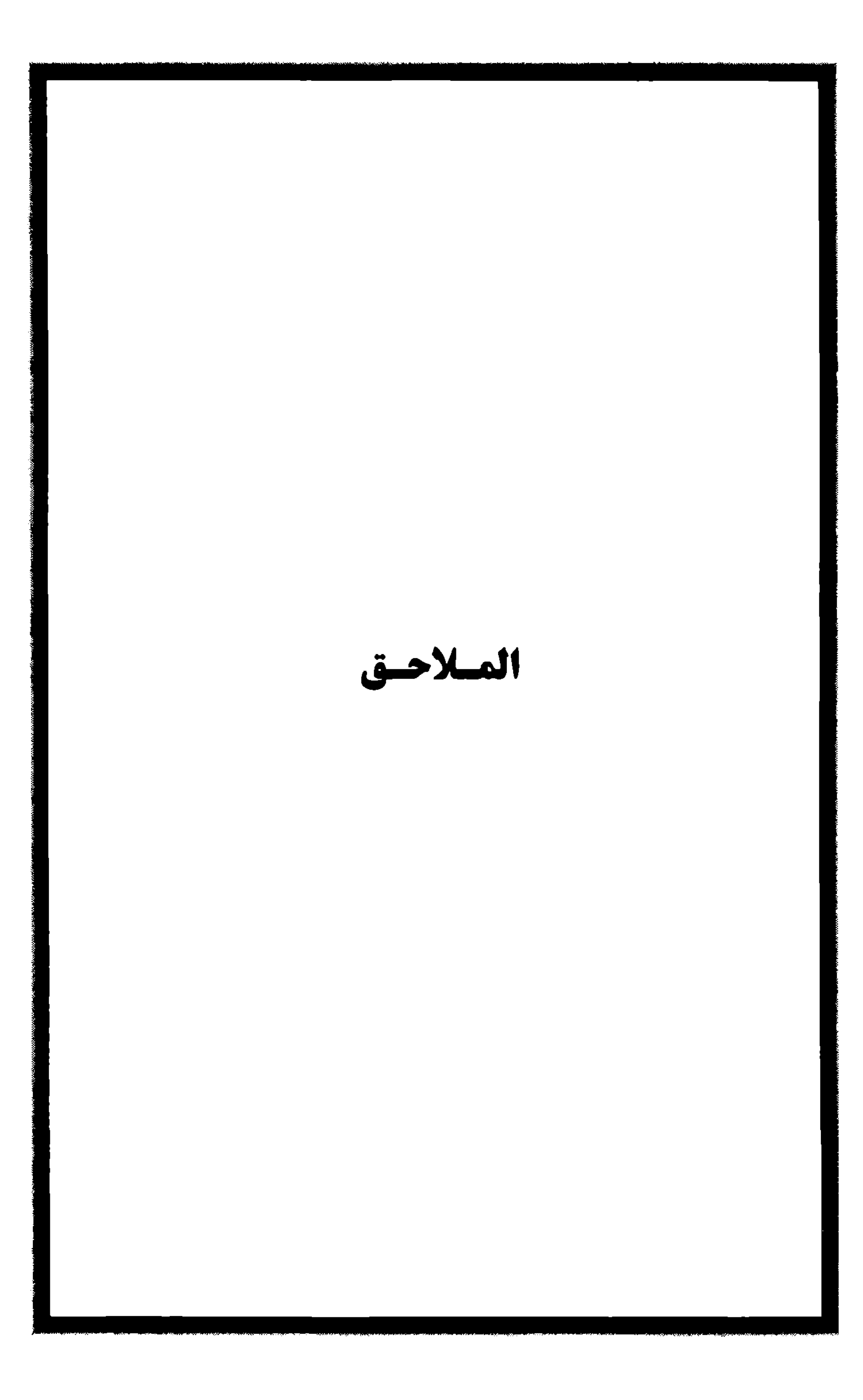
١٠. مجلة الموسم ـ محمد سعيد الطريحي، الأعداد (١٦)، (١٨)، (٢٣ ـ ٢٤)، (٢ ـ ٣) (١٧) (٢٦ ـ ٢٧) (٢٨).

١١. مجلة النجف الأشرف ـ العدد الأول ١٤٢٤هـ ـ النجف.

الصحف :

صحيفة الحياة ١ / آذار ١٩٩٩م

صحيفة الكيهان العربي ٦٩١.



المـلاحـق

ملحق رقم (١)

مخطط النجف الاشرف بقلم الاستاذ عبد الله الصراف، وقد أُضيف إليه بعض المعلومات.

١

المكتب

بعد خلع السلطان عبد الحميد شيَّد العثمانيون هذا المكتب ودرس فيه أولاد الموظفين وبعض أبناء الذوات.

وتوقف التدريس في هذا المكتب عندما خرجَ العثمانيون من النجف في نيسان ٩١٥.

وفي العهد الملكي وضعوا في هذا المكتب دوائر الحكومة.

٢

سكة الترامواي بين النجف والكوفة

٣

الحفيز

خان عطية أبو كلل استولت عليه بريطانيا وجعلته (OFFICE) النجفيون يسمونه حفيز.

في هذا الحفيز قَتَل حاج نجم البقال الحاكم البريطاني الكابتن مارشال في فجر يوم ١٩ مارت ١٩١٨.

٤

بناية إدارة شوكة التراموای

وإلى جانبها اسطبل الخيول الّتي تسحب عربات الترمواي.

٥

الباب الكبير

(باب الچبيرة)

شيَّد العثمانيون فوق هذا الباب بناية بلدية النجف.

٦

باب القلوب

شيد العثمانيون فوق هذا الباب (CLUP) النجفيون يسونه قلوب في العهد الملكي جعلوا المحكمة في هذه البناية.

٧

القشلة

القشلة العثمانية هدمتها بريطانيا بعد حصار النجف سنة ١٩١٨ وفي العهد الملكي شيدوا على أنقاضها مدرسة الغري الأهلية .

كان في مدخل هذه القشلة مدفعان نقلتهما بريطانيا إلى مدخل الحفيز وعندما شيدت الحكومة متحف ثورة العشرين في النجف نقلوا المدفعين إلى مدخل المتحف.

٨

خان الهنود البُهره

هذا الخان موقوف للزوار من الفرقة المستعلية من الطائفة الإسماعيلية.

٩

الشيلان

بناية الشيلان شيدها حاج معين وضع المجاهدون في هذه البناية أسرى معركة الرازنجية في ثورة العشرين.

١٠

قيصرية خالد

في أيام السلطان القاجاري فتح علي شاه شيد الصدر الأعظم سوراً للنجف وشيد مدرسة الصدر وشيد هذه القيصرية وجعلها وقفاً لخالد بن الوليد مجاملة للدولة العثمانية.

١١

السوق الكبير

(سوگ الچبير)

١٢

خان دار الشفاء

خان قديم جداً لعله المكان الذي نزل فيه ابن بطوطة حسب ما جاء في رحلته. هدموه مع الأسف.

١٣

مسجد الخضراء

مسجد قديم جداً هدموه مع الأسف .

١٤

باب الطوسي

١٥

مسجد عمران

أمير البطائح عمران بن شاهين بنى هذا المسجد في أواخر القرن الرابع ولا يزال البناء كما كان حتى هذا اليوم من سنة ١٠٣٠ هجرية شيد شاه صفيٌّ الصحن العلوي وأضاف إلى الصحن جزءاً من هذا المسجد قبله سيد كاظم اليزدي في الجزء المأخوذ من مسجد عمران.

١٦

تكية البكتاشية

إلى جوار هذه التكية بيت وقف يسكن فيه شيخ عطا المسؤول عن تكية البكتاشية وله راتب شهري من الأوقاف مع العلم أن مدينة النجف لا يوجد فيها ولا بكتاشي واحد.

النجفيون يقولون أن شيخ عطا يقف عند ضريح الإمام ويضع يده على شيبته ويقول: إلهي بحق هذه الشيبة اغفر لعلي بن أبي طالب.

١٧

باب الفرج

١٨

سوق العمارة

١٩

باب القبلة

٢٠

سوق الحويش

٢١

ثلمة السور

في هذه الثلمة مقام زين العابدين وقبر صافي صفا ودرعية عطية أبو كلل.

٢٢

محلة المشراق

في هذه المحلة منازل الزوار وفيها عدة بيوت لخدام الحضرة العلوية وفي هذه المحلة قبر شيخ الطائفة الطوسي وقبر السيد مهدي بحر العلوم وفيها مدرسة الصدر ومدارس أخرى .

وفي هذه المحلة مساكن رؤساء الشمرت، وفيها من الأسر العلمية آل بحر العلوم وآل مانع ومسكن الشيخ جعفر البديري.

٢٣

محلة العمارة

في هذه المحلة بيوت الأسر العلمية: آل كاشف الغطاء، آل صاحب الجواهر، آل الشيخ راضي، وآل محي الدين، وآل مطر، وآل نصار، وآل الخصري، وآل الدجيلي، وآل الجزائري، وآل الصافي، وآل الخليلي، وآل العادلي، وآل ثامر، وآل حرز الدين، وآل شمسه، وآل زاير دهام، وآل الفرطوسي، وآل الصغير، وآل علي بيج، وفيها مسكن السيد أبو الحسن ومسكن الشيخ عبد الله المامقاني، ومسكن السيد محسن الحكيم، ومسكن السيد

على بحر العلوم، وفيها مدرستان للشيخ حسين الخليلي، ومدرسة كاشف الغطاء ومدارس أخرى.

٢٤

محلة الحويش

في هذه المحلة مسكن السيد محمد سعيد الحبوبي، ومسكن سيد كاظم اليزدي، ومسكن السادة آل الهندي، ومسكن شيخ على رفيش، ومسكن الشيخ على الحلي، ومسكن السادة آل كمال الدين، وفي هذه المحلة مدرسة سيد كاظم اليزدي وهي أجمل مدرسة في العراق وفيها مدرستان للشيخ كاظم الخراساني وفي هذه المحلة مساكن ومعامل النسَّاجين.

٢٥

محلة البراق

في هذه المحلة بيوت النجارين والأثرياء، بيت شلاش، بيت ناجي، بيت رجيب، بيت منى، بيت عجينه، بيت الرّوازق، بيت شريف، بيت مرزه، بيت شكر، بيت شبر، بيت البهبهاني، بيت النقش، بيت الأعسم، بيت الكرماني، بيت دوش، بيت سعدون العجيل، وعدة بيوت لأثرياء آخرين.

وفي هذه المحلة من الأسر العلمية آل الطريحي وآل المظفر وآل الشبيبي وآل المشهدي وآل النراقي، وفيها مسكن شيخ الشريعة ومسكن الشيخ جواد البلاغي، وفي هذه المحلة مدرستان للشيخ كاظم الخراساني.

٢٦

باب چتابيه

الاسم مأخوذ من التركية (أُوج تابيه)

٢٧

محل شركة العربات الّتي تنقل المسافرين بين النجف وكربلاء

كانت (العربة) تسحبها أربعة خيول. وعندما تصل إلى خان المصلى الذي يبعد عن النجف ٢٠ كم تستبدل خيولها بأربعة خيول أخرى. وفي خان الحماد الذي يبعد عن خان المصلى ٢٢ كم تستبدل الخيول مرة ثانية. وعندما تصل إلى خان النخيلة الذي يبعد عن خان الحماد ٢٢ كم تستبدل الخيول أيضاً. وخان النخيلة يبعد عن كربلاء ٢١ كم كانت مدة السفر بين النجف وكربلاء ما بين العشر ساعات إلى ١٢ ساعة.

خان المصلى شيده التاجر النجفي الحاج حسن مرزه، في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري. وخان الحماد شيده المجتهد الشيخ مرتضى الأنصاري في أوائل النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وخان النخيلة شيده أحد الهنود.

شيدت هذه الخانات الثلاثة بالقرب من نهر الفرات (نهر الهندية) الذي تبرَّع بالانفاق عليه أمير هندي لايصال الماء إلى النجف. وبدأ العمل به في سنة ١٢٠٨ هـ وتاريخ تلك السنة بحساب الجمَّل (صدقت جاريت) قبل ذلك كان يوجد خان واحد فقط بين المدينتين اسم ذلك الخان (خان جذعان) ولا أعرف من هو المرحوم جذعان ذلك الخان كان بعيداً عن نهر الفرات.

عندما شيدت الخانات الثلاثة المارّ ذكرها هُجر خان جذعان مررت عليه قبل ستين

سنة فوجدته متداعي الأركان وبعد ذلك زحفت عليه رمال الصحراء فصار رابية وبهذه المناسبة أقول أكثر روابي العراق توجد تحتها آثار تاريخية.

وعن خان جذعان المهجر المتداعي الأركان قالت عاشقة مهجورة:

(يا خان ابن جذعان قلبي لعصيّه   يتسودن من بعيد اليمر بيّه)

العصيه: قلعة من آثار الخزاعل عن يمين الذاهب إلى مدينة (الخرم) الّتي سميت بعد ذلك (غماس) وكان الناس يعتقدون أن الذي يصل إلى العصيه يصاب بالجنون.

ملحق رقم (٢)

أسماء النجفيين المنفيين إثر ثورة النجف عام ١٩١٨ م

١ . السيد محمد علي بحر العلوم
٢ . الشيخ محمد جواد البلاغي
٣ . عبد الله الرّوازق
٤ . ياسين الرّوازق
٥ . جدوع الرّوازق
٦ . عبد الرزاق الرّوازق
٧ . السيد إبراهيم البهبهاني
٨ . راضي الحاج سعد
٩ . مغيض الحاج سعد
١٠ . عيدان الحاج سعد
١١ . عطية ابو گلل
١٢ . كردي بن عطيه ابو گلل
١٣ . جاسم أبو گلل
١٤ . الحاج حسين أبو گلل
١٥ . حسن حاجي أبو گلل
١٦ . كريم ابو گلل
١٧ . حسين الصراف
١٨ . أحمد الصراف
١٩ . عزيز الأعسم
٢٠ . محمد مطر عكايشي
٢١ . زاير عكايشي
٢٢ . عطية عكايشي
٢٣ . طلال عكايشي
٢٤ . حسن علوان عكايشي
٢٥ . خّطار العبد (عكايشي)
٢٦ . نجم العبود العامري
٢٧ . محمد آل جبر العامري
٢٨ . سعد الحاج راضي
٢٩ . هادي أبو شبع
٣٠ . عباس حسن آل شبع
٣١ . الحاج محمد أبو شبع
٣٢ . خليل أبو شبع
٣٣ . عبود يوسف ابو شبع
٣٤ . غازي طوبه

٣٥. صالح كرماشه
٣٦. كريم كرماشه
٣٧. مجيد كرماشه
٣٨. غني كرماشه
٣٩. مجيد طالب
٤٠. عبد الرزاق عوده
٤١. تومان عدوه
٤٢. حتروش عدوه
٤٣. مصلط الحار
٤٤. حمود الحار
٤٥. مهدي الحار
٤٦. سعيد الحار
٤٧. عبد عيسى حبيبان
٤٨. علي عيسى حبيبان
٤٩. عطية صبّي
٥٠. سلمان صبّي
٥١. حامض صبّي
٥٢. تومان بقر الشام
٥٣. فنجان بقر الشام
٥٤. متعب بقر الشام
٥٥. حسين بقر الشام
٥٦. علي الحاج حسين الصنم
٥٧. محمد الحاج حسين الصنم
٥٨. الحاج رديف ثالثة
٥٩. محمد الحاج مهدي ثالثة
٦٠. السيد هادي السلطاني
٦١. خضير عباس البهّاش
٦٢. محمود وهاب البهّاش
٦٣. حسن كصراوي
٦٤. حميد آل صكر
٦٥. جواد مطرقانه
٦٦. سويدان كصراوي
٦٧. حسوني العلوان
٦٨. عبود عبد الكريم جيلاوي
٦٩. مطشّر الرماحي
٧٠. حنتوش الرماحي
٧١. حسون أبو جحيفة الرماحي
٧٢. حساني المختار
٧٣. مجيد المختار
٧٤. طماطه سعيدان
٧٥. حسون بادرنك
٧٦. شعلان ابو نصيحة

٧٧. السيد أحمد العذاري
٧٨. مسلم الدريعي
٧٩. مهدي الدريعي
٨٠. ناصر آل حسون
٨١. عراك عزيز كور
٨٢. كاظم عزيز كور
٨٣. قلوم ملكي
٨٤. عمران جبرين
٨٥. جبر جبرين
٨٦. جاسم جبرين
٨٧. السيد مهدي دخيل
٨٨. محمد حطبان
٨٩. سلطان حمادي شبيب
٩٠. عبد الله الرويشدي
٩١. مجيد عريو
٩٢. الحاج مهدي الخباز
٩٣. محمود الحاج حمود
٩٤. السيد حاسم طبار الهوا
٩٥. حسن نجم الشمرتي
٩٦. محمد حسن الشمرتي
٩٧. حلوس محمد الصبار
٩٨. حميد أبو السبزي
٩٩. علوان ادليهم
١٠٠. علي جوزة
١٠١. السيد سلمان الفحام
١٠٢. عزيز الحارص
١٠٣. الحاج وداي العبد
١٠٤. عبد الله سابوح
١٠٥. إبراهيم المؤمن
١٠٦. بشير العبد
١٠٧. عبد حميمه النداف
١٠٨. عبود صخيلة
١٠٩. عبود نوريه
١١٠. إبراهيم جريان
١١١. علوان الملا علي
١١٢. طنوش آل علي
١١٣. عباس عجمي
١١٤. مجيد عزور
١١٥. حسين علي كور
١١٦. الحاج حبيب ابو الجاموس
١١٧. السيد سلمان الحجار
١١٨. حسن شاهين

ملحق رقم (٣)

وثيقة [١] بأسماء بعض شهداء المنبر الحسيني الذين قتلهم الطاغية ـ صدام ـ منذ بداية حكم البعث الجائر عام ١٩٦٨ م حتى انهياره عام ٢٠٠٣ م.

١. **الشيخ أحمد فرج البهادلي**: مواليد العمارة / من سكنة بغداد.

خطيب أعتقل واستشهد تحت التعذيب في بغداد عام ١٩٧٢.

٢. **الشيخ أحمد إبراهيم المالكي**: مواليد البصرة: من سكنة بغداد.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف وخريج دراسة جامعية وامام جمعة في حي العبيدي / بغداد. استشهد يوم ٢١ / ١١ / ٢٠٠٢ تحت التعذيب.

٣. **الشيخ أسعد كاظم البصري**: مواليد البصرة.

خطيب معروف في العمارة وغيرها، ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب بعد اعتقاله عام ١٩٨٠ م.

٤. **الشيخ باقر ملا عبد الله سلطان العيداني**: البصرة.

خطيب استشهد في شهر رجب عام ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، حيث باغته بعض جلاوزة الامن بباب داره وأطلقوا الرصاص عليه ثم داهمته سيارة تابعة لهم فدهسته.

٥. **السيّد باقر حسن الموسوي (الصريعي)**: الديوانية / قرية النواصر.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في مدينة القاسم.

استشهد تحت التعذيب عام ١٩٨٠ م بعد اعتقاله بثلاثة أشهر.

---

١ . لقد تفضَّل علينا مشكوراً سماحة الخطيب الشيخ (حمزة الخويلدي) بهذه الوثيقة التي أعدها خصيصاً للمحكمة المزمع عقدها لمحاكمة المجرم صدام حسين، ولكي تبقى وثيقة تأريخية تعكس مدىٰ أحترام البعثين لحقوق الانسان وحرية الرأي والمعتقد.

٦. السيد تقي السيد أحمد حسن آل يحيى الموسوي ا لنجار: بابل.

خطيب معروف في الحلة فقد بتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٩١ م مع ا لمئات من الثائرين بعد دخول الجيش الصدامي الذي قمع ا نتفاضة شعبان وتيقن أهله من استشهاده بعد سقوط حكم الطاغية.

٧. السيد توفيق عبد الحسين الموسوي: بابل / ناحية القاسم / قرية الحنشل.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في القاسم مواليد ١٩٤٢ م اعتقل عام ١٩٧٦ واستشهد يوم ١٤ / ٧ / ١٩٧٧ م حيث أبلغ أهله بأنه توفي بحادث سيارة.

٨. السيّد جابر السيّد هادي حبيب أبو الريحة: النجف الأشرف.

أستشهد بعد خروجه من سجن أبي غريب عام ١٩٨٥ م بعد ان قضىٰ خمسة سنوات فيه، لاقىٰ شتى أنواع التعذيب، وهو من الخطباء المشهورين في النجف الأشرف .

٩. السيد جاسم السيد محمّد: الديوانية / شاميه.

خطيب / استشهد في الحملة المسعورة ضد الخطباء عام ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨ م .

١٠. الملا جاسم محمّد آل حسين الحجيمي: ناصرية ـ گرمة بني سعيد.

خطيب اعتقل بعد الانتفاضة ١٩٩١ م ولم يعرف مصيره إلّا بعد سقوط حكم الطاغية حيث تيقن ذووه من استشهاده.

١١. السيد جبار السيد عبد الله: العمارة / المجر.

كان خطيباً وواعظاً في قضاء المجر الكبير في مسجد البدراوي ومحلة السراي اعتقل أوائل الثمانينات واستشهد تحت التعذيب.

١٢. الملا جبار عبد العباس: ذي قار: كان يسكن مع آل شدوّد ثم انتقل إلى الناصرية.

خطيب استشهد مسموماً في الحملة المسعورة ضد خطباء المنبر الحسيني عام ١٩٨٧ـ ١٩٨٨م.

١٣. السيّد جبار السيّد حيدر الموسوي: مواليد العمارة ١٩٥٤ / سكن بغداد مؤخراً.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية.

اعتقل أثناء دراسته وأجبر على ترك لباس العلماء إلّا أنه واصل الخطابة وفي بغداد خاصة وقد رفض الالتحاق بالخدمة العسكرية أيام الحرب وبقي مختفياً حتى ألقي عليه القبض في جملة من المؤمنين فحكم على بالاعدام عام ١٩٨٨ م .

١٤. السيد جعفر السيد يعقوب الموسوي: مواليد ١٩٥٣ الفهود / الناصرية.

خطيب في مناطق الفهود ـ عشيرة آل حول ـ

شارك في انتفضاة شعبان وجاء خبر استشهاد ولده صادق في ملحمة جسر الفهود التي كانت بين المجاهدين وقوات المجرم سمير الشيخلي فخرج حاملاً سلاحه واشتبك مع قوات الطاغية حتى استشهد وذلك في ٨ شهر رمضان المبارك ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.

١٥. الملا جليل سعدون كريم الحولاوي: الناصرية / الفهود.

خطيب: استشهد في انتفاضة شعبان ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ .

١٦. الشيخ جمعة الحاج موسى العبودي: مواليد البصرة: وكيل السيد الخوئي ﷺ في منطقة جسر ديالى / بغداد.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل بعد اعتقال أكثر من مئتي شاب من طلبة وخريجي الجامعات والمثقفين من منطقة جسر ديالى وجيء بهم مع الشهيد السيد عزالدين الخطيب إلى سجون الأمن العامة ـ

قسم الانفرادي ـ في شهر أيلول عام ١٩٨١ م ثم نُقلا ـ أي السيد عزالدين والشيخ جمعه ـ بعد ثلاثة أشهر مع مجموعة من المؤمنين إلى محكمة الثورة وحكم عليهم بالاعدام وكان المشرف على التحقيق الرائد عامر والملازم عدنان.

١٧. الشيخ جميل الشيخ محسن الخزاعي: مواليد الناصرية.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف اعتقل عام ١٩٧٩م مع صديقه الشيخ حسن العبادي وقد استشهد في السجون الرهيبة تحت التعذيب.

١٨. السيّد جواد السيّد علاوي حسن الحلو: مواليد ١٩١٧ م الحيرة / النجف الأشرف.

خطيب: اعتقل عام ١٩٨٤ م لسنة كا ملة تحت التعذيب في سجن أمن النجف ثم اطلق سراحه تحت المراقبة حتى استدعي في الحملة المسعورة ضد الخطباء يوم عيد الفطر المبارك ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م إلى أمن النجف وسقي القهوة المسمومة بمادة الثاليوم فلم تمهله إلّا يوماً واحداً فاستشهد يوم ٢ شوال ١٤٠٧ هـ.

١٩. الشيخ جواد كاظم الدَلي الزهيري: مواليد ١٩١٨ النجف الأشرف ومن سكنة الهاشمية / الحلة.

خطيب: استشهد تحت التعذيب في سجن المحاويل والذي اعتقل فيه مع جموع من الثائرين ضد الطاغية في انتفاضة شعبان ١٤١١هـ وكان قد فجع باستشهاد أحد ابنائه الشهيد عبد الحكيم وهو من طلبة الاعدادية والذي اعتقل عام ١٩٨٢ م لاتهامه بنشاط اسلامي.

٢٠. السيّد جواد السيد علي السيد محمّد شبر: مواليد ١٣٣٢ هـ النجف الأشرف.

عالم أديب ومن كبار الخطباء في العراق وغيره.

اقتحم جلاوزة الطاغية عليه سطح المدرسة الشّبريّة في النجف الأشرف ليلاً بكسر

باب المدرسة وايقاضه من نومه وأخذه دون ان يسمحوا له حتى بارتداء ملابسه وذلك ليلة ١٥ شهر رمضان ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م وبقي لفترة في السجن حتى استشهد تحت التعذيب.

٢١. الشيخ جواد الشيخ عبد الحميد ابراهيم الهلالي: مواليد البصرة ومن سكنة الكوفة.

خطيب: استدعي غدراً بعنوان مجلس تعزية فأخذ إلى دائرة الامن الارهابية وسقي السم وقد أثر في جسمه فوراً فاستشهد في حينها ورمي بجسده الطاهر بالقرب من مرقد الشهيد ميثم التمار وذلك يوم ٥ شوار ١٤٠٩هـ ـ الموافق ١٩٨٩ في الحملة المسعورة ضد خطباء المنبر الشريف.

٢٢. الشيخ جواد كاظم الورد: الديوانية / السنية مواليد ١٩٣٨.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل أوائل عام ١٩٨٢ مع مجموعة من المؤمنين في سجن أمن النجف ثم نقل إلى سجن (أبو غريب). وبقي فيه لأربع سنوات تحت التعذيب حتى استشهد ١٩٨٦ ولم يسلّم جثمانه وصودرت أمواله.

٢٣. السيد حسن السيد كاظم هادي الأعرجي: بابل / القاسم.

خطيب شارك في الانتفاضة عام ١٩٩١ وأخذ بعد دخول الجيش وعلم أهله أنه استشهد تحت التعذيب ونقل ان مجرمي الطاغية أحرقوه بأطار سيارة رغم كبر سنه وكونه مكفوف البصر، وقد استشهد من المقربين له.

١. أخوه الاستاذ السيد مهدي السيد كاظم الأعرجي / مدرس.

٢. ولده المهندس السيد سالم السيّد حسن الأعرجي.

٢٤. الشيخ حسن الشيخ عبود البهادلي: العمارة مواليد ١٩٣٢.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية. اعتقل مع مجموعة من المؤمنين في أواخر عام ١٩٨٠م واستشهد تحت التعذيب.

٢٥. الشيخ حسن نجل الشيخ فالح الربيعي: النجف الأشرف.

خطيب استشهد اعداماً يوم ٢١ / ٦ / ١٩٨٧م وقد تم اعدام اثنين من أخوانه هما: الشهيد عباس والشهيد محسن.

٢٦. الشيخ حسن نجل الشهيد الخطيب الشيخ علي العبادي: العمارة.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل مع رفيقه الشيخ جميل الشيخ محسن الخزاعي قبل اعتقال الشهيد السيد محمّد باقر الصدر ﷺ ١٩٧٩م وقد تيقن ذووهما بعد سقوط الطاغية من استشهادهما في السجون الرهيبة تحت التعذيب.

٢٧. السيد حسن السيد علي القبّانچي: النجف الأشرف.

عالم محقق وخطيب معروف: اعتقل في أحداث الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م وذلك في العشرين من شهر رمضان المبارك ١٤١١هـ، وله من العمر حوالي ٨٤ عاماً وكان مريضاً وقد استشهد تحت التعذيب كما استشهد من أولاده. كُلّ من السادة: عزالدين، وصادق، وعبد الحسين، وعلي.

٢٨. الشيخ حسن عبد الجواد الكعبي: النجف الأشرف / ناحية القادسية.

خطيب. استشهد في الحملة المسعورة عام ١٩٨٨م حيث دعي غدراً بحجة عقد زواج وأخذ وقتل ثم رميت جنازته في نهر ـ السوارية ـ وأبلغ ذووه بعد ثلاثة أيام بأنه توفي غرقاً وذلك في شهر رمضان ١٤٠٨هـ.

٢٩. الشيخ حسن سعيد عباس المسلماوي: مواليد النجف الأشرف.

خطيب وامام مسجد الزهراء عليها السلام في مدينة الحرية / بغداد.

استشهد رمياً بالرصاص في الحملة المسعورة وكان قد دعي غدراً بحجة عقد زواج وقد عثر على جسده في اليوم الثاني ممثلاً به قرب ـ جسر الخر ـ يوم ٢٨ / ٥ / ١٩٨٩ م.

٣٠. الشيخ حسن مهدي جعفر الهلالي: النجف الأشرف.

خطيب. استشهد على أثر التعذيب النفسي والجسدي الذي لقيه في سجن أمن النجف حيث اقتيد بحجة اشتراك ابنائه في الانتفاضة الشعبانية ١٤١١ هـ فلم يبق إلّا أياماً بعد خروجه من السجن وله من العمر أكثر من ثمانين عاماً[١]

٣١. السيد حسين نجل الخطيب السيد عبد الله السيد محمّد الحسيني: مواليد ١٩٥٦ الخالص / ديالى.

خطيب مبتدئ، وخريج المعهد الطبي بغداد.

اعتقل بعد حادثة (جيزان الجول) عام ١٩٨١ م واستشهد تحت التعذيب.

٣٢. الشيخ حسين عبد الجبار السويعدي: بغداد / امام جمعة في بغداد.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومن خريجي المعهد التكنلوجي في البصرة.

استشهد مع جملة من المؤمنين تحت التعذيب يوم ٢٧ / ٧ / ١٩٩٨ م.

٣٣. السيّد حسين السيد مرتضى الحسيني الشهرستاني: كربلاء.

خطيب وأديب استدعي إلى دائرة أمن كربلاء وسقي السم فتدهورت صحته ولم يبق إلّا يوماً واحداً وكان استشهاده يوم ١٢ / ١٢ / ١٩٨٧ م في الحملة المسعورة ضد الخطباء.

٣٤. الشيخ حسين جواد الگديمي المحمودي: بغداد / قضاء المحمودية.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

---

١ . تبقى هذه المعلومات موقع اشكال .

استشهد في الحملة المسعورة ضد الخطباء (١٩٨٧ ـ ١٩٨٨ م) تحت التعذيب في سجون الامن الرهيبة وكان قبلها سجيناً منذ عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٦ م في سجن (أبو غريب).

٣٥. الشيخ حسين موزان معتوگ النصير: البصرة / القرنة.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد حدود عام ١٩٨١ لإنتمائه للحركة الإسلامية وقد تم اعتقال والديه على كبر سنهما.

٣٦. الشيخ حمزة الشيخ طاهر الشيخ حمزة الزبيدي: مواليد الهندية (طويريج).

ومن سكنة كربلاء.

خطيب: أستشهد في الحملة المسعورة مسموماً ٨ / ٩ / ١٩٨٨ م.

٣٧. حمزة عجه العسكري: السماواة / الرميثة.

خطيب موكب آل زيّاد في السماوة. وطالب جامعي استشهد تحت التعذيب وكان اعتقاله عام ١٩٧٩ م .

٣٨. السيّد حلو السيد عبد الزهره الحلو: البصرة / المدينة.

خطيب استشهد اعداماً عام ١٩٨٠ م مع ثلاثة من الابطال هم: ١. كاظم محمّد زكي، ٢. السيّد أياد السيد عبد الزهرة الحلو، ٣. السيد يعرب السيد حسين الحلو.

٣٩. السيد حميد السيد حبيب السيد عبد الرضا البكاء: ذي قار.

خطيب استشهد لمشاركته في الانتفاضة ولم يعثر على جثمانه إلّا بعد سقوط الطاغية.[1]

٤٠. السيد حميد السيد علي السيد محسن الشوكي: مواليد ١٩٣٧ م العمارة:

---

١ . يقول السيد عدنان البكاء: لم يكن السيد حميد خطيباً.

ومن سكنة النجف الأشرف خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب في الحملة المسعورة ضد الخطباء حيث أعتقل بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٨٨ م كما استشهد أحد أولاده السيد مزهر الشوكي.

٤١. الملا حيدر كرم البشيري: كركوك / بشير.

خطيب استشهد تحت التعذيب في السجون الرهيبة بتهمة الإنتماء لحزب الدعوة الإسلامية وكان مكفوف البصر وقد اعتقل عام ١٩٨٠ م علماً بأنه قد فجع باستشهاد ولده (ذو الفقار).

٤٢. الشيخ خضير خطار سعدون الظالمي: مواليد ١٩٣٢م الرميثة /من سكنة الديوانية.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب وكان اعتقاله عام ١٩٨١ م وقد سلمت شهادة وفاته إلى أهله عام ١٩٨٣م من مديرية أمن النجف ولم يسلم جثمانه الشريف.

٤٣. الشيخ راضي خنوبة الدراجي:

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في سامراء ثم في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب وقد اعتقل أوائل الثمانينات.

٤٤. الشيخ راهي عبد الرضا هلّول البختري: النجف الأشرف / مواليد المشخاب.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف ـ الجامعة الدينية ـ

استشهد تحت ا لتعذيب عام ١٩٨٣ م وقد سجن بعض أقربائه عقوبة لهم لستة أشهر وأطلق سراحهم بعد التعذيب.

٤٥. السيد رحيم السيد خلف الحلو: مواليد النجف الأشرف حدود عام ١٩٢٥ ومن سكنة كربلاء المقدسة خطيب: استشهد عام ١٩٨٨ م تحت التعذيب حيث اعتقل بسبب اشتباهه في جواب سائل له عن عيد الفطر فقال: على رأي السيد (الخميني) ويقصد به السيد (الخوئي) لم يثبت الهلال.

٤٦. الشيخ رزاق كوكز الجوداوي من (آل جوده): واسط.

من طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف ـ خطيب في مدينة الكوت ـ وخريج كلية التربية / البصرة.

استشهد في آذار عام ١٩٩٩ م.

٤٧. الشيخ رزاق عبد ساچت الحسناوي: الديوانية / الشنافية.

خطيب استشهد مسموماً في الحملة المسعورة ضد الخطباء عام ١٩٨٨ م وقد استدعي إلى دائرة امن الشنافية وسقي السم.

٤٨. الملا ريسان فيروز الخفاجي: ذي‌قار / سوق الشيوخ / العكيكة.

خطيب: استشهد مع ولديه وابن أخيه في المواجهة مع قوات الطاغية في انتفاضة شعبان ١٤١١هـ(١٩٩١ م).

٤٩. السيّد زيد نجل الخطيب السيد يونس الحسيني: بابل / الكفل.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب في أوائل الثمانينات.

٥٠. السيّد زين العابدين نجل الخطيب السيّد يونس الحسيني: بابل / الكفل.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب في أوائل الثمانينات.

٥١. الشيخ سالم صادق عبد المحسن البغدادي: مواليد الشواكة / بغداد ١٩٤٣م.

خطيب: ومن طلبة الحوزة العلمية استشهد تحت التعذيب في سجون الأمن في بغداد حيث كان اعتقاله يوم ١٥ / ٤ / ١٩٨٠ وقد استشهد أخوه (فؤاد) اعداماً وتم ابعاد ذوويهم صغاراً وكباراً إلى ايران عقوبة لهم.

٥٢. السيّد سامي السيد مجهول الحسيني (العرداوي): النجف الأشرف ناحية الحرية (الصليچية).

خطيب. اعتقل عام ١٩٨١ م من قبل الاستخبارات العسكرية ثم اعتقل ولدا عمه بعده بعام وهما:

١. السيد قحطان نجل الخطيب السيد جاسم. ٢. السيّد علي السيد مدلول وقد استشهدوا جميعاً تحت التعذيب ولم تسلّم اجسادهم.

٥٣. السيد سعد السيد شمخي الشوكي: مواليد العمارة / الكحلاء ــ ومن سكنة بغداد.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف. استشهد وسلِّمت جثته عام ١٩٨٨م.

٥٤. الشيخ (سلام) الظالمي [عبد الكريم تمكين خطار آل سعدون الظالمي]: الديوانية.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في قم المقدسة وخريج كلية الزراعة في بغداد.

استشهد مع المجاهدين في قوات بدر (حاج عمران) عام ١٩٨٧ م في عمليات

كربلاء الثانية ضد الطاغية صدام.

٥٥. السيد سلمان السيد نور السيد سلمان الحلو: النجف الأشرف.

خطيب استشهد عام ١٩٨٢ م اعداماً وقد استشهد معه ولده الاستاذ السيد مهدي .

٥٦. الشيخ سلمان الشيخ والي الشافعي: النجف الأشرف / العباسية.

خطيب استشهد في الحملة المسعورة ضد الخطباء بـاستدعائه إلى مـديرية أمـن النجف وسقيه السم حيث بقي بعدها ثمانية أيام يعاني من آثاره حتى استشهاده في آخـر شهر صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٩٨٨ م. وقد استشهد أُخوه الخطيب الشـيخ عـيسى تـحت التعذيب أيضاً حيث اعتقل عام ١٩٨١ م.

٥٧. السيد شاكر السيد گدر الحسيني: مواليد النـاصرية مـن سكـنة النـجف الأشرف.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية استشهد في الحملة المسعورة ضد الخطباء عـام ١٩٨٨ م.

٥٨. الشيخ شريف صخر الجابري: السماوة / الخـضر ـ مـن سكـنة النـجف الأشرف.

خطيب ومن أفاضل طلبة الحوزة العلمية .

هجم عليه أكثر من عشرة من جلاوزة الأمن قبل طـلوع الشـمس وانـهالوا عـليه بالضرب وعلى أبيه الذي كـان مسـجى لمـرضه واعـتقل بـعد تـفتيش داره وابـلغ ذووه باستشهاده تحت التعذيب وكان اعتقاله حدود عام ١٩٧٩ م.

٥٩. السيد صابر السيد محمّد علي السيد مرزوگ الشرع: مواليـد ١٩٤٥ م البصرة / المدينة.

خطيب وعالم ألقي عليه القبض في النجف الأشرف مع جملة من المؤمنين في شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ثم نقلو إلى جهة مجهولة ولم يعلم عن مصيرهم شيء إلّا بخروج بعض المعتقلين من سجن (أبو غريب) حيث أكدوا على استشهادهم.

٦٠. **السيد صادق السيد باقر السيد محمّد البطاط**: مواليد البصرة ١٩٤٧ م من سكنة الحلة / الكفل ـ ممثل المرجعية الدينية فيها ـ

عالم وخطيب. استشهد تحت التعذيب بعد اعتقاله حدود عام ١٩٧٩ م وقد أبلغ ذووه باستشهاده ولم يسلم جثمانه الطاهر. وكان قد اعتقل قبلها لعدة مرات مارسوا معه خلالها أقسى أنواع التعذيب.

٦١. **السيد صادق السيد حسن القبانچي**: النجف الأشرف.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف وقم المقدسة اعتقل لمشاركته في انتفاضة رجب ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م وبعد إطلاق سراحه هاجر إلى ايران وسكن في قم مواصلاً دراسته، وفي طريقه إلى معسكرات الأسرى في طهران استشهد مع رفيقيه السيد ضياء محمّد جمال الهاشمي والشيخ أيوب البهادلي.

٦٢. **صباح السيد حبيب الموسوي**: مواليد الحي (واسط) سكنة / الكاظمية.

خطيب وخريج المعهد الطبي في بغداد: استشهد مع اخيه السيد نجاح تحت التعذيب ١٩٧٩ م.

٦٣. **صباح محيل (آل غريج)**: ذي قار / سوق الشيوخ.

خطيب استشهد مع جماعة من الضباط المجاهدين الذين رفضوا الالتحاق بالحرب ضد ايران فالقي عليهم القبض بعد سنوات وذلك في محرم ١٤٠٨ هـ وتم اعدامهم جميعاً.

٦٤. **السيد صبري السيد سلطان البطاط**: البصرة.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب وكان قد اعتقل أوائل الثمانينات.

٦٥. السيد صدر الدين السيد محمّد حسن الموسوي الشهرستاني: كربلاء.

خطيب / أديب. اعتقل في احداث الانتفاضة عام ١٩٩١ م... ولم يعرف مصيره حتى سقوط حكم الطاغية حيث اطلعوا على ملفه انه أعدم عام ٢٠٠١ م.

٦٦. الشيخ طارق الخاقاني: ذي قار ـ الفهود.

خطيب استشهد عام ٢٠٠٠ م.

٦٧. الشيخ طارق الشيخ محمّد الديري: البصرة.

خطيب / أديب استشهد وهو مكسور الظهر على أثر التعذيب في السجون الرهيبة للطاغية وكان قد اعتقل في أواسط الثمانينات.

٦٨. الشيخ طالب (طليب) «المخاضري»: الديوانية / عفك.

خطيب.

استشهد في الحملة المسعورة ورميت جثته الطاهرة في طريق الحمزة الشرقي عام ١٩٨٨ م.

٦٩. الملّه طيّاره زوجة المرحوم الشيخ عبد الله التميمي: الديوانية.

قارئة تعزية معروفة في مركز المدينة استشهدت بعد احداث الانتفاضة ١٩٩١ م وقد عثر على جسدها الطاهر في المقابر الجماعية.

٧٠. الشيخ عباس فاضل صادق التركماني: كركوك.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل عام ١٩٧٩ م بعد انتفاضة رجب واستشهد رمياً بالرصاص يوم ٥ / ٧ / ١٩٧٩م ولم تسلم جثته .

٧١. السيد عباس السيد محمّد الجابري (الموسوي): الناصرية مواليد ١٩٥٣م سوق الشيوخ.

خطيب وأديب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف وخريج كلية الفقه .

اعتقل عام ١٩٧٩ بحجة النشاط الاسلامي واطلق سراحه بعد فترة ثم اعتقل مرة أُخرى وأبلغ ذووه باستشهاده عام ١٩٨١ م .

٧٢. الشيخ عباس علي نصيف الجبوري: بغداد / المحمودية مواليد ١٩٥٤ ـ

خطيب ورادود ـ اعتقل عام ١٩٨٠ م واستشهد تحت التعذيب حدود عام ١٩٨٠ م.

٧٣. الشيخ عباس عبد الحسين الجراح: النجف / الكوفة.

خطيب: استشهد في الحملة المسعورة على الخطباء ١٩٨٨ م مسموماً.

٧٤. السيد عباس السيد محمّد السيد نور الحلو: النجف الأشرف .

عالم وخطيب ومدرس ثانوية. كان وكيلاً للشهيد السيد محمّد باقر الصدر ﷺ في «أبو صيدا».

استشهد تحت التعذيب بعد اعتقاله عام ١٩٨٢ م كما استشهد ولداه: ١. السيد مسلم عباس الحلو / قبله، ٢. السيد عبد الرزاق عباس الحلو / مع والده.

٧٥. السيّد عباس السيد اسماعيل السيد علي الشوكي الموسوي: مواليد العمارة ١٩٤٨ م / من سكنة بغداد .

خطيب وامام مسجد ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب وقد داهمه بعض جلاوزة الأمن الساعة الثانية عشر ليلاً في

شهر رمضان المبارك ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م واقتيد ولم يعلم مصيره إلّا بعد عشرين يوماً حيث استدعي ذووه إلى دائرة الامن وأستلَموا جثمانه الطاهر مشوهاً وفي غاية التشويه.

٧٦. السيد عباس السيد هاشم السيد جبر سنبه الطباطبائي: مواليد النجف الأشرف ١٩٣٤ م من سكنة كربلاء.

خطيب ومدرس ثانوية اشترك في انتفاضة شعبان فتم اعتقاله يوم ١٣ رمضان ١٤١١ هـ وبقي في السجن إلى يوم ١ ربيع الأوّل ١٤١٢ هـ حيث أخرج من السجن وعليه آثار التعذيب من كسر اضلاعه وكوي ظهره وأطرافه وقلع عينه اليمنى فاستشهد بعد يومين وذلك يوم ١٠ / ٩ / ١٩٩١ م.

٧٧. عباس عبد الجبار العارضي (عباس سقه): مواليد ١٩٥٣ الكاظمية / بغداد.

رادود حسيني ومن قراء القرآن الكريم.

اعتقل أوائل الثمانينات واستشهد تحت التعذيب.

٧٨. الشيخ عباس ناصر ركين المنصوري: البصرة / المدينة (الحدّة ـ بني منصور).

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف وكان وكيلاً للسيد الخوئي في الحدّة.

اعتقل لأربع مرات في سجون العمارة والبصرة وبغداد كان آخرها لست سنوات تقريباً وأكثرها في سجن الامن العامة واطلق سراحه من سجن (أبو غريب) يوم ٣ / ٦ / ١٩٨١ م وبقي تحت الملاحقة والمضايقة فكان استشهاده في الحملة المسعورة ضد الخطباء حيث تمت ملاحقته بعد خروجه من مجلس فاتحة في منطقة (أحمد بن علي) وبالقرب من داره فاعترضوه بسيارتهم وكانوا متلثمين فاطلقوا عليه الرصاص وقتلوه وذلك

في الساعة ٤٥ / ٩ دقيقة من احدى ليالي شهر ذي الحجة الحرام ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

٧٩. الشيخ عبد الله طخاخ: الديوانية / عفك.

خطيب استشهد في الحملة المسعورة ضد خطباء المنبر عام ١٩٨٨ م ورغم انه كان قد فقد بصره في أيامه الأخيرة فانه لم يمنع ذلك من قتله فاستدعي وجماعة من الخطباء إلى دائرة أمن الديوانية وسقوا السم جميعاً وكان الشهيد في السبعين من عمره.

٨٠. الشيخ عبد الأمير هادي أبو الطابوق: النجف الأشرف.

خطيب. ومن خريجي الدراسة الحوزوية في النجف الأشرف / وخريج كلية الفقه .

تعرض لمحاولة اغتيال بالسم عام ١٩٨٨ م وبقي تحت العلاج لأكثر من سنة ثم اعتقل مع أكثر من سبعين عالماً من آل بحر العلوم وآل الحيكم وآل الخلخالي وغيرهم واستشهدوا جميعاً عام ١٩٩١ م بعد الانتفاضة.

٨١. الشيخ عبد الأمير الخويلدي: النجف الأشرف / ومن سكنة بابل / مدينة الثورة.

خطيب ومن خريجي الدراسة الحوزوية في النجف الأشرف.

استشهد مسموماً عام ١٩٨٨ م في الحملة المسعورة ضد الخطباء.

٨٢. الشيخ عبد الأمير محسن سويف الساعدي: مواليد العمارة / المشرح.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف /كان وكيلاً للسيد الخوئي في الهندية.

استشهد اعداماً ٥ / ٧ / ١٩٨٠ م بعد اعتقاله لمرتين حيث كان من أعضاء حزب الدعوة الإسلامية وممن له علاقة وثيقة بالشهيد السيد محمّد باقر الصدر.[١]

٨٣. الشيخ عبد الأمير الشيخ عباس مهدي سميسم: مواليد ١٩٣٣ م النجف الأشرف.

---

١ . نقلاً عن الشيخ محمد رضا الساعدي: إن الشيخ عبد الأمير لم يكن خطيباً.

خطيب. أديب .

اعتقل واستشهد في سجون الأمن العامة حدود عام ١٩٨٢ م .

٨٤. السيد عبد الجبار السيد طاهر السيد محسن الجابري: مواليد البصرة / كوت الزين.

خطيب: استشهد في الحملة المسعورة ضد الخطباء عام ١٩٨٨ م حيث اختطف بعد انتهائه من مجلس في منطقة الجمهورية وقتل خنقاً ولفّ بعباته وألقي بجسده الطاهر بباب داره في محلة العالية بالبصرة .

٨٥. الشيخ عبد الجبار حمود عناد العبادي: الناصرية / الشطرة.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف ـ وخريج معهد المعلمين / معلم .

استشهد اعداماً بعد سجنه لمدة سنة منذ عام ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ م لنشاطه الدراسي والمنبري.

٨٦. الشيخ عبد الجبار الشيخ مرتضى فرج الله: مواليد العمارة، ومن سكنة النجف الأشرف .

خطيب / أديب / وعالم.

استشهد تحت ا لتعذيب عام ١٩٨٢ م مع عدد من العلماء والمجاهدين من أقربائه.

٨٧. الشيخ عبد الجبار كاظم النايلي (الكرعاوي): بابل.

خطيب. ومن طلبة الحوزة العلمية في القاسم.

استشهد عام ١٩٨٠ م تحت التعذيب وسلّم جثمانه لذويه.

٨٨. الشيخ عبد الحسن نجل الشهيد الشيخ عباس الجراح (الكوفي):

النجف الأشرف / الكوفة.

خطيب / ومن طلبة ومدرسي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد اعداماً مع ثلاثة اتهموا ظلماً وجوراً بقتل المرجع السيد محمّد الصدر.

٨٩. الشيخ عبد الحسن الشيخ فرج الشيخ فاخر فرج الله: البصرة / المدينة .

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

اعتقل عام ١٩٨١ م وأبلغ أهله بعد ثلاث سنوات باستشهاده.

٩٠. السيد عبد الحسين السيد حسين عبد الحسن الخطيب (الحسيني): كربلاء / الهندية.

خطيب واستشهد مسموماً حيث استدعي إلى دائرة أمن الهندية وزرق بحقنة سامة وفور خروجه شلت اعضاؤه وتوفي بعد ساعات وذلك بداية عام ١٩٨٦ م .

٩١. الشيخ عبد الحسين الشيخ باقر الشيخ محمّد الساعدي: مواليد العمارة / من سكنة بغداد.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في كربلاء.

استشهد اعداماً بسبب رفضه لاستلام مبلغ بعنوان هدية الطاغية (صدام) وذلك بعد انتهائه من مجلس له في مدينة الثورة. فاعتقل في ايلول ١٩٨٧ م وتم اعدامه يوم ٧ / ١ / ١٩٨٨ م .

٩٢. الشيخ عبد الحسين عبد الفتلاوي: الديوانية / الشامية.

خطيب: استشهد في الحملة المسعورة رمياً بالرصاص حيث كان قد استدعي إلى دائرة الأمن وقدّم له شراب مسموم فاعتذر بأنه صائم ولوحق بعد خروجه وقتل ورميت جثته في منطقة أُخرى .

٩٣. الشيخ عبد الرؤوف الشيخ عسكر الشيخ حسين دكسن: البصرة / مواليد ١٩٢٢م.

خطيب / أديب.

استشهد في الحملة المسعورة ضد خطباء المنبر ١٩٨٨ م برضّ صدره بسيارة في مفترق (الحيانية) بالقرب من كلية التربية الرياضية في البصرة.

٩٤. الشيخ عبد الرحيم الشيخ حسين الشيخ فرج الله آل فرج الله: مواليد ١٩٣٦ البصرة.

عالم، خطيب، أديب. استاذ ثانوية (من خريجي كلية الفقه).

اعتقل بتهمة المشاركة بانتفاضة رجب ١٣٩٩ هـ ومعارضة الحاكم الجائر ولاقى صنوف التعذيب حتى بلّغ باستشهاده عام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣ م.

٩٥. السيد عبد الرحيم طاهر الياسري: مواليد العمارة.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف وعالم منطقة جيزان الچول / ديالى.

استشهد تحت التعذيب يوم ١٧ / ٣ / ١٩٨٠م.

٩٦. السيد عبد الرزاق السيد حسين السيد عزيز الحسيني: مواليد ١٩١٧م النجف الأشرف / من سكنة المشخاب من توابع النجف.

خطيب.

استشهد في الحملة المسعورة ضد الخطباء عام ١٩٨٨ م حيث اقتحم أزلام الأمن عليه داره وحاول الدفاع عن نفسه فلم يتمكن فاخذوه من داره قسراً وقتلوه وسلموا جنازته إلى أولاده في الكوفة.

٩٧. السيد عبد الرزاق السيد هادي السيد نور الحلو: النجف الأشرف / الكوفة مواليد ١٩٠٧ م.

خطيب: كان يرتقي المنبر الشريف في مناطق ناحية القادسية ثم انتقل إلى الكوفة فكان يقيم المجلس ويرتقي المنبر في داره فاستدعي في الحملة المسعورة إلى دائرة الامن وسقي السم فاستشهد على أثرها.[1]

٩٨. السيد عبد الرزاق السيد محمّد علي كاظم القاموسي: النجف الأشرف ١٩٤٧م.

خطيب شهير ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف وخريج كلية الفقه.

اعتقل وهو حديث عهد بالزواج واستشهد تحت التعذيب الشديد في سجون الطاغية ببغداد وكان اعتقاله عام ١٩٨٠م.

٩٩. الشيخ عبد الرزاق قهّار عبد الكلابي: النجف الأشرف.

خطيب وخريج المعهد التكنولوجي.

استشهد تحت سنة كاملة من التعذيب في سجن أبو غريب عام ١٩٨٨ م وقد ألقي القبض عليه مع الشاب الشهيد مصعب كاظم عگيلي الشبلاوي وهما في طريقهما إلى إيران فراراً من الخدمة العسكرية الالزامية.

١٠٠. السيد عبد الرزاق الموسوي: النجف الأشرف.

عالم وخطيب.

استشهد عند رجوعه ليلة الجمعة من زيارة الإمام الحسين عليه السلام حيث أمّ الاف المصلين للعشائين في الصحن الشريف مكان العالم الجليل الشهيد السيد محمّد رضا الخلخالي الذي كان مشغولاً بموسم الحج فقتل السيد من قبل جلاوزة الأمن باعتراض

---

١. نقلاً عن المقربين منه: كانت وفاته طبيعية.

سيارة كبيرة لهم لسيارته أدى إلى انقلابها بين النجف وكربلاء ١٩٨٩ م .

١٠١. الشيخ عبد الرسول الشيخ عبد الرحيم العبادي: مواليد النجف الأشرف / من سكنة الكاظمية.

خطيب وأديب .

استشهد على أثر دهسه بسيارة لجلاوزة الامن بعد انتهائه من مجلس له في حسينية المشاط بالكاظمية وذلك عام ١٩٧٩ م وكانت بالقرب من الحادث سيارة لشرطة النجدة وترك الشيخ مسجى دون أن يتدخل الشرطة بالحادث .

١٠٢. الشيخ عبد الرضا الشيخ علي حمد الصافي: كربلاء ١٩٣٣ م .

عالم / خطيب / أديب .

استشهد قتلاً من قبل أمن كربلاء ورمي بجسده الطاهر في بستان يوم ٢٩ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ الموافق ٣ / ٧ / ١٩٨٩ م لامتناعه عن تلبية دعوة الحزب للحضور في مجلس تأبيني بمناسبة هلاك الطاغية (ميشيل عفلق) مؤسس الحزب .

١٠٣. الشيخ عبد الرضا الحاج علي علاج: الديوانية.

خطيب وموظف في مستشفى الديوانية.

استشهد تحت التعذيب في سجون الأمن حيث تم اعتقاله في محرم ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م وكان يشرف على تعذيبه المجرمان محمّد عباس وعلي الخاقاني.

١٠٤. الشيخ عبد الرضا عبد الفتلاوي(١): الديوانية / الشامية.

خطيب استشهد مسموماً عام ١٩٨٨ م حيث استدعي إلى دائرة الأمن في الديوانية في الحملة المسعورة وقد استشهد في الحملة كذلك أخوه الشيخ عبد الحسين وابن عمه الشيخ كاظم.

---

١ . أخبرني فضيلة الرادود السيد خليل النقيب بأن الشيخ عبد الرضا عبد الفتلاوي لم يستشهد ولازال حياً، ٤ / ٤ / ٢٠٠٤، (المؤلف).

١٠٥. الشيخ عبد الزهرة حسن فالح الاسدي: مواليد ١٩٤٥م البصرة / المدينة / من سكنة النجف .

خطيب. ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

استشهد بدعوته من قبل بعض جلاوزة الأمن بحجة القراءة في مجلس حسيني غدراً فقتل باطلاق الرصاص عليه وألقي بجسده الطاهر بالقرب من الحزام الأخضر في النجف وذلك في الحملة المسعورة يوم ٢٩ / ٥ / ١٩٨٧ م .

١٠٦. الشيخ عبد الزهرة البديري: بغداد / الثورة (مدينة الصدر).

خطيب وامام مسجد (سيد شباب أهل الجنة).

وقد استشهد اعداماً بعد اعتقاله لسنة أو أكثر مع جمع من الشباب وكان قد سجن قبلها لأكثر من عشر سنوات في سجن أبي غريب وقد بُلّغ أهله باعدامه مؤخراً ولم يسلَّم جثمانه.

١٠٧. السيد عبد الزهرة السيد طالب السيد ياسين البكاء: الناصرية.

خطيب. اعتقل من عام ١٩٨١ م إلى ١٩٨٦ م في سجن أبي غريب ثم اعتقل بعد الانتفاضة لمدة ثلاثة أشهر ثم حكم عليه مع مجموعة من المجاهدين بالإعدام فأستشهدوا جميعاً عام ١٩٩٧م .

١٠٨. الشيخ عبد الزهرة نعمة البيضاني: مواليد ١٩٤٦ العمارة / المجر.

خطيب. ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

استشهد تحت التعذيب في سجون الأمن العامة وكان قد اعتقل عام ١٩٨٠م تقريباً. وكان معه العلامة الأديب الشيخ محمّد رضا آل صادق الذي أُخرج من السجن وعليه آثار التعذيب وابعد إلى إيران وتوفي في قم المقدسة.

١٠٩. الشيخ عبد الزهرة حامد محسن التميمي: البصرة / الزبير ١٩٤٤م.

خطيب وعالم جليل.

باغته أزلام الطاغية بعد انهائه صلاتي المغرب والعشاء في بعض مساجد الزبير وكان في طريقه إلى داره للأفطار في شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م وأقلوه بسيارة إلى جهة مجهولة ولم يعرف مصيره إلّا بعد ست سنوات حيث أبلغ ذووه عام ١٩٨٨م بأن الشيخ قد تم اعدامه بعد اعتقاله بشهر.

١١٠. الشيخ عبد الزهرة الطائي: بابل / القاسم.

خطيب: ومن العلماء المعروفين في الحوزة العلمية في القاسم والنجف الأشرف استشهد تحت التعذيب لنشاطه الاسلامي وقد اعتقل في اواخر ١٩٨١م في مديرية الأمن العامة ـ الشعبة الخامسة ـ وبقي تحت التعذيب مع جمع من المؤمنين ولم يواجهوا الحاكم حتى يوم ١٥ / ٧ / ١٩٨٢م ثم قُسِّموا إلى وجبات منها وجبة الشيخ (٢٤) شخصاً وقد حكم عليهم بالاعدام جميعاً.

١١١. الشيخ عبد الزهرة الشيخ فلاح الشيخ عباس الكعبي: ولد في كربلاء يوم ١٥ جمادي الأوّل ١٣٣٧هـ.

خطيب معروف وهو قارئ المقتل الحسيني يوم عاشوراء.

استشهد مسموماً يوم ١٥ جمادي الأولى ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

١١٢. السيد عبد السجاد السيد سالم السيد موسى العرباوي (الموسوي): مواليد ١٩٥٣م النجف / العباسية.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل ١٩٨١م واستشهد تحت التعذيب حيث أبلغ ذووه باستشهاده عام ١٩٨٧م دون تسليم جثمانه.

١١٣. السيّد عبد الصاحب السيّد محمّد السيد نور الحلو: النجف الأشرف.

خطيب: ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل بسبب رفضه للإنتماء إلى دائرة الأوقاف حتى استشهد تحت التعذيب عام ١٩٨٢م ولم يسلم جثمانه الشريف لأسرته.

١١٤. الملا عبد العالي حمد جراح المنصوري: البصرة / المديّنة.

خطيب في منطقة أبو غريب وفي مقام أحمد بن علي في المدينة وفي النشوة.

استدعي إلى دائرة الأمن وسقي السم في الحملة المسعورة عام ١٩٨٨ م فاستشهد مسموماً على أثرها.

١١٥. الشيخ عبد العزيز الحاج بشير الابراهيمي: ذي قار / سيد دخيل.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

سيق قسراً إلى الخدمة العسكرية وكان قد أجرى عملية فأمره الضابط بحمل ثقل فأخبره بمرضه وحذّر بعض الجنود الضابط بأن عمليته خطرة فقال: اني أريد قتله وفعلاً حملّ الثقل فسقط فوراً وأخذ إلى أحدى المستشفيات في مدينة العمارة فتوفي هناك وذلك عام ١٩٨٥م.

١١٦. الشيخ عبد العظيم الأسدي: ذي قار / الچبايش.

خطيب: ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل عام ١٩٧٩ وأطلق سراحه ثم اعتقل مرة أخرى بعام أو أقلّ واستشهد تحت التعذيب.

١١٧. الشيخ عبد علي الشيخ حمزة نجم الجوذري: بابل / القاسم / ١٩٥٢م.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في القاسم.

اعتقل عام ١٩٨١ م بعد اعتقال الشهيد السيّد محمّد تقي الجلالي بأيام وبقي تحت التعذيب حتى استشهد اعداماً يوم ١٥ / ٨ / ١٩٨٢ م.

١١٨. الشيخ عبد الغني الشيخ عبد الله الحلفي: البصرة.

خطيب. استشهد في الحملة المسعورة ضد خطباء المنبر بحادث متعمد من قبل جلاوزة الأمن باصطدام شاحنة لهم بسيارته الصغيرة.

١١٩. الشيخ عبد الكريم محمّد الاسماعيلي: مواليد سوق الشيوخ ومن سكنة العراق / الناصرية.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية وكان يقيم صلاة الجمعة لفترة في ناحية الدواية.

اعتقل في سجون الامن الرهيبة في الناصرية ثم في بغداد واستشهد تحت التعذيب وقد عثر على جثمانه الطاهر مؤخراً في المقابر الجماعية.

١٢٠. السيد عبد اللطيف جاسم البوگديمي: مواليد العمارة.

خطيب: ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد على أثر التعذيب في السجن لمرور بعض الشباب المؤمنين بمنزله فكان معتقلاً منذ شهر آب ١٩٨٢ م وكان المشرف على تعذيبه في أمن الثورة في بغداد المجرم (مهدي الدليمي) والمجرم (علي الخاقاني) ثم افرج عنه في عام ١٩٨٣ م فبقي يعاني من آلام التعذيب حتى توفي عام ١٩٨٤ م.

١٢١. السيد عبد المطلب هادي أبو الريحة: النجف الأشرف.

خطيب وأديب.

استشهد مسموماً في الحملة المسعورة ضد الخطباء عام ١٩٨٨ م وقد استشهد قبله اخوه الخطيب السيد جابر أبو الريحة تحت التعذيب في سجن أب غريب.

١٢٢. السيد عبد المطلب السيد عبود هاشم المحنه: مواليد كربلاء: الهندية ١٩٢٠م.

خطيب: اعتقل لمرتين بسبب خروج أحد ابنائه إلى الخارج فراراً من السلطة واستشهد عام ١٩٨٤ م على أثر التعذيب في الاعتقال ا لثاني حيث لم يبق بعد إطلاق سراحه إلّا أياماً وكان قد فجع باستشهاد أحد ابنائه المعلم السيد حميد المحنة الذي اعتقل عام ١٩٨٠م .

١٢٣. السيد عبد المنعم علي موسى الشوكي: مواليد العمارة.

خطيب أديب، وعالم كان ممثلاً للمرجعية الدينية في الكويت.

اختطف من قبل مخابرات الطاغية صدام في الكويت واستشهد في سجون الأمن العامة في بغداد وكان قد استشهد ولده قبله.

كما توفي أخوه الخطيب السيد عبد الرحيم الشوكي في المهجر بعد ملاحقته من قبل أمن الطاغية.

١٢٤. الشيخ عبد الوهاب قاسم محمّد الاسدي: الحلة / القاسم .

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية.

اعتقل عام ١٩٨١ م مع ثلة من الشباب ا لمؤمن وأخبر والده بعد سنة باستشهاده ولم يسلّم جثمانه .

١٢٥. الشيخ عدنان الشيخ عبد الكريم الجباري: النجف الأشرف / ١٩٥٠م .

خطيب. ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وخريج كلية الفقه .

أخذ قسراً إلى المحمّرة بعد احتلالها مع جمع من الطلبة والخطباء ثم اعتقل بعد رجوعه متهماً بالتهجم على النظام الحاكم في العراق وقد استشهد تحت التعذيب عام

١٩٨٢م وسلّم جثمانه ودفن تحت المراقبة.

١٢٦. الشيخ عدنان مهدي العبودي: ذي قار / سيد دخيل.

خطيب ـ ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

اعتقل أوائل الثمانينات واستشهد تحت التعذيب.

١٢٧. السيد عدنان جابر سلمان الموسوي: الناصرية / الفهود .

خطيب في المناطق العشائرية وخاصة في شهر محرم وكان يعمل خياطاً.

اعتقل وولداه الاديب علي عدنان ـ خريج كلية ـ وعبد المجيد وهو طالب ثانوية عام ١٩٨٠م بتهمة النشاط الاسلامي وذلك في مدينة النجف الأشرف حيث سكنوا مؤخراً هناك وقد استشهدوا جميعاً في سجون الأمن الرهيبة.

١٢٨. السيد عز الدين السيد مطر آل يحيى الخطيب: واسط / العزيزية.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

اعتقل عام ١٩٨١ م بتهمة الإنتماء للحركة الإسلامية ولوكالته عن الشهيد السيد الصدر ﷺ وبقي تحت التعذيب النفسي والجسدي حتى نفذ فيه حكم الاعدام عام ١٩٨٢ م وصودرت جميع ممتلكاته.

١٢٩. السيد عز الدين القبانچي: النجف الأشرف .

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف وهو من أوائل شهداء الحركة الإسلامية عام ١٩٧٤م أعدم مع جملة من المؤمنين هم ١. الشيخ عارف البصري ٢. السيد عماد الدين التبريزي ٣. السيد نوري طعمة ٤. السيد حسين جلو خان.

١٣٠. السيد علاء السيد محمّد علي السيد كريم المرعبي: النجف الأشرف .

خطيب: ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

استشهد تحت التعذيب على أثر اعتقاله بعد موجة الاعتقالات العامة التي طالت المؤمنين وطلبة العلم بسبب انتفاضة رجب الاحتجاجية على اعتقال المرجع الشهيد السيد محمّد باقر الصدر ﷺ ١٩٧٩م.

١٣١. السيد علي (أو محمّد علي) الأعرجي: النجف الأشرف.

خطيب.

استشهد بعد أحداث الانتفاضة ١٩٩١م.

١٣٢. الشيخ علي الشيخ يوسف البصيصي: النجف الأشرف.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف.

اعتقل مع جملة من المؤمنين وهم في طريقهم إلى كربلاء لزيارة الحسين مشياً على اقدامهم وبعد سنة من التعذيب استدعي أهله إلى بغداد، وهناك ابلغوا باعدامه وهدّدوا بعدم اقامة المأتم عليه بعد استلام جثمانه الطاهر ودفنه سراً وذلك في شهر صفر ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٣٣. السيد علي السيد محمّد هاشم آل بحر الحسيني: النجف / العباسية.

خطيب، ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب وكان اعتقاله حدود عام ١٩٨٠م.

وقد توفي والده الخطيب السيد محمّد آل بحر في المهجر بعد ملاحقته هو وأولاده ودفن في قم المقدسة.

١٣٤. الشيخ علي الشيخ حسين علي الخويلدي: الديوانية / الشامية.

خطيب.

استشهد باطلاق الرصاص عليه في الحملة المسعورة ضد الخطباء عام ١٩٨٨م.

١٣٥. **علي عبد الحسين الرماحي**: النجف الأشرف / الكوفة .

شاعر معروف كان مختصاً بالشعر للمنبر الحسيني.

استشهد تحت التعذيب في مديرية الأمن العامة في بغداد حيث كان معتقلاً قبل سنتين في أمن النجف ١٩٨٠ م ثم نقل إلى بغداد وأبلغ ذووه هناك باستشهاده ولم يسلم جثمانه .

١٣٦. **الشيخ علي آل شريف العبادي**: مواليد الناصرية ومن سكنة مدينة العمارة.

خطيب، وامام مسجد في العمارة.

استشهد في الحملة المسعورة ضد الخطباء عام ١٩٨٨ م .

كما استشهد ولده الشيخ حسن تحت التعذيب.

١٣٧. **السيد علي نجل الشهيد السيد موسى العميدي**: بابل / الكفل.

خطيب استشهد مع والده وعمه وثلاثة من اخوانه في المواجهة مع قوات الطاغية (الامن والجيش الشعبي) لعدم ذهابهم إلى الحرب حتى هدِّمت دارهم عليهم وذلك عام ١٩٨٣ م .

١٣٨. **الشيخ علي الشيخ عبد الفتلاوي**: الديوانية / الشامية.

خطيب .

اعتقل بعد أحداث الانتفاضة ١٩٩١ م ولم يعرف مصيره .

١٣٩. **الشيخ علي الكعبي**: بغداد / مدينة الصدر (الثورة).

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية وكان اماماً في مسجد الحكمة ثم مسجد المحسن.

اعتقل لمشاركته في اربعينية المرجع الشهيد السيد محمّد الصدر في النجف الأشرف واستشهد تحت التعذيب بعد ستة أشهر من اعتقاله. كما اعتقل والده وعمه وأخوه لفترة

تحت التحقيق والتعذيب بعد استشهاده.

١٤٠. الشيخ عيسى الشيخ والي الشافعي: النجف / العباسية.

خطيب.

اعتقل عام ١٩٨١ م وقد استشهد تحت التعذيب ولم يسلم جثمانه وهو شقيق الخطيب الشهيد الشيخ سلمان الشافعي الذي استشهد مسموماً.

١٤١. السيد غازي السيد حسين زغير الياسري: الديوانية / عبرة آل بدير.

خطيب.

استشهد رمياً بالرصاص في الحملة المسعورة ضد خطباء المنبر وقد ألقي بجثمانه الطاهر في طريق الدغارة عام ١٩٨٨ م.

١٤٢. الملا غانم عبد العالي الحجاج: البصرة / الهوير.

خطيب، استشهد مسموماً في الحملة المسعورة على الخطباء، ١٩٨٨ م.

١٤٣. السيد غني السيد إبراهيم أغا كريم الجزائري: النجف الأشرف / الحيرة.

خطيب مشهور.

استشهد في الحملة المسعورة في شهر صفر ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م باطلاق الرصاص عليه ثم أُلقي جسده على الطريق العام بين كربلاء والنجف.

١٤٤. السيد فاخر السيد مهدي السيد عيسى اليعقوبي الموسوي: ذي قار.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل وسقي السم عام ١٩٧٩ م وكانت محاولة فاشلة لاغتياله ثم اطلق سراحه وبعدها تم اعتقاله في سجن أمن السماوة ونقل إلى أمن النجف وبعدها بأشهر نقل إلى أمن بغداد وتم استشهاده اعداماً.

١٤٥. الملا فاخر سفاح وادي المنصوري: مواليد ١٩٣٠ البصرة / المدينّة / ناحية طلحة.

خطيب: استشهد مسموماً في الحملة المسعورة ضد الخطباء وقد استدعي إلى دائرة الأمن وسقي الشاي المسموم من قبل ضابط الأمن (سنان) وتوفي بعد أيام وذلك يوم الجمعة ١٧ / ١٢ / ١٩٨٧ م.

١٤٦. السيد فاضل السيد محمّد السيد كريم الخرسان: النجف الأشرف.

خطيب ومن خدمة الروضة الحيدرية.

استشهد تحت التعذيب بعد اعتقاله، لاشتراكه في انتفاضة شعبان ١٤١١ هـ آذار ١٩١١ م.

١٤٧. الشيخ فاضل العمشاني: مواليد العمارة / من سكنة بغداد.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف اعتقل عام ٢٠٠١ م واستشهد بعد ستة أشهر من اعتقاله تحت التعذيب حيث استدعي أهله وسلموا جثمانه تحت المراقبة.

١٤٨. الشيخ فالح عبد الامام الربيعي: مواليد البصرة / ومن سكنة النجف الأشرف.[١]

استشهد تحت التعذيب في السجن يوم ٧ / ١٢ / ١٩٨٨ م وقد استشهد ثلاثة من أولاده هم: ١. محسن، ٢. حسن، ٣. عباس.

١٤٩. الشيخ فرحان عبد علي البغدادي: مواليد بغداد / الكاظمية ١٩٥٧ م.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في الكاظمية وخريج الجامعة المستنصرية.

اعتقل يوم ١١ / ٥ / ١٩٨٠ م لمشاركته في زيارة الامام الحسين عليه السلام وقد استشهد تحت التعذيب ودس السم إليه يوم ١٣ / ٥ / ١٩٨٠ م.

---

١. ويقال أنّه غير شهيد.

١٥٠. الشيخ قاسم هادي ضيف المفرجي: بغداد / البياع .

خطيب ومن طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

استشهد عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م في المواجهة مع المجرمين البعثيين.

١٥١. الشيخ قيصر عبد الزهرة الشوبلي: بغداد.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد اعداماً مع أربعة من المؤمنين عام ١٩٩٨م .

١٥٢. السيد كاظم السيد عزيز السيد نور الحلو: النجف الأشرف .

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف. وكان ممثلاً للمرجعية الدينية في مدينة الحصوة من توابع بغداد.

استشهد في أقبية السجون الرهيبة عام ١٩٨٣م وكان اعتقاله بسبب امتناعه من تلبية رغبات الحكم الظالم في ارسال برقية للحكومة الايرانية استنكاراً عليها للحرب بينها وبين العراق رغم أن الطاغية صدام هو الذي شنَّ الحرب.

١٥٣. الشيخ كاظم سنيد الزيادي: الديوانية.

خطيب: استدعي مع مجموعة من خطباء الديوانية وضواحيها إلى دائرة الأمن في الديوانية في الحملة المسعورة ضد الخطباء عام ١٩٨٨م وسقوا السم واستشهد اكثرهم ومنهم الشيخ كاظم.

١٥٤. السيد كاظم حبيب الصافي: بغداد /إمام الجمعة في الكوت.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد عام ١٩٩٩م بعد اعتقاله مع جملة من الشباب لتحديه السلطة في اقامة صلاة الجمعة وعدم الاستجابة لمطالبها.

١٥٥. الشيخ كاظم الشيخ موسى حسن الفتلاوي: الديوانية / المهناوية.

خطيب: استشهد في الحملة المسعورة ضد الخطباء باطلاق الرصاص عـليه وذلك في شهر آيار عام ١٩٨٨ م حيث ألقي بجسده الطاهر في بعض المناطق التابعة إلى مدينة الحلة بعيداً عن أهله بحوالي «١٢٠ كم» وأليقت قناني الخـمرة إلى جـنبه ايـهاماً للـناس وتغطية على الحادث .

١٥٦. السيد كاظم السيد هاشم السيد محمّد آل قفطون: كربلاء / مـواليـد ١٣٤٠هـ.

خطيب معروف في كربلاء.

استشهد في الحملة المسعورة ضد الخـطباء يـوم ١٤ مـحرم ١٤٠٩هـ ـ ٢٦ / ٨ / ١٩٨٨م.

١٥٧. السيد كريم خضر الموسوي: الناصرية / الغراف.

خطيب ومن طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد تحت التعذيب عام ١٩٨٢ م .

١٥٨. الملّة كميله عبد العزيز الحاج علي كاندو: السماوة.

قارئة تعزية معروفة في المجالس النسائية في مدينة السماوة.

استشهدت في الحملة المسعورة باستدعائها إلى دائرة أمن السماوة وسقيها السم في أوائل محرم عام ١٤٠٨ أو ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ م حيث لم تبق إلّا خمسة أيام تعاني من آثار السم حتى استشهدت.

١٥٩. الشيخ مجيد المسلماوي: ولد في النجف الأشرف ١٩٥٢ م / من سكنة الكوفة.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف وله مؤلفات منها (دفـاع عـن مـوقف

الاسلام من الجريمة والعقاب) ـ (القرآن ماذا تعرف عنه).

استشهد اعداما عام ١٩٨٣ م بعد سجن وتعذيب لسنوات بسبب رفضه الانتماء لحزب البعث الظالم وقد اعتقل على رأس مجموعة من المؤمنين كان يلتقي بهم ومنهم الشهيد (ن ـ ض) حسن رحمه.

١٦٠. الشيخ محسن الخفاجي: الحلة / الدولاب.

خطيب: استشهد مسموماً في الحملة المسعورة ضد الخطباء.

١٦١. السيد محسن السيد شاكر الشرع: البصرة / النشوة.

خطيب: استشهد بمقاومة جيش الطاغية في الانتفاضة عام ١٩٩١ م.

١٦٢. الشيخ محسن الشيخ مهدي الشيخ علي ما الله: مواليد البصرة / القرنة.

خطيب وعالم وكان يدرّس في الحوزة العلمية في سامراء.

استشهد بعد اختطافه عام ١٩٨٨ م وبعد شهرين استدعي أهله من قبل دائرة الأمن في سامراء وسلّموا جثمانه الطاهر وظهر أنه قتل خنقا بعمامته وذلك في الحملة المسعورة ضد الخطباء.

١٦٣. السيد محمّد باقر الحكيم: النجف الأشرف.

عالم ومجاهد وأستاذ في كلية أصول الدين في بغداد سابقاً وخطيب منبري «لمقتل الحسين عليه السلام» لأكثر من ثلاثين سنة.

استشهد بعد ادائه لصلاة الجمعة في الصحن الشريف لأمير المؤمنين عليه السلام بحادث انفجار رهيب واستشهد وجرح معه مئات المصلين في ١ رجب ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

١٦٤. الشيخ محمّد جاسم العاشوري العيداني: مواليد البصرة.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اضطر لمضايقته ومراقبته وحاجته المادية إلى العمل موظفاً في الموانئ في البصرة وترك الدراسة إلّا أنه بقي مواضباً على خدمة المنبر الشريف فاعتقل في سجون الأمن العامة حدود عام ١٩٧٩ م واستشهد تحت التعذيب .

١٦٥. الشيخ محمّد الحاج جاسم آل فنين (شيخ ذچر): السماوة.

خطيب: استدعي إلى دائرة أمن السماوة وسقي السم فأستشهد مسموماً في الحملة المسعورة ضد الخطباء أوائل عام ١٩٨٩ م .

١٦٦. الشيخ محمد جواد الشيخ محمّد الشيخ جواد آل فرج الله: البصرة.

خطيب أديب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومن رجال التربية والتعليم ـ وله مؤلفات ـ اعتقل في الحملة الظالمة التي طالت العلماء والمثقفين بعد اعدام الشهيد السيد محمّد باقر الصدر ﷺ وقد استشهد تحت التعذيب عام ١٩٨٢ م .

١٦٧. الشيخ محمّد حافظ التميمي: البصرة / مواليد ١٩٧٠ م .

خطيب في البصرة ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد اعداماً بعد اعتقاله لأكثر من سنة عام ١٩٩٩ م .

١٦٨. السيد محمّد السيد حسن السيد جبار الميالي: مواليد الديوانية / غماس / من سكنة النجف الأشرف .

خطيب: ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف .

استشهد قتلاً في الحملة المسعورة عام ١٩٨٨ م .

١٦٩. الشيخ محمّد حسن اليزدي: النجف الأشرف .

خطيب: عالم .

اعتقل ولم يعرف مصيره حتى سقوط الطاغية حيث تيقن ذووه من استشهاده في السجون الرهيبة.

١٧٠. الشيخ محمّد صالح طعمه الرسيتماوي: العمارة.

خطيب ومن طلبة الحوزة العملية في قم.

استشهد في الجبهة مع المجاهدين العراقيين ضد الطاغية صدام في معارك كربلاء الخامسة يوم ١٧ / ١ / ١٩٨٧ م.

وكان قد استشهد أخوه الأكبر الاستاذ مهدي (مدرس ثانوية) وهو من خريجي كلية الآداب ولوحق هو ووالده وأخوانه حتى توفي والده المرحوم الحاج صالح وأخوه الشيخ علي في المهجر (في ايران).

١٧١. الشيخ محمّد علي الشيخ صادق عبد الحسين الايرواني: النجف الأشرف.

خطيب ومن خريجي كلية الفقه ومن خريجي الدراسة الحوزوية في النجف.

استشهد رمياً بالرصاص ـ غدراً ـ في الحملة المسعورة ضد الخطباء وذلك يوم ١٥ شوال ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

١٧٢. الشيخ محمّد علي الشيخ مسلم الجابري: النجف الأشرف / عالم في منطقة الفهود.

خطيب ومن خريجي كلية الفقه.

اعتقل لعدة مرات بعد اشتراكه في انتفاضة رجب ١٩٧٩ م المستنكرة لاعتقال الشهيد السيد الصدر ﴿﴾ وكان آخر اعتقال له مع بعض اقاربه ومنهم زوجته حيث أخبر ذووه عن استشهاده ولم يعرف مصير المعتقلين معه لحد الآن.

١٧٣. السيد محمّد علي السيد عبد الصاحب المحدّث الموسوي: مواليد

الخالص / من سكنة النجف الأشرف .

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية.

اعتقل عام ١٩٨٤ م وقد استدعي والده إلى الطب العدلي في بغداد بعد سنين لاستلام جثمانه شهيدا، شنقاً، وعليه آثار التعذيب كما اعتقل اخوه السيد مهدي والسيد عبد الباقي وصهرهما السيد صابر الشرع واستشهدوا جميعاً تحت التعذيب وكلهم من الناشطين في الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

١٧٤. **الشيخ مزهر جاسم السالم الساعدي**: مواليد ١٩٥١م المشرّح / العمارة.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

اعتقل مع ثلاثة من المؤمنين حدود عام ١٩٨١ م واستشهد تحت التعذيب.

١٧٥. **الشيخ مقداد الحجامي**: الناصرية / سوق الشيوخ .

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل لنشاطه المنبري في سجون الامن الرهيبة عام ١٩٩٦ م وتعرضّ لاقسى أنواع التعذيب حتى استشهاده .

١٧٦. **السيد مصطفى السيد جواد (آل طعمة) الفائزي**: كربلاء ١٩١٩ م.

خطيب، أديب، معلم، مؤلف.

استشهد في الحملة المسعورة ضد الخطباء وبعد انتقاده الاعلام التلفزيوني لنظام الطاغية من على المنبر حيث تم دهسه بسيارة من قبل ازلام الأمن في كربلاء عام ١٩٨٨ م .

١٧٧. **موسى الشيخ علي موسى الخويلدي**: مواليد النجف / ومن سكنة الحلة.

طالب اعدادية التجارة، ويرتقي المنبر أمام والده.

اعتقل عام ١٩٧٩ م وأخبر أهله عام ١٩٨٤ م بأنه توفي في معارك شرق البصرة ولم

يسلم جثمانه ولم يعرف مصيره حتى سقوط حكم الطاغية.

١٧٨. السيد موسى السيد ابراهيم السيد حسين العميدي: الحلة / الكفل.

خطيب: وكان من طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد في المواجهة مع قوات الطاغية عام ١٩٨٣م عندما هجموا على داره في الكفل لعدم التحاق ابنائه وأبناء أخيه في حرب الطاغية على ايران وقد استشهد أربعة معه من أبنائه وابن عمه وهم :

١. السيد سامي السيد موسى العميدي ٢. السيد علي السيد موسى العميدي ٣. السيد اسماعيل السيد موسى العميدي ٤. السيد عباس السيد موسى العميدي ٥. السيد صادق السيد هاشم السيد حسين العميدي .

١٧٩. الشيخ مهدي حاتم شذر العاشوري الساعدي: مواليد العمارة/الكحلاء ثم سكن النجف الأشرف مؤخراً.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

استشهد عام ١٩٨٢م .

١٨٠. السيد مهدي أحمد السعبري: النجف الأشرف / الكوفة.

خطيب: وكان يؤدي دور الشبيه للامام الحسين عليه السلام في تشبيه واقعة كربلاء في الكوفة سنوياً.

اعتقل مع ثلاثة من أولاده عام ١٩٨٠ وأفرج عن أحدهم بحاله مرضيّة شديدة ولم يعرف مصير الباقين حتى سقوط حكم الطاغية.

١٨١. السيد مهدي السيد محمّد صالح القزويني: كربلاء.

خطيب ومدرس في الحوزة العلمية في كربلاء.

اعتقل منتصف عام ١٩٨١ م واستشهد تحت التعذيب حدود عام ١٩٨٦ م.

١٨٢. الشيخ ميران محمّد علي سالم الحلي: الحلة / ١٩٣٥ م.

خطيب ـ (كان مكفوف البصر).

اعتقل عام ١٩٧١ م لاستنكاره من على المنبر افتتاح السلطة الجائرة االملاهي وحانات الخمور واعتقل عام ١٩٧٩ م لمدة شهرين ثم سجن أوائل الثمانينات واستشهد تحت التعذيب ولم يسلم جثمانه الطاهر.

١٨٣. الشيخ ناجي سلطان آل حسيني: من سكنة النجف الأشرف.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف.

اعتقل مع ولديه قبل استشهاد السيد محمّد باقر الصدر ولم يعرف مصيرهم.

١٨٤. الشيخ نافع الشيخ حسين الهدابي: السماوه / الرميثة.

خطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف اعتقل أوائل الثمانينات واستشهد تحت التعذيب.

١٨٥. السيد نجاح السيد حبيب الموسوي: مواليد واسط / الحي / من سكنة بغداد.

من مشاهير الخطباء في الكاظمية وخريج المعهد الفني اعتقل كما اعتقل اخوه السيد صباح واستشهدا في السجن ولم يسلّم جثمانهما. وقد ألقي القبض على السيد نجاح بعد انتفاضة رجب ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م وكان في «گراج الامن العامة» في بغداد، وقسّم السجناء إلى وجبات منهم وجبة مدينة الثورة حيث تضم قائمتها ٨١ شخصاً وقد اعدم منهم تسعة اشخاص ومنهم السادة آل المبرقع وحكم بالسجن على الآخرين ثم جيء بوجبة مدينة الحرية فاعدم السيد نجاح مع جماعة وذلك بعد شهر من اعتقاله.

١٨٦. السيد نور السيد حسون آل سيد عگله الموسوي: مواليد ١٩٥٥ م.

خريج كلية الهندسة في بغداد وخطيب ومن طلبة الحوزة العلمية في قم.

اعتقل عام ١٩٧٩ م وتمكن من الفرار عام ١٩٨١ م أثناء نقله إلى سجن آخر وهاجر إلى ايران ـ وسافر منها إلى دبي عام ١٩٨٤ م للخطابة في شهر رمضان المبارك فاغتالته الأيدي الاثمة للطاغية صدام بمسدس كاتم الصوت ولم يرسلوا سوى ورقه استشهاده.

١٨٧. الشيخ هادي چويد الحمداني: الناصرية / الفهود.

خطيب هاجر إلى ايران بعد مضايقته وملاحقته واستشهد مع المجاهدين العراقيين أثناء الحرب ضد قوات الطاغية.

١٨٨. السيد هادي عبد الحسين الزاملي: النجف الأشرف / الكوفة.

خطيب ومن طلبة ا لحوزة العلمية في النجف.

اعتقل سنة ١٩٨٠ م واستشهد تحت التعذيب في السجون الرهيبة للطاغية.

١٨٩. السيّد هادي السيد محمّد صالح القزويني: كربلاء.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية.

اعتقل مع أخيه الشهيد السيّد مهدي واستشهد تحت التعذيب وكان اعتقاله عام ١٩٨١ م.

١٩٠. الشيخ هادي الشيخ حسن الكندي: النجف الأشرف / الحيدرية.

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اعتقل ولم يعلم بمصيره حتى سقوط حكم الطاغية صدام وقد صودر بيته في حي الشعراء في النجف.

وهو شقيق الخطيب المرحوم الشيخ جوادي الكندي الذي توفي في المهجر في قم المقدسة.

١٩١. الشيخ هاشم عمران الجبوري: الكوت / الصويرة .

خطيب ومن خريجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

اعتقل مع صهره المرحوم الشهيد الشيخ عباس النعماني أيام احتجاز الشهيد الصدرﷺ عام ١٩٧٩ م وقد استشهد اعداماً بعد سجنه لفترة لاقى خلالها أقسى أنواع التعذيب.

١٩٢. الشيخ ياسين الجابري: السماوه / الخضر.

خطيب: استشهد رمياً بالرصاص ورميت جثته بالقرب من الخضر وذلك في الحملة المسعورة ضد خطباء المنبر ١٩٨٨م .

١٩٣. الشيخ يحيى يونس عبد الله الكعبي: مواليد ١٩٤٨م الشنافية / الديوانية / ومن سكنة النجف الأشرف .

خطيب وعالم.

اعتقل عام ١٩٨١ م واستشهد شنقاً حتى الموت ولم يسلّم جثمانه وقد سلّم ذووه ورقة استشهاده المؤرخة يوم ١ / ١٠ / ١٩٨٢ م من مستشفى الرشيد العسكري.

١٩٤. المله يحيى مزيد علي المياحي: البصرة / مواليد ١٩٤٢ م .

خطيب وممن درس في الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

اعتقل لعدة مرات كان آخرها عام ١٩٨١ م حيث داهمه الأمن ليلاً إلى منزله في ـ كرمة علي. واقتادوه حاسر الرأس، وكانوا قد اعتقلوا قبله بيومين جاره العالم الجليل السيد نوري اللعيبي وضيعوه في زنزاناتهم الرهيبة واما الملّه يحيى فانه بقي في سجون الأمن العامة الممنوعة المواجهة لسنتين حتى استشهد عام ١٩٨٢ م وسلمت جثته الطاهرة إلى ذويه .

ملحق رقم (٤)

الأستاذ الخطيب الباقر المقدسي دام محترماً.

تحية مباركة ودعاء لكم بالسداد والتوفيق.

وبعد: لقد وصلتني نسخة من شهادتين إحداهما من الباكستان، والثانية من الجامعة الإسلامية بلندن يشهدان بمنحك درجة الماجستير في الأُولى والدكتوراه في الثانية، فكان ذلك مبعث سروري وفرحي بأن يتوفّر للمنبر الحسيني كادر من حملة الشهادات العليا، يضفي الأجواء العلميّة على معالجات المنبر ويعزّز ثقة السامعين بمحتوياته.

أرجو لك التوفيق وآمل أن تضاعف جهدك في إثراء المضمون العلمي في طرحك للمواضيع على منبر سيد الشهداء صلوات الله عليه [١]، فإن في ذلك المجد في الدنيا، والأجر في الآخرة.

ودمت بخير

أحمد الوائلي

دمشق ٧ شوال ١٤٢١هـ

---

١. لاحظ، فهو ﷺ على الرغم من السعادة التي غمرته بحصول الخطيب المقدسي على شهادات اكاديمية عالية، لن يغفل عن توصياته للجانب الموضوعي والعلمي في مادة المنبر، ولئلا تكون الشهادات ـ أحياناً ـ مانعاً أو غروراً تجعل من الخطيب زاهداً في العرض العلمي للمادة المنبرية، فهو يرى ان نجاح الخطيب في قدرته وقابلياته المعرفية ومدى توفيقه في العرض واستقطاب الجمهور ومن ثم تأتي الشهادات الأكاديمية لتعزز مكانة الخطيب وتعكس مستواهُ العلمي وفق هذه الشهادات الممنوحة.

ملحق رقم (٥)

نص الميثاق

نحن الموقعين بذيله أدناه، من زعماء القبائل في الفرات الأوسط، قد رفعنا مطالبنا المشروعة، الّتي كان الغرض منها إصلاح وضع المملكة العراقية، حتى يتقدم العراق إلى مصاف الأمم الراقية، ويمشي إلى الامام على أقدام العدل والمساواة بين سائر طبقاته، دامت شوكته، قد رفعنا مطالبنا إلى سماحة زعيمنا الروحاني، المصلح الاكبر، حجة الإسلام والمسلمين، الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، دام ظله، كي يتقدم بها إلى مليكنا المعظم، صاحب الجلالة غازي الأول، وحكومته الموقرة، ويطالب بإنجازها، وسماحته الممثل عنا جميعاً والمفوض فيها، والنافذ أمره علينا، فيما يعود إلى مصالحنا، وقد أعطيناه هذا الميثاق شاهداً وحجة علينا، مع الالتزام والتعهد منا جميعاً على محافظة مصالح الأجانب في البلاد، وتمام الرعاية للمعاهدات الدولية، مع المثابرة على المطالبة بإنجاز تلك المواد الاصلاحية، وتحقيق رغائبنا القانونية، مهما كلفنا الأمر. وللبيان حرر:

المادة الأولى ـ لقد تمشت الحكومة العراقية، منذ تأسيسها حتى اليوم، على سياسة خرقاء، لا تتفق ومصالح الشعب، واتخذت سياسة التفرقة الطائفية أساساً للحكم فمثلت أكثرية الشعب بوزير واحد أو وزيرين ممن يسايرون السلطة في سياستها (على الاكثر) وعلى مثل هذا الاساس تمشت في سياسة التوظيف فظهر التحيز صريحاً في انتقاء الموظفين وأعضاء مجلس الأمة، بينما القانون الأساسي لم يفرق بين أبناء البلاد، كما نصت المادة (السادسة) من القانون الأساسي، فلايجاد الاستقرار والطمأنينة في نفوس الشعب، ورفع التفرقة بين أبناء الامة، يجب أن يساهم الجميع في مجلس الوزراء، وفي مجلس الامة، وسائر وظائف الدولة، كما يساهم في الجندية والضرائب.

المادة الثانية ـ ان طريقة الانتخابات الحاضرة اسيء استعمالها، حتى أصبح مجلس الامة لا يمثل الشعب تمثيلاً صحيحاً، وضماناً لدفع التلاعب، من ناحية الحكومة، نرى وجوب تعديل قانون الانتخاب على أساس ضمان الحرية المطلقة، بوضع القيود الّتي تمنع الحكومة من التدخل المباشر، وغير المباشر، وأن يكون الانتخاب بدرجة واحدة، واعتبار كُلّ لواء منطقة انتخابية، مستقلة.

المادة الثالثة: لما كانت المادة (٧٧) من القانون الأساسي تنص على وجوب تعيين القضاة الشرعيين من مذهب أكثرية السكان، في حين أن سلطات القضاء الشرعي منحت الحكام من مذهب أقلية السكان، فنطلب تطبيق أحكام المادة المذكورة من القانون الأساسي، مع لزوم تدريس أحكام الفقه الجعفري في كلية الحقوق العراقية.

المادة الرابعة: لما كانت محكمة التمييز العراقية المرجع الوحيد لمحافظة ارواح، وأموال، الشعب، وقد سبق أن مثلت الطائفتان: المسيحية، والاسرائيلية، والعناصر الاخرى فيها، فعليه نطلب أن يكون في كُلّ فرق من فروع المحكمة المذكورة عضو شيعي، لتطمئن النفوس بأحكام المحاكم.

المادة الخامسة: لما كانت الصحافة لسان الشعب الناطق، فيجب إطلاق الحريات الكاملة للصحافة، ورفع القيود الإدارية، وحصر المسؤوليات بالمراجع القضائية، تمشياً مع روح المادة ١٢ من القانون الاساسي.

المادة السادسة: لما كانت الاوقاف العامة أوقافاً إسلامية، خصصت لخدمة الشرع الشريف، وإعاشة المتفرغين لهذه الخدمة، وما يتفرع عنها، غير أن سياسة الحكومة اتجهت إلى نواحي أخرى، وأصبحت مواردها تصرف على تشكيلات الاوقاف الإدارية، وأهملت دور العلم، ومساجد العبادة، فعليه يجب الاقلاع عن هذه السياسة في إدارة الاوقاف العامة، وصرف مواردها على المؤسسات الإسلامية بصورة عامة.

المادة السابعة: تعميم. وتعديل، لجان تسوية الاراضي، الّتي يتم بواسطتها الاستقرار الزراعي، كما نطلب الاسراع في تنفيذ قانون البنك الزراعي الصناعي، وتمليك الاراضي لاربابها من غير بدل.

المادة الثامنة: الغاء ضريبتي الارض والماء، واستبدال ضريبة الكودة على المواشي بضريبة استهلاك، وعدم فرض الضريبة على الآلات الرافعة.

المادة السابعة: إن وظائف إدارة الدولة في تضخم مستمر، بسبب عدم استقرار الملاك، وإن رواتب الموظفين في تزايد، بصورة لا تتناسب مع الوضع الاقتصادي، ومع مستوى المعيشة، كما أن الموظفين قد تمادوا بالاستهتار بمصالح الشعب، بعدم رعاية القوانين، فيجب اتخاذ تدبير سريع لاستبدال موظفى الدولة، المعروفين بسوء السلوك والسمعة، والتخفيف رواتب التقاعد المدني والعسكري.

المادة العاشرة: إن معظم مؤسسات الدولة الصحية، والعمرانية، والتهذيبية، لم تراع في توزيعها النسبة العادلة بين أبناء الشعب، وخاصة في المنطقة الجنوبية من العراق، كما يجب وضع الانظمة والقوانين لمنع تفشي الامراض الاجتماعية، والاخلاقية، وتهذيب مناهج المعارف، وجعل الدروس الدينية كسائر الدروس ذات درجة في الامتحان، والسعي وراء صيانة الاخلاق، بمنع البغاء، والتجاهر ببيع الخمور، والقمار، وكُلّ ما يؤدي إلى فساد الاخلاق.

المادة الحادية عشرة: عدم التعرض لمن اشترك في الحركات الوطنية الحاضرة من أبناء الشعب أو من الموظفين، وافراد الجيش والشرطة.

المادة الثانية: توقيف احكام القوانين الّتي تعارض هذه الطلبات، واستبدالها بما يضمن تنفيذ الطلبات المتقدمة.

عهد الموالين

نحن الموقعين والواضعين أختامنا أدناه، قد قسمنا بسيدنا العباس عليه السلام إننا نحرص كُلّ الحرص على تأييد العرش الهاشمي، وإعلاء شأن البلاد، وصيانة حقوق أبنائه، وإننا متحدين، ونقاوم كُلّ من أراد بأحدنا أو بمجموعنا سوءاً، خلاف العدل والحق، أو بالدوافع الشخصية، ونؤيد مطالبنا الّتي اتفقنا عليها عند حجة الإسلام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.

سلمان البراك، نايف الجريان، حنتوش اللهميص، سيد جعفر ابو طبيخ السيد نور السيد عزيز الياسري، شعلان السلمان، سيد كاظم الحجاب، حاج مرزوك العواد، عبد المحسن آل جريان، فرهود المشير، حاج صلال الفاضل، حمود الحمادي، كاظم المنذور، عبد الكريم آل حمود، علوان الحاج سعدون، خوام الحاج عبد العباس، دوهان الحسن، غزاي الوراد، بدر الشخير، حاج محمد العبود، مناحي الحاج طرفة، غازي الحمد، شعلان الشهد، سلمان الصكبان، حاج مظهر الصكب، فرهود المحمد، اسكندر المرهون، حاج حمود البدن، عباس العلوان، حاج صدّام العواد، حسن الشمخي، فواز العيفان، أحمد العثير، حاج ضيدان الحسين، هادي العبد الرضا، يوسف نجارنه، عبد الرضا أبو خليل، فيصل الظاهر، حاج جاسم الصعب، موجد السماوي، ضاحي الحمود، كربلاء عبد المهدي آل قنبر، كربلاء محمد رشيد، كربلا علوان الحاج عبد العزيز، بلعوط المحسن، سيد مهدي سيد علي، عواد الحاج جاسم، مزهان العلي، حاج عبد العباس العواد، عبد آل غافل، كاظم آلياوه، أحمود الجبار، أعطيوي المحمد، محمد العباس، حاج فرهود الستار، فرمان العويد، حسين الزويد، كاظم الصراخ، محيي المواسي، محمد العبد الله، سيد نور أبو بعيجة، كربلا عباس الكريم، حاج رايح العطية، حاج داخل الشعلان، حسون الفرهود، جري آل ضيدان، سيد حنون العبد العباس، عبد المجهول.



على هامش الدراسة

مهمة المنبر في الدعوة إلى وحدة المسلمين

بات معروفاً ما للمنبر الحسيني من دور مهم في الوسط الشيعي، باعتباره الوسيلة الاعلامية الأكثر تأثيراً، فلابد أن ينهج الخطباء مساراً واقعياً وموضوعياً يعالج أهم وأخطر المسائل الاجتماعية والدينية الّتي يعيشها العراقيون اليوم بعد زوال النظام الدكتاتوري من العراق. ولانجد أخطر مما يدعو له البعض من المتطرفين من مختلف الفرق الاسلامية في دعواتهم الاعلامية المشوبة بخطر الطائفية المقيت.

لقد أنبأ التاريخ العراقي المعاصر بكل أحداثه العاصفة به، على خلو النفس الطائفي بين افراد المجتمع العراقي. ولم يسجل لنا التأريخ صراعاً طائفياً للحد الذي يمكن ان يوصف به بالتناحر والصراع الطائفي بين مختلف أصحاب المذاهب الاسلامية. كما ولم نجد بياناً أو تصريحاً أو قولاً لعلماء المذاهب المختلفة يُشم منه رائحة التخندق أو الفئوية أو التعصب لإرشاد الأمة وأبنائها لهذا المذهب أو ذاك، كما وليس هنالك ما يدعو إلى التنافس البغيض والدعوات السافرة لتسلط مذهب على المذاهب الأخرى. بل ان حقيقة البنية الاجتماعية للشعب العراقي سجلت تضامناً وحدويّاً قلما نجد مثله في بلدٍ اسلامي، ولكن نعم يمكن القول أن في العقود المنصرمة وبالتحديد منذ تشكيل الدولة العراقية أصاب المجتمع العراقي ظاهرة الطائفية السياسية وهي محاولة سقيمة معلومة النتائج رَوّج لها المتطرفون من بعض ابناء المذاهب الاسلامية في دعم الحكومات الدكتاتورية المتسلطة، لغرض تفتيت التلاحم والتضامن بين صفوف القاعدة الجماهيرية تماشياً مع الشعار (فرق تسد)، ولم تخفى هذه الحقيقة على الطبقة الواعية من المجتمع العراقي، فكانوا ينظرون ـ لهذه المحاولة ـ نظرة استخفاف واشمئزاز وبالأخص في الفترات الأخيرة من حكم البعثيين الذي اعتمد أبناء السنة في تقوية سلطتهم وبث المخاوف في نفوسهم من الطائفة الشيعية،

فسجل الكثير من اخواننا ابناء السنة مواقف أخوية شجاعة أنقذوا فيها أرواح العشرات من أبناء الشيعة. رغم أنهم يتصدرون مواقع حساسة في الحزب والدولة. ولا أرى ابلغ من هذا المؤشر البليغ بالإنسانية في التعرف على حقيقة البنية الاجتماعية في العراق.

وفي المقابل لو استعرضنا مواقف الشيعة لطال بنا المقام، فقد سجل بعض العلماء مواقف مؤازرة ومناصرة لأبناء السنة فضلاً عن الانسجام الفكري والروحي والعملي في الساحة السياسية. ولانرى في هذا الصدد أبلغ من دعوات المرجع الشيخ محمد الخالصي إلى الوحدة الاسلامية والتقارب الأمثل بعد توفر الضرورات المهمة وتقديم الواجبات على المستحبات في الأمور الخلافية بين المذهبين. فسجل ﷺ الريادة الحقيقية في دعواته لصياغة مشروع الوحدة الاسلامية وتقوية اواصر المجتمع العراقي وتلاحم بنيته وتقويتها وتمتينها.

كما ولا تفوتنا الإشارة إلى المواقف السياسية المصيرية المشتركة بينهما يوم وقف علماء المذاهب في الدفاع عن أرض العراق ومعتقداته في عام ١٩١٤ م وثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠ م. فمثلما انتفض علماء وشيوخ العشائر الشيعية في الجنوب انتفض علماء وشيوخ العشائر السنية في مختلف مناطق العراق.

وبشكل عام، لم يسجل لنا التاريخ العراقي طائفية اجتماعية وإنما سجل لنا طائفية سياسية مقيتة نتيجة انعدام الوعي والجهل الواسع في صفوف الشعب ومواقف البعض من أصحاب المصالح والأهواء والنزوات.

أمام هذه المقدمة، لابد للخطيب الحسيني ان يعالج بعض الصيحات المغرضة أو الساذجة ـ الّتي يندفع أصحابها بطيبة قلب وحُسن نية ـ معالجةً موضوعية تخدم الصالح العام وتقوي ركائز الاسلام سيما وان لنا في سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام ما يشير إلى هذا التضامن وهذه الوحدة الّتي لابد منها في الوقت الحاضر بل وفي أيّ وقت يمر على العراق، وكما يروي الشيخ الطوسي ـ شيخ الطائفة الشيعية ـ مثلاً في كتاب التهذيب عن موقف الإمام

علي عليه السلام حينما تولى الخلافة من المسائل الفقهية المخالفة لرأيه الذي نعتقده معصوماً وكاشفاً عن حكم الله، ومع ذلك كان يتغاضى ويتيح المجال لمن يلتزم ويعمل بذلك الرأي المخالف لرأيه ولا يستسيغ حصول مشكلة تكدّر صفو الوحدة، أو تخدم أهداف المغرضين من أجل مسألة جانبية. جاء في التهذيب أنه «لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي ان ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة ـ يعني صلاة التراويح الّتي أفتى بها عمر بن الخطاب في عهده ـ فنادى الحسن بن علي في الناس بما أمره أمير المؤمنين، فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي صاحوا: واعمراه،. فلما رجع الحسن إلى علي قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون: وا عمراه... واعمراه!! فقال أمير المؤمنين لهم صلوا...)[1] .

اذن فمحاولات خلق الصراعات الطائفية ناجمةٌ من :

أوّلاً: العامل السياسي، حينما تخطط جهات أجنبية أو سلطات منحرفة ـ سواء كانت سلطة قوة أو سلطة مال ـ لإشغال المسلمين عن قضاياهم المصيرية أو لتمزيق وحدتهم، وقد نشط هذا العامل ـ السياسي ـ في السنين الأخيرة بعد الصحوة الاسلامية وتحرك المسلمين وعودتهم إلى دينهم والمطالبة بتحكيمه في الحياة. مما اثار هذا حفيظة الأنظمة المنحرفة وتحسسهم بالخطر الداهم.

ثانياً: التخلف الذي تعيشه قطاعات كبيرة من الأمة في المجال الثقافي والأخلاقي وهذا ينسحب إلى جهل المسلمين بعضهم ببعض، اضافة إلى عدم وجود الانفتاح المتبادل، والحوار الايجابي، واخلاقية التعصب والتشدد اتجاه الرأي الآخر.

ونحن وإن حصرنا موضوع الدعوة في المنبر الحسيني، لماله من تأثيرٍ واسعٍ وفاعل في الوسط الشيعي إلا أنها تبقى دعوة ملحة وضرورية يجب ان تتبناها المرجعية الدينية لما

---

١ . الشيخ الطوسي، التهذيب: ٣ / ٧٠.

لها من دور خطير في الأمة، وواقعها يؤثر تأثيراً بليغاً على أوضاع الطائفة الشيعية، ولما لها من نفوذ في الوسط الإسلامي يمكن لها فتح الحوار الايجابي مع علماء الطائفة السُنية، ومن هنا فإن المرجعية ليست بعيدة عن تحمل مسؤولية ما تعيشه الطائفتين في العراق. بعد علو صوت المتطرفين ـ من الطائفتين ـ بين الحين والآخر من خلال وسائل الاعلام وبالأخص الفضائيات المتعددة وبث المخاوف بين صفوف الأقلية خوفاً من تسلط الأكثرية المسحوقة والمحرومة ومنذ تأسيس الدولة العراقية أو مخاوف الأكثرية من الأقلية فيما لو سُنحت لهم الفرصة مع حاكم شبيه بصدام حسين.

فإذا كانت هناك موانع وعقبات تضعف قدرة المرجعية على التصدي القيادي فيجب ان تتحمل الطائفة جميعاً مسؤولية معالجة تلك المعوقات وإزالة تلك العقبات، وإذا كانت التحديات الكبيرة المعاصرة تفرض على الأمة ان تكون في مستوى الاستجابة لهذه التحديات فإن المرجعية هي المعنية بالدرجة الأولى. وهذا ما ينطبق تماماً على علماء السُنة ومراكزهم ومؤسساتهم الدينية.

وهنا أرى من حق المخلصين والواعين ان يدقوا أجراس هذا الخطر، ويبدوا مخاوفهم وقلقهم على مستقبل وحدة العراق ومستقبل المرجعية الدينية ومستقبل الحواضر الدينية عند المذاهب الأخرى، وأملنا كبير بالمراجع وعلماء المذاهب الاسلامية بأن لاتشغلهم مزايدات المصفقين والمؤيدين والمتطرفين عن الإصغاء لصوت المخلصين الواعين والصادقين في حُبّ العراق وشعبه.

فهرس الموضوعات

موضوع	الصفحة

موضوع	الصفحة
الفصل الأوّل	٨٥
الشيخ أحمد الوائلي سيرة ذاتية	٨٥

موضوع	الصفحة

موضوع	الصفحة

موضوع	الصفحة

موضوع	الصفحة
الخاتمة	٣٦١
ملخص البحث	٣٦٥
مَصادِرُ الدراسة	٣٦٧
الكتب	٣٦٩
المجلات:................	٣٧٩
الصحف :................	٣٧٩
الملاحق	٣٨١
ملحق رقم (١): مخطط مدينة النجف	٣٨٣
ملحق رقم (٢): أسماء النجفيين المنفيين أثر ثورة النجف عام ١٩١٨م	٣٩٢
ملحق رقم (٣): اسماء الخطباء الشهداء........	٣٩٥
ملحق رقم (٤): رسالة الوائلي إلى المقدسي	٤٣٧
ملحق رقم (٥): ميثاق الشيخ كاشف الغطاء	٤٣٨
عهد الموالين	٤٤١
على هامش الدراسة	٤٤٣
مهمة المنبر في الدعوة إلى وحدة المسلمين:........	٤٤٣
فهرس الموضوعات	٤٤٩

****

التنضيد والإخراج الفني: سيد محسن البطاط